مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

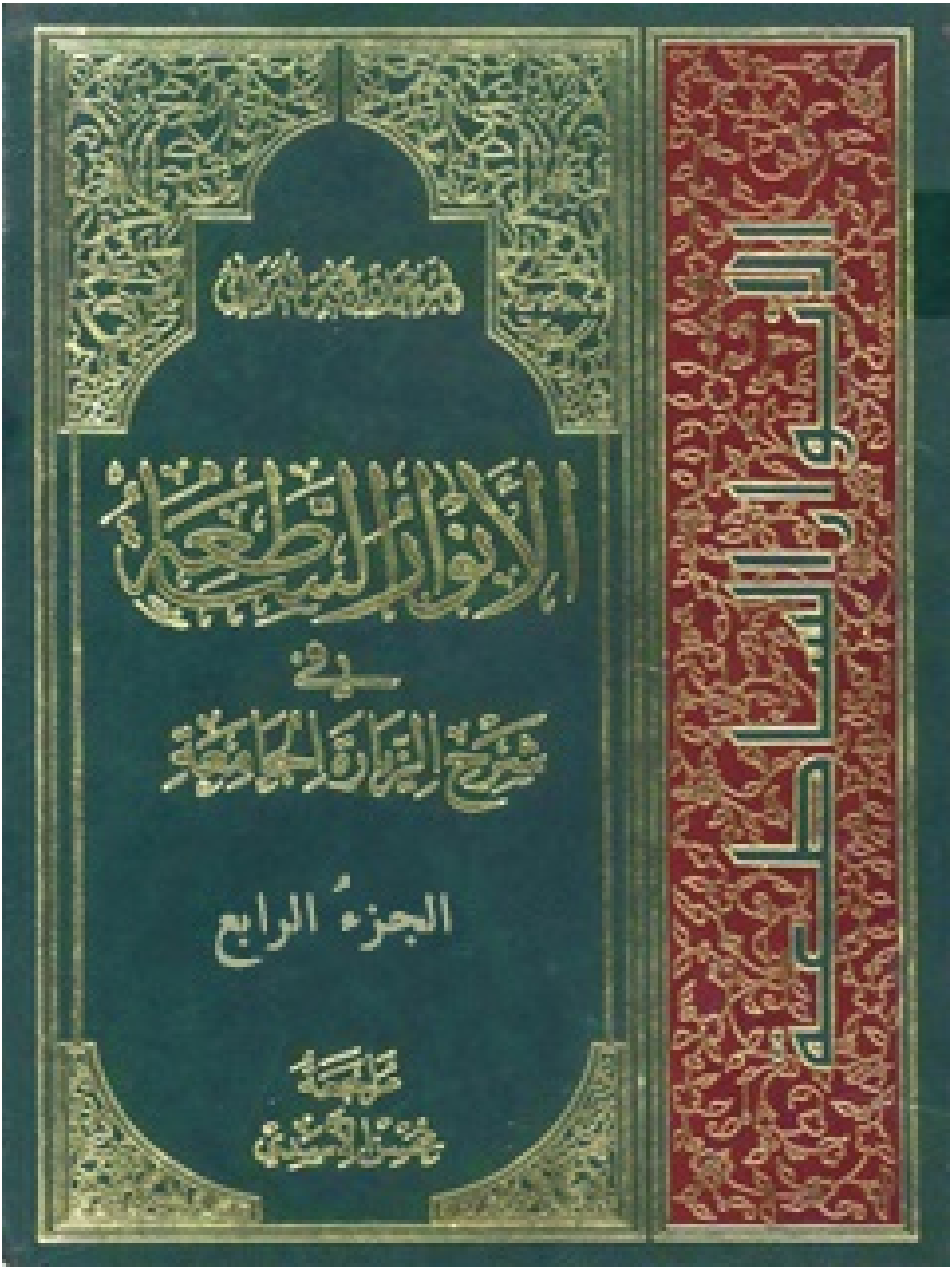
الأنوار الساطعة
في
شرح الزيارة الجامعة
الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحیم

الانوار الساطعه في شرح الزياره الجامعه

كاتب:

جواد بن عباس كربلائي

نشرت في الطباعة:

موسسه علمي فرهنگي دارالحديث

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه المجلد 4 13

اشارة 13

اشارة 13

[تتمة شرح متن الزیارة] 17

اشارة 17

[27]قوله علیه السّلام: و أمرتم بالمعروف و نهیتم عن المنکر. 19

قوله علیه السّلام: و جاهدتم فی اللّه حقّ جهاده. 22

[28]قوله علیه السّلام: حتی أعلنتم دعوته. 26

قوله علیه السّلام: و بینتم فرائضه 30

قوله علیه السّلام: و أقمتم حدوده. 31

قوله علیه السّلام: و نشرتم شرائع أحکامه 32

[29]قوله علیه السّلام: و سننتم سنّته 35

قوله علیه السّلام: و صرتم فی ذلک منه إلی الرضا، و سلمتم له القضاء، و صدقتم من رسله من مضی. 36

[30]قوله علیه السّلام: فالراغب عنکم مارق، و اللازم لکم لاحق، و المقصر فی حقکم زاهق 40

[31]قوله علیه السّلام: و الحقّ معکم و فیکم و منکم و إلیکم، و أنتم أهله و معدنه 44

قوله علیه السّلام: و میراث النبوة عندکم 49

[32]قوله علیه السّلام: و إیاب الخلق إلیکم، و حسابهم علیکم 51

اشارة 51

الأول: فی السرّ و الوجه فی ذلک. 51

و أما الثانی: فی بیان کیفیة رجوعهم إلیهم و حسابهم علیهم 53

قوله علیه السّلام: و فصل الخطاب عندکم. 61

[33]قوله علیه السّلام: و آیات اللّه لدیکم 68

قوله علیه السّلام: و عزائمه فیکم 104

قوله علیه السّلام: و نوره و برهانه عندکم و أمره إلیکم ---------- 109

[34]قوله علیه السّلام: من والاکم فقد و إلی الله، و من عاداکم فقد عادی الله، و من أحبکم فقد أحبّ الله، و من أبغضکم فقد أبغض الله، و من اعتصم بکم فقد اعتصم بالله. ---------- 141

[35]قوله علیه السّلام: أنتم السبیل الأعظم، و الصراط الأقوم، و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء ---------- 144

و أما قوله: «و شهداء دار الفناء» ---------- 148

اشارة ---------- 148

یقع الکلام فی أمور: ---------- 153

الأول: فی مورد الشهادة ---------- 153

الثانی: فی بیان السّر فی تحمل هذه الشهادة ---------- 154

الثالث: ---------- 154

الرابع: ---------- 155

و أما قوله علیه السّلام: «و شفعاء دار البقاء» ، ---------- 156

اشارة ---------- 156

لا بد من بیان مورد الشفاعة و حقیقتها. ---------- 158

أما الأول ---------- 158

و أما الثانی (أعنی حقیقة الشفاعة) : ---------- 159

اشارة ---------- 159

أما الأول: ---------- 159

اشارة ---------- 159

فاستشکلوا علی الشفاعة بأمور نذکر بعضها مع الجواب بعونه تعالی. ---------- 160

الاشکال الأول: ---------- 160

الاشکال الثانی: ---------- 161

الإشکال الثالث: ---------- 162

بقی الکلام فی زمان وقوع الشفاعة ---------- 167

[36]قوله علیه السّلام: و الرحمة الموصولة ---------- 168

اشارة ---------- 168
فلنذكر أولا أخبار الباب ---------- 169
و أما كونها الموصولة، ---------- 171
قوله عليه السّلام: و الآية المخزونة ---------- 175
قوله عليه السّلام: و الأمانة المحفوظة ---------- 182
قوله عليه السّلام: و الباب المبتلى به الناس ---------- 188
اشارة ---------- 188
الأول: فى المعنى المراد من الباب. ---------- 188
و أما المقام الثانى (أعنى كون الناس قد ابتلوا بهذا الباب) ---------- 192
[37]قوله عليه السّلام: من أتاكم نجا و من لم يأتكم هلک. ---------- 197
اشارة ---------- 197
الأول: أن من أتاهم نجا. ---------- 197
أما الثانى أعنى أن من لم يأتهم هلک: ---------- 203
قوله عليه السّلام: إلى الله تدعون، و عليه تدلّون، و به تؤمنون، و له تسلّمون، و بأمره تعلمون، و إلى سبيله ترشدون، و بقوله تحكمون. ---------- 205
اشارة ---------- 205
و أما قوله عليه السّلام: «و به تؤمنون» ---------- 205
و أما قوله عليه السّلام: «و له تسلمون» ---------- 211
اشارة ---------- 211
أما الأول: ---------- 211
و أما الثانى أعنى القراءة بالتشديد: ---------- 212
فمن هنا يعلم معنى قوله عليه السّلام: «و بأمره تعملون» ---------- 214
و أما قوله عليه السّلام: «و إلى سبيله ترشدون» ---------- 216
[38]قوله عليه السّلام: سعد من والاكم، و هلک من عاداكم، و خاب من جحدكم، و ضلّ من فارقكم، و فاز من تمسّک بكم، و أمن من لجأ إليكم، و سلم من صدّقكم، و هدى من اعتصم بكم 218
[فى بيان قوله سعد من والاكم] ---------- 218
و أما قوله عليه السّلام: «و هلک من عاداكم» ---------- 226

و قوله علیه السّلام: «و خاب من جحدکم» 227
و أما قوله علیه السّلام: «وضلّ من فارقکم» . 229
[39]و أما قوله علیه السّلام: «فاز من تمسک بکم» . 229
اشارة 229
و أما قوله علیه السّلام: «و أمن من لجأ إلیکم» . 230
و أما قوله علیه السّلام: «و سلم من صدّقکم» . 231
و أما قوله علیه السّلام: «و هدی من اعتصم بکم» 232
[40]قوله علیه السّلام: من اتّبعکم فالجنة مأواه، و من خالفکم فالنار مثواه 232
اشارة 232
بقی الکلام فی بیان سرّ هذا الأمر 235
[41]قوله علیه السّلام: و من جحدکم کافر، و من حاربکم مشرک، و من ردّ علیکم فی أسفل درک من الجحیم 237
اشارة 237
الأول: معنی الجحد و الحکم بأن جاحدهم کافر. 237
و أما قوله علیه السّلام: «و من حاربکم مشرک» . 242
بقی هنا شیء و هو بیان المراد من أسفل درک من الجحیم، 244
[42]قوله علیه السّلام: أشهد أن هذا سابق لکم فیما مضی، و جار لکم فیما بقی 250
[43]قوله علیه السّلام: و إن أرواحکم و نورکم و طینتکم واحدة، طابت و طهرت، بعضها من بعض. 253
اشارة 253
و أما قوله: «طینتکم» 255
و أما قوله علیه السّلام: «طابت و طهرت بعضها من بعض» . 260
[44]قوله علیه السّلام: خلقکم الله أنوارا، فجعلکم بعرشه محدقین. 268
اشارة 268
الأولی: فی معنی إنه تعالی خلقهم أنوارا. 268
و أما الکلام فی الجهة الثانیة و هی معنی العرش 292
و أما الکلام فی الجهة الثالثة أعنی معنی کونهم علیهم السّلام محدقین بالعرش، 303

قوله عليه السّلام: حتّى منّ علينا بكم، فجعلكم فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه. 308
اشارة 308
الجهة الأولى: فى بيان منن الله تعالى بأن جعلهم فى بيوت. . . إلخ 308
الجهة الثانية: فى بيان معنى البيوت التى أذن الله أن ترفع، . . . إلخ. 311
اشارة 311
و أما قوله عليه السّلام: «أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه» 314
اشارة 314
الأول: بيان المراد من أذن الله أن ترفع. 314
و أما الثانى: أعنى بيان إذنه تعالى أن يذكر فيها اسمه، 317
اشارة 317
الأول: أن يذكر فى تلك البيوت أسماؤه تعالى من الأذكار الواردة عنهم عليهم السّلام أو القرآن الكريم 317
الثانى: أن يكون المراد من إذنه تعالى أن يذكر فيها اسمه هو أن حقيقة ذكره تعالى بأسمائه الحسنى، 318
[45]قوله عليه السّلام: و جعل صلواتنا عليكم، و ما خصّنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا، و طهارة لأنفسنا، و تزكية لنا، و كفّارة لذنوبنا 320
[46]قوله عليه السّلام: «فكنّا عنده مسلّمين بفضلكم، و معروفين بتصديقنا إيّاكم. 328
اشارة 328
الأول: فى بيان أنا كنا مسلّمين بفضلهم عليهم السّلام. 328
و أما الثانى: أعنى بيان كوننا معروفين بتصديقنا إيّاهم، 332
[48 و 47]قوله عليه السّلام: فبلغ الله بكم أشرف محل المكرّمين، و أعلى منازل المقرّبين، و أرفع درجات المرسلين 334
اشارة 334
الأول: فى معنى الباء فى بكم، 334
المقام الثانى: فى أفضليتهم عليهم السّلام على الجميع. 335
[49]قوله عليه السّلام: حتى لا يبقى ملك مقرب، و لا نبىّ مرسل، و لا صديق، و لا شهيد، 348
اشارة 348
يقع الكلام فى أمور: 349
الأول: فى معنى عرّفهم، 349

الأمر الثانی فی أن تعریفه تعالی یشمل الکل حتی غیر ذوی العقول أم لا 351
و أما المقام الثالث و هو أنه إذا عرف الکل مقامهم المحمود، فکیف یری فی بعضهم بل فی الکثیر إنکار ذلک؟ 364
قوله علیه السّلام: «حتی لا یبقی ملک مقرب» ، 366
قوله: «و لا نبی مرسل» 366
قوله: «و لا صدیق» 366
قوله: «و لا شهید» 367
قوله: «و لا عالم و لا جاهل و لا دنی و لا فاضل» 367
قوله علیه السّلام: «و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح» 368
[50]قوله علیه السّلام: «و لا جبّار عنید، و لا شیطان مرید» 368
قوله علیه السّلام: «و لا خلق فیما بین ذلک شهید» 369
قوله علیه السّلام: «إلاّ عرفهم جلالة أمرکم» . 370
و قوله علیه السّلام: «و عظم خطرکم» 372
و قوله علیه السّلام: «و کبر شأنکم» 372
قوله علیه السّلام: «و تمام نورکم» 373
[51]قوله علیه السّلام: «و صدق مقاعدکم» 374
قوله علیه السّلام: «و شرف محلکم» 375
و قوله علیه السّلام: «و ثبات مقامکم» 375
و قوله: «و منزلتکم» 375
و قوله علیه السّلام: «و کرامتکم علیه» 375
[52]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمی و أهلی و مالی و أسرتی 377
قوله علیه السّلام: أشهد اللّه و أشهدکم أنی مؤمن بکم و بما آمنتم به، کافر بعدوّکم و بما کفرتم به 379
اشارة 379
أقول: قوله علیه السّلام: «إنی مؤمن بکم» 380
[53]قوله علیه السّلام: «کافر بعدوکم و بما کفرتم به» 381
قوله علیه السّلام: مستبصر بشأنکم و بضلالة من خالفکم 385

[54]قوله عليه السّلام: موال لكم و لأوليائكم، مبغض لأعدائكم و معاد لهم 386
قوله عليه السّلام: سلم لمن سالمكم، و حرب لمن حاربكم 387
[55]قوله عليه السّلام: «محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم 388
اشارة 388
أما الأول: 388
و أما الثانى: أعنى ثبوت حقانيتهم عقلا 389
قوله عليه السّلام: مطيع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم 392
اشارة 392
و أما قوله عليه السّلام: «عارف بحقكم» . 394
اشارة 394
الأول: معرفة مقاماتهم التى رتبهم الله تعالى فيها، 396
الثانى: معرفة أنهم عليهم السّلام معانيه، 396
الثالث: معرفة أنهم عليهم السّلام أبوابه تعالى التى منها يؤتى فى العبادات و الدعوات و المناجاة، 397
الرابع: معرفة ظاهر إمامتهم و ولايتهم، 397
[@56@]و أما قوله عليه السّلام: «مقرّ بفضلكم» 398
قوله عليه السّلام: محتمل لعلمكم، محتجب بذمتكم، معترف بكم. 403
اشارة 403
الموقع الأول: فى بيان قوله عليه السّلام: محتمل لعلمكم، 403
الموقع الثانى: فى بيان قوله عليه السّلام: «محتجب بذمتكم» . 414
و أما الكلام فى الموقع الثالث و هو قوله عليه السّلام: «معترف بكم» . 420
[57]قوله عليه السّلام: مؤمن بإيابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم 421
اشارة 421
يقع الكلام فى جهات: 421
الجهة الأولى: 421
الجهة الثانية: فى إمكانها 423

الجهة الثالثة: فی الآیات و الأحادیث الواردة فی الرجعة تصریحا أو تأویلا منهم علیهم السّلام بها، ----- 445
و هاهنا فوائد: ----- 450
الفائدة الأولی: قد تکرر ذکر دابة الأرض فی الأحادیث، ----- 450
الفائدة الثانیة: ----- 459
الفائدة الثالثة: ----- 472
الفائدة الرابعة: فیما ورد من أنّ إبلیس یقتل فی الرجعة أوعند قیام القائم علیه السّلام ----- 478
الفائدة الخامسة: فیما یفعله الأئمة علیهم السّلام فی الرجعة، ----- 485
بقی شیء و هو أن قوله علیه السّلام «منتظر لأمرکم، و مرتقب لدولتکم» ----- 496
قوله علیه السّلام: آخذ بقولکم، ----- 504
فقوله علیه السّلام: «عامل بأمرکم» ----- 505
قوله علیه السّلام: «مستجیر بکم» . ----- 506
[58]قوله علیه السّلام: «زائر لکم» ----- 506
قوله علیه السّلام: «عائذ بکم لائذ بقبورکم» ----- 509
قوله علیه السّلام: «مستشفع إلی الله عز و جل بکم» . ----- 513
قوله علیه السّلام: «و متقرّب بکم إلیه» . ----- 517
[59]قوله علیه السّلام: «و مقدّمکم أمام طلبتی و حوائجی و إرادتی فی کلّ أحوالی و أموری» . ----- 523
[60]قوله علیه السّلام: «مؤمن بسرکم و علانیتکم و شاهدکم و غائبکم و أولکم و آخرکم» . ----- 528
قوله علیه السّلام: «و مفوض فی ذلک کله إلیکم، و مسلم فیه معکم» . ----- 552
اشارة ----- 552
[61]و اما قوله علیه السّلام: «مسلم فیه معکم» ----- 553
تعریف مرکز ----- 591

الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه المجلد 4

اشارة

سرشناسه : زیارتنامه جامعه کبیره. شرح

عنوان و نام پدیدآور : الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه/ تالیف جوادبن عباس الکربلائی؛ مراجعه محسن الاسدی

مشخصات نشر : قم: موسسه فرهنگی دار الحدیث، [1377].

مشخصات ظاهری : ج 5

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه

موضوع : زیارتنامه جامعه کبیره -- نقد و تفسیر

موضوع : ولایت

شناسه افزوده : کربلائی، جواد، شارح

شناسه افزوده : اسدی، محسن، مصحح

رده بندی کنگره : BP271/202/ک 4 1377

رده بندی دیویی : 297/777

شماره کتابشناسی ملی : م 77-18505

ص: 1

اشارة

[تتمة شرح متن الزيارة]

اشارة

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ الحمـد للّه ربّ العالمين و صـلّى اللّه على محمـد و آله الطاهرين، و اللعن الـدائم على أعدائهم أجمعين. و بعد، هذا هو الجزء الرابع من أجزاء كتابنا «الأنوار السّاطعة فى شرح الزيارة الجامعة» و يشرع إن شاء اللّه من

قوله عليه السّلام:

«و أمرتم بالمعروف و نهيتم عن المنكر»

. كتبته لمن يروم أن يحلّ مشكلاتها و يفهم مغزاها عن طرق أهل البيت (عليهم صلوات اللّه المنّان) .

ص: 5

[27]قوله عليه السّلام: و أمرتم بالمعروف و نهيتم عن المنكر.

هذا إشارة إلى قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ (1).

ففى تفسير نور الثقلين (2)عن تفسير العياشى، عن أبى عمر الزبيرى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ قال: «يعنى الأمة التى وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السّلام فهم الأمة التى بعث اللّه فيها و منها و إليها، و هم الأمة الوسطى، و هم خير أمة أخرجت للناس» .

و فيه، عنه، عن ابن سنان، عن أبى عبد الله، قال: قرأت على أبى عبد اللّه عليه السّلام كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «خير أمة تقتلون أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ابنى على عليه السّلام فقال القارى: جعلت فداك كيف نزلت؟ فقال: كنتم خير أئمة أخرجت للناس، أ لا ترى مدح اللّه لهم: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ » .

1- 1) آل عمران:110.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 317.

و كيف كان فالأمر بالشىء هو الدعاء إليه، و الحث على إتيانه و فعله، و المراد بالمعروف هنا (و الله العالم) هو: المطلوب الشرعى مطلقا، فيعم الواجب و المستحب، و ما يتعلق بالعقائد من أصول الدين و ما هو مطلوب من الصفات الحميدة و الأفعال الحسنة، و أيضا تشمل المعارف الإلهية، التى بسببها يترقى الإنسان إلى الكمالات المعنوية، كما أن المراد من المنكر الذى نهوا عنه هو: كل ما هو مذموم و مرغوب عنه شرعا من العقائد الباطلة كالشرك باللّه تعالى، و إنكار رسله و كتبه، و العقائد الباطلة و الصفات الرذيلة، و الأفعال القبيحة، التى بينها الشارع، و هذا لا إشكال فيه، كما لا يخفى، إلاّ أنّه ينبغى الإشارة إلى أمر و هو: أن هذه الدعوة إلى المعروف، و النهى عن المنكر إنما وجبت عليهم عليه السّلام لأنها فرع ولايتهم، و فرع كونهم مظاهر لأسمائه الحسنى. و بعبارة أخرى: أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر تارة يكونان بالنسبة إلى الأصول و إلى الدعوة إليها و إلى الدين الحنيف، و يكونان بالنسبة إلى الكفار و المشركين، و ذلک لإعلاء كلمة التوحيد بهذا النحو منهما، لا يجب إلاّ على الإمام العادل عليه السّلام المنصوب منه تعالى، و أخرى يكونان بالنسبة إلى الفروع و الأحكام بالنسبة إلى من هو معتقد بها إلاّ إنه تارک لها و هذا واجب مع شرائطه المذكورة فى محله. و أما الأول المخصوص بهم عليه السّلام فهو على قسمين (أى المعروف المأمور به و الذى يجب أن يؤمر به، و المنكر المنهى عنه و الذى يجب أن ينهى عنه على قسمين) : الأول: ما هو المعروف بظاهر الشريعة كالتوحيد و أمثاله، و كالصلوة و أمثالها و ما هو المنكر بظاهر الشريعة كالشرک و أمثاله، و كالزنا و الغصب و الفواحش و أمثالها. و الثانى: ما هو منشأ المعروف و منشأ المنكر، و بعبارة ما هو المنكر واقعا و المعروف الحقيقى واقعا.

فبيانه: أنه تعالى قال: إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسٰانِ وَ إِيتٰاءِ ذِي اَلْقُرْبىٰ وَ يَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ اَلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1).

و فى تفسير نور الثقلين (2)فى تفسير على بن إبراهيم: قوله:

إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسٰانِ وَ إِيتٰاءِ ذِي اَلْقُرْبىٰ وَ يَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ اَلْبَغْيِ قال: «العدل شهادة أن لا إله إلاّ الله و أن محمدا رسول الله صلّى الله عليه و آله و الإحسان أمير المؤمنين عليه السّلام و الفحشاء و المنكر و البغى فلان و فلان و فلان» .

و فيه فى تفسير العياشى، عن سعد، عن أبى جعفر عليه السّلام:

إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسٰانِ. . . ، قال سعد: إن الله يأمر بالعدل و هو محمد، و الإحسان و هو على و إيتاء ذى القربى و هو قرابتنا، أمر الله العباد بمودتنا و إيتائنا، و نهاهم عن الفحشاء و المنكر، من بغى على أهل البيت، و دعا إلى غيرنا. و مثله غيره من الأحاديث. فيعلم من هذه الأحاديث أن المراد من العدل هو رسول الله صلّى الله عليه و آله و من الإحسان هو على أمير المؤمنين عليه السّلام و أن المراد من الفحشاء و المنكر و البغى هو الثلاثة المكنى عنهم بفلان و فلان و فلان. فالمعروف حقيقة من عرفه الله تعالى و أمر به و هو محمد صلّى الله عليه و آله المكنى عنه فى الآية بالعدل، و هو أيضا على عليه السّلام المكنى عنه بالإحسان. و المنكر من نهى الله تعالى عنه، و هو العناوين الثلاثة أى الفحشاء و المنكر و البغى المفسر بالثلاثة. و هم عليهم السّلام مظهر لهذه الدعوة الإلهية، فلا يدعون الناس، و لا يأمرون إلاّ بما دعا إليه و أمر به الله تعالى. و بلحاظ هذا التفسير يكون حاصل دعواهم، و أمرهم بالمعروف، و نهيهم عن المنكر هو دعوتهم الناس، و أمرهم بالرسالة و الولاية لمحمد و آله الطاهرين، و نهيهم

1- 1) النحل:90.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 3 ص 77.

عن ولايـة من بغى عليهم و غصب حقهم و هم الثلاثـة كما لا يخفى. فظهر مما ذكرنا: أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بالنسـبة إلى الأصول، و الولاية، و بيان صاحب الولاية و ما له من المناصب الإلهية، و بيان أعدائه و ما لهم من الصفات الرذيلة، و الموانع الموجبة للبعد عنه تعالى و عن الـدين، إنما هو مختص بهم عليهم السّلام لأنه من مناصب ولايتهم الإلهية، و لا يمكن لأحد تأويل ظاهر الآيات بما ذكر إلاّ هم (صـلوات الله عليهم أجمعين) لأنـهم المخاطبون بالخطابات الإلهيـة، و العارفون بمقاصـده تبارک و تعالى، نعم الأمر بالمعروف الظاهر من ظواهر الشـرع، و النهى عن المنكر المعروف من ظواهر الشـرع على ما بينته الأخبار و الآيات من حيث التكاليف الشـرعية، فهو واجب على كل أحـد فيما إذا تحققت شـرائطه المـذكورة فى محله (و الله العالم) . و لهـذا الكلام شـرح طويل لعلک تعرفه مما تقـدم من الشرح، و ما يأتى منه، و الحمد لله أولا و آخر و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و جاهدتم فى الله حقّ جهاده.

أقول: فى المجمع: قوله تعالى: وَ جٰاهِدُوا فِي اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ (1)أى فى عبادة الله. قيل: الجهاد بمعنى رتبة الإحسان، و معنى رتبة الإحسان هو أنک تعبـد ربک كأنک تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراک، و لـذلک قال: حقّ جهاده، أى جهادا حقا كما ينبغى بجذب النفس، و خلوصـها عن شوائب الرياء و السـمعة مع الخشوع و الخضوع، و الجهاد مع النفس الأمارة و اللوامـة فى نصـرة النفس العاقلـة المطمئنة، و هو الجهاد الأكبر، و لذلک

ورد عن النبى صلّى الله عليه و آله أنه رجع من بعض غزواته، فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» .

ص: 10

1- 1) الحج:78.

قوله: وَ اَلَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ إِلاّٰ جُهْدَهُمْ ، قرئ بفتح الجيم و ضـمها: أى وسـعهم و طاقتهم، و قيل: المضموم الطاقة و المفتوح المشقة. إلى أن قال: و الجهاد (بكسر الجيم) مصدر جاهد يجاهد جهادا و مجاهدة، و بفتح الجيم الأرض الصلبة، و شرعا بذل المال و النفس لإعلاء كلمة الإسلام و إقامة شعائر الإيمان. إلى أن قال: و فيه: أفضل الجهاد جهاد النفس و هو قهرها و بعثها على ملازمة الطاعات، و مجانبة المنهيات، و مراقبتهـا على مرور الأوقـات، و محاسـبتها على مـا ربحته و خسـرته فى دار المعاملـة من السـعادات، و كسـر قوتها البهيميـة و السـبعية بالرياضات، كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا (1)انتهى. أقول:

فى تفسـير نور الثقلين (2)عن تفسـير على بن إبراهيم. . . إلى أن قـال: و فى روايـة أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّـلام قال: «هـذه الآية (3)لآل محمد (صلوات الله عليهم) و لأشياعهم» .

و فى اللوامع النورانية (4)عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السّـلام فى قول الله عز و جل: وَ اَلَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَمَعَ اَلْمُحْسِنِينَ قال: «نزلت فينا» . هذا و قد ظهر أن الجهاد عند المتشرع هو بذل النفس و المال لإعلاء كلمة التوحيد، و الولاية و شعائرها، و هو المعبر عنه بالجهـاد الأصـغر فى قبـال الجهاد مع النفس الـذى هو الجهاد الأكبر، و هو على أقسام صـحيحة و باطلـة، و قـد تقـدم فى المقدمة ما هو ديدن الصوفية (لعنهم الله) فى الرياضات الباطلة، و أما الحقة منها فهو

1- 1) الشمس:9.
2- 2) تفسير نور الثقلين ج 4 ص 168.
3- 3) أى الآية الآتية فى الحديث الآتى.
4- 4) اللوامع النورانية ص 29.

المـذكور عنـد العلماء الربانيين، و قـد تقـدمت الإشارة إليه، و لا بأس بالإشارة الإجماليـة إلى ما به تمييز الرياضة الباطلة من الحقة فنقول: تقدم فى المقدمة

قول الصادق عليه السّـلام ما يقرب إلى هذا المعنى: من عمل بما جاء به النبى صـلّى الله عليه و آله وصل إلى الله، و حاصـله: أنّه صـلّى الله عليه و آله أتى بالشـرع و هو بمعنى الطريق إليه تعالى، أى إلى معرفته و توحيده بما لها من المعانى المفسرة فى كلمات أهل بيت العصمة و الطهارة، أو من مخصوص كلامهم فهو سـلوک و مجاهدة و رياضة صحيحة، و هذا هو دأب العلماء الربانيين، و ما كان من غيرهم فهو باطل بتمام أقسامه، و لهذا الكلام شرح طويل مذكور فى محله. ثم ليعلم أن ظاهر هذه الجملة أعنى

قوله عليه السّلام:

«و جاهدتم فى الله حقّ جهاده»

، هو الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد و الولاية، و لو ببذل النفس، و الشهادة، و تحمل الآلام الشاقة من السجن و غصب الحقوق و أمثالها، لا الجهاد مع النفس لإصـلاحها، فإنهم عليهم السّـلام منزهون عن دناسة النفس، فأنفسهم طاهرة مطهرة كما أخبر الله تعالى بذلك فى آيـة التطهير. و إن أبيت إلاّ أن يراد منها الأعم منه و من الجهاد مع النفس، فحينئـذ معنى جهادهم مع أنفسـهم هو عـدم إقـدامهم على المكاره أو المعاصى مع تمكنهم منها. ضرورة أن عصمتهم عليه السّلام و إن أوجبت عدم صدور المعاصى عنهم، إلاّ أنه لا بنحو الجبر، بل بنحو الاختيار، فعصمتهم لم تنف إمكان إقدامهم على المعاصى.

قال على عليه السّـلام: «لو لا التقى لكنت أدهى العرب» ، أى أنى يمكننى الدهاء، إلاّ أن التقوى المعبر بها هنا بالعصمة تمنعنى عنه كما لا يخفى، فجهادهم مع النفس عبارة عن عـدم إقـدامهم على المعاصـى بعـد ما كانت لهم ممكنـة كما لا يخفى، إلاّ أن جهادهم معها لأجل تطهيرها عن الرذائل،

قال الحسن عليه السّـلام لمعاوية ما حاصله: «إن الله تعالى قد طهرنى من الرذائل، كما قد برّاک من الفضائل» ، صدق ولى الله. و كيف كان فهم عليهم السّلام جاهدوا فى الله تعالى أى فى سبيل طاعته و محبته و توحيده

حق جهاده، فجاهدوا الكفار و المنافقين عملا و لسانا، و جاهدوا مع أنفسهم على حدّ يقصر عنه جميع العباد حتى الملائكة، و هذه الآية إشارة إلى قوله تعالى: وَ جٰاهِدُوا فِی اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ (1)فإنه و إن كان خطابا للمؤمنين بنحو العموم، إلاّ أنه تعالى عنى آل محمد صلّى الله عليه و آله بالخصوص.

ففى تفسير نور الثقلين (2)عن أصول الكافى، عن بريد العجلى، قال: قلت: لأبى جعفر عليه السّلام: قوله تعالى: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِرْكَعُوا وَ اُسْجُدُوا وَ اُعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ اِفْعَلُوا اَلْخَیْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَ جٰاهِدُوا فِی اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اِجْتَبٰاكُمْ (3)قال: «إيانا عنى و نحن المجتبون» ، الحديث. و هم عليهم السّلام أعطوا الجهاد فى الله تعالى حقه و بتمام أنحائه من الخروج بالسيف، و بذل النفس و المال، و الزهد عن حطام الدنيا و زخرفها، و عبادات شاقة، و القيام بالسنن و الآداب كل ذلک بنحو الأتم و الأكمل، بحيث كل من كان فى زمنهم متصفا بشىء من الكمالات الصورية و المعنوية، صار مضمحلا فى جنب كمالهم، و مقهورا و مغلوبا فى عرضهم حتى أن مخالفيهم و معانديهم ربما أظهروا للناس بعض الصفات الحميدة، و بعض الأعمال الصالحة الصورية من الخيرات و المبرّات و الصلوات، لينحرف بذلك الجهلة من الناس عن دين الله و عن الأئمة عليهم السّلام. و لكن مع ذلک كله، و مع جهودهم و أعمالهم فى ذلک كانت فى جنب الأئمة عليهم السّلام و أعمالهم و جهادهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، فلم يقدروا بتلك الأعمال و إظهارها القيام فى قبال الأئمة عليهم السّلام بل افتضحوا بذلک، و ذلک لظهور جهاد الأئمة عليهم السّلام فى أنه كان لله و بالله بنحو الكمال، و بنحو يصدقه الشرع و الدين و العقل السليم، و بدون معارضة عمل آخر يضاده، كما كان ذلک من أعدائهم، و كما لا يخفى

1- 1) الحج:78.
2- 2) تفسير نور الثقلين ج 3 ص 521.
3- 3) الحج:77 و 78.

على من تتبع أحوالهم عليهم السّلام، كـل ذلک منهم عليهم السّلام ليتم على الخلق أنهم حجج الله تعالى عليهم دون غيرهم. و ليعرف الناس حتى مخالفوهم أن الحق معهم، و من جحد فإنه يجحد مع استيقان أنفسهم بأنهم عليهم السّلام حجج الله على الخلق، و لا يبقى على الله لأحد حجّة من الخلق، و لهذا مزيد توضيح فی شرح

قوله عليه السّلام:

«فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين»

، فانتظر و الحمد لله وحده.

[28]قوله عليه السّلام: حتى أعلنتم دعوته.

أقول: قوله عليه السّلام: حتى، غاية للجمل المتقدمة من

قوله عليه السّلام:

فعظمتم جلاله

إلى ما بعدها، و المعنى أنتم قمتم بتلک الأمور إلى أن ترتب عليها إعلان الدعوة الإلهية، فما رفعتم اليد عنها دون الإعلان المذكور كما لا يخفى. ثم إنه قد يقال: المراد من الدعوة التی أعلنوها أی أظهروها هو سؤاله تعالى عنهم فی عالم الأرواح و الذر حين سألهم فقال: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، فهذا السؤال الذی كان منه تعالى فی ذلک العالم، كما نطق به القرآن، قد أعلنه الأئمة عليهم السّلام بالبيانات الشافية من حيث بيان ظرف السؤال و كيفيته، كما صرّحت به الأخبار فی ذيل تلک الآية الشريفة. و منه يعلم أيضا: أنهم عليهم السّلام بينوا كيفية جواب هذا السؤال الإلهی من الأرواح فی تلک العوالم، و الوجه فی كونهم عليهم السّلام هم المعلنون لهذه الدعوة بهذا المعنى، و جوابها هو أنهم عليهم السّلام تراجمة الوحی الإلهی، كما سيجیء بيانه، و هم لسانه المعبر عنه تعالى و عن أمره و نهيه و حقائق الأمور، و حيث إنهم عليهم السّلام أصل كـل موجود حيث جعلهم الله تعالى الأعضاد و الأشهاد و المناة، أی المقدرون لحدود الخلق بإذن الله تعالى و إرادته، و كذلک هم الأذواد و الحفظة للخلق، و قد تقدم شرح هذه المفردات فلا محالة هم عليهم السّلام ألسنة الحق فی الواقع التی بها أجابوا سؤال ربّهم، بل هم المجيبون عن

سؤاله تعالى بلسان الخلق كما لا يخفى. و كيف كان فهم عليهم السّلام عند الأداء و التبليغ عنه سبحانه تعالى كما هو ظاهر من كلماتهم عليهم السّلام بينوا كيفية هذا السؤال الإلهى و الجواب الخلقى فى عالم الأرواح، بحيث علمه كل أحد، بل بينوه بنحو علمه كلّ شىء بحسب حاله كما لا يخفى. و قد يقال: إن المراد من الدعوة سؤال الخلق ربهم حسب إمكانهم الماهوى، و حسب سؤال فطرتهم، مع قطع النظر عن تلبسهم بلباس الوجود، فأعطاهم الله تعالى ما سأله كل منهم بلسان حاله و استعداده و احتياجه، و إلى هذا السؤال يشير قوله تعالى: وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ (1)، كما قيل، فأعلنوا عليهم السّلام دعوة الخلق إياه سبحانه، و ذلك لما علمت أنهم هم المحيطون بحقائق الأشياء و استعداداتها، كما تقدم فى شرح الولاية التكوينية الثابتة لهم عليهم السّلام. هذا و لكن الظاهر من الجملة (و الله العالم) هو إعلان الدعوة التشريعية، فهم عليهم السّلام تصدوا بتلك الجمل المتقدمة فعملوا بها، حتى أظهروا دعوته تعالى- تشريعا-عباده إلى عبادته و العمل بدينه. و الحاصل: أن الأئمة عليهم السّلام لما كانوا خزان علمه، و حملة كتابه و علمه، و مستودع سرّه، و أمناء أمره و نهيه، فبلغوا عن أمر الله تعالى ما أمرهم بتبليغه حتى أعلنوا دعوته، نعم لما كان التشريع عاما يشمل جميع مراتبه لجميع مراتب الخلق، كما علمت ذلك آنفا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و دعوتم إلى سبيله بالحكمة و الموعظة الحسنة»

فلا محالة يراد من الدعوة معناها العام، الذى يشمل جميع المعارف الإلهية، و كيفية العمل بالدين فى طريق السلوك إلى الله تعالى بجميع مراتبه كما لا يخفى. و قد يقال: إن الدعوة من دعاه أى طلب إقباله، أى أنه تعالى طلب إقبال الخلق إليه تعالى، بشراشر وجودهم، ليقبلوا منه تعالى فيوضاته، التى هى غير متناهية فى جميع شئون الخلق من البدو إلى الختم، و لا ريب فى أن الأئمة عليهم السّلام هم الوسائط فى

1- 1) إبراهيم:34.

إيصال ذلک الفيض إليهم، فهم بينوا ذلک الطلب الإلهی لهم، و إليه يشير

قولهم عليهم السّلام فی الأحاديث الکثيرة: «بنا عرف الله و بنا عبد الله»

و قوله عليه السّلام فی الدعاء:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلاّ أنت» .

و قد يقال: إن الدعوة هی العبادة،

ففی الخبر: «الدعاء هو العبادة» بل هو مخّ العبادة، و حينئذ معنی إعلان العبادة إما من قبل أنفسهم فلا ريب فی أنهم عليهم السّلام عبدوه حقّ عبادته، و جاهدوا فی سبيله حقّ جهاده کما تقدم، و کما هو واضح لمن تتبع أحوالهم عليهم السّلام، و أما من قبل الخلق فلا ريب فی أنهم عليهم السّلام لم يقبلوا من أحد عبادة إلاّ ما وافقت ملتهم و سنتهم، و الإقرار بولايتهم و محبتهم کما هو صريح کثير من الأخبار، فما طابقت لما قالوا قبلت و إلاّ ردّت. فهم عليهم السّلام بينوا للناس کيفية العبادة، و کيفية الدعوة إلی الدين، و هذا أيضا أحد مصاديق بيان الدعوة.

ففی الوسائل عن الزهری قال: دخل رجال من قريش علی علی بن الحسين عليهما السّلام فسألوه: کيف الدعوة إلی الدين؟ فقال: تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، أدعوک إلی الله عز و جل و إلی دينه، و جماعه أمران: أحدهما معرفة الله عز و جل، و الآخر العمل برضوانه، و إن معرفة الله عز و جل أن يعرف بالوحدانية و الرأفة و الرحمة، و العزة و العلم و القدرة، و العلو علی کل شیء، و أنه النافع الضار القاهر لکل شیء، الذی لا تدرکه الأبصار و هو لا يدرک الأبصار و هو اللطيف الخبير، و أن محمدا عبده و رسوله، و إن ما جاء به الحق من عند الله عز و جل و ما سواه هو الباطل، فإذا أجابوا إلی ذلک فلهم ما للمسلمين و عليهم ما علی المسلمين» . أقول:

قوله عليه السّلام: أحدهما معرفة الله عز و جل و الآخر العمل برضوانه، يشير إلی أن الدعوة الإسلامية و قبولها قائم بأمر قلبی، و هو الإقرار بالوحدانية له تعالی، کما وصف بها نفسه، و کما أعلنوها لنا ببياناتهم الکافية فی لسان الأخبار و الأدعية و لسان القرآن الکريم بما فسروه لنا، و الإقرار برسالة النبی صلّی الله عليه و آله و ولاية الأئمة عليهم السّلام

و بساير أصول الدين، و الضروريات التى يجب أن يعتقد بها من المعاد، و ما له من الشئون و الواجبات الإلهية الضرورية كالرجعة، و ظهور صاحب الأمر (عج) و أمثالها. و أمر ظاهرى و هو العمل برضوانه، الذى يفسر تارة بالقيام بأوامره، و اجتناب نواهيه على ما حدّد فى الشرع، و تارة بإقامة ولايتهم و الاقتداء بهم عليهم السّلام و الأخذ عنهم، و التسليم لهم، و الرد إليهم و التفويض إليهم فى أمور الدين، و محبتهم بالقلب و اللسان، و الأركان و الاعتصام بذمتهم، و البراءة من أعدائهم، و الاعتقاد بأن الأعمال بل و المعارف لا تفيد شيئا إلاّ إذا كان مع الاعتقاد و الإقرار بولايتهم، بحيث تكون تلك بدون هذا الاعتقاد هباء منثورا. فهذان الأمران كل منهما مرتبط بالآخر ارتباط الشرط بالمشروط، أو الركن بما له الركن، فهم عليهم السّلام قد أعلنوا جميع هذه الأمور التى هى حقيقة دعوته تبارك و تعالى، بل فى الحقيقة أنه تعالى أعلن دعوته بهم عليهم السّلام إذ هم ألسنته و تراجمته، و لذا

قال عليهم السّلام فى دعاء رجب:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک»

، لا أنهم ملأوا سماءک و أرضک، كما لا يخفى كذا قيل. فتحصل أن الدعوة الإلهية من قبله تعالى و من قبل الخلق، و كذلک الدعوة الخلقية بلسان ذاتهم بما لها من المعنى، فجميعها قد بينها الأئمة عليهم السّلام بتلك الجمل السابقة على هذه الجملة كما أشرنا إليه. و مما ذكر علم أمران: الأول: أن الأئمة عليهم السّلام هم العالمون بمراده تعالى و متعلق دعوته كما هو هو، و لذا أعلنوا كما هو مقصوده تعالى. الثانى: علم مما ذكر كيفية دعوتنا الخلق إليه تعالى فإنهم عليهم السّلام بينوا لنا كيف ندعو الناس إليه تعالى من كيفية دعوتهم عليهم السّلام لهم إليه تعالى، و من الحديث المذكور آنفا كما لا يخفى، اللهم وفقنا لإجابة دعوتک بمحمد و آله.

قوله عليه السّلام: و بينتم فرائضه

ففى المجمع: خَلَقَ اَلْإِنْسانَ. عَلَّمَهُ اَلْبَيانَ أى فصل ما بين الأشياء، و تبيان كل شىء يحتاج الناس إليه، و يقال: البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير، إلى أن قال: و الفرق بين البيان و التبيان هو أن البيان جعل الشىء مبيّنا بدون حجة، و التبيان جعل الشىء مبينا مع الحجة. و فيه: الفرض التوقيت و منه قوله تعالى: فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ (1)أى وقته أو أوجبه. إلى أن قال: و فرض اللّه علينا كذا، و افترض: أى أوجب، و الاسم الفريضة، و سمى ما أوجبه اللّه الفرض، لأن له معالم و حدودا. . إلى أن قال: و الفرق بين الفريضة و الواجب هو أن الفريضة أخصّ من الواجب، لأنها الواجب الشرعى، و الواجب إذا كان مطلقا يجوز حمله على العقلى و الشرعى، و الفريضة فعلية بمعنى مفعولة و الجمع فرائض. قيل: اشتقاقها من الفرض الذى هو التقدير، لأن الفرائض مقدرات. و قيل: هى من فرض القوس و هو الجزء الذى يقع فيه الوتر. . فقال: و كتاب الفرائض يعنى المواريث. أقول: يعنى أنه قد يطلق الفرائض على المواريث. و حينئذ معنى الجملة أنكم بينتم أى كشفتم مع الحجة و البرهان، و الوضوح و التسلط المعنوى بالمنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير، أى فى واقع الشرع و اللوح المحفوظ ما كان مستسرا من أسرار الفرائض الإلهية و رخصه، و ميزتم ما بينهما، و فصلتم بينهما تفصيلا، يتضح لكل أحد فى كل ما يحتاج إليه الناس، و بينتم هكذا ما كان غامضا من أحكامه تعالى، و من مأخذها من الآيات القرآنية، أو الأعم منها، و مما ألهمه تعالى إليهم، و أوضحه لهم من اللوح المحفوظ، و أيضا بينتم تلك الأمور بما شيدتم من الأدلة المتقنة العقلية و الشرعية، و بالغتم فى ذلك إلى أن ظهر للكل تلك الفرائض محكمة أصولها و فروعها، خصوصا لمن اقتدى بهم،

ص: 18

1- 1) البقرة:197.

و اهتـدى بهـداهم. ثم إن تلك الفرائض تعمّ الاعتقاديات و المعارف الإلهية، و الكمالات المعنوية و الأعمال الواجبة، بل جميع الأحكام الخمسة لما علمت أن الفرض هو التوقيت، و معلوم أن جميع الأحكام موقتات بحدودها و شرائطها من جميع الجهات، من حيث الزمان و المكان و ساير الشـرائط، و مجمل القول فى الفرائض هو أنه إما يرجع إلى الاعتقاد كالاعتقاد بكلمتى الشـهادة، و بما يجب للّه، و يمتنع من أحوال المبدإ و المعاد، كما ورد فى علم الكلام، و كالإذعان بإمامة الأئمة و التصديق بما جاء به النبى صلّى اللّه عليه و آله من أحوال الدنيا و الآخرة، و إما يرجع إلى الترك كالمحرمات و المكروهات، و فى الحقيقة هذا داخل فيما سبق. و كيف كان فالأئمة عليهم السّلام بينوا ذلك بالنحو المـذكور بالبيانات و الأدلة، بنحو تسـكن النفس إليه، و يحصل به الجزم، و تفصـيل هذا بأكثر من هذا مذكور فى الكتب الكلامية و الفقهية و المعارف الإلهية، و قد بينها علماء الشـيعة (رضوان اللّه تعالى عليهم) كلا منها فى بابه مع التوضـيح، و الشرح المفاض عليهم من أئمتهم عليهم السّلام فجزاهم اللّه تعالى عنّا خير الجزاء.

قوله عليه السّلام: و أقمتم حدوده.

أقول: حدّ الشىء عبارة عما به قوام ذلك الشىء، و يتميز فى ذاته عما سواه به، و إقامتها عبارة عن تعديل أركانها، و استيفاء شرائطها و حفظها عما يوجب انهـدامها أو نقصانها، أو خروجها عن الاعتـدال، كل ذلك تارة علما بالبيان و التعليم، و أخرى عملا بإجرائها أى إجراء الحـدود الإلهية. و لعلّ المراد من إقامتها هو إجراؤها فى مواردها كما شرعت فى الدين، فإن إقامة الحدود و إجراءها من أصعب الأمور، إذ تشخيص الأحكام و الديات و الحدود، و إجراؤها فى مواردها مشكل جدّا، و إن أريد من الحدود ما يعمّ

الجزاآت الشرعية و ساير الأحكام، فيراد من إقامتها حينئذ الإتيان بها فى الخارج بحدودها و شرائطها المجعولة لها فى الدين بحيث تقام فى الخارج كما ينبغى. و الحاصل: أن الظاهر من إقامة الحدود هو إيجادها فى الخارج كما شرعت، و كما ينبغى سواء أريد بالحدود جميع الأحكام، أو أريد بها خصوص الجزاآت الشرعية، و الله العالم.

قوله عليه السّلام: و نشرتم شرائع أحكامه

فى المجمع: و نشرت الخبر أنشره و أنشره ضما و كسرا: أذعته، و قال: و نشر المتاع و غيره ينشره نشرا بسطه. و فيه: الشرعة (بالكسر) الدين، و الشرع و الشريعة مثله، مأخوذ من الشريعة و هى مورد الناس للاستسقاء، سميت بذلك لوضوحها و ظهورها، و جمعها شرائع. . . إلى أن قال: و الشريعة: ما شرع الله لعباده و افترضه عليهم. و قال: قوله تعالى: ثُمَّ إِذٰا شٰاءَ أَنْشَرَهُ (1)أى أحياه. و فيه: و الحكم: العلم و الفقه و القضاء بالعدل، و هو مصدر حكم يحكم. . . إلى أن قال: و الحكم الشرعى: طلب الشارع الفعل أو تركه مع استحقاق الذم بمخالفته. فنقول: لا ريب فى أنهم عليهم السّلام نشروا و أحيوا شرايع أحكامه تعالى أولا بالتحمل لها كما شرّع فى اللوح المحفوظ، ثم بالقيام بنشرها بين العباد، و بحفظها عن الانحراف و الاعوجاج، بل بلغوها للمكلفين كما هى هى، ثم إنهم عليهم السّلام عملوا بمقتضاها فى مرأى من الناس، ليعلموها كما

قال صلّى الله عليه و آله: «صلّوا كما رأيتمونى أصلى» ، فإن النشر بهذا النحو أوضح للأحكام من البيان كما لا يخفى، مضافا إلى أن العمل بها منهم عليهم السّلام خصوصا على أكمل وجه و أشد مواظبة و محافظة، يكون أدعى للخلق إلى القيام بها كما لا يخفى.

1- 1) عبس:22.

ثم إنه و إن كان المتبادر عند المتشرعة من الأحكام هى الأحكام الخمسة، إلاّ أن المراد منها (و الله العالم) هو العموم، أى جميع الأحكام و المعارف و الأصول و الفروع، بل و بيان الأمور التكوينية، بل و الأحكام التكوينية من تصرفاتهم عليهم السّلام فى الكون حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية فى نظام العوالم كلها، كما لا يخفى هذا على من تتبع آثارهم فى الأبواب المتفرقة من كلماتهم عليهم السّلام. ثم إن نشر الشرايع منهم عليهم السّلام أمر واضح خصوصا من الإمام الصادق و الناطق بالحق جعفر بن محمد عليهم السّلام فإنه نشر الشرائع إلى أن استند المذهب إليه، فقيل: إن الشيعة مذهبهم المذهب الجعفرى عليهم السّلام. ثم إن المستفاد من هذه الجملة أن نشر الشرائع مختصّ بهم عليهم السّلام و ليس لغيرهم أهلية ذلك، مضافا إلى أنه لا يجوز لغيرهم التصدى لهذا الأمر من قبل أنفسهم، لصراحة الأخبار بذلك، و لأن غيرهم ليس عندهم الحق و لا المعارف، بل كل من أصاب حقا أو معرفة فإنه منهم عليهم السّلام.

ففى البحار (1)، الخطيب فى تاريخه عن ثابت مولى أبى ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكى، و قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «على مع الحقّ، و الحقّ مع على، و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض يوم القيامة» .

و فيه (2)، عن البصائر، عن الحسين الأحمسى، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إنا أهل البيت عندنا معاقل العلم، و آثار النبوة، وعلم الكتاب، و فصل ما بين الناس» .

و فى المحكى عن الكافى فى صحيح محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حق، إلاّ ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم،

1- 1) البحار ج 38 ص 29.

2- 2) البحار ج 26 ص 250.

و الصواب من على عليه السّلام» . و مثله أحاديث أخر. و مما ذكرنا يعلم أن الحق معهم و منهم و هم أهله، كما سيجىء شرحه و هم عليهم السّلام قد نشروه. قال بعض الأعاظم (1)عند شرح

قوله عليه السّلام:

«و نشرتم أحكامه»

: و الإضافة بيانية من قبيل خاتم فضة، أو المراد بالشرائع أدلة الأحكام من الكتاب، و إن كان من الصادقين عليه السّلام أكثر. و قد ذكر الشيخ المفيد فى الإرشاد، و ابن شهرآشوب فى معالم العلماء، و الطبرسى فى أعلام الورى و غيرهم: أن الذين رووا عن الصادق عليه السّلام خاصة من الثقات على اختلافهم فى الآراء كانوا أربعة آلاف رجل. و ذكر المحقق فى أوائل المعتبر فى حق جعفر بن محمد عليهما السّلام: أنه روى عنه من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل، و برز بتعليمه عليه السّلام من الفقهاء الأفاضل جم غفير كزرارة بن أعين و أخويه بكر و حمران، و جميل بن دراج، و محمد بن مسلم، و يزيد بن معاوية، و الهشامين، و أبى بصير، و عبد الله و محمد و عمران الحلبيين، و عبد الله بن سنان، و أبى الصباح الكنانى، و غيرهم من أعيان الفضلاء حتى كتبت من أجوبة مسائله أربعمائة مصنف سمّوها أصولا. و فى حقّ الجواد عليه السّلام: قد كان من تلامذته فضلاء كالحسين بن سعيد، و أخيه الحسن، و أحمد بن محمد أبى نصر البزنطى، و أحمد بن محمد بن الخالد البرقى، و شاذان بن الفضل القمى، و أيوب بن نوح بن دراج، و أحمد بن محمد بن عيسى، و غيرهم ممن يطول تعدادهم، و كتبهم الآن منقولة بين الأصحاب دالة على العلم الغزير. انتهى. و قد ذكر جملة من الأصحاب أن أبان بن تغلب قد روى عن الصادق عليه السّلام ثلاثين ألف حديث، انتهى كلامه رفع مقامه.

1- 1) هو الحجة السيد عبد الله شبر (رضوان الله عليه) .

[29]قوله عليه السّلام: و سننتم سنّته

فى المجمع: و السنة فى اللغة: الطريقة و السيرة و الجمع سنن كغرفة و غرف. و فى الصناعة هى طريقة النبى صلّى اللّه عليه و آله قولا و فعلا و تقريرا أصالة أو نيابة. . إلى أن قال: و سننت الماء على وجهى: أرسلته إرسالا من غير تفريق، فإذا فرّقته فى الصب قلت بالشين المعجمة. و امض على سنتك أى على وجهك. قيل: و سننتم سنته أى بينتم طريقته تعالى، فإن الطريقة و إن كان النبى صلّى اللّه عليه و آله قد جاء بها إلاّ أنها حيث الطريقة إليه تعالى فأضيفت إليه تعالى. و كيف كان فالمراد أن ما جعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من السنن، التى سنّها للسلوك إلى اللّه تعالى، التى هى فى الحقيقة الطريقة إليه تعالى، و هى المشى على سيرته تعالى قد بينتموها و أوضحتموها و سلكتموها علما و عملا، و ما جاوزتموها لا فى حقير و لا جليل، لا فى السرّ و لا فى العلانية، و فى الحقيقة و إن كانت السنة قد جعلها اللّه تعالى و بينها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ أنهم عليهم السّلام أوضحوها توضيحا بحيث صحّ استنادها إليهم عليهم السّلام و لو لا توضيحهم لما ظهرت و تبينت للناس كما هى، كما لا يخفى. و عطف سننتم على نشرتم شرائع أحكامه من قبيل عطف الخاص على العام إن أريد منها المستحبات، أو من قبيل العطف التوضيحى إن أريد منها الأعم، فإنه يساوق حينئذ الشرائع فيراد منه حينئذ التأكيد. أو يراد

من قوله عليه السّلام: نشرتم ، البيان العلمى لها،

و من قوله: و سننتم، البيان و التوضيح العملى لها، أى تصديتم لبيانها و تحملتم المشاق فى تثبيتها فى الخلق. هذا و قد يقال: إن المراد من السنة، التى هى بمعنى الطريقة طريق الحق إلى خلقه، و هو إيجاده تعالى إياهم و إرشاده لهم على ما تقتضيه الحكمة الإلهية و العناية الربانية، و أيضا يراد منها طريق الخلق إلى خالقهم، و هو قبولهم منه تعالى الإيجاد بالانوجاد التكوينى، و الإرشاد التشريعى بالقبول من الأنبياء و الرسل و الأئمّة عليهم السّلام. و كيف كان فهم عليهم السّلام بينوا هذين الطريقين و أوضحوهما للسالكين إليه تعالى

بالبيان الشرعی، فمعنی و سننتم سنته أی وضعتم تكوينا و تشريعا الطريق منه تعالی إلی الخلق و منهم إليه تعالی علی ما شاء الله تعالی، لأنهم محال مشيته لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. و بعبارة أخری: معناه أنكم أرسلتم شريعته و طريقته، التی هی واقعا و تكوينا الماء الذی جعل منه كل شیء حی، و هو العلم، فقد أرسلتموها علی حقائق الموجودات القابلات بذواتها، فمنها قابل بالاستجابة، و منها قابل بعدمها، و هذا فی الواقع، و أما فی الظاهر و التشريع فقد بينوا هذه الحقيقة بأنهم عليهم السّلام شرعوا لكل مكلف، بل لكل ذرات الوجود ما تقتضيه قابليته من الأحكام الخمسة، فأرسلوا تلك الأحكام ظاهرا و تشريعا طبق إرسال الماء الحقيقی الذی هو العلم و الفيض الإلهی التكوينی. فمن أخذ بهذه الطريقة نجا، بأن صار حيّا بالماء التكوينی الذی منه حياة كل شیء، و من حاد عنها هلك و خسر خسرانا مبينا قال الله تعالی: فَمَنْ يُرِدِ اَللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِی اَلسَّمٰاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلرِّجْسَ عَلَی اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ (1)رزقنا الله تعالی بمحمد و آله الطاهرين متابعتهم و النجاة بهم، آمين رب العالمين.

قوله عليه السّلام: و صرتم فی ذلك منه إلی الرضا، و سلمتم له القضاء، و صدقتم من رسله من مضی.

أقول: فی المجمع: الرضوان من الله ضد السخط، و قيل: هو المدح علی الطاعة و الثناء، و «الرضی» مثله، فرضی الله ثوابه، و سخطه عقابه من غير شیء يتداخله فيهيّجه من حال إلی حال، لأن ذلك من صفات المخلوقين العاجزين المحتاجين. . .

ص: 24

1- 1) الأنعام:125.

إلى أن قال: و رضيت بالشيء رضى اخترته و ارتضيته مثله و رضيت عن زيد و رضيت عليه لغة، و الاسم الرضا (بالمد) و رضيت بالله ربا قنعت به و لم أطلب معه غيره. أقول: فالمعنى إنكم قمتم بمضامين الجمل المتقدمة من

قوله عليه السّلام:

فعظّمتم جلاله ، إلى قوله عليه السّلام: و سننتم سنته ، إلى أن وصلتم إلى رضوان الله تعالى، و يحتمل أن يكون كلمة للسببية أى صرتم بسبب تلك الأمور و تلك الجمل إلى رضاه أما إلى رضاه تعالى عليكم بأن صرتم أتم مصداق لقوله تعالى: رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ بأن لم يسخط عليكم فى القيام بتلك الأمور لما جئتم بها كما أراد تعالى أو إنه تعالى رضى عنكم أى مدحكم و أثنى عليكم فى القيام بتلك الأمور كما هو حقها فأثابكم على ذلك جزيل الثواب. هذا إن أريد من الرضا رضاه تعالى عنهم، و إن أريد منه رضاهم عنه تعالى، فمعناه أنكم قمتم بتلك الأمور حال كونكم صائرين و قائمين بها مع الرضا عنه تعالى، مختارين أمره على غيره، و مرتضين به لا بغيره، أو قانعين به و بثوابه عن غيره و عن جزاء غيره، و الحاصل صرتم فى ذلك أتم مصداق لقوله تعالى: وَ رَضُوا عَنْهُ (1)و لكن الظاهر من العبارة هو الأول، أى قمتم بأعباء الإمامة بنحو رضى الله عنكم فى ذلك القيام بالمعانى المتقدمة. فإن

قوله عليه السّلام:

«صرتم فى ذلک منه إلى الرضا»

، ظاهر فى أن القيام بتلك صار سببا فى حال الإتيان بها إلى أن أوصلكم إلى الرضا، و معلوم أن المعنى الثانى يلزمه الرضا منهم عنه من أول الأمر لا بالآخرة إذ لا معنى لأنكم ما كنتم راضين عنه. و قد يقال: إن المعنى أنكم قمتم بتلك الأمور مع تحمل المشاق، و مع منع الطواغيت لكم و إيذائهم إياكم، و مع ذلك كنتم راضين بتلك الأذية و المظلومية لا

1- 1) المائدة:119.

بظلمهم، و يؤيده

قوله بعد:

و سلمتم له القضاء،

أی فی تلک الأمور حال کونها مع أذیتهم لهم علیهم السّلام أو أنکم راضون بتلک الأمور و القیام بها، مع ما قدر اللّه تعالی من أن یکون القیام بها بنحو لا یکون التکلیف بها للناس بنحو الإلجاء، بل یکون بالاختیار لِیَجْزِیَ اَلَّذِینَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ یَجْزِیَ اَلَّذِینَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَی (1). و الحاصل: أنکم صرتم و قمتم بها فی صراط رضاه تعالی حیث ما شاء، مع أذیة الطواغیت، و مع سائر المکاره، فتأمل. أقول: و السرّ فی أنهم علیهم السّلام رضوا عنه تعالی فی هذه الأحوال أنهم علیهم السّلام عالمون بأن ما یقضی اللّه تعالی علیهم هو عین الصلاح فیما هو محبوب أو مکروه، فیکون بذلک مسرورا و مبتهجا، و لما فیه من ذکر المولی تعالی لعبده، و عدم نسیانه له، فکأنه بقضاه مطلقا أتحفه بتحفة، أو أهداه بهدیة، فحقیقة الرضا هو السرور و الابتهاج کما قیل: و بهجة بما اقتضی اللّه رضا.

ففی المحکی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «لقی الحسن بن علی علیه السّلام عبد اللّه بن جعفر فقال: یا عبد اللّه کیف یکون المؤمن مؤمنا، و هو یسخط قسمه و یحقر منزلته، و الحاکم علیه اللّه، و أنا الضامن لمن لم یهجس فی قلبه إلاّ الرضا أن یدعو اللّه فیستجاب له» .

و عنه أنه قال لمن سأله بأی شیء یعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال: «بالتسلیم للّه، و الرضا فیما ورد من سرور و سخط» .

و عنه قال: «لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول لشیء قد مضی: لو کان غیره» .

و عنه أنه قال: «إن أعلم الناس باللّه أرضاهم بقضاء اللّه عز و جل» . ثم إنه قد یقال: إن الظاهر من قوله: إلی الرضاء، أنهم علیهم السّلام بلغوا مقام الرضوان بذلک، فلازمه أنه تعالی قد منحهم کل المنح، فلا یبقی حینئذ لهم السؤال منه تعالی

1- 1) النجم:31.

لشیء آخر، هذا و قد قال تعالی فی حقهم: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً (1)، فکیف التوفیق بینهما؟ أقول: إنهم علیهم السّلام لما بلغوا بالقیام بتلک الأمور إلی مقام الرضا، علموا یقینا أنه تعالی لا یمنعهم من أن یمنحهم شیئا فرضوا به و تیقنوا بصدق وعده، و لکن لما قاموا علیهم السّلام بصدق العبودیة بین یدیه تعالی بما هم فقراء إلیه تعالی، و بما تجلی لهم من عظمته تعالی لهم علیهم السّلام فلا محالة یسألونه تلک المنح بقاء و إبقاء لألطافه علیهم، مضافا إلی أن جمیع منحه لا تسعها الدنیا، فلا محالة یسألونه تعالی منها تدریجا إنجازا لوعده. هذا مضافا إلی أنه یمکن أن یقال: إنهم فی الوجود و عالم الإمکان بلغوا بسبب الرضا إلی غایة ما صدر عنه تعالی فهم راضون عنه تعالی، إلاّ أنه حیث کان تبارک و تعالی غیر متناه کما لا یخفی، فلا محالة یسألونه دائما بلحاظ عدم نهایته تعالی، و قد تقدم فی شرح السلام و الصلاة علیهم ما یوضح لک هذا المعنی، فراجعه. و أما

قوله علیه السّلام:

«و سلمتم له القضاء»

، قیل: هذا من عطف اللازم علی الملزوم، إذ لازم البلوغ إلی مقام الرضا هو التسلیم للقضاء، کما دلّ علیه الحدیث المتقدم، إلاّ أن الظاهر من قوله: و سلمتم، هو أنهم علیهم السّلام لم ینقدح فی قلوبهم الشریفة حرج و لا شبهة، و لا اعتراض بالنسبة إلی قضائه تعالی، فهو حینئذ تأکید لما سبق، فتأمل. و أما

قوله علیه السّلام:

«و صدقتم من رسله من مضی»

. أقول: لعلّه إشارة إلی أنکم أول مصداق لقوله تعالی: آمَنَ اَلرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ (2)فالإیمان بالرسل هو التصدیق بهم لا بمجرد الإقرار بأنهم أنبیاء و رسل، بل بالأدلة القاطعة و الحجج الواضحة کما دلت علیها کلماتهم علیهم السّلام فی مقام الاحتجاج، بل أظهروا المعجزات

1- 1) طه:114.

2- 2) البقرة:285.

الدالـة على أنهم أنبياء و رسل، و أنهم صادقون فی ادعائهم الرسالـة ردّا لمنكريهم، و تأييدا لمصدقيهم من الأمم السابقة و اللاحقة، و يلحق بذلک معرفة أسمائهم و أعدادهم و أحوالهم، و بيان ما أوتوا من الوحی و المعجزات، کل ذلک بإخبار الله تعالی لهم عليهم السّلام فی کتابه الكريم، و بما علمهم الرسول الأعظم صـلّی الله عليه و آله و بما علموه من اللوح المحفوظ، و واقع القرآن الكريم الـذی لا رطب و لا يابس إلاّ و هو فيه.

[30]قوله عليه السّلام: فالراغب عنكم مارق، و اللازم لكم لاحق، و المقصر فی حقكم زاهق

أقول: هـذه الجمـل تفريع عقلی علی الجمـل السابقـة، أی بعـد ما ثبت أنكم عظمتم جلاله، و هكـذا ساير الجمل إلی أن صـرتم إلی مقام رضوان الله تعالی عنكم، فلا محالـة فالراغب عنكم مع ظهور هذه الأوصاف و الأحوال منكم مارق عن الدين المبين، ضال عن طريقة سـيد المرسـلين، و داخـل فی حزب الشـياطين، و اللاـزم لكم بإمامتكم، و الأخـذ بأقوالكم و المتابع لأعمالكم بحيث يجعلكم نصب عينيه فی السـلوک إلی الله تعالی، و يـدور معكم حيثما تـدورون، لاحق بكم حيث ما تنزلون فی الـدنيا و الآخرة، و لاحق بكم فی الدرجات العالية، حيث سلک الطريق الحق فهو معكم لا يموت أبدا، بل حیّ عند الله مرزوق.

و فی المحكی عن الكـافی، عن الباقر عليه السّـلام فی قوله تعالی: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ أَمْوٰاتاً قال: «هم و الله شـيعتنا حين صارت أرواحهم فی الجنة، و اسـتقبلوا الكرامة من الله عز و جل، و استيقنوا أنهم كانوا علی الحق و علی دين الله، فاستبشـروا بمن لـم يلحقوا بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين» ، الحديث.

و فی المجمع عنه عليه السّـلام: «و يشمل كل من قتل فی سبيل الله عز و جل سواء كان قتله بالجهاد الأصغر و بذل النفس طلبا لرضاء الله، أو بالجهاد الأكبر و كسر النفس و قمع الهوی بالرياضة» .

ص: 28

و المقصر فی حقکم و إمامتکم و رتبکم العالیة أو فی متابعتکم زاهق و مضمحل یقال: زهق السهم إذا جاوز الهدف و لم یصبه. و قد یقال: إن المراد من هذه الجملة أن من قال بإمامتکم، و لکن قصّر فی حقکم، أی قصّر فی الوصول إلی سرکم فی عالم القلب و الباطن، فإنه و إن کان ناجیا فی الجملة إلاّ أنه زاهق أی ساقط عن الاشتمال علی الحقیقة، فهو کحبة أخذ لبّها فلا یثمر و لا ینمو و لا یترتب علیه إلاّ ما ترتب علی القشر، فهذا مأخوذ من زهق العظم کمنع زهوقا إذا اکتنز مخّه. و کیف کان فالکامل من عرف أسرارهم، لا من أقرّ بظاهرهم فقط، فإنه ناج ناقص،

و لذا ذکر فی آخر الزیارة:

أسألک أن تدخلنی فی جملة العارفین بهم.

أقول: فی المجمع: زهوق النفس بطلانها، و زهق الباطل أی زال و بطل، و فیه: و تزهق أنفسهم أی تبطل و تهلک، و قال: زهق الشیء تلف، فحینئذ معنی الجملة أن المقصر فی حقکم هالک و زائل و باطل، و هذا هو ظاهر فی التقصیر فی قبول إمامتهم لا فی أسرارهم کما قیل و الله العالم. ثم إنه لا یخفی الفرق بین القصور و التقصیر فإنه إنما یکون الإنسان زاهقا إذا کان مقصرا، بمعنی أنه ظهرت له حقانیتهم من الله تعالی و من رسوله صلّی الله علیه و آله و مع ذلک قصر فی حقهم و بقی علی الباطل، فهذا رجل زاهق و مضمحل لا ما إذا کان قاصرا، فلو أن أحدا لم یبلغه الحق، و کان باقیا فی حالة الجهل بحقهم علیهم السّلام قصورا فهو لیس بزاهق.

ففی المحکی عن الخصال، عن الصادق علیه السّلام عن أبیه، عن جده، عن علی علیه السّلام قال: «إن للجنة ثمانیة أبواب، باب یدخل منه النبیون و الصدیقون، و باب یدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسة أبواب یدخل منها شیعتنا و محبّونا، فلا أزال واقفا علی الصراط أدعو و أقول: ربّ سلّم شیعتی و محبی، و أنصاری و أولیائی، و من تولانی فی دار الدنیا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجیبت دعوتک، و شفعت فی شیعتک، و یشفع کل رجل من شیعتی، و من تولانی و نصرنی، و حارب

من حاربنى بفعل أو قول فى سبعين من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلاّ الله، و لم يكن فى قلبه مثقال ذرة من بغض أهل البيت» .

و فى المحكى عن تفسير القمى مسندا عن ضريس الكنانى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك ما حال الموحدين المقرّين بنبوة محمد صلّى الله عليه و آله من المذنبين، الذين يموتون و ليس لهم إمام، و لا يعرفون ولايتكم؟ فقال: «أما هؤلاء فإنهم فى حفرتهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح و لم يظهر منه عداوة، فإنه يحدّ له حدّا إلى الجنة، التى خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليهم الروح فى حفرته إلى يوم القيامة، حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته و سيئاته، فإما إلى الجنة و إما إلى النار، قال: و كذلك يفعل بالمستضعفين و البله و الأطفال، و أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم. و أما النصاب من أهل القبلة فإنه يحدّ لهم حدّا إلى النار، التى خلقها الله فى المشرق، فيدخل عليهم اللهب و الشرر و الدخان و فورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الحميم» .

و فى تفسير نور الثقلين (1)عن أصول الكافى، عن عمر بن أبان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن المستضعفين فقال: «هم أهل الولاية، فقلت: و أى ولاية؟ قال: أما أنها ليست بالولاية فى الدين، و لكنها الولاية فى المناكحة و الموارثة و المخالطة، و هم ليسوا بالمؤمنين و لا بالكفار، و منهم المرجون لأمر الله عز و جل» .

و فيه (2)قال حمران: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن المستضعفين. قال: «هم ليسوا بالمؤمن و لا بالكفر و هم المرجون لأمر الله» .

و عن ابن الطيار قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «الناس على ستّ فرق يؤلون إلى

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 265.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 266.

ثلاث فرق: الإيمان و الكفر و الضلال، و هم أهل الوعد الذين وعدوا الجنة و النار، و هم المؤمنون و الكافرون، و المستضعفون و المرجون لأمر الله إما يعذبهم و إما يتوب عليهم، و المعترفون بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيّئا، و أهل الأعراف» .

عن الحارث، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سألته بين الإيمان و الكفر منزلة فقال: «نعم و منازل لو يجحد شيئا منها أكبّه الله فى النار، و بينهما آخرون مرجون لأمر الله، و بينهما المستضعفون، و بينهما آخرون خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و بينهما قوله: وَ عَلَى اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ » . و حينئذ نقول: المقصر فى حقهم هو الذى يعدل بهم غيرهم من سائر الخلق، أو يتقدم عليهم فى قول أو فعل، فهو هالک حيث قصّر فى حقهم، فإن حقهم على الجميع أن يرفعوا مقامهم عن جميع الخلائق و يضعوا عن مقام الخالق جلّ و علا، كما هذا هو المراد من

قول الصادق عليه السّلام: «اجعلوا لنا ربّا نؤب إليه، و قولوا فينا ما شئتم

(1)

أو

قولهم عليهم السّلام: نزلونا عن الربوبية و قولوا فى حقنا ما شئتم» ، و قد تقدم الحديث.

و فى البحار (2)الطيالیس عن الفضيل بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «اتقوا الله و عظّموا الله و عظّموا رسوله صلّى الله عليه و آله و لا تفضلوا على رسول الله صلّى الله عليه و آله أحدا فإن الله تبارک و تعالى قد فضله، و أحبوا أهل بيت نبيكم حبّا مقتصدا، و لا تغلوا، و لا تفرقوا، و لا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن قلتم و قلنا متم و متنا، ثم بعثكم الله و بعثنا فكنا حيث يشاء الله و كنتم» .

و فيه (3)عن الخصال الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إياكم و الغلو فينا، قولوا إنا عبيد مربوبون، و قولوا فى فضلنا ما شئتم» .

1- 1) البحار ج 25 ص 283.

2- 2) البحار ج 25 ص 266.

3- 3) البحار ج 25 ص 270.

و فیه (1)عن العیون، عن الرضا علیه السّلام فی حدیث إلی أن قال علیه السّلام: «قال علی علیه السّلام: یهلک فیّ اثنان و لا ذنب لی محب مفرط و مبغض مفرّط» . أقول: المبغض المفرط هو المقصر فی حقهم.

و فیه (2)فی حدیث قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودیة، ثم قولوا ما شئتم و لن تبلغوا» الحدیث. و کیف کان فاللازم إبقاؤهم علیهم السّلام علی ما رتبهم الله تعالی علیه، و هو مقام عظیم جدّا، کیف لا

و قال علی علیه السّلام فی وصیته: «نحن صنایع الله و الخلق بعد صنایع لنا» أی نحن الذین اصطنعنا الله تعالی لنفسه، و أخصّنا، و جعلنا محال مشیته و خزنة علمه، و حفظة حکمه و سره.

و قوله علیه السّلام: «و الخلق بعد صنایع لنا» ، أی صنعهم لنا، و جعلنا أولیاءه فیهم، لندعوهم إلی طاعته و عبادته، فهم العلماء بالله، و الخلق هم المتعلمون منهم، لیصلوا إلی معارفه، فمن أخذ منهم کالشیعة (رضوان الله علیهم) أخذ بالحظ الوافر، و من أعرض عنهم هوی إلی جهنم و بئس المصیر. و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا، اللهم اجعلنا و اجعلنی من المتمسکین بهم و بولایتهم، و المستضیئین من أنوارهم بمحمد و آله الطاهرین.

[31]قوله علیه السّلام: و الحقّ معکم و فیکم و منکم و إلیکم، و أنتم أهله و معدنه

أقول: فی المجمع فی تفسیر الحق ما حاصله: أن الحق من أسمائه تعالی و هو الموجود المتحقق وجوده و إلهیّته، و ضد الباطل، و بمعنی الحظ و النصیب، و حقیقة الشیء کنهه، و الحق أصله المطابقة و الموافقة، و یأتی بمعنی الواجب و اللازم و الجدیر، و الحقیقة فی مصطلح العلماء ما قابل المجاز، و التاء فیها للنقل من الوصفیة

1- 1) البحار ج 25 ص 272.

2- 2) البحار ج 25 ص 274.

إلى الاسـمية الصرفة، و حقّ الشیء یحق (بالکسر) أی وجب. و فی المحکی عن القاموس: الحق من أسماء الله تعالی أو من صفاته، القرآن ضـد الباطل، و الأمر المقضـی و العـدل و الإسـلام، و المال و الملک، و الواجـب، و الموجود الثابت و الصدق، و الموت و الحزم و واحد الحقوق. انتهی. أقول: الحق إما یطلق بمعنی الصـفة، فیکون لا محالة له موصوف فی موارد إطلاقاته، فمعناه حینئذ المطابقة و هی عبارة عن کـون الموصـوف ثابتـا فی نفسه و واقعه فقوله رحمه الله فیمـا تقـدم من أن الحق من أسـمائه أی من صـفاته، لأـن أسـماءه تعـالی ترجع إلی الصـفات، و هو الموجود المتحقق وجوده یراد منه ما ذکرنا من أن الصـفة تشـیر إلی ثبوت الموصوف فی نفس الأمر. و الحاصل: أن الصـفة ترجع بالدقة إلی ثبوت أمر للموصوف، فینتزع منه قضـیة خبریة، و هو أن ذاک الشیء موصوف بکذا، فباعتبار مطابقیة الخبر لواقعه یقال لذلک الواقع: الحق، فمن تطـابق الصـفة للواقع ینتزع للواقع صـفة الحق أی الحقیقـة کما لا یخفی. و لهـذا المعنی الوصـفی للحق مصادیق، منها صفاته تعالی، و منها القرآن، و منه ضدّ الباطل، و الأمر المقضی و العدل و الإسلام و الواجب و الصدق. و إما یطلق بالمعنی الاسمی و هو الشـیء الثابت فی صقع وجوده، فبهذا الاعتبار یکون مصداقه هو الله تعالی بنفسه المقدسة، و الأشیاء الثابتة فی عالمها من الموجود الثابت، و الموت و الحزم و المال و الملک. فحینئذ

قوله علیه السّلام:

و الحق معکم

، إن أریـد منه المعنی الوصـفی، فمعنـاه أن کـل ما قلتم و أخبرتم به فهو حق، و إن کل ما هو مطابق لواقعه فهو معکم لا مع غیرکم، فالقرآن الـذی هو الحق، و بیان صـفاته تعالی المندرجة فی القرآن و ضد الباطل، و الأمر المقضـی و العدل و الإسـلام و الواجب مطلقا و الصدق کلها معکم لا یفارقکم و لا تفارقونه، فهو (أی الحق) بهذه المعانی ملازم لکم، فمن أرادها (أی معانی الحق)

فلا- محالـة يجب أن يأخـذها منكم، و إن أريـد منه المعنى الاسـمى فمعناه أنه تعالى معكم، و إن كل ثابت و موجود فى نفسه و عالمه فهو معكم، أى أنتم مطلعون بها و تخبرون عنها عن مشاهـدة. و قد يقال: إن كون الحق (أى الله تعالى) معهم على هذا المعنى، يراد منه ما ذكره تعالى بقوله: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ ، فحينئذ قد يستشكل بأنه تعالى مع كل أحد، فلا خصوصية لهم عليهم السّلام بذلك، و قد يجاب عنه بمـا حاصـله: أنه تعـالى معهم بالرحمـة و العنايـة و اللطف و غيرهـا من جهـات الفضل، فإنه تعالى و إن كان مع الكل، إلاّ أنه يكون معهم بالإحاطـة العلميـة و القـدرة و السـلطنة، و هـذا يعمّ الكل، و يكون معهم عليهم السّلام بتلك الصـفات من الرحمة و العناية و اللطف، و مرجعه إلى أنه تعالى معهم بالظهور الذاتى و الصـفاتى و الأفعالى، بحيث إنه تعالى أراهم نفسه المقدسة بما لها من تلك الصـفات. و يلزم هـذا أنهم عليهم السّلام يكونون معه تعـالى معيـة ترجع إلى معنى العنديـة المشـار إليهـا بقوله: وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ و قد تقدم عن الصادق عليه السّلام حديث يبين هذه العندية. و الحاصل: أنه ليس المراد المعية القيومية فإنه عام لكل أحد، و لا العندية الذاتية بحيث يرجع إلى الحلول و الاتحاد، بل المراد من أن الحق معهم بهذا المعنى الاسـمى، هو أنه تعالى ظهر لذواتهم المقدسة بصفاته و علمه و أفعاله، و هم عليهم السّلام عنده، و يشاهدون هذه الصفات منه تعالى، و ليس لغيرهم هذه المعية، و إلى هذه المعية يشير

مـا روى عن الصادق عليه السّلام على ما فى كلماتهم من قوله عليه السّلام: «لنا مع الله حالات، نحن فيها هو، و هو نحن، إلاّ أنه هو هو و نحن نحن» ، و لهذا الحديث شـرح يطول بيانه. و حاصـله: أنهم لشدة قربهم عليهم السّلام إليه تعالى ظهرت لديهم صـفاته تعالى، بحيث تلاشت عندها الحدود الخلقية، فلم يبق إلاّ أنهم عباده، فهذا الحديث بلحاظ

الاستثناء الوارد فيه مفاده مفاد

قوله عليه السّلام فى الدعاء:

«لا فرق بينک و بينها إلاّ أنهم عبادک. . . إلخ» ، و قد تقدم شرحه فيما سبق، فلا تظن ما قد توهم بعضهم من معنى الحلول و الاتحاد و لو فى الجملة، تعالى الله عن ذلک علوا كبيرا. و أما قوله: و فيكم، أى الحق فعلى المعنى الوصفى فظاهر، أى أن كل ما هو مطابق لواقعه مما ذكرناه سابقا فهو فيكم أى عندكم، أو أنه متحقق بواقعه الحق فيكم، و أنكم متصفون به، فأنتم أتم مصداق له، و أما على المعنى الاسمى، فمعلوم أنه لا يراد منه أن ذاته المقدسة فيكم لأنه تعالى لا يحاط بل هو محيط، بل المراد منه أنه تعالى بلحاظ صفاته و أفعاله متجلى فيكم و أنتم مرآته، أى أن الحق تعالى بصفاته يرى فيكم و أنتم مظاهره، كما تقدم من

قول السجاد عليه السّلام: «نحن مظاهره فيكم» . و مما ذكر يظهر الحال فى

قوله عليه السّلام:

«و منكم و إليكم، و أنتم أهله و معدنه»

فإن الحق بما له من المعنى الوصفى و الاسمى، لا يوجد عند أحد إلاّ و هو منهم، و يرجع إليهم عند فناء الخلق، و هم عليهم السّلام أهله أى أصحابه و معدنه بالمعنى المتقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و معدن الرسالة»

فراجع. و بعبارة أخرى: و الحق معكم (بمعنييه) كما

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «الحق مع على و على مع الحق يدور معه حيثما دار»

و قال: «اللهم أدر الحق معه حيثما دار» (و فيكم) أى و فى متابعتكم و فى أقوالكم إذا أردناه لا فى متابعة غيركم و لا قول غيركم (و منكم) لما نرى من أن ما لم يخرج منهم فهو باطل بالوضوح أو بالدقة و التأمل و إن ما صدر منهم فهو حق.

و فى المحكى عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: ليس عند أحد من الناس حق و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حق إلاّ ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشعبت بكم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من على عليه السّلام.

و عن زرارة قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فقام له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «سلونى عما شئتم فلا تسألونى عن شىء إلاّ نبّأتكم به،

قال: إنه ليس أحد عنده علم إلاّ شىء خرج من عند أمير المؤمنين عليه السّلام فليذهب الناس حيث شاءوا فو اللّه ليس الأمر إلاّ من هيهنا و أشار بيده إلى بيته» .

و عن أبى مريم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام لسلمة بن كهيل و الحكم بن عيينة: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلاّ شيئا خرج من عندنا أهل البيت» .

و فى رواية أخرى: «فليشرق الحكم أو ليغرّب أما و اللّه لا يصيب العلم إلاّ من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السّلام» . أقول: فظهر أن العلم منهم عليهم السّلام لا من غيرهم. (و إليكم) أى كل حق فى أيدى الناس فمرجعه إليكم، لأنه منكم أخذ أو أنكم الباعث على وصوله إلى الخلق. فإن قلت: ما الفرق بينه و بين قوله عليه السّلام: منكم؟ قلت: معنى كون الحق منهم أن منشأه منهم، و معنى كونه إليهم أنه إذا أصيب بحق، فبالاستقراء و التحقيق يعلم أنه يرجع إليهم عليهم السّلام لا إلى غيرهم، فجميع كلمات الحكمة التى توجد فى كلام الناس خصوصا المخالفين لهم كالحسن البصرى و من يحذو حذوه كلها مأخوذة من كلامهم و من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام كما لا يخفى على الماهر البصير و المتتبع الخبير. (و أنتم أهله) لما نرى أن العلم مطلقا حتى الكائن عند الأنبياء و الملائكة كلهم قد انتهى إليهم بالمآل فهى (أى العلوم) كلها عندهم، و ما كان منه عندهم فهو صادر منهم عليهم السّلام إلى الأنبياء و الملائكة كما نطقت به الأخبار الكثيرة كما لا يخفى و قد تقدم بعضها. فأنتم المختصّون بالحق كاختصاص الأهل بذيه، و أنتم اللائقون به كما هو لائق بكم. (و معدنه) أى صاحبه و أصله و قد تقدم شرحه فى

قوله عليه السّلام:

«و معدن الرسالة»

و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

ص: 36

قوله علیه السّلام: و میراث النبوة عندکم

فی المجمع: و المیراث مفعال من الإرث و یاؤه مقلوبة من الواو أو من الموروث و هو علی الأول علی ما قیل: استحقاق إنسان بموت آخر بنسب أو سبب شیئا بالأصالة، و علی الثانی ما یستحقه إنسان بموت آخر بنسب أو سبب بالأصالة. و فی المحکی عن روضة المتقین قال: من علوم جمیع الأنبیاء و کتبهم و أخلاقهم الکاملة حتی إنه کان عندهم ألواح موسی و عصاه و حجره و خاتم سلیمان و قمیص یوسف و ذو الفقار سیف رسول الله صلّی الله علیه و آله و درعه و عمامته و رایته و عنزته و غیرها، و کان عندهم من الکتب الجامعة التی کان من إملاء رسول الله صلّی الله علیه و آله و خط علی علیه السّلام بیده و الجفر الذی فیه علوم الأنبیاء و المرسلین و المشهور إنه الکتاب المعروف المرموز الذی بیننا و قیل: غیره و هو عند صاحب الأمر (عج) . أقول: إن الجفر عنده علیه السّلام لا ما هو المشهور عندنا. و مصحف فاطمة علیها السّلام الذی فیه علوم ما سیأتی بإملاء جبرئیل و خط أمیر المؤمنین علیه السّلام و کان ذلک بعد وفاة رسول الله صلّی الله علیه و آله لرفع حزنها علیها السّلام. . . إلی أن قال: و بالجملة کل نبی ورث علما أو غیره کما فی الأخبار المتواترة، فقد انتهی إلیهم علیهم السّلام انتهی کلامه. أقول: المقصود من هذه الجملة بیان فضیلة لهم علیهم السّلام بأن عندهم میراث الأنبیاء، و هو إما بأن یکون المراد منه العلم، أو ما یترکه النبی صلّی الله علیه و آله من خصائصه، کما تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و ورثة الأنبیاء»

، و تقدمت الأحادیث المصرح فیها بهذه الأمور، و تقدم أیضا مرارا أن جمیع العلوم التی کانت للأنبیاء و ما کان لنبینا صلّی الله علیه و آله فهی عندهم کما صرحت به الأحادیث الکثیرة. نعم: لعل الفرق بین

قوله علیه السّلام:

«و ورثة الأنبیاء»

، و بین

قوله علیه السّلام:

«و میراث النبوة عندکم»

، هو أن الجملة الأولی تشیر إلی ما یترکه الأنبیاء من خصائصهم، التی ذکرت فی کلام روضة المتقین من السلاح و غیره و تقدمت الإشارة إلیها فی

شرحها. و بعبارة أخرى: أن المضاف هناک الوارث و هو ظاهر فی الشخص، و کذلک المضاف إلیه یراد منه أشخاص الأنبیاء، و ورثة شخص من شخص إنما هو بلحاظ ما یترکه، و هذه تشیر إلی ما یورثه الأنبیاء من العلم و المعارف، و ذلک لمکان إضافة المیراث إلی النبوة الظاهرة فی المنصب الإلهی القائم بالعلم الإلهی کما لا یخفی، مضافا إلی أن المضاف هنا هو المیراث لا الوارث، فیراد منه ما هو من شأن النبوة من العلم و المعارف کما لا یخفی. و لعل التکرار للإشارة إلی أن الأنبیاء کما یورثون العلم و المعارف، فکذلک یورثون الأموال، دفعا لما یتوهمه بعضهم من أن الأنبیاء لا یورثون المال أبدا، و ذکرت له روایة أیضا، و علل بأنهم (أی الأنبیاء) کالآباء للأمة، فما لهم لهم لکلهم أی للناس، لئلا یظن بهم الرغبة فی الدنیا. قال فی المجمع: و قد ردّ أصحابنا هذا الحدیث و أنکروا صحته و هو الحق، لمخالفته القرآن الکریم، و ما خالفه فهو زخرف مردود باطل لا یعتد به. نعم:

روی ثقة الإسلام عن الصادق علیه السّلام: «أن العلماء ورثة الأنبیاء، و ذاک أن الأنبیاء لم یورثوا درهما و لا دینارا، و إنما أورثوا أحادیث من أحادیثهم، فمن أخذ بشیء منها فقد أخذ حظّا وافرا» ، و هو بعد تسلیم صحته لیس فیه دلالة علی عدم التوریث المطلق کما هو ظاهر انتهی. أقول: و ذلک لأن الحدیث ظاهر فی أن الأنبیاء لیس من شأنهم الاعتناء بجمع الأموال و توریثها من حیث شأن النبوة، بل المال الذی یأخذونه من حیث منصب النبوة و الولایة فإنما هو الحقوق الإلهیة، التی یجب صرفها فیما عیّنه الله تعالی، فشأنهم بیان المعارف و العلوم، و هذه مما یورثون بها لمن بعدهم من أوصیائهم أو العلماء، و لا یورثون للناس من حیث نبوتهم. نعم: و هذا لا ینافی تملکهم الأموال، التی کانت بأیدیهم علی نحو ما تکون

الأموال بأيـدى الناس من متملكاتهم بالحيازة و البيع و الشـراء و الإرث من الآباء و غيرهم، فالأنبياء من هـذه الجهـة كغيرهم يجرى عليهم أحكـام الـدين و أحكام الإرث، إلاّ أن هـذه الجهـة ليست ملحوظـة لهم و لا لغيرهـم من أمتهم كما لا يخفى. و الحاصل: أن شأن النبوة لا تعلق له بالمال، بل هو مصروف فى العلم و المعارف و بيان الأحكام و الأحاديث، فالمراد من نفى ما سوى العلم فى

قوله عليه السّـ لام: «لـم يورثوا دينـارا و لاـ درهما» عـدم اعتـدادهم به لخروجه من شأن النبوة لا أنهـم لا يورثون و لا يرثون، كيف و قـد قال تعالى مخبرا عن سؤال زكريا من ربّه وارثا يرثه من قوله عليه السّلام: يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (1)، و عن سليمان من أنه ورث من أبيه داود الصافنات الجياد. و كيف كان فهم لا يعدون المال إرثا، لعدم التفاتهم إلى الدنيا و ما فيها، و أما اعتناؤهم بالخصائص المذكورة مع أنها من المال و الدنيا، لأجل أنها كانت ذات شأن عظيم تدل على عظمتهم عليهم السّـ لام و معجزاتهم كما فى بعضها، و تدل على تعيين الوصية و الوصـى على الأمة كما فى بعضـها، على أن بعضـها كانت منزلة من السـماء، فله خصوصية تدل على عظمة مقام المنزل إليه كما لا يخفى، فلهذا اختص بالذكر، و بكونها ميراثا فى الجملتين كما لا يخفى، و الحمد لله ربّ العالمين.

[32]قوله عليه السّلام: و إياب الخلق إليكم، و حسابهم عليكم

اشارة

أقول: إياب الخلق إليهم أى رجوعهم إليهم لأجل الحساب. يوضحه: قوله عليه السّلام: و حسابهم عليكم، و الكلام هنا يقع فى مقامين:

الأول: فى السرّ و الوجه فى ذلک.

و الثانى: فى بيان الأخبار الدالة على ذلک، و على بيان المواقف التى يكون فيها

ص: 39

1- 1) مريم:6.

رجوعهم إليهم و حسابهم عليهم و كيفية ذلک حتى فى الجنة و فى النار، فنقول: أما الأول:

ففى بصائر (1)عن جابر الجعفى قال: كنت مع محمد بن على عليه السّلام فقال عليه السّلام: «يا جابر خلقنا نحن و محبينا (2)من طينة واحدة بيضاء نقية من أعلى عليين، فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيامة التفت العليا بالسفلى، و إذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجزة نبينا، و ضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر الله نبيه و ذريته؟ و أين ترى يصيّر ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده على يده فقال: دخلناها و ربّ الكعبة ثلاثا» .

و فيه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن الله عز و جل خلقنا من عليين، و خلق محبينا من دون ما خلقنا منه، و خلق عدونا من سجين، و خلق محبيهم مما خلقهم منه، فلذلک يهوى كل إلى كل» . أقول: و نظير هذه كثيرة جدّا فى ذلک الباب، و فى غيره كما لا يخفى. فحينئذ نقول: المستفاد من هذه الأحاديث أن الشيعة بحقيقتها الروحية فرع لتلک الذوات المقدسة على نحو بينوه عليهم السّلام و تقدم سابقا ما يدل على ذلک أيضا، و معلوم أن الفرع يرجع فى جميع أموره إلى أصله، ففيما نحن فيه ترجع الشيعة فى جميع أطوارها و حالاتها فى الدنيا و الآخرة إليهم عليهم السّلام دلّ على ذلک

قوله عليه السّلام: «فلذلک يهوى كل إلى كل» . فحقيقة الشيعة تهوى بذاتهم و قلوبهم إليهم عليهم السّلام و هم عليهم السّلام بما هم أصل لهم التفات و نظر إليهم فى الدنيا و الآخرة. أما فى الدنيا فلما تقدم من الأحاديث الدالة على أنهم عليهم السّلام يراعون شيعتهم، و يواظبون و يراقبون أحوالهم، كما لا يخفى و هى كثيرة جدا. و أما فى الآخرة فلهذه الأحاديث، و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «فإذا كان يوم القيامة

1- 1) بصائر الدرجات باب 9 ص 15.

2- 2) أقول: الظاهر أن يكون محبونا بالواو كما لا يخفى.

التفت العليا بالسفلى» . فقوله: التفت، إما بمعنى الالتفات أى يلتفت الأئمة عليهم السّلام بشيعتهم، أو بمعنى الالتفات أى الإحاطة و الرعاية أى يلتفت الأئمة عليهم السّلام بالشيعة، و معلوم أنه يراد منه التوجه و العناية بهم كما لا يخفى. و كيف كان فرجوع الشيعة إليهم و كون حسابهم عليهم، إنما هو بمقتضى الأصل، أى أصل رجوع الفرع إلى أصله كما لا يخفى، و إليه تشير الأحاديث الدالة على أنهم خلقوا من فاضل طينتهم كما لا يخفى، و يدل على أنهم فرع لهم ما

فى حديث عبد الغفار الجارى فى البصائر إلى أن قال عليه السّلام: «الطينات ثلاثة طينة الأنبياء و المؤمن من تلك الطينة، إلاّ أن الأنبياء هم صفوتها، و هم الأصل و لهم فضلهم، و المؤمنون الفرع من طينة لازب» الحديث، و تقدم أيضا ما يدل على أن الأنبياء خلقوا من فاضل طينتهم أيضا. و هذا بالنسبة إلى الشيعة فظاهر، و أما بالنسبة إلى غيرهم من مخالفيهم و ساير الخلق، فلأجل أن الأعداء أيضا خلقوا من فاضل وجود الشيعة، أى خلقوا لأجلهم، لتوقف كثير من منافع الشيعة عليهم، فهم بضرب من التأويل يراجعون إليهم، فبهذا اللحاظ يكون حسابهم و إيابهم أيضا إلى الأئمة عليهم السّلام هذا مضافا إلى ما تقدم من أنه تعالى أشهدهم عليهم السّلام خلق السموات و الأرض، و خلق الأشياء التى منها الأعداء أيضا و ساير الخلق، و أنهى علمه إليهم عليهم السّلام و فوض إليهم عليهم السّلام أمرها (أى أمر الأشياء) فلا محالة يكون إياب الخلق و رجوعهم إلى من فوض إليه أمرهم كما لا يخفى. و الحاصل: أن الشيعة و من أحبهم من الأولين و الآخرين، فلأجل كون خلقهم منهم، فلا محالة يكون رجوعهم و حسابهم إليهم و عليهم، و أما غيرهم فلأجل أنه تعالى فوض أمر الخلق مطلقا إليهم فى أصل الخلقة بتمامها كما لا يخفى.

و أما الثانى: فى بيان كيفية رجوعهم إليهم و حسابهم عليهم

فنقول: لا بدّ أولا

من ذكر الأخبار الواردة فى هذا الباب، ثم بيان المستفاد منها، فنقول:

فى تفسير نور الثقلين (1)عن أمالى شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إذا كان يوم القيامة، وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه فهو لهم، و ما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبد الله عليه السّلام: «إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ» .

و فيه عن روضة الكافى، عن سماعة قال: كنت قاعدا مع أبى الحسن الأول عليه السّلام و الناس فى الطواف فى جوف الليل فقال لى: «يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم، فيما كان لهم من ذنب بينهم و بين الله عز و جل حتمنا على الله عز و جل فى تركه لنا فأجابنا إلى ذلك، و ما كان بينهم و بين الناس استوهبناه منهم فأجابوا إلى ذلك و عوضهم الله عز و جل» . أقول: هذان الحديثان و نحوهما واردة فى خصوص الشيعة، لمزيتهم لديهم عليهم السّلام و هناك أحاديث أخر لإياب الخلق مطلقا و رجوعهم إليهم عليهم السّلام.

ففيه أيضا عنه بإسناده عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «يا جابر إذا كان يوم القيامة جمع الله عز و جل الأولين و الآخرين لفصل الخطاب دعى رسول الله صلّى الله عليه و آله و دعى أمير المؤمنين عليه السّلام فيكسى رسول الله صلّى الله عليه و آله حلة خضراء، تضىء ما بين المشرق و المغرب، و يكسى على عليه السّلام مثلها و يكسى رسول الله صلّى الله عليه و آله حلة وردية يضىء لها ما بين المشرق و المغرب، و يكسى على عليه السّلام مثله ثم يصعدان عندها، ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن و الله ندخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار» ، الحديث.

و فيه عن احتجاج الطبرسى رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السّلام يقول فيه عليه السّلام: «و الناس يومئذ على طبقات و منازل، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا، و ينقلب إلى أهله

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 5 ص 568.

مسرورا، و منهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشیء، و إنما الحساب هناک على من تلبس بها هاهنا، و منهم من يحاسب على النقير و القطمير و يصير إلى عذاب السعير» .

و فی معالم الزلفی للسید البحرانی (رضوان الله تعالى علیه و روحی فداه) عن طرائف السید ابن طاووس فی طریفة بإسناده عن الحرث و سعید بن بشیر، عن علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «أنا واردکم، و أنت یا علی الساقی، و الحسن الذائد و الحسین، و علی بن الحسین الفارض، و محمد بن علی الناشر، و جعفر بن محمد السائق، و موسى بن جعفر محصی المحبین و المبغضین و قامع المنافقین، و علی بن موسى زین المؤمنین، و محمد بن علی منزل أهل الجنة درجاتهم، و علی بن محمد خطیب الشیعة مزوجهم الحور العین، و الحسن بن علی سراج أهل الجنة یستضیئون به، و الهادی شفیعهم یوم القیامة حیث لا یأذن إلاّ لمن یشاء و یرضى» . قلت: و رأیت فی بعض الکتب فی الحدیث المهدی بدل الهادی. أقول: لا ریب فی أن المراد من الهادی فی کلامه علیه السّلام هو بقیة الله تعالى (عج) عبّر عنه علیه السّلام بالهادی وصفا، و لعله تصحیف من الراوی.

و فیه عن البرسی، عن الأصبغ بن نباتة، قال: خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: «أنا أخو رسول الله، و وارث علمه، و معدن حکمه، و صاحب سرّه، و ما أنزل الله حرفا فی کتاب من کتبه، إلاّ و قد صار إلیّ، و زادنی علم ما کان و ما یکون إلى یوم القیامة. أعطیت علم الأنساب و الأسباب، و أعطیت ألف مفتاح، یفتح کل مفتاح ألف باب، و أمددت بعلم القدر، و إن ذلک یجری إلى الأوصیاء من بعدی ما جرى اللیل و النهار، حتى یرث الله الأرض و من علیها و هو خیر الوارثین، أعطیت المیزان و اللواء و الکوثر، أنا المقدم على بنی آدم یوم القیامة، أنا المحاسب للخلق، و أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، إلیّ ذلک من فضل الله علیّ» ، الخطبة.

و عنه روى البرقى فى كتاب الآيات عن أبى عبد الله عليه السّلام: أن رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: «يا على أنت ديّان هذه الأمة، و المتولى حسابها، و أنت الركن الأعظم، ألا و إن المآب إليک، و الحساب عليک، و الصراط صراطک، و الميزان ميزانک، و الموقف موقفک يومئذ» . هذا

و عنه قال: روى جابر بن عبد الله عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «يا جابر عليک بالبيان و المعانى، قال: فقلت: و ما البيان و المعانى؟ قال: فقال على عليه السّلام: أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شىء، فتعبده و لا تشرک به شيئا. و أما المعانى فنحن معانيه، و نحن جنبه و يده و لسانه، و أمره و حكمه، و كلمته و علمه، إذا شئنا شاء الله، و يريد الله ما نريده، فنحن المثانى الذى أعطاها الله نبينا، و نحن وجه الله الذى يتقلب فى الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، و من جهلنا فأمامه سجين و لو شئنا خرقنا الأرض و صعدنا السماء، و إن إلينا إياب الخلق، ثم إنّ علينا حسابهم» .

و عنه روى المفضل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السّلام فى شرح هذه الآيات، فإنه قال سألته من هم؟ فقال: «يا مفضل من تراهم نحن، و الله هم إلينا راجعون، و علينا يعرضون، و عندنا يقفون، و عن حبنا يساءلون» .

و فيه ابن بابويه و محمد بن الحسن الصفار فى بصائر الدرجات، و سعد بن عبد الله القمى فى بصائر الدرجات بأسانيدهم عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال لى: «يا أبا حمزة لا تضعوا عليا دون ما وضعه الله، و لا ترفعوه فوق ما رفعه الله، كفى عليا أن يقاتل أهل الكرة و أن يزوج أهل الجنة» . أقول: قد دلت أحاديث كثيرة على أنهم عليهم السّلام قدرة الله و جنب الله و يد الله و هكذا، و هذه تدل على أن ذواتهم المقدسة هى حقيقة الأسماء الحسنى، التى يكون له تعالى، و معلوم أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد بها، فالله تعالى بهم يقضى فى الخلق فى الدنيا و الآخرة قضيته، كما تقدم

عن توحيد الصدوق قول الصادق عليه السّلام

فی حدیث صحیح: و بهم یقضی قضیته، الظاهر فیما ذکرنا بل صریح فیه، کیف و لهم الولایة التکوینیة التی تقدم معناها، فحینئذ لا إشکال فی أن یکون إیاب الخلق إلیهم و حسابهم علیهم، مع أن الرجوع إلیه تعالی و الحساب علیه تعالی، لأنهم قدرته و أسماؤه، فیصح استناد ذلک إلیهم فی عین الاستناد إلیه تعالی، کما حقق فی محله فی شرح الأمر بین الأمرین، و قد تقدم. و کیف کان فهذه جملة من الأحادیث و هو کثیرة جدّا، تدل علی أن إیاب الخلق إلیهم و حسابهم علیهم، و علی بیان مناصبهم، و علی کیفیة ذلک، و قد دلّت أحادیث أخر علی کیفیة ذلک.

ففی البحار (1)عن تفسیر فرات بن إبراهیم، عن عبید بن کثیر معنعنا عن أبی هریرة أن رسول الله صلّی الله علیه و آله قال: «أتانی جبرئیل علیه السّلام فقال: أبشّرک یا محمد بما تجوز علی الصراط؟ قال: قلت: بلی، قال: تجوز بنور (الله ظ) و یجوز علی بنورک، و نورک من نور الله، و تجوز أمتک بنور علی، و نور علی من نورک، و من لم یجعل الله له نورا فما له من نور» .

و فیه عن الخصال، عن الصادق علیه السّلام عن آبائه، عن علی علیهم السّلام. . إلی أن قال: «فلا أزال واقفا علی الصراط أدعو و أقول: ربّ سلّم شیعتی و محبی و أنصاری، و من تولانی فی دار الدنیا» ، الحدیث.

و فیه عن کتاب فضائل الشیعة للصدوق عن الصادق عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «أثبتکم قدما علی الصراط أشدّکم حبّا لأهل بیتی» .

و فیه عن عقائد الصدوق، و قال النبی صلّی الله علیه و آله لعلی علیه السّلام: «یا علی إذا کان یوم القیامة، أقعد أنا و أنت و جبرئیل علی الصراط، فلا یجوز علی الصراط إلاّ من کانت معه براءة بولایتک» .

1- 1) البحار ج 8 ص 69.

و فيه عن أمالى الصدوق، عن محدوج بن زيد الذهلى أن رسول الله صلّى الله عليه و آله آخى بين المسلمين، ثم قال: «يا على أنت أخى، و أنت منى بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبى بعدى، أ ما علمت يا على أنه أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بى، فأقوم عن يمين العرش فى ظلّة فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش فى ظلة، و يكسون حللا خضراء من حلل الجنة، ألا و إنى أخبرک يا على أن أول من يدعى يوم القيامة يدعى بک هذا، لقرابتک منى، و منزلتک عندى، فيدفع إليک لوائى، و هو لواء الحمد، فتسير به بين السماطين. و إن آدم و جميع من خلق الله يستظلون بظل لوائى يوم القيامة، و طوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء قصبه فضّة بيضاء زجّه درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور، ذؤابة فى المشرق، و ذؤابة فى المغرب، و ذؤابة فى وسط الدنيا مكتوب عليها ثلاثة أسطر، الأول: بسم الله الرحمن الرحيم ، و الآخر: الحمد لله ربّ العالمين و الثالث: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، طول كل سطر مسيرة ألف سنة، و عرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء، و الحسن عن يمينک، و الحسين عن يسارک حتى تقف بينى و بين إبراهيم فى ظل العرش، فتكسى حلة خضراء من حلل الجنة. ثم ينادى مناد من عند العرش: نعم الأب أبوک إبراهيم، و نعم الأخ أخوک على، ألا و إنى أبشرک يا على أنک تدعى إذا دعيت، و تكسى إذا كسيت، و تحيّا إذا حييّت» . أقول: و نظير هذا الحديث كثير جدا. و كيف كان فقد دلت هذه الأحاديث المتضافرة على أن رجوع الخلق و إيابهم فى الدنيا لأمور دينهم و دنياهم، و أحكام شرايعهم، و إصلاح معادهم بالعقائد الحقة، و الأعمال الصالحة، و الصفات الحميدة، و إصلاح معاشهم الدنيوى، بل و الأخروى، و أيضا رجوعهم إليهم فى الآخرة، لأجل الحساب و الشفاعة، كلها

یکون إلیهم، و إلی ما یستفاد من کلامهم، و لهذه الجهات نری رجوع الشیعة إلی مشاهدهم، للاستشفاع و التوسل بهم فی نجاح هذه الأمور، کما لا یخفی، و کذا حساب الخلق علیهم کما علمت، و لا استبعاد فی ذلک. ضرورة أنه تعالی قد وکل بالعذاب و الحساب و الکتاب جمعا من الملائکة، کما نطقت به الآیات و الأحادیث فی الدنیا و الآخرة، و من المعلوم أن الأئمة علیهم السّلام أفضل من الملائکة کما تقدم، بل علمت أن الملائکة علموا المعارف بتعلیمهم، و خلقوا و أعطوا تلک القوی و المقامات من الله تعالی بواسطتهم تکوینا کما حقق فی محله. و ببیان آخر: إن لآل محمد صلّی الله علیه و آله فی کل شیء و کل نفس سرّا، و هذا السرّ هو حقیقة اسم الله، الذی یکون قوام ذلک الشیء و تلک النفس به، و هذا الاسم هو سبب ظهور هذا الشیء و وجوده کما

قال علیه السّلام:

«و بأسمائک التی ملأت أرکان کل شیء»

، و قد علمت مرارا أنهم هم حقائق الأسماء الحسنی التی تکون لله، فهم علیهم السّلام مظاهر لکل الأسماء الحسنی الإلهیة، فلجامعیتهم لتلک الأسماء و مظهریتهم بها، شملوا جمیع الموارد الجزئیة لتلک الأسماء، و لهذه الجهة یکون رجوع الخلق إلیهم و حسابهم علیهم، لأن قوامهم بهم علیهم السّلام لهذا السرّ. و لهذه الجهة أیضا یکونون علیهم السّلام شهداء علی الخلق یوم القیامة، و ذلک لإحاطتهم و علمهم علیهم السّلام بهم، و هذا هو معنی کونهم علیهم السّلام خلفاء الله فی أرضه و سمائه بلحاظ هذا السرّ، و بهذه الجهة أیضا کانوا علیهم السّلام معاذ الخلق و ملاذهم لکل شدة، و مرجعهم فی کل شبهة، و مستسقیهم فی کل العلوم، هذا و قد تقدم ما یستفاد منه أنه تعالی أجل و أعظم من أن یبرز للخلق، لیحاسب لهم و علیهم بنفسه، لعدم سعة عالم الإمکان مطلقا فی الدنیا و الآخرة، و فی جمیع عوالم الوجود، لبروزه و ظهوره جلّ جلاله و عظم شأنه، فلا بد من نصب خلیفة یباشر حسابهم. هذا و قد علم عدم قابلیة أحد للخلافة منه تعالی من أول الخلق إلی انقضاء العوالم إلاّ آل محمد (صلوات الله علیهم أجمعین) کیف و هم الذین قد خلقهم الله من

نور عظمته، و اصطفاهم بعلمه و ارتضاهم لغيبه و اختارهم لسرّه، و اجتباهم بقدرته، و أعزهم بهداه، و خصهم ببرهانه، و انتجبهم لنوره، و أيدهم بروحه، و رضيهم خلفاء فى أرضه و حججا على بريته، و قد تقدم شرح هذه الجمل بما يعلم منه سعة وجودهم، و تحقق مبادى الخلق مطلقا فيهم، فتمام مراتب الوجود بما لها من الشئون من أوله إلى آخره، قد صارت فعلية فى عوالمهم عليهم السّلام فهم أركان التوحيد، و عناصر الأبرار، و دعائم الأخيار مما تقدم من شرحها. و الحاصل: أنه لما كانوا عليهم السّلام وجه الله الذى لا يفنى و لا يهلک، و الذى توجه الأولياء إليه تعالى، فلازمه أن مسير كل موجود من الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان و الملک متوجه إليهم عليهم السّلام و مستفيضة منه تعالى بهم، لأنهم باب الله تعالى تكوينا و تشريعا كما مرّ مرارا، و مثلهم عليهم السّلام فى هذا كمثل الأشعة من السراج، فإن كل جزء منها متوجه إلى الشعلة المضيئة، التى هى وجه النار الغائبة، و الظاهرة بتلک الشعلة، و تلک النار لا تدرک، و ليس لتلک الأشعة المشيرة تحقق و لا وجود، إلاّ بذلک التوجه إلى الشعلة، لأنّها هى وجه النار الغائبة، و هى التى تمدّ الأشعة بما به بقائها. فالأئمة عليهم السّلام هم الشعلة الإلهية و الوجهة الألوهية قال تعالى: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ اَلْمِصْبٰاحُ فِي زُجٰاجَةٍ اَلزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ (1)و ساير الخلق بمراتبهم كالأشعة لهذه الشعلة الإلهية، فهم عليهم السّلام يمدّونهم بما به بقاؤهم، لأنهم عليهم السّلام وجه الله، الذى هو غايب عن الأبصار، و الظاهر بتلک الشعلة أى أنوار محمد و آله الطاهرين، و الخلق أشعتهم يستضيئون بها و يستمدون منها. فهم عليهم السّلام الوسائط بهذا المعنى بين الله تعالى و جميع الخلق، فلا محالة يكون

1- 1) النور:35.

رجوع الخلق إليهم و حسابهم عليهم، بل هـذا الرجوع و الحساب يكون دائما متحققا بينهم عليهم السّلام و بينهم، إلاّ أنه يوم القيامة يظهر ذلک للخلق علنا، کما لا يخفى على أولى البصيرة و الألباب بحقائق ولايـة محمـد و آله الطاهرين (صـلوات الله عليهم أجمعين و روحى لهم الفداء) هذا و الحمد لله رب العالمين أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و فصل الخطاب عندکم.

فى المجمع: قوله تعالى: وَ آتَيْنٰاهُ اَلْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ اَلْخِطٰابِ (1)الخطاب هو توجه الکلام نحو الغير للإفهام، و قـد ينقل إلى الکلام الموجه نحو الغير، و فصل الخطاب هو الفصل بين اثنين،

و عن الرضا عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و أوتينا فصل الخطاب فهل فصل الخطاب إلاّ معرفة اللغات؟ !» و فيه أيضا بعـد هـذه الآيـة المبارکـة قيـل: هو (أى فصـل الخطـاب) أمـا بعـد، و قيل: البينـة على الطالب و اليمين على المطلوب، و قيل: الفهم فى الحکومـات و الفصـل فى الخصومـات. و فى مجمع البيان: إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، هـذا جواب القسم، يعنى أن القرآن يفصل بين الحق و الباطل بالبيان عن کل واحد منهما، و روى ذلک عن الصادق عليه السّلام. قال بعض الأعاظم رحمه الله: الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يکون بينهمـا فرجـة، و التعبير بالفصـل، و المراد الفاصـل للمبالغـة کزيـد عـدل، انتهى. و قيل: فصل الخطاب من باب إضافـة الصـفة إلى الموصوف، أى الخطـاب الفاصـل بين الحق و الباطـل. و قيـل: فصـل الخطـاب هو فصـل الخصام بتمييز الحق عن الباطل. و قيل: الکلام المفصول الذى لا يشتبه على السامع.

1- 1) سورة ص:20.

و فی المحکی عن جوامع الجامع، عن علی علیه السّلام فهو قول البینة علی المدعی و الیمین علی المدعی علیه، و فی المحکی عن الکشاف، و قیل للکلام البین: فصل، بمعنی المفصول کضرب الأمیر، لأنهم قالوا: کلام ملتبس (و فی کلامه لبس) و الملتبس المختلط. فقیل فی نقیضه فصل أی مفصول بعضه عن بعض، فمعنی فصل الخطاب البین من الکلام الملخص، الذی بیّنه من یخاطب به لا یلتبس علیه. و من فصل الخطاب و ملخصه أن لا یخطی صاحبه مظان الفصل و الوصل، فلا تقف فی کلمة الشهادة علی المستثنی منه و لا یتلو قوله: فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ (1)إلاّ موصولا بما بعده، و لا وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ ، حتی یصله بقوله: لاٰ تَعْلَمُونَ و نحو ذلک، و کذا مظان العطف و ترکه و الإضمار و الإظهار و الحذف و التکرار. و إن شئت کان الفصل بمعنی الفاصل کالصوم و الزور، و أردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب، الذی یفصل بین الصحیح و الفاسد، و الحق و الباطل، و الصواب و الخطأ و هو کلامه فی القضایا و الحکومات و تدابیر الملک و المشورات.

و عن علی بن أبی طالب علیه السّلام هو قوله: البینة علی المدعی و الیمین علی المدعی علیه، و هو من الفصل بین الحق و الباطل، و یدخل فیه قول بعضهم: أما بعد، لأنه یفتح إذا تکلم فی الأمر، الذی له شأن بذکر الله و تحمیده، فإذا أراد أن یخرج إلی الغرض المسوق إلیه فصّل بینه و بین ذکر الله بقوله: أما بعد، و یجوز أن یراد بالخطاب الفصل الذی لیس فیه اختصار مخل و لا إشباع ممل، و منه ما جاء فی صفة کلام رسول الله صلّی الله علیه و آله فصل لا نزر و لا هذر، انتهی. و هنا أحادیث دلت علی أن فصل الخطاب عندهم علیهم السّلام.

ففی تفسیر نور الثقلین (2)فی عیون الأخبار بإسناده إلی أبی الصلت الهروی

1- 1) الماعون:4.

2- 2) تفسیر نور الثقلین ج 4 ص 444.

قال: كان الرضا عليه السّلام يكلم الناس بلغاتهم، و كان و الله أفصح الناس و أعلمهم بكل لسان و لغة، فقلت له يوما: يا بن رسول الله إنى لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها! فقال: «يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه، و ما كان الله ليتخذ حجة على قوم، و هو لا يعرف لغاتهم، أ و ما بلغک قول أمير المؤمنين عليه السّلام: أوتينا فصل الخطاب، فهل فصل الخطاب إلاّ معرفة اللغات» .

و فيه فى كتاب الخصال بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن رسول الله صلّى الله عليه و آله علمنى ألف باب من الحلال، و الحرام مما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، حتى علمت المنايا و البلايا و فصل الخطاب» .

و فيه فى كتاب كمال الدين و تمام النعمة عن يزداد بن إبراهيم، عمّن حدثه من أصحابنا، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و الله لقد أعطانى الله تبارک و تعالى تسعة أشياء لم يعطها أحد قبلى خلا النبى صلّى الله عليه و آله لقد فتحت لى السبل، و علمت الأسباب، و أجرى لى السحاب، و علمت المنايا و البلايا و فصل الخطاب» ، الحديث. أقول: و مثلها كثير كما لا يخفى.

و عن تفسير فرات، عن الباقرين عليهما السّلام قالا: «نحن فصل الخطاب و دلالة الخير» .

و عن المناقب، عن على عليه السّلام قال: «أنا فصل القضاء» .

و فى بعض زيارات الأمير عليه السّلام:

«صلّ على على فصل قضائک بين خلقک» .

و فى بعضها:

«يا فاصل الحكم و الناطق بالصواب» .

و فى بعضها:

«يا فصل الخطاب» . إذا علمت هذا فنقول: لا ريب فى أن النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام و فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) لهم مقام معلوم عند الله تعالى، و هو أنه تعالى منحهم علمه، و هو

العلم بحقائق الأشياء، و أنه تعالى أشهدهم خلقها و حملهم علمه، و علمهم الأسماء الحسنى، التى بها قوام حقائق الأشياء كلها، فالأشياء كلها بلا استثناء بحقائقها تكون مكشوفة عندهم عليهم السّلام و علمهم بالنسبة إليها يكون نافذا فيها، و لا يعزب عنهم منها شیء، کل ذلک بتعليمه تعالى إياهم بالقرآن.

ففى تفسير القمى فى قوله تعالى: أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ اَلْكِتٰابَ مُفَصَّلاً (1)قال: يعنى التفصيل بين الحق و الباطل مبينا كلا منهما. أقول: أى مميزا بين الحق و الباطل. و لا ريب فى أن القرآن بحقيقته فيهم و عندهم قال تعالى: بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (2)و المراد منه صدورهم عليهم السّلام كما صرحت به الأخبار، و قد تقدم بعضها، و علمت فى مطاوى الشرح مرارا، كيف و إن نسخة أعمال كلّ نفس بجميع شئونها التى هى مرتبة خاصة من اسم الله، التى هى مصدر تمام المراتب فى كل النفوس، بل و كل الأشياء تكون عندهم لاشتمال مباديهم عليهم السّلام على تمام مراتب اسم الله تعالى من الكلية و الجزئية، التى تكون أركان كل شیء، و يكون قوام كل شيء بها، كما علمت هذا فيما سبق مرارا. فلازم هذه الأمور أنه لا يشتبه عليهم الحق من الباطل، لا بوجودهما الواقعى، و لا فى مقام البيان و التعبير و اللفظ، و من المعلوم أن الخطاب الفاصل بين الحق و الباطل، إنما يكون صادرا ممن له هذه الإحاطة العلمية بالواقعيات كما هى هى، و هذا مختص بهم عليهم السّلام فلا محالة يكون فصل الخطاب، و الخطاب الفاصل عندهم سواء فسّرت بالقرآن فإنه أحسن مصداق له لقوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (3)و هو أصل فى كون خطاباتهم و كلامهم عليهم السّلام فصلا، أم فسرت بمعرفة اللغات كما فى

ص: 52

1- 1) الانعام:114.

2- 2) العنكبوت:49.

3- 3) الطارق:13.

كلام الرضا (روحى لتراب نعله الفداء) فإنّ هذا من آثار إحاطتهم عليهم السّلام علما بحقائق الأمور. فمعرفتهم اللغة عليهم السّلام من أحد مصاديق فصل الخطاب، لعلمهم الشامل النافذ الموجب لفصل الخطاب كما لا يخفى، أو فسرت بتلك التفاسير المتقدمة فإنها بأجمعها ترجع إلى ما ذكرنا من كون المتكلم لما كان عالما بحقائق الأمور، فلا محالة يكون كلامه فى الحكومات و غيرها فصلا، و الكلام الفصل بالنحو الأحسن الأتم يكون عندهم، و أما بالنسبة إلى غيرهم فإن حكم أو فصل بين الحق و الباطل فهو حكم و فصل على الظاهر. ثم إن الفصل بين الحق و الباطل قد يكون فى الأمور العادية كما ذكر بعضها صاحب الكشاف، و هذا القسم يكون لكثير من الناس من ذوى العلم و الفهم و الذكاوة، و قد يكون فى الأمور العلمية، و المعارف الإلهية، و الدقائق المعنوية، فهذه بأجمعها بنحو الأتم تختص بهم عليهم السّلام، و أما غيرهم من ساير الناس من العلماء الربانيين، فكلامهم فصل بقدر علمهم بحقائق الأمور، ففى الحقيقة لا يكون كلامهم فصلا من حيث الواقع النفس الأمرى لعدم إحاطتهم به هكذا لما علمت من أن هذا مختص بهم عليهم السّلام فلا محالة لا تطلق على غيرهم عليهم السّلام إن كلامهم فصل بقول مطلق إلاّ بالنسبة إليهم عليهم السّلام. و إلى هذه النكتة يشير

قوله عليه السّلام: و فصل الخطاب ، أى بقول مطلق عندكم فإنه محمول على الفرد الكامل، و بهذا اللحاظ كان هذا الأمر من مختصاتهم، كما قال أمير المؤمنين فى الخبر المتقدم عن الأصبغ و كذا فى غيره فلا يقال: إن فصل الخطاب قد يكون لغيرهم كما علمت من كلام صاحب الكشاف و غيره، لما علمت من أن ما كان لغيرهم مضافا إلى أنه يكون فى الأمور العادية، التى لا يعسر تمييز حقها عن باطلها، إنما يكون بالنسبة إلى علمهم و إحاطتهم، لا بالنسبة إلى حقيقة ذلك الشىء فى نفسه.

ص :53

ففی الحقیقة لا یکون کلامهم (أی غیر الأئمة علیهم السّلام) فصلا بالنظر إلی واقع الأمر فی المعارف الإلهیة کما لا یخفی، بل یمکن أن یقال: إن أیّ کلام فصل وجد فی کلام غیرهم، فهو فی الحقیقة مأخوذ منهم علیهم السّلام إما بالتعلیم منهم علیهم السّلام أو بمتابعتهم فی بیان حکم ذلک الأمر مثلا کما لا یخفی، و قد دلت علیه أحادیث کثیرة مثل

قوله علیه السّلام: فما کان من حق فهو من علی علیه السّلام. و عن المجلسی الأول رحمه الله: و فصل الخطاب عندکم، أی الخطاب الذی یفصل به بین الحق و الباطل، کما کان أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الوقایع و الأحکام، فإنه کان یحکم فی کل واقعة بخلاف حکمه فی الأخری،

و روی عنهم علیهم السّلام: «إن لله تعالی فی کل واقعة حکما خاصا بها» . أقول: المراد من قوله: بخلاف حکمه فی الأخری، هو ما أشار إلیه بعده من قوله: إن لله تعالی حکما فی کل واقعة. . . إلخ، و مرجعه إلی أن له تعالی و له علیه السّلام فی کل واقعة حکما یفصل به بین الحق و الباطل، و إن کان ربما یتراءی فی الظاهر اختلاف بین الحکمین فصاعدا مثلا، فإنه اختلاف صوری یرتفع لو اطلع الإنسان علی الواقع. و إلی هذا و توضیحه یشیر

ما فی الکافی (1)بإسناده عن عبد الله بن سلیمان، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سألته عن الإمام فوض إلیه کما فوض إلی سلیمان بن داود؟ فقال: «نعم و ذلک أن رجلا سأله عن مسألة فأجابه فیها، و سأله آخر عن تلک المسألة فأجابه بغیر جواب الأول، ثم سأله آخر فأجابه به بغیر جواب الأولین، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن (أو أعط) بغیر حساب و هکذا هی قراءة علی علیه السّلام. قال: قلت: أصلحک الله فحین أجابهم بهذا الجواب یعرفهم الإمام؟ قال:

1- 1) الکافی ج 1 ص 438.

سبحان الله أ ما تسمع الله يقول: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ (1)و هم الأئمة علیهم السّلام وَ إِنَّهٰا لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ (2)لا یخرج منها أبدا، ثم قال لی، نعم إن الإمام إذا أبصر إلی الرجل عرفه و عرف لونه، و إن سمع کلامه من خلف حائط عرفه و عرف ما هو إن الله یقول: وَ مِنْ آیاتِهِ خَلْقُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوٰانِکُمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْعٰالِمِینَ (3)و هم العلماء فلیس یسمع شیئا من الأمر ینطق به إلاّ عرفه، ناج أو هالک فلذلک یجیبهم بالذی یجیبهم» . أقول:

فقوله علیه السّلام: فلیس یسمع شیئا. . . إلخ، یشیر إلی أنهم علیهم السّلام عالمون بواقع الأمر و القضایا، فیحکمون فی کل واقعة بما یرونه من حکم الله فیه، و إن کانت الواقعتان متساویتین فی الموضوع و المحمول فإنهما مختلفتان فی الجهات الواقعیة، و لذا یحکمون لکل منهما بحکم تخصه کما لا یخفی. و هنا کلام و هو أنه یستفاد مما مر من الروایات و الزیارات مثل

قوله علیه السّلام: أنا فصل القضاء، أو

صلّ علی فصل قضائک

، و نحوهما، أنهم علیهم السّلام مضافا إلی أنهم یفرقون بین الحق و الباطل فی جمیع الأمور لا سیما الأحکام، إنما صاروا فصل الخطاب بلحاظ أن ولایتهم مفصل الحق عن الباطل، و بهم علیهم السّلام و بولایتهم یتمیز المحق من المبطل، و الصواب من الخطإ، و الهدایة من الضلالة، و الإیمان من الکفر، إذ مناط ذلک الفرق و التمییز هو حبهم و ولایتهم و عرفان حقهم علیهم السّلام و یوضح هذا زیادة تفسیر الحق بولایتهم علیهم السّلام، و معلوم أن فصل الخطاب، أو فصل القضاء إنما هو بالحق. و لعمری إن هذا یظهر من کثیر من الأخبار الخارجة عن حدّ الإحصاء تصریحا و تلویحا کما لا یخفی علی أهل الولایة.

ص: 55

1- 1) الحجر:75.

2- 2) الحجر:76.

3- 3) الروم:22.

[33]قوله عليه السّلام: و آيات الله لديكم

أقول: آيات جمع آية و هى بمعنى العلامة، و قد يراد بها العبرة و العجائب، و عن الجوهرى: الآية: العلامة، و الأصل أويه (بالتحريك) و جمع الآية آى و آيات. قال فى المجمع: و الآية من القرآن. قيل: كل كلام متصل إلى انقطاعه. و قيل: ما يحسن السكوت عليه. و قيل: هى جماعة حروف من قولهم: خرج القوم بآيتهم، أى بجماعتهم، انتهى. و قيل: سميت الآية من القرآن آية، لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام، أو لكون نظام كل منها علامة من الله سبحانه و تعالى. أقول: التعاريف المذكورة للآية كلها غير مطردة و لا منعكسة كما لا يخفى، و قد أعيى فكر الكثير عن تعريفه الجامع المانع و لم يأتوا بشىء، هذا مع أن المفهوم منها بالنسبة إلى آيات القرآن بديهى، و لعل الذى أتعب بعضهم فى تفسيرها هو أنهم ظنوا بأنه لا بد من امتياز الآيات كل منها عن الآخر بحيث يكون كل فرد منها مثلا فردا يصدق عليه أنه آية بوحده مع أنه إلزام بلا ملزم. و الظاهر (و الله العالم) أن الآية بما لها من المعنى العام هو العلامة، و هى إما فى اللفظ أو فى المعنى، فالألفاظ بلحاظ تأليفها الدالة على حسن النسق و الفصاحة و البلاغة بنحو يعجز عن إتيان مثلها الثقلان، فهى آيات دلت و أعلمت أنها من الله تعالى، و أما معانى القرآن فالأمر بالنسبة إليها أظهر، فإنها بلحاظ دلالتها على الحقائق و المعارف و الحكم، و الصفات الربوبية، و غوامض العلم، و التوحيد و شئونه أعلنت و دلت على أنها آيات من لدن حكيم خبير، فالآيات القرآنية آيات بلحاظ علامتيها و دلالتها على تلك الأمور الشامخة الخارجة عن طوق البشر، فبهذا اللحاظ أطلقت عليها الآية. و لا ينظر فى إطلاق الآية عليها إلى خصوصيات كيفية الأداء، بأن يكون كلامه

منقطعا بعضـها عن بعض بنحو يحسن السـكوت عليه، أو بلحاظ الجماعـة من الحروف، أو بلحاظ اتصاله إلى انقطاعه، فإن هذه الأمور غير دخيلـة فى صـدق الآيـة عليها حتى يبحث عنها، نعم يقع فيما به التميز لتعداد الآية. و بعبارة أخرى: فى بيان المناط لتشـخيص الآية بحيث يمتاز به عن الأخرى فى مقام العـدد، و لعل التعاريف ناظرة إلى هـذه الجهـة، و الظاهر أن المناط بكل واحـد منها لهذه الجهة، و لا يترتب عليه كثير فائدة بعد حفظ ظاهر الآية، و تشـخيص ظهور بعضـها فيما سـيقت الآية لبيانه عن بعض بنحو حقق فى التفاسير فى مبحث حجية ظواهر القرآن. و كيف كان فقد قال بعض الأعاظم: إن المراد من

قوله:

و آيات الله لديكم

، هى المعجزات التى أعطيت جميع الأنبيـاء عليهم السّـلام و غيرهـا التى كانت بأيـديهم عليهم السّـلام و يظهرونها بحسب المصالـح، أو الآيات القرآنية كما أنزلت مع تفاسيرها، و محل نزولها، و ناسـخها و منسوخها و غير ذلك، أو الأعم لو لم يدخل الآيات فى المعجزات، و إلاّ فكل آية بما فيها من الحقائق الكثيرة تدل على أنها من الله تعالى و على صدق من أرسل إليه و من بينها، و كتب العامة و الخاصة مشحونة بذكر معجزاتهم مع أن ما وصل إلينا بالنظر إلى ما لم يصل إلينا ما تعرضت له الكتب و المصادر من حرف و تحريف. . كالقطرة بالنظر إلى البحر، و كـذا مـا أظهروه بالنسـبة إلى ما لـم يظهروه، انتهى. فنقول: قوله رحمه الله: هى المعجزات التى أعطيت جميع الأنبياء، و غيرها التى كانت بأيـديهم. . إلـخ، قـد يقال: إن المراد هو أن المعجزات التى كانت تظهر على يد الأنبياء السابقين كانت لديهم، و كانوا عليهم السّـلام يظهرونهـا على أيـديهم بمثلهـا بحسب المصالـح، و حينئـذ فمعنـاه أنه كمـا كـان الأنبياء لـديهم من المعجزات، و كانوا يظهرونها حسـب المصالـح، فكـذلك تكون تلك المعجزات بملاكها و أسـبابها لـدى الأئمـة عليهم السّـلام يظهرونها بحسب المصالح، فهى حينئذ كساير المعجزات تظهر منهم عليهم السّلام المختصة بهم بحيث لم

تکن للأنبياء السابقين. و إليه يشير ما

فى الكافى (1)عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: «ألواح موسى عليه السّلام عندنا، و عصا موسى عندنا، و نحن ذرية النبيين» .

و فى حديث بعده فى بيان أحوال القائم (عج) . . إلى أن قال: «و يحمل حجر موسى و هو وقر بعير، فلا ينزل منزلا إلاّ انبعث عين منه، فمن كان جائعا شبع، و من كان ظامئا روى، فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة» .

و فيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السّلام ذات ليلة بعد عتمة و هو يقول: همهمة همهمة و ليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم، و فى يده خاتم سليمان و عصا موسى عليه السّلام» . و مثله غيره و هو كثير من متفرقات الأحاديث و الأبواب. و قد يقال: إن المراد من كون معجزات الأنبياء السابقين لديهم (أى لدى الأئمة عليهم السّلام) هو أن الآيات التى هى المعجزات أظهرها الله تعالى بهم عليهم السّلام (أى بواسطة الأئمة عليهم السّلام) لأنبيائه السابقين لتصديقهم فى إظهار أمر ولايتهم، فالأنبياء لما ظهرت منهم المعجزات بواسطة الأئمة عليهم السّلام فصدقوا لذلك بولايتهم الإلهية التكوينية، أو أنه تعالى أظهرها لهم بهم عليهم السّلام لإعلاء كلمتهم أى الأئمة، و تأسيس مدائحهم التى تتلى بألسنة أعمال الخلائق و حركات أجسامهم و نفوسهم و عقولهم. و بعبارة أخرى: أنه تعالى بجهة إجراء المعجزات للأنبياء السابقين بتوسط الأئمة عليهم السّلام قد نشر ثناء الأئمة عليهم السّلام لهم (أى للأنبياء) حيث إن الأئمة عليهم السّلام لهم المقام السنى التى تتلى بألسنة أعمال الخلائق. . إلخ، فبإجراء المعجزات بهم عليهم السّلام على يدى الأنبياء أظهر الله تعالى هذه الولاية التكوينية العامة، التى تكون لهم عليهم السّلام فى عالم الوجود.

ص: 58

1- 1) الكافى ج 1 ص 231.

و حینئذ معنی أن آیات الله أی معجزات الأنبیاء لدیکم، و أنها لدیهم علیهم السّلام هو أنها (أی تلک المعجزات) صفاتهم الواقعیة و شأنهم الولوی و آثار أفعالهم الإلهیة، بل تلک المعجزات مظاهرهم کما صرح به أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطب التی نقلها الشیخ الحافظ البرسی رحمه الله من قوله علیه السّلام: «أنا کذا و أنا کذا» ، فراجع، فإن المستفاد منها أن تلک المعجزات، التی ظهرت فی الظاهر علی أیدیهم (أی الأنبیاء) إنما کانت فی الحقیقة منهم علیهم السّلام و من أمیر المؤمنین علیه السّلام. و کیف کان المستفاد من خواص الأخبار أن تلک المعجزات، بل جمیعها فی کل الأوقات هی مظاهرهم و صور أفعالهم و أمثالهم، و هی آیاتهم و صورهم و لا بأس بذکر خبر عن البحار یظهر منه ما ذکرنا.

ففیه (1)قال رحمه الله: أقول: ذکر والدی رحمه الله أنه رأی فی کتاب عتیق جمعه بعض محدثی أصحابنا فی فضائل أمیر المؤمنین علیه السّلام هذا الخبر، و وجدته أیضا فی کتاب عتیق مشتمل علی أخبار کثیرة قال: روی عن محمد بن صدقة أنه قال: سأل أبو ذر الغفاری سلمان الفارسی (رضوان الله علیهما) : یا أبا عبد الله ما معرفة أمیر المؤمنین علیه السّلام بالنورانیة؟ قال: یا جندب فامض بنا حتی نسأله عن ذلک، قال: فأتیناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتی جاء، قال علیه السّلام: «ما جاء بکما؟ قال: جئناک یا أمیر المؤمنین نسألک عن معرفتک بالنورانیة. قال علیه السّلام: مرحبا بکما من ولیین متعاهدین لدینه لستما بمقصّرین، لعمری إن ذلک الواجب علی کل مؤمن و مؤمنة، ثم قال علیه السّلام: یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: إنه لا یستکمل أحد الإیمان حتی یعرفنی کنه معرفتی بالنورانیة، فإذا عرفنی بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإیمان و شرح صدره للإسلام، و صار عارفا مستبصرا، و من قصّر عن معرفة ذلک فهو شاک و مرتاب، یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین.

1- 1) البحار ج 26 ص 1.

قال علیه السّلام: معرفتی بالنورانیة معرفة اللّٰه عز و جل، و معرفة اللّٰه عز و جل معرفتی بالنورانیة، و هو الدین الخالص الذی قال اللّٰه تعالی: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِیَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ حُنَفٰاءَ وَ یُقِیمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ یُؤْتُوا اَلزَّکٰاةَ وَ ذٰلِکَ دِینُ اَلْقَیِّمَةِ (1)یقول: ما امروا إلاّ بنبوة محمد صلّی اللّٰه علیه و آله و هو الدین الحنیفیة المحمدیة السمحة، و قوله: یقیمون الصلوة، فمن أقام ولایتی فقد أقام الصلوة، و إقامة ولایتی صعب مستصعب لا یحتمله إلاّ ملک مقرب أو نبی مرسل أو مؤمن امتحن اللّٰه قلبه للإیمان، فالملک إذا لم یکن مقربا لم یحتمله، و النبی إذا لم یکن مرسلا لم یحتمله، و المؤمن إذا لم یکن ممتحنا لم یحتمله. قلت: یا أمیر المؤمنین من المؤمن، و ما نهایته، و ما حدّه حتی أعرفه؟ قال علیه السّلام: یا أبا عبد اللّٰه. قلت: لبیک یا أخا رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و آله. قال: المؤمن الممتحن هو الذی لا یرد من أمرنا إلیه شیء إلاّ شرح صدره لقبوله، و لم یشک و لم یرتب، اعلم یا أبا ذر أنا عبد اللّٰه عز و جل و خلیفته علی عباده، لا تجعلونا أربابا و قولوا فی فضلنا ما شئتم، فإنکم لا تبلغون کنه ما فینا و لا نهایته، فإن اللّٰه عز و جل قد أعطانا أکبر و أعظم مما یصفه و أصفکم، أو یخطر علی قلب أحدکم، فإذا عرفتمونا هکذا فأنتم المؤمنون. قال سلمان: قلت: یا أخا رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و آله و من أقام الصلوة أقام ولایتک؟ قال: نعم یا سلمان تصدیق ذلک قوله تعالی فی الکتاب العزیز: وَ اِسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاٰةِ وَ إِنَّهٰا لَکَبِیرَةٌ إِلاّٰ عَلَی اَلْخٰاشِعِینَ (2)، فالصبر رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و آله و الصلوة إقامة ولایتی، فمنها قال تعالی: وَ إِنَّهٰا لَکَبِیرَةٌ و لم یقل: و إنهما لکبیرة، لأن الولایة کبیر حملها إلاّ علی الخاشعین، و الخاشعون هم الشیعة المستبصرون، و ذلک

ص: 60

1- 1) البینة:5.

2- 2) البقرة:45.

لأن أهل الأقاويل من المرجئة و القدرية و الخوارج و غيرهم من الناصبية يقرّون لمحمد صلّى الله عليه و آله ليس بينهم خلاف، و هم مختلفون فی ولایتی منکرون لذلک جاحدون بها، إلاّ القلیل و هم الذین وصفهم الله فی کتابه العزیز فقال: إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلاّٰ عَلَى اَلْخٰاشِعِينَ (1)و قال الله تعالی فی موضع آخر فی کتابه العزیز فی نبوة محمد صلّی الله علیه و آله و فی ولایتی فقال عز و جل: وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ (2)فالقصر محمد صلّی الله علیه و آله و البئر المعطلة ولایتی عطلوها و جحدوها، و من لم یقر بولایتی لم ینفعه الإقرار بنبوة محمد صلّی الله علیه و آله إلاّ أنهما مقرونان، و ذلک أن النبی صلّی الله علیه و آله نبی مرسل و هو إمام الخلق، و علی من بعده إمام الخلق و وصی محمد صلّی الله علیه و آله کما قال له النبی صلّی الله علیه و اله: أنت منّی بمنزلة هارون من موسی إلاّ أنه لا نبی بعدی، و أولنا محمد و أوسطنا محمد و آخرنا محمد، فمن استکمل معرفتی فهو علی الدین القیم کما قال الله تعالی: وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَةِ (3)و سأبیّن ذلک بعون الله و توفیقه. «یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین صلوات الله علیک، قال: کنت أنا و محمد نورا واحدا من نور الله عز و جل، فأمر الله ذلک النور أن یشق، فقال للنصف: کن محمدا، و قال للنصف: کن علیّا، فمنها قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: علی منی و أنا من علی، و لا یؤدی عنی إلاّ علی، و قد وجّه أبا بکر ببراءة إلی مکة، فنزل جبرئیل علیه السّلام فقال: یا محمد، قال: لبیک، قال: إن الله یأمرک أن تؤدّیها أنت أو رجل عنک، فوجّهنی فی استرداد أبی بکر فرددته، فوجد فی نفسه و قال: یا رسول الله أنزل فیّ القرآن، قال: لا، و لکن لا یؤدی إلاّ أنا أو علی. یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أخا رسول الله، قال علیه السّلام: من لا یصلح لحمل صحیفة یؤدیها عن رسول الله صلّی الله علیه و آله کیف یصلح للإمامة؟ یا سلمان و یا جندب فأنا

ص:61

1- 1) البقرة:45.

2- 2) الحج:45.

3- 3) البینة:5.

و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كنّا نورا واحدا صار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله محمد المصطفى، و صرت أنا وصيه المرتضى، و صار محمد الناطق، و صرت أنا الصامت، و إنه لا بد فى كل عصر من الأعصار أن يكون فيه ناطق و صامت، يا سلمان صار محمد المنذر، و صرت أنا الهادى، و ذلك قوله عز و جل: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ (1)فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنذر و أنا الهادى. اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ وَ مٰا تَغِيضُ اَلْأَرْحٰامُ وَ مٰا تَزْدٰادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ . عٰالِمُ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَةِ اَلْكَبِيرُ اَلْمُتَعٰالِ. سَوٰاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ اَلْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سٰارِبٌ بِالنَّهٰارِ. لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ. . . (2)قال: فضرب عليه السّلام بيده على الأخرى و قال: صار محمد صاحب الجمع، و صرت أنا صاحب النشر، و صار محمد صاحب الجنة، و صرت صاحب النار أقول لها: خذى هذا و ذرى هذا، و صار محمد صلّى اللّه عليه و آله صاحب الرجعة، و صرت أنا صاحب الهدّة، و أنا صاحب اللوح المحفوظ، ألهمنى اللّه عز و جل علم ما فيه. نعم يا سلمان و يا جندب، و صار محمد يس وَ اَلْقُرْآنِ اَلْحَكِيمِ ، و صار محمد ن وَ اَلْقَلَمِ ، و صار محمد طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ ، و صار محمد صاحب الدلالات، و صرت أنا صاحب المعجزات و الآيات، و صار محمد خاتم النبيين، و صرت أنا خاتم الوصيين، و أنا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ ، و أنا النبأ العظيم اَلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ، و لا أحد اختلف إلاّ فى ولايتى، و صار محمد صاحب الدعوة، و صرت أنا صاحب السيف، فصار محمد نبيّا مرسلا، و صرت أنا صاحب أمر النبى صلّى اللّه عليه و آله قال اللّه عز و جل: يُلْقِي اَلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ (3)و هو روح اللّه لا يعطيه و لا يلقى هذا الروح إلاّ على ملك مقرب أو نبى مرسل أو وصى منتجب. فمن أعطاه اللّه هذا الروح، فقد أبانه من الناس، و فوض إليه القدرة و إحياء

ص: 62

1- 1) الرعد:7.

2- 2) الرعد:8-11.

3- 3) غافر:15.

الموتی، و علم مـا کـان و ما یکون، و سار من المشـرق إلی المغرب، و من المغرب إلی المشرق فی لحظـة عین، و علـم ما فی الضـمائر و القلوب، و علم ما فی السـموات و الأرض، یا سـلمان و یا جنـدب، و صار محمـد الـذکر الـذی قال الله عز و جل: قَدْ أَنْزَلَ اَللهُ إِلَیْکُمْ ذِکْراً. رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِ اَللهِ (1). إنی أعطیت علـم المنایا و البلایا، و فصل الخطاب، و اسـتودعت علم القرآن و ما هو کائن إلی یوم القیامة، و محمـد صـلّی الله علیه و آله أقـام الحجـة حجـة للناس، و صـرت أنا حجـة الله عز و جل، جعل الله لی ما لم یجعل لأحـد من الأولین و الآخرین لا لنبی مرسل و لا لملک مقرب، یا سـلمان و جنـدب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: أنا الـذی حملت نوحا فی السـفینة بأمر ربی، و أنا الـذی أخرجت یونس من بطن الحوت بإذن ربی، و أنا الـذی جاوزت بموسـی بن عمران البحر بإذن ربی، و أنا الذی أخرجت إبراهیم من النار بإذن ربی، و أنا الذی أخرجت أنهارها، و فجرت عیونها، و غرست أشـجارها بإذن ربی. و أنا عذاب یوم الظلة، و أنا المنادی من مکان قریب، قد سمعه الثقلان الجن و الإنس و فهمه قوم، إنی لأسمع کل قوم، الجبارین و المنافقین بلغاتهم، و أنا الخضر عالم موسـی، و أنا معلم سلیمان بن داود، و أنا ذو القرنین، و أنا قدرة الله عز و جل، یا سلمان و یا جندب أنا محمد و محمد أنا، و أنا من محمد و محمـد منّی، قال الله تعالی: مَرَجَ اَلْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ. بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ (2). یا سـلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال: إن میتنا لم یمت، و غائبنا لم یغب، و إن قتلانا لن یقتلوا، یا سـلمان و یا جنـدب، قالا: لبیک صـلوات الله علیک، قال علیه السّلام: أنا أمیر کل مؤمن و مؤمنة ممن مضـی و ممن بقی، و أیدت بروح العظمة، و إنما أنا عبد من عبید الله، لا تسـمونا أربابا و قولوا فی فضـلنا ما شئتم، فإنکم لن تبلغوا

1- 1) الطلاق:10 و 11.

2- 2) الرحمن:19 و 20.

من فضـلنا كنه مـا جعله الله لنا و لا معشار العشـر، لأنا آيات الله و دلائله، و حجـج الله، و خلفاؤه و أمناؤه و أئمته، و وجه الله، و عين الله، و لسان الله. بنا يعذب الله عباده، و بنا يثيب، و من بين خلقه طهرنا و اختارنا و اصـطفانا، و لو قال قائل: لم و كيف و فيم، لكفر و أشرك لأنه لا يسأل عما يفعل و هم يسألون يا سـلمان و يا جندب، قالا: لبيک يا أمير المؤمنين صـلوات الله عليک، قال عليه السّلام: من آمن بما قلت، و صدق بما بينت و فسـرت و شرحت و أوضحت و نورت و برهنت فهو مؤمن ممتحن، امتحن الله قلبه للإيمان، و شرح صدره للإسلام، و هو عارف مستبصـر، قد انتهى و بلغ و كمل، و من شکّ و عند و جحد و وقف و تحيّر و ارتاب فهو مقصر و ناصب. يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيـک يـا أمير المؤمنين صـلوات الله عليک، قال عليه السّـلام: أنا أحيى و أميت بإذن ربى، و أنا أنبئكم بما تأكلون و ما تـدخرون فى بيوتكم بـإذن ربى، و أنا عالم بضـمائر قلوبكم. و الأئمـة من أولادى عليهم السّـلام يعلمون و يفعلون هـذا إذا أحبّوا و أرادوا، لأنا كلنا واحـد، أولنا محمد، و آخرنا محمد، و أوسـطنا محمد، و كلّنا محمد، فلا تفرقوا بيننا، و نحن إذا شـئنا شاء الله، و إذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل لمن أنكر فضـلنا و خصوصـيتنا، و ما أعطانا الله ربّنا، لأن من أنكر شـيئا مما أعطانا الله، فقد أنكر قدرة الله عز و جل و مشـيّته فينا. يا سـلمان و يا جندب، قالا: لبيک يا أمير المؤمنين صلوات الله عليک، قال عليه السّلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل و أعظم و أعلى و أكبر من هذا كلّه. قلنا: يا أمير المؤمنين ما الـذى أعطاكم، ما هو أعظم و أجلّ من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عز و جل علمنا للاسم الأعظم، الذى لو شـئنا خرقت السـموات و الأرض و الجنة و النار و نعرج به إلى السـماء، و نهبط به الأرض، و نغرّب و نشرّق، و ننتهى به إلى العرش، فنجلس عليه بين يدى الله عز و جل، و يطيعنا كل شىء حتى السموات، و الأرض، و الشمس، و القمر، و النجوم، و الجبال، و الشجر،

و الدواب و البحار و الجنة و النار. أعطانا الله ذلک کله بالاسم الأعظم، الذی علمنا و خصّنا به، و مع هذا کله نأکل و نشرب، و نمشی فی الأسواق، و نعمل هذه الأشیاء بأمر ربنا، و نحن عباد الله المکرمون الذین لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، و جعلنا معصومین مطهّرین، و فضّلنا علی کثیر من عباده المؤمنین، فنحن نقول: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِی هَدٰانٰا لِهٰذٰا وَ مٰا کُنّٰا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لاٰ أَنْ هَدٰانَا اَللّٰهُ. وَ لٰکِنْ حَقَّتْ کَلِمَةُ اَلْعَذٰابِ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ ، أعنی الجاحدین بکل ما أعطانا الله من الفضل و الإحسان. یا سلمان و یا جندب فهذه معرفتی بالنورانیة، فتمسّک بها راشدا، فإنه لا یبلغ أحد من شیعتنا حدّ الاستبصار حتی یعرفنی بالنورانیة، فإذا عرفنی بها کان مستبصرا بالغا کاملا، قد خاض بحرا من العلم، و ارتقی درجة من الفضل، و اطّلع علی سرّ من سرّ الله و مکنون خزائنه» . أقول: هذا إذا فسّرت الآیات بالمعجزات، و إن فسّرت بالآیات القرآنیة فمعناه: إن تفاسیرها المتعددة من ظاهر و ظاهر إلی سبعة، و من باطن و باطن باطن إلی سبعة، و من تأویل و باطن کذلک کلها عندهم علیهم السّلام و کذلک ما یراد منها من أمر و نهی، و دعاء و ترغیب و ترهیب، و قصص و أمثال و أخبار، و حدّ و مطلع، و عبارة و إشارة، و تلویح و تصریح، و إیماء و مجمل و مبیّن، و عام و خاص، و ناسخ و منسوخ، و ماض و حال و مستقبل کلها عندهم، و أیضا قد یراد منها شیء لشیء، و شیء من شیء، و شیء إلی شیء، و شیء فی شیء، و شیء بشیء، و شیء بدل شیء، و هذه کلها علمها و معرفتها عندهم علیهم السّلام. و إلیه یشیر ما

فی قول الصادق علیه السّلام: «إنما یعرف القرآن من خوطب به» . و أیضا قد یراد منها الحقیقة أو المجاز، أو حقیقة بعد حقیقة، و مجاز بعد مجاز، و مجاز بعد حقیقة، و حقیقة بعد مجاز، و محکم و ظاهر، و متشابه و مرجوح و متساوی، و إبهام و إیهام، و اختیار و تعمیة، و فتنة و مخادعة و غیر ذلک مما اشتملت

علیه آیات القرآن فکلها عندهم. و الحاصل: أن علوم القرآن بأجمعها و أقسامها المذکورة عندهم علیه السّلام.

ففی المحکی عن العیاشی بإسناده عن حمران بن أعین، عن أبی جعفر علیه السّلام: «ظهر القرآن الذی نزل فیهم و بطنه الذین عملوا بمثل أعمالهم» . فهذه الروایة دلت علی أن القرآن ظهره هو بالنظر إلی الذین نزل فیهم، و هم مصداقه حین النزول، و بطنه من کانوا بمثلهم فی المتأخرین، فإنهم مصداق له باطنا و تأویلا، و بیان هذه مع ما قلنا من أقسامه کلها عندهم علیهم السّلام.

ففی الکافی (1)باب أنه لم یجمع القرآن کله إلاّ الأئمة علیهم السّلام و أنهم یعلمون علمه کله، بإسناده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «ما ادّعی أحد من الناس أنه جمع القرآن کله کما أنزل إلاّ کذّاب، و ما جمعه و حفظه کما نزّله الله تعالی إلاّ علی بن أبی طالب علیه السّلام و الأئمة من بعده علیهم السّلام» .

و فیه عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: «ما یستطیع أحد أن یدعی أن عنده جمیع القرآن کله ظاهره و باطنه غیر الأوصیاء علیهم السّلام» . أقول: قال بعض الأعاظم رحمه الله:

قوله علیه السّلام: إن عنده القرآن کله. . إلخ ، الجملة و إن کانت ظاهرة فی لفظ القرآن، و مشعرة بوقوع التحریف فیه لکن تقییدها بقوله: ظاهره و باطنه، یفید أن المراد هو العلم بجمیع القرآن من حیث معانیه الظاهرة علی الفهم العادی، و معانیه المستنبطة علی الفهم العادی. . . إلخ. أقول: بل المراد هو الإشارة إلی معانیة الباطنیة، التی لا تصل إلیه أوهام العقلاء، و إن بلغوا من العلم إلی منتهاه الظاهری، و إلیه یشیر قوله علیه السّلام: ما یستطیع أحد. . . إلخ، و لا نظر له علیه السّلام (و الله العالم) إلی مسألة التحریف، لأن قوله علیه السّلام: ظاهره، ظاهر فی أن ظاهره أیضا دقیق، و من حیث المجموع لا یکون مقدور أحد فی الاستظهار و الاستفادة کما هو المراد الإلهی، فتدبر.

ص: 66

1- 1) الکافی ج 1 ص 228.

و فیه عن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «إن من علم ما أوتینا تفسیر القرآن و أحکامه، و علم تغییر الزمان و حدثانه إذا أراد الله بقوم خیرا أسمعهم، و لو أسمع من لم یسمع لولی معرضا کأن لم یسمع، ثم أمسک هنیئة، ثم قال: و لو وجدنا أوعیة أو مستراحا لقلنا و الله المستعان» .

و فیه عن عبد الأعلی مولی آل سام قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «و الله إنی لأعلم کتاب الله، من أوله إلی آخره فی کفّی، فیه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر ما کان و خبر ما هو کائن، تبیانا لکل شیء. أقول: هذا اقتباس منه علیه السّلام معنوی من قوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (1).

و فیه عن عبد الرحمن بن کثیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال:

قٰالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ

(2)

قال: ففرّج أبو عبد الله علیه السّلام بین أصابعه فوضعها فی صدره ثم قال: «و عندنا و الله علم الکتاب کله» .

و فیه عن برید بن معاویة قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (3)قال: «إیانا عنی، و علی أولنا و أفضلنا و خیرنا بعد النبی صلّی الله علیه و آله» . أقول: بل یمکن أن یقال: إن المراد من الآیات فی

قوله علیه السّلام: و آیات الله لدیکم، هو جمیع الآیات النازلة فی الکتب الإلهیة من القرآن و غیره.

ففی الکافی (4)عن هشام بن الحکم فی حدیث بریه (أو بریهة کما فی سائر النسخ) أنه لما جاء معه إلی أبی عبد الله علیه السّلام فلقی أبا الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام فحکی له

1- 1) النحل:89.

2- 2) النمل:40.

3- 3) الرعد:43.

4- 4) الکافی ج 1 ص 227.

هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السّلام لبريه: «يا بريه! كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقنى بعلمى فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السّلام يقرأ الإنجيل، فقال بريه: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن بريه و حسن إيمانه، و آمنت المرأة التى كانت معه. فدخل هشام و بريه و المرأة على أبى عبد الله عليه السّلام، فحكى له هشام الكلام الذى جرى بين أبى الحسن موسى عليه السّلام و بين بريه، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، فقال بريه: أنّى لكم التوراة و الإنجيل و كتب الأنبياء؟ قال: «هى عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرءوها، و نقولها كما قالوا، إن الله لا يجعل حجة فى أرضه، يسأل عن شىء فيقول لا أدرى» . أقول: فمن هذا الحديث و أضرابه يعلم أن جميع الآيات و الكتب الإلهية عندهم، كما حقق فى محله أيضا، و كيف كان فعندهم جميع الآيات، كيف لا و إن جميع الآيات الإلهية فى الكتب المنزلة إنما هى دلالات للأسماء الحسنى الإلهية إلى اسم الله الأعظم، الذى ليس فى عالم الوجود شىء إلاّ و هو صورة منه، أو أثر من آثاره، و قد علمت مرارا

قولهم عليهم السّلام: «و الله نحن الأسماء الحسنى» ؟

ففى الكافى (1)بإسناده عن جابر، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا، و إنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف واحد عند الله تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوة إلاّ بالله العلى العظيم» . أقول: و حينئذ فالآيات التى هى آثار للاسم الأعظم الذى هو عندهم تكون لديهم بحقائقها و آثارها كما لا يخفى.

1- 1) الكافى ج 1 ص 230.

إذا علمت هذا فاعلم:

أنه ذكر المجلسى رحمه الله فى البحار عن الاحتجاج: جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و قال: لو لا ما فى القرآن من الاختلاف و التناقض، لدخلت فى دينكم، فقال له على عليه السّلام: و ما هو؟ فذكر آيات رأى تناقضها مع آيات أخرى، فأجاب عليه السّلام عن كل منها بما يدفع به التناقض المتراءى فى النظر فى الظاهر، إلى أن قال عليه السّلام: «ثم إن الله جل ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه، و علمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلاّ من صفا ذهنه، و لطف حسّه، و صحّ تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلاّ الله و أمناؤه الراسخون فى العلم. و إنما فعل ذلك لئلا يدعى أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله صلّى الله عليه و آله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار لمن ولاه أمرهم، فاستكبروا عن طاعته تعززا و افتراء على الله عز و جل، و اغترارا بكثرة من ظاهرهم و عاونهم، و عاند الله جل اسمه و رسوله صلّى الله عليه و آله» الحديث.

و فيه (1)عن التوحيد بإسناده عن أبى معمر السعدانى: أن رجلا أتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى شككت فى كتاب الله المنزل، قال له على عليه السّلام: «ثكلتك أمّک، و كيف شككت فى كتاب الله المنزل؟ فذكر موارد شكّه من الآيات التى رآها متناقضة مع الأخرى، فأجاب عليه السّلام عنها. . . إلى أن قال: و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكل الناس، لأن منهم القوى و الضعيف، و لأن منه ما يطاق حمله، و منه ما لا يطاق حمله، إلاّ أن يسهّل الله له حمله، و أعانه عليه من خاصة أوليائه» ، الحديث. فالمستفاد من هذين الحديثين و أشباههما أن بعض الآيات خصوصا المتشابهات، لا يعلمها أحد إلاّ الله و الراسخون فى العلم و هم الأئمة عليهم السّلام على ما تأتى أحاديثه، و كذا بالنسبة إلى باطن القرآن و تأويله، فلا محالة يختص واقع الآيات

1- 1) الكافى ج 1 ص 127.

القرآنیة بهم فی المتشابهات، بل و فی المحکمات حسب ما یری من تفسیرهم علیهم السّلام لها باعتبار الحروف و سایر الجهات، کما ستأتی الإشارة إلیه، فیعلم منها أن الآیات بواقعها و حقائقها خصوصا فی المتشابهات و البطون منها إنما هی لدیهم، و أما غیرهم فإما لا یعلمونها کالقسم الثالث، الذی أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الحدیث الأول، و إما لا یعلمها إلاّ من صفا ذهنه، إلی آخر ما ذکره علیه السّلام بل ربما لا یعلم معانی الآیة من کان ضعیفا فی الاحتمال کما ذکره علیه السّلام فی الحدیث الثانی، فحینئذ صح القول: إنّ آیات الله لدیهم. و حیث إن هذا بحث کثیر الفوائد لا بأس بتطویل الکلام فیه، لیتضح الحق فنقول: إنه قد وردت أحادیث کثیرة بألسنة مختلفة علی أنه لا یجوز تفسیر القرآن بالرأی، بل لا بد من متابعة ما ورد من أهل بیت العصمة و الطهارة.

ففی البحار عن منیة المرید عن النبی صلّی الله علیه و آله: «من تکلم فی القرآن برأیه فأصاب فقد أخطأ» .

و عن الکافی، عن الصادق، عن أبیه علیهما السّلام قال: «ما ضرب القرآن بعضه ببعض إلاّ کفر» .

و روی العامة عن ابن عباس، عن النبی صلّی الله علیه و آله أنه قال: «من قال فی القرآن بغیر علم فلیتبوء مقعده من النار» .

و فی البحار (1)عن أمالی الصدوق بإسناده عن الریان، عن الرضا علیه السّلام عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: قال الله جلّ جلاله: «ما آمن بی من فسّر برأیه کلامی، و ما عرفنی من شبّهنی بخلقی، و ما علی دینی من استعمل القیاس فی دینی» .

و فیه عن أمالی الصدوق و التوحید و عیون أخبار الرضا علیه السّلام بإسناده عن الهروی قال: قال الرضا علیه السّلام لعلی بن محمد الجهم: «لا تتأوّل کتاب الله عز و جل

1- 1) البحار ج 92 ص 107.

برأیک، فإن الله عز و جل یقول: وَ مٰا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِی اَلْعِلْمِ. . . » .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «لیس شیء أبعد من عقول الرجال من تفسیر القرآن، إن الآیة تنزل أولها فی شیء، و أوسطها فی شیء، و آخرها فی شیء ثم قال: إِنَّمٰا یُرِیدُ اَللّٰهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً من میلاد الجاهلیة» .

و فیه عنه، عن أبی الجارود قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، فإن الرجل ینزع بالآیة فیخر بها أبعد ما بین السماء و الأرض» .

و فیه عن منیة المرید، عن النبی صلّی الله علیه و آله قال: «من قال فی القرآن بغیر علم، فلیتبوء مقعده من النار» ،

و قال صلّی الله علیه و آله: «من تکلم فی القرآن برأیه فأصاب فقد أخطأ»

و قال صلّی الله علیه و آله: «من قال فی القرآن بغیر ما علم، جاء یوم القیامة ملجما بلجام من نار» ،

و قال صلّی الله علیه و آله: «أکثر ما أخاف علی أمتی من بعدی رجل یتأوّل القرآن یضعه علی غیر موضعه» .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن عمار بن موسی، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «سألت عن الحکومة قال: من حکم برأیه بین اثنین فقد کفر، و من فسّر آیة من کتاب الله فقد کفر» .

و فی المحکی عن الکافی، عن الصادق علیه السّلام أنه قال لأبی حنیفة: «أنت فقیه أهل العراق؟ قال: نعم، قال: بم تفتیهم؟ قال: بکتاب الله و سنة نبیه صلّی الله علیه و آله، قال: یا أبا حنیفة تعرف کتاب الله حقّ معرفته، و تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم، قال: یا أبا حنیفة لقد ادعیت علما ویلک ما جعل الله ذلک إلاّ عند أهل الکتاب، الذین أنزل علیهم ویلک و لا هو إلاّ عند الخاص من ذریة نبینا محمد صلّی الله علیه و آله و ما ورثک الله من کتابه حرفا» .

و عن الکافی بإسناده إلی زید الشّحام قال: دخل قتادة بن دعامة علی أبی

جعفر علیه السّلام فقال: «یا قتادة أنت فقیه أهل البصرة؟ فقال: هکذا یزعمون، فقال أبو جعفر علیه السّلام: بلغنی أنک تفسّر القرآن، فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: فإن کنت تفسّره بعلم فأنت أنت و أنا أسألک، إلی أن قال أبو جعفر علیه السّلام: ویحک یا قتادة إن کنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسک فقد هلکت و أهلکت، و إن کنت قد فسرته من الرجال فقد هلکت و أهلکت. . إلی أن قال: ویحک یا قتادة إنما یعرف القرآن من خوطب» .

و عن أمیر المؤمنین فی خطبة له علیه السّلام قال علیه السّلام: «إن علم القرآن لیس یعلم ما هو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، و بصر به عماه، و سمع به صممه، و أدرک به ما قد فات و حیی به بعد إذا مات، فاطلبوا ذلک من عند أهله و خاصته فإنهم خاصته نور یستضاء به أئمة یقتدی بهم، هم عیش العلم، و موت الجهل، و هم الذین یخبرکم حلمهم عن علمهم، و صمتهم عن منطقهم، و ظاهرهم عن باطنهم، لا یخالفون الحق و لا یختلفون» الخطبة، و قد ذکر بعضها فی النهج. أقول: قال بعض الأعاظم: اعلم أن المفسر إما أن یفسّر ظاهر القرآن أو إشاراته و دقائقه و بواطنه، فالقسم الأول من التفسیر من ترجمة المراد من الألفاظ، و ما استعمل فیها، و بیان ما هو المقصود من الکلام ابتداء الذی هو الشایع المعروف فی کتب التفسیر، فإن القرآن عبارة عن ألفاظ و کلمات عربیة مؤلفة علی النهج العربی، فکما أن لکل کلام عربی معنی إذا عرض علی عرف العرب، فهم منه ذلک المعنی بعد ملاحظة مساق الکلام و خصوصیاته، و سایر القرائن الحالیة و المقالیة المتصلة و المنفصلة، کذلک آیات القرآن و جمله إذا عرضت علیهم بجمیع الخصوصیات، التی هی علیها و ملاحظة القرائن المتصلة و المنفصلة یفهمون منها معان خاصة بملاحظة معانی المفردات و خصوصیات الإعراب و التألیف، و مساق الکلام و القرائن المکتنفة باللفظ و غیرها. و کل کلام تام بأیّ لغة کانت إذا عرض علی العارف بتلک اللغة یفهم منه معنی،

و يحكم بأنه هو معنى ذلک الكلام، و لا شک فى أن ظاهر القرآن كلام عرفى نزل بلغة العرب، و طريقة العقلاء و المسلمين خصوصا جارية على حمل كل كلام على الظاهر المتبادر منه بعد ملاحظة جميع الخصوصيات، و لعل مثل هذه الترجمة لا يعد تفسيرا فضلا عن كونه تفسيرا برأى، فقد ذكر بعض العلماء أن التفسير أصله الكشف و الإظهار و كذلک ساير تقاليبه، و من ذلک سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها. إلى أن قال: فلا يبعد أن يكون التفسير هو بيان كلام لا يفيد بنفسه ذلک المعنى، فيكون مساوقا لتعيين الجمل و كشف المغلق، نعم لا يبعد اندراج ما دلّت عليه القرائن الخفية فيه (أى فى التفسير) باعتبار إظهار تلک القرينة، و أما بعد الالتفات إليها، فإن كانت معتبرة عند العقلاء كانت كسائر القرائن الظاهرة و إلاّ لم يصح الاعتماد عليها، و بالجملة فكل آية لها ظاهر معنى لفظى بملاحظة جميع الخصوصيات، فهو حجة فيه على ما فصل فى علم الأصول فيصح تفسيرها به. . إلى أن قال ما ملخصه: أن الأمر بالتمسک بالثقلين (أى القرآن و العترة) يشير إلى التمسک بظاهر القرآن، الذى هو حجة فيما يتبادر منه بنحو ما قلنا، و كذلک الأحاديث الواردة فى عرض الأخبار عند التعارض على الكتاب العزيز، و الأخذ بما وافقه و هى كثيرة جدا مذكورة فى محله. فالمستفاد من هذه الأخبار أن القاعدة الشرعية هو إرجاع الأخبار إلى الكتاب، و جعل الميزان منها عند التعارض هو الكتاب مطلقا، و الأخذ بما وافقه و أشبهه، و طرح ما خالفه أو لا يشبهه بل و ما لا يوافقه و ما لا يخالفه إذا لم تكن مستجمعة لشرائط الحجية، و العجب من جماعة عكسوا الأمر فلم يأخذوا بالكتاب بنفسه أصلا، و جعلوا الحديث ميزانا للكتاب. أقول: أى فى الأخذ بالظاهر من الكتاب ضرورة أن ظاهر الكتاب بنحو بيناه يكون حجة، فهو المرجع بهذه الجهة لإرجاع المتعارضين إليه، و لا يحسن حينئذ جعل الحديث ميزانا و إرجاع الكتاب إليه، نعم بالنسبة إلى التفسير و المعانى

الباطنیـة للقرآن، فالمرجع فیها هو الحـدیث الـذی یکون حجة کما لا یخفی، بل لا بد من رد متشابهات القرآن إلی محکماته، فکما أنه یرد متشابهات الأخبار و متعارضاتها إلیه (أی الظاهر منه) بنحو ما ذکرناه، کذلک یرد متشابهات القرآن إلی محکماته.

فقد روی عن أبی حیون مولی الرضا علیه السّلام قال: من ردّ متشابه القرآن إلی محکمه، فقد هدی إلی صراط مستقیم. ثم قال علیه السّلام: «إن فی أخبارنـا محکمـا کمحکم القرآن، و متشابهـا کمتشـابه القرآن، فردوا متشابههـا إلی محکمهـا، و لا تتبعوا متشابههـا دون محکمها فتضلّوا» . فانظر إلی هذا الحدیث الشریف کیف سوی بین الکتاب و الحدیث فی الاشتمال علی القسمین (أی المتشابه و المحکم) و کیف حکم فی کل منها بحکم واحد، و هو ردّ المتشابه فیها إلی المحکم، فإن کان الاشـتمال علیهما مانعا عن الحجیة عمّ المقامین (أی الکتاب و الخبر) . و بعبـارة أخری: إن المحکم منهمـا حجـة فیهما، و المتشابه فیهما لا بـدّ من رده إلی المحکم منهما، فما کان منهما حجـة و هو المحکم منهما، أو ما کان غیر حجة منهما و هو المتشابه یکون بنحو واحد کما لا یخفی. ثم إن الأمر بالأخذ بظاهر القرآن

کقوله علیه السّلام: «فیمن عثر فانقطع ظفره» ، أنه یعرف هذا و أشباهه من کتاب الله کقوله تعالی: مٰا جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی اَلدِّینِ مِنْ حَرَجٍ

و کقوله علیه السّلام من: «إن الله لا یخاطب الخلق بما لا یعلمون» ، معلوم من الأخبار، و هو ناظر إلی ما قلنا من الإرجاع إلی محکماته، التی هی الحجة دون المتشابه، و حینئذ نقول: فما أحدثه بعض الأخباریین من عدم جواز اسـتنباط العلوم من القرآن بعید عن إصابة الحق و الصواب، و لعله کفران بهـذه النعمـة العظیمة، التی أنعم الله سـبحانه علی عباده، حیث أنزل إلیهم کتابا جامعا لأنواع المعارف، لیدبّروا آیاته کما أمرهم بذلک، و لیتذکر أولو الألباب، و أنه آیات بینات لا إجمال و لا ریب

فیه. کیف و الإجمال و الإغلاق و عدم وفاء اللفظ بالمراد نقص فی الکلام، و مناف لبلاغة الکلام، و کلام الله سبحانه منزه عن کل نقص و هو کامل تامّ، نعم لا بد فی الأخذ بظاهر القرآن و المعنی الذی یتبادر منه عرفا من الاطلاع علی معانی المفردات، و قوانین تألیفها، و ملاحظة القرائن الحالیة و المساقیة و المقالیة، و جمیع دقائق الکلام و البحث عن القرائن المنفصلة من الأحادیث، و سائر الأدلة العقلیة و النقلیة. فأما حمل القرآن علی معنی من دون اطلاع علی القواعد اللفظیة، أو عدم الالتفات إلی القرائن و الدقائق اللفظیة، أو عدم البحث عن القرائن المفصلة، و ملاحظة الناسخ من المنسوخ و المجمل و المفصل و غیرهما، أو تخصیص شیء منها بمورد خاص بملاحظة استحسان عقلی، أو نکتة غیر عرفیة، أو محض میل نفسه إلیه أو تعصب لمذهبه أو تقلید مفسّر غیر معصوم فیما لم یؤخذ عن المعصوم، أو خیال سبق إلی ذهنه، أو قاعدة خارجیة فاسدة إلی غیر ذلک، أو حمل اللفظ المحتمل لوجهین أو وجوه علی معنی الأمور المشار إلیها من القیاس و الاستحسان و المیل النفسانی و نحوها. أو تصرف آخر غیرها (أی غیر المذکورة من هذه الأقسام) بواحد منها (أی من هذه الأقسام) کما هو کثیر من تفسیرات المفسرین فهو غیر صحیح، و فیها یتحقق تفسیر القرآن بالرأی، و ضرب بعض القرآن ببعض الموجب للکفر و القول فی القرآن بغیر علم، و من دون سؤال العلماء آل محمد صلّی الله علیه و آله مع التمکن منه، کما هو شأن قتادة و أبی حنیفة و أضرابهما، و الأخذ فی الدین بالهوی و المقاییس و التفسیر من تلقاء النفس و عن الرجال، و الخوض و المجادلة و التکلم فی القرآن بغیر علم، و اتباع المتشابه و ظنی التأویل و انتزاع الآیة الذی یخربه أبعد من السماء، و الغفلة عن نزول أول الآیة فی شیء و آخرها فی شیء و غیرها. ثم إن ما ذکرناه من أن الأخذ بظاهر القرآن إنما هو بعد الإحاطة بالقواعد

اللفظیة مع الشروط المتقدمة من الفحص عن القرائن المنفصلة، و الدلیل المعارض إلی غیر ذلک مما تقدم، فإنما هو بلحاظ عالم ألفاظ القرآن، و نشره المعبر عنه فی الأحادیث بالتنزیل، و إلاّ فللقرآن مراتب کثیرة خارجة عن قدرة العامة من الناس، کیف و قد عرفت أنه علی ثلاثة أقسام: قسم منه للعارف و الجاهل، و قسم منه لمن صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمییزه، و هذا القسم خارج من القسم الأول، بل القسم الأول بالنسبة إلیه کالقطرة بالنسبة إلی البحر. و کیف کان فالعالم بالقواعد اللفظیة، و بما یتوقف علیه إعمال الألفاظ یکون شأنه مقصورا علی اللفظ، و لیس له التعدی إلی الاستمداد بنفسه لشیء من ینابیع القرآن و بحوره، التی لا یدرک غورها إلاّ من کان ممن وصفه علیه السّلام

بقوله: من صفا ذهنه. . . إلخ، و هذا القسم بالنسبة إلی القسم الثالث المشار إلیه

بقوله علیه السّلام: و قسما لا یعرفه إلاّ الله و أمناؤه الراسخون فی العلم، فإن هؤلاء ممن نستدل بهم علی ربنا، و نستنصحهم علی أنفسنا، و نتّهم علیهم آراءنا، و نجعلها تبعا لهم، و نستغش بهم أ هواءنا، فلا نری لها فی قبالهم شأنا، فإن هؤلاء أی (الأمناء الراسخون) ممن یأخذون المعانی و الحقائق من القرآن، فهم بلحاظ هذه الجهة حجج الله تعالی علینا و لیس هم إلاّ الأئمة علیهم السّلام. و تقدمت الأحادیث عن الکافی و غیره بما دلّ علی أن القرآن بتمامه إنما هو عندهم علیهم السّلام و إن من ادعی ذلک من غیرهم فهو کذّاب، بل لا یحصی و لا یعلم جمیع مراتب صرف واحد من القرآن غیرهم علیهم السّلام أو من علّموه من خواص شیعتهم حسب إمکان درکه و ظرفیة وجوده.

ففی البحار: و ذکر أبو عمر الزاهد، و اسمه محمد بن عبد الواحد فی کتابه بإسناده: أن علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: «یا بن عباس إذا صلیت العشاء الآخرة فالحقنی إلی الجبان، قال: فصلیت و لحقته و کانت لیلة مقمرة، قال: فقال لی: ما تفسیر الألف من الحمد؟ قال: فما علمت حرفا أجیبه، فتکلّم فی تفسیرها ساعة تامّة، قال: ثم قال

لی: فما تفسیر اللام من الحمـد؟ قال: فقلت: لا أعلم، فتکلّم فی تفسیرها ساعـة تامة، قال: ثم قال: ما تفسـیر المیم من الحمد؟ فقلت: لا أعلم، قال: فتکلم فیها ساعـة تامـة، قال: ثم قال: ما تفسیر الـدال من الحمد؟ قال: قلت: لا أدری، قال: فتکلم فیها إلی أن برق عمود الفجر، قال: فقال لی: قم أبا عباس إلی منزلک و تأهب لفرضک، قال أبو العباس عبـد الله بن العباس: فقمت و قد وعیت کل ما قال، ثم تفکرت فإذا علمی بالقرآن فی علم علی علیه السّلام کالقرارة فی المتغنجر (أی کالغدیر فی جنب البحر کذا قیل)» .

و فیه: و روی النقاش أیضا حدیث تفسیر لفظة الحمد، فقال بعد إسناده عن ابن عباس قال: قال لی علی علیه السّلام و ساق الحدیث. . . إلی أن قال بعد سؤاله عن اللام، ثم قال: فما تفسیر الحاء من الحمد؟ قال: فقلت: لا أعلم، قال: فتکلم فی تفسیرها ساعة تامة.

و فیه (1)، أسرار الصلوة، قال علی علیه السّلام: «لو شئت لأوقرت سبعین بعیرا من تفسیر فاتحة الکتاب» .

و فیه عن درة الباهرة قال الصادق علیه السّلام: «کتاب الله عز و جل علی أربعة أشیاء، علی العبارة و الإشارة، و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص، و اللطائف للأولیاء، و الحقائق للأنبیاء» . فالمسـتفاد من هذه الأحادیث أن علم القرآن، و علم إشاراته و لطائفه و حقـائقه، إنمـا هی عنـدهم بأجمعهـا، و إن من شـارکهم فیهـا من غیرهـم، فإنما هو بالنسـبة إلی ما علموه أقل القلیل، مضافا إلی أنه یکون مأخوذا منهم علیهم السّلام و لا یکون لأحد الإحاطة بجمیع جهات القرآن حتی من الجهات الظاهریة إلاّ لهم علیهم السّلام.

ففیه: قال السید ابن طاووس رحمه الله فی کتاب سعد السعود: روی یوسف بن

1- 1) البحار ج 92 ص 103.

عبد الله بإسناده عن أبی الطفیل قال: شهدت علیا علیه السّلام یخطب و هو یقول: «سلونی فو الله لا تسألونی عن شیء إلاّ أخبرتکم، و اسألونی عن کتاب الله، فو الله ما من آیة إلاّ و أنا أعلم بلیل نزلت أم بنهار أم فی سهل أم فی جبل» .

قال المجلسی رحمه الله: أقول: و قال: أبو حامد الغزالی فی کتاب بیان العلم اللدنی فی وصف مولانا علی بن أبی طالب علیه السّلام ما هذا لفظه: و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام إن رسول الله صلّی الله علیه و آله «دخل لسانه فی فمی فانفتح فی قلبی ألف باب من العلم، مع کل باب ألف باب، و قال (صلوات الله علیه) : لو ثنیت لی وسادة و جلست علیها، لحکمت لأهل التوراة بتوراتهم، و لأهل الإنجیل بإنجیلهم، و لأهل القرآن بقرآنهم» . و هذه المرتبة لا تنال بمجرد العلم، بل یتمکن المرء فی هذه الرتبة بقوة العلم اللدنی. . . إلخ. فتحصل مما ذکرنا: أن القرآن باعتبار الألفاظ یکون علمه للکل مع تلک الشرائط، و باعتبار الحقائق و البطون بما هو هو من حقیقة تمثل الوحی الإلهی، فإنما هو عند النبی صلّی الله علیه و آله و الأئمة علیهم السّلام و بین المرتبتین مرتبة بل مراتب کثیرة تکون للأولیاء المشار إلیهم فی حدیث الصادق علیه السّلام و فی حدیث أمیر المؤمنین علیه السّلام المشار إلیه بالقسم الثانی، و لعل المراد منهم الخواص الکاملون من الشیعة، مع ما لهم من المراتب المتعددة فی ذلک کما لا یخفی، فهؤلاء هم المنزفون بحرا لا ینزف و الماتحون عیونا لا تنضب، و الواردون مناهل لا تغاض، و السافرون منازل لا یضل نهجها، و السائرون أعلاما لا یعمی عنها، و القاصدون آکاما لا یجاز عنها. و کیف کان فالعلماء فیه ریّ عطشهم، و الفقهاء فیه ربیع قلوبهم، و الصلحاء فیه محاجّ طرقهم، و المستأنسون بالله به و بتلاوته کیفیة أنسهم، و مع هذا کله فقد علمت أن حقائقها الحقة الإلهیة إنما هی عندهم لا غیرهم، و هذا معنی

قوله علیه السّلام:

«و آیات الله لدیکم»

، أی الآیات القرآنیة بواقعها الإلهی تکون لدیکم، کیف و أنت إذا تأملت فیما قدمناه علمت أن الحقائق القرآنیة لیست شریعة لکل وارد، و لا یطلع علیها إلاّ

من علموه و منحوه ذلک. بقی الکلام فی بیان ما ربما یکون وجها فی اختصاص معانی وجوه الآیات و التنزیل و التأویل، و الظهر و البطن، و الحد و المطلع، و المحکم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و البطون و التأویل و غیر ذلک بهم علیهم السّلام فإن الأحادیث الکثیرة دلت علی ذلک، و نحن نذکر بعضها، ثم نعقب ببیان ذلک الوجه فنقول:

فی البحار (1)عن المحاسن بإسناده عن جابر بن یزید الجعفی، قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن شیء من التفسیر فأجابنی، ثم سألته عنه ثانیة فأجابنی بجواب آخر، فقلت: جعلت فداک، کنت أجبتنی فی هذه المسألة بجواب غیر هذا قبل الیوم! فقال: «یا جابر إن للقرآن بطنا و للبطن بطن، و له ظهر و للظهر ظهر، یا جابر لیس شیء أبعد من عقول الرجال من تفسیر القرآن، إن الآیة یکون أولها فی شیء و آخرها فی شیء، و هو کلام متصل منصرف علی وجوه» .

و فیه عن معانی الأخبار بإسناده عن حمران بن أعین قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن ظهر القرآن و بطنه، فقال: «ظهره الذین نزل فیهم القرآن، و بطنه الذین عملوا بأعمالهم، یجری فیهم ما نزل فی أولئک» .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن الفضیل بن یسار، قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن هذه الروایة: «ما فی القرآن آیة إلاّ و لها ظهر و بطن، و ما فیه حرف إلاّ و له حدّ، و لکل حدّ مطلع، ما یعنی بقوله: لها ظهر و بطن؟ قال: ظهره و بطنه تأویله، منه ما مضی، و منه ما لم یکن بعد یجری کما تجری الشمس و القمر کلما جاء منه شیء وقع قال الله تعالی: وَ مٰا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِی اَلْعِلْمِ (2)نحن نعلم» .

و فیه (3)عن المحاسن، عثمان، عن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إن الله

ص: 79

1- 1) البحار ج 92 ص 92.

2- 2) آل عمران:7.

3- 3) البحار ج 92 ص 90.

أنزل عليكم كتـابه الصادق البار، فيه خبركم و خبر ما قبلكم و خبر ما بعـدكم، و خبر السـماء و خبر الأرض، فلو أتاكم من يخبركم عن ذلک لعجبتم» .

و فيه (1)عن تفسير العياشی، عن مرازم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إنّا أهل البيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلی آخره، و إن عندنا من حلال الله و حرامه ما يسعنا من كتمانه ما نستطيع أن نحدّث به أحدا» .

و فيه (2)عن بصائر الدرجات بإسـناده عن زرارة عن أبی جعفر عليه السّـلام قال: «تفسير القرآن علی سبعة أحرف، منه ما كان و منه ما لم يكن بعد ذلک، تعرفه الأئمة عليهم السّلام» .

و فيه عنه بإسناده عن عبد الأعلی بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «قد ولدنی رسول الله صلّی الله عليه و آله و أنا أعلم كتاب الله، و فيه بدء الخلق، و ما هو كائن إلی يوم القيامة، و فيه خبر السـماء و خبر الأرض، و خبر الجنة و خبر النار، و خبر ما كان، و خبر ما هو كائن، أعلم ذلک كأنما أنظر إلی كفّی، إن الله يقول: فيه تبيان كل شیء» . أقول: علمت أنه اقتباس من القرآن.

و فيه (3)عن المحاسن بإسـناده عن المعلی بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ و له أصل فی كتاب الله، لكن لاـ تبلغه عقول الرجـال» . أقول: قـال بعض الأعاظم: أقول: يحتمل أن يكون المطلع اسم مكان علی وزن المشـدد، بمعنی مكان الاطلاع من موضع عال، و أن يكون علی وزن المصعد، أی مصعدا يصعد إليه.

1- 1) البحار ج 92 ص 96.

2- 2) البحار ج 92 ص 98.

3- 3) البحار ج 92 ص 100.

قيل: و محصل معناه قريب من معنى التأويل و البطن، كما أن معنى الحد قريب من معنى التنزيل و الظهر. أقول:

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: «ما من آية إلاّ و لها أربعة معان: ظاهر و باطن و حدّ و مطلع، فالظاهر التلاوة، و الباطن الفهم، و الحدّ هو أحكام الحلال و الحرام، و المطلع هو مراد الله من العبد بها» . أقول: و حينئذ الظاهر هو ظاهر الآية التى تقرأ، و الباطن هو فهم معانيها، و الحدّ أى ما به حد الأعمال و حدودها، التى لا يجوز التعدى عنها من أحكام الحلال و الحرام، و التى تجعل الإنسان فى حدها (أى فى حدودها و دائرتها) فى العمل، و المطلع (بالتشديد) هو أنه بعد ما علم العبد هذه الأمور الثلاثة، فكأنه صعد من عالم الجهل بالعلم و الفهم، و من عالم البعد بالعمل إلى عالم القرب و العلو النفسانى، فحينئذ يعلوه هكذا يطلع، و يشاهد ما أراد الله منه من هذا العلم و هذه التكاليف، و هو حقيقة العبودية، و الإقرار بربوبيته تعالى عن معرفة و ترتيب آثارهما، أى آثار العبودية من الخضوع و التسليم، و الرضا بقضائه و قدره و أمثالها، و آثار الربوبية من وحدانيته و واجديته لصفات الجلال و الجمال، و الأنس به و الالتذاذ من معرفته و عبادته، كما لا يخفى. و أما ما

فى حديث فضيل من قوله عليه السّلام: «ما فى القرآن آية إلاّ و لها ظهر و بطن، و ما فيه حرف إلاّ و له حدّ و مطلع» ، إلى قوله: «يجرى كما تجرى الشمس» ، فلعل المراد منه أن لكل من المفردات و المركبات من الحروف و الكلمات، أو من الكلمات و الجمل معان محدودة جزئية و حقائق كلية، فتحصل تلك الكلية من تجريد الجزئيات عن الخصوصيات، التى لا دخل لها فى نفس تلك الحقيقة، و عن تعلق الحكم بها (أى بالجزئيات) كما سبق فيما قبله، فإن الذين نزلت فيهم الآية لهم خصوصيات لا دخل فيها لما حكم فى الآية عليهم، و إنما مناط الحكم هو القدر المشترك الحاصل فيهم و فيمن كان له مثل أعمالهم.

ص :81

إذ لا ريب فى أن الجزئيات كلها تندرج بالدقة تحت قاعدة كلية هو المعوّل عليها، فيعم الأفراد الماضية و الآتية، فكلما جاء موضوعه الكلى فى ضمن فرد من الأفراد، وقع عليه المحمول الكلى، و ذلك كالشمس و القمر فإنهما ينيران، و يظهران كل جسم كثيف قابلهما بلا اختلاف فيهما، و إنما الاختلاف من جهة تقابل الأجسام بهما، كذلك كل خبر أو إنشاء تعلق بموضوع جزئى حقيقى، فإنما يتعلق به من حيث عنوان كلى هو المناط، الذى لا تبديل فيه و لا تغيير، و سائر الخصوصيات المشخصة لا دخل لها بذلك الحكم. و لعل هذا هو المراد من القضية الحقيقة المبحوث عنها فى بعض مسائل الأصول فى قبال القضايا الخارجية، التى يعبّر عنها بالقضايا الشخصية، فكل حكم لوحظ فيه الشخص فهو قضية شخصية، و إلاّ فهى حقيقته بالدقة، و إن انطبقت على بعض مصاديقها الجزئية، و لعل الآيات القرآنية من خبرياتها و إنشائياتها تكون كذلك أى بنحو القضية الحقيقية، و هذا الحكم الكلى ثابت فى محله لا يتغير و لا يتبدل، و لا تبديل لكلمات الله سبحانه، و لن تجد لسنة الله تبديلا، و لن تجد لسنة الله تحويلا. و لعل إليه يشير ما

فى رواية المعلّى على ما فى البحار (1)عن المحاسن عمن ذكره، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى رسالة: «و أما ما سألت من القرآن، فذلك أيضا من خطراتك المتفاوتة المختلفة، لأن القرآن ليس على ما ذكرت، و كل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه، و إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، فأما غيرهم فما أشكله عليهم و أبعده من مذاهب قلوبهم و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إنه ليس شىء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، و فى ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلاّ ما شاء الله» ، الحديث.

1- 1) البحار ج 92 ص 100.

و ما فى رواية محمد بن مسلم من قوله عليه السّلام: «و القرآن ضرب فيه الأمثال» إلى آخره، بيانه: إن المثل يطلق كثيرا على ما يفيد حال مماثله بتوسط الأمر الجامع بينهما، الذى هو المعيار و المناط، و إلاّ فالجزئى لا يكون بنفسه كاسبا لمجهول كما تقرر فى علم المنطق، مثلا المؤمن الذى ذكر فى سورة يس شخص جزئى حقيقى قيل له: . . . اُدْخُلِ اَلْجَنَّةَ قٰالَ يٰا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، لكن الذى يرتبط بوقوع هذا الخطاب عليه من خصوصياته هو إيمانه و أعماله الصالحة من دعوة قومه، أو تحمل الأذى فى جنب الله مثلا دون شكله و لونه و نسبه و اسمه، فتنزيل الآية وحده الرجل الذى يسعى هو ذلك الشخص بعينه، و تأويله من كان يعمل بمثل عمله. فمفاد التأويل قضية كلية منتزعة من هذه القضية الشخصية بعد إلغاء الخصوصيات، و هو أن كل من آمن و عمل بمثل عمله يقال له: أدخل الجنة سواء كان ممن مضى، أو ممن يأتى، فكلما جاء شخص بصفته، وقع حكمه عليه كما لا يخفى. و إليه أيضا يشير

ما روى عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول «إن للقرآن تأويلا فمنه ما جاء، و منه ما لم يجئ، فإذا وقع التأويل فى زمان إمام من الأئمة عليهم السّلام عرفه إمام ذلك الزمان» .

و ما روى عن زرارة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «تفسير القرآن على سبعة أوجه منه ما كان، و منه ما لم يكن بعد تعرفه الأئمة عليهم السّلام» ، و قد تقدم الحديث. و هذا معنى ما اشتهر عن حال بعض من أنه يعطى الحكم بالمثال، أى يبين الحكم الكلى بالمثال الجزئى بما ذكرناه، ثم إن الذى ينبغى أن يقال فى شرح المقال فى المقام هو ما ذكره بعض الأكابر من: أن كل محمول خارج عن ذات الموضوع و لا لازم لمهيّته، فإنما يعرضه لعلة موجبة لعروضه، و لا بدّ من أن يكون للموضوع اختصاص لتلك من أنها علة موجبة ذلك الاختصاص، لتأثيره فى إلحاق ذلك المحمول عليه، فالموضوع الواقعى هو الوصف العنوانى المنتزع من ذلك الاختصاص الناعت، و سائر الخصوصيات الذاتية و العرضية خارجة عن موضوع

الحکم فی الواقع لا- دخل لها فی عروضه. فإذا قال لابنه یا بنی لا تشرک بالله، فالمخاطب ذلک الشخص الخاص، لکن صورة النهی الإرشادی لم تتعلق به إلاّ من حیث کون الشرک ظلما عظیما، و کون لقمان شفیقا علیه، لا یرضی بصدور الظلم منه، فکل موجود کان شرکه ظلما عظیما، و کان هناک من یشفق علیه اندرج تحت العنوان الواقعی، و إن خرج عن الصورة، و إذا جردت النهی عن الناهی، و لاحظت أن ذلک الفعل بحیث ینبغی النهی عنه الذی هو حقیقة النهی الإرشادی، فقط اشتراط الشفقة و القضیة حینئذ إن کل شیء کان شرکه ظلما عظیما، فینبغی تحذّره عنه و امتناعه منه. و إذا لاحظت أنه قد صدر من لقمان هذا الکلام لأجل أنه حکیم، و جردته عن سائر خصوصیاته، علم منه أن کل من کان حکیما فهو ینهی عن الشرک معنی، ثم إذا جردت الحکیم عن کونه شخصا خارجیا، و لاحظت أن الحکمة صفة العقل، و أن العقل هو الحکیم الذی یمنع عن الشرک لکونه ظلما، و أن صدور النهی عن لقمان لمکان عقله المتصف بالحکمة، صارت القضیة أن العقل المتصف بالحکمة ینهی عن الشرک، لذلک فالعقل لقمان یعظ بذلک، و کل عاقل حکیم یعظ بذلک، و المخاطب کل موجود له قابلیة النهی عنه، متصف بالصفات الموجبة لکون الشرک ظلما من الماضین و الآتین، و المنهی عنه هو الشرک من حیث کونه ظلما عظیما، فالعنوان الواقعی هو الظلم العظیم فی أی مفهوم یتحقق. و إذا لاحظت العقل رأیت حقیقته نورا متسعا یستضیء به الکل (أی کل الموجودات) و یشملها فی جمیع العوالم کلها، و هو من حیث کونه موجودا ممکنا، فلا- محالة یکون قائما بغیره، و له قیوم أوجده بإشراقه، فهو من حیث کونه ممکنا لیس لنفسه ما له من الإضاءة و الإنارة، بل یکون تلک من موجدها، و هو مظهر له من هذه الجهة فبالحقیقة تکون الإضاءة و الدرک لذلک الموجد المشرق، إذ هو بالنسبة إلیه عرضی و هو ذاتی (أی قائم بذاته) فآثاره منه لا محالة، إذ کل ما بالعرض من

جمیع شئونه یکون لما بالـذات، فبالحقیقـة إن تلک التجریدات فی القضـیة السابقة رجعت إلی هذا الموجد الحقیقی القائم بنفسه و القیوم لغیره، فجمیع الهیئات العارضـة لهـذه القضـیة من العوالم الواسـعة إلی العالم المضـیق الصوری و هو قوله تعالی: یٰا بُنَیَّ لاٰ تُشْرِکْ بِاللّٰهِ إِنَّ اَلشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ (1)، یکون تجلیات و مظاهر لـذلک الموجـد القائم بنفسه، و فی الحقیقـة قد ظهر فی تلک الهیئات و تجلی بها. و إلی هذا کله یشیر ما

فی البحار (2)عن أسـرار الصـلوة: و قال الصادق علیه السّلام: «لقد تجلی الله لخلقه فی کلامه، و لکنهم لا یبصرون» ، فتدبر تعرف إن شاء الله تعالی. ثم إن ما ذکرناه تقاس علیه الأمور الخارجیـة من القضایا مطلقا، فإن کل نسـبة خارجیة یعبّر عنها الکلام إنما تتحقق لعلة و العلة فاعلیة و مادیة و صوریة و غائیة، و لا یخلو عن إمکانات اسـتعدادیة و معدات و شـرائط و انتفاء موانع، و الکلام الحاکی عن النسبة الخارجیة إذا جردتها، و قطعت النظر عن جمیع ما لا یرتبط بتحقق تلک النسـبة الخارجیة، و أخذت بما یرتبط بتحققه عقلا علی المیزان العقلی، صار الکلام الجزئی قاعدة کلیة خارجیة من أول العالم إلی آخره، و جمیع الأمور الخارجیة الجزئیة مندرجة تحت کلیات معینة فی الواقع بالبیان المتقـدم، لا تبـدیل لها أبدا ما دامت السـموات و الأرض، کما أن إعرابات الکلمات العربیة الواقعة فی ألسـنة الفصـحاء کلها مندرجة تحت القواعـد النحویة. و التکالیف الشخصـیة مندرجة تحت الأحکام الفقهیة الکلیة، و الکلیات ثابتات، و الجزئیات داثرات، و للتجرید درجات کما عرفت، و للکلیات مراتب کلما قلّت قیودها بالتجرید اتسـعت دائرة عمومه و شموله و قلّت عددا، و کلما نزلت بإلحاق القیود و لحاظها تعددت بحسبها و تضیقت لتقیّدها. ثم اعلم: أن العوالم کثیرة و لکل شیء حقیقة فی کل عالم من العوالم من حیث

1- 1) لقمان:13.

2- 2) البحار ج 92 ص 107.

الضـيق و السعة، و سرعة الانقضاء و بطئها، و الثبات و عدمه، كما أن لزيد وجودا فى الخارج و وجودا فى الحسّ المشترک، و وجودا معنويا فى الـوهم، و وجـودا متوسـطا فى المتخيلـة، و وجـودا كليـا فى العقـل، و الأول جزئى حقيقى يمتنع فرض الاشتراک فيه مقتـرن بمـادته الجسـمانية، و الثـانى مجرد عن المـادة مقترن بما اكتنفته من الخصوصـيات، و الثالث مجرد عن الخصوصـيات الصوريـة ملبوس بالمعانى الكائنـة فيه، و الرابع ملبوس بهـا معـا، و الخامس مجرد عن جميع المشـخصات و جميع اللواحق، التى لا دخل لها فى نفس تلک الحقيقة الكليـة من المعانى و الصور، مع اختلاف ما سوى الأول من المراتب فى مقدار التلبس و التجرد. فربما يلاحظ العقل حقيقة الشـىء مجردا عن جميـع مـا سـواه، و ربمـا يلاحظه ملبوسـا بعـوارض كليـة، فيكـون التصـور على الأول (النـوع) و على الثـانى الصـنف، و اللواحق و الخصوصـيات لها كليات متصورة بالعقل و معان مدركة بالوهم، و صور مدركة بالحق، و لها ضمّ و تفريق يحصلان بالمتخيلة، و كما أنک إذا أبصـرت زيدا ارتسـمت صورته فى الحسّ، ثم معناه فى الوهم، ثم الجميع فى المتخيلة، ثم تمام حقيقته فى العقل، كذلک توجد حقيقته الكليـة أولا فى عالم من عوالم الوجود، ثم معانيه فى آخر، ثم الجامع لهما فى ثالث، أو فى حـدّ مشترک بين عالمين، ثم صورته مجردة عن المادة فى رابع، ثم المتلبس بالمادة العنصـرية فى هذا العالم. و الأول فى عالم العقل، و الثانى فى عالم المعانى، و الرابع فى عالم المثال، و الثالث فى المتوسط بينهما، و الخامس فى عالم الحسّ و الشـهادة، و لكل منها درجات و ذلک لأن موجودات هذا العالم كلها مركبات من المادة و الصورة، و الحصـص الكلية، و الخصوصيات المشخّصة، و وجود كل مركب مسبوق بوجود سابقه سبقا ذاتيا عقلا، أو سبقا خارجيا بالحدس الناشىء من ملاحظة تقابل القوس الصعودى فى عالم الإنسان مع القوس النزولى فى العالم الكبير، و عن ملاحظة سنة الله سبحانه فى خلق الأشياء من التدريج فى إيجادها و ترتيبها على ما تقتضيه الحكمة بوضعها فى

مواضـعها، و تنزيلها منزلة و مرتبة البسيط مقدمة على المركب، فتقدمه بالوجود وضع له فى محله. فإن الكليات أشرف من الجزئيات الداثرة و الفانية، فإن قاعدة الإمكان الأشرف تقتضى أن تكون الكليات وجودها متقدما على الجزئيات فتأمل، و أيضا فإن الحكمة الإلهية المقتضية لإبداع الأشـياء إنما تتخصـص متدرجة. و بعبارة أخرى إنما تبدع الأشـياء و تفرزها بالحصص الوجودى متدرجة، فلا يتعلق أولا بالماديات المركبة و الجزئيات، أ لا ترى أن صـفة الجود فى الجواد منا إنما تقتضـى الإنفاق و الإعطاء الكلى؟ فلو كنّا قادرين على أن نوجده على صفته الكليـة لأوجـدناه كـذلک، و كانت تلک الصـفة كافيـة فى صـدور ذلک الكلى منّا من دون حاجـة إلى ضم أمر آخر. و أما الإنفاق على زيد بطريق جزئى، فلا يكفى تلک الصفة فى صدوره، بل لا بد من خصوصيات تنضم إليه توجب تحصيل تلک الطبيعة فى ضمن ذلک الفرد من أدوات متعلق بزيد، و بأنه مسـتحق للإنفاق عليه، و بالشىء الذى ينفق عليه، و غير ذلک، و حينئذ فالجواد المطلق القادر على جميع الأشياء ينبغى أن يكون صـدور الكليات عنه مع قدرته مقدما على صدور الجزئيات، و قد قال الله سـبحانه: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (1)و لا نريـد بالكلى هنا المفهوم الذهنى، الذى يمتنع عروض الوجود العينى له، إذ الكلى إذا جاء فى ظرف الخارج يصـير فردا، بل أمرا آخر يحاكيه المفهوم الكلى الـذهنى و هو عنوان له. و حينئـذ فيشـبه أن يكون لكل آية مراتب من حيث المدلول بحسب عوالم مفاده، فإن القرآن حكايـة عن الأفعال و الأحكام الإلهية، و فيه تبيان كل شـىء، و حينئذ فلا يبعد أن تكون حكاية القرآن عن كل واقعة على نحو ينطبق على جميع

1- 1) الحجر:21.

عوالمه، بشـرط أن يراعى فى كل منها المعنى بحيث يناسب ذلک العالم، إذ متاع البيت يشـبه صاحب البيت، و حينئـذ فلا بد من نقل تلک القضـية بجميع أجزائها إلى ذلک العالم، و أخـذ كل واحـد على الوجه المناسب له، و حينئـذ فقد يكون ما هو حقيقة فى هذا العالم مجازا معنويـا فى بعض العوالم إمـا بتوسع فى نسـبة المحمول إلى الموضوع، أو فى غيره كما فى نسـبة القتل إلى النبى صـلّى اللّه عليه و آله فإنه إذا لوحظ النبى فى عالم المجردات يكون نسبة القتل إليه صلّى اللّه عليه و آله حينئذ بلحاظ العلم و الجهل الكلى فى الأرواح. لكن نسبة القتل بينهمـا لاـ تقع فى نفس ذلـک العـالم، بـل فى مظاهرهما و آثارهما كما أن القتل الحسّـى لا يقع على الأرواح، بل على الأجسام التى هى مظاهر للأرواح، و قـد يكون اللفظ مجازا فى عالم الشـهادة، و حقيقة فى عوالم أخر كالنور و الظلمة، التى كثر ذكرهما فى الآيات و الأخبار فى شأن المكلفين كقوله تعالى: اَللّهُ وَلِيُّ اَلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَى اَلنُّورِ (1)إذ الظلمات بحسب الظاهر هو الجهل بمصالحه و مفاسده أو ما أشـبه ذلک، و هو مجاز بعلاقة المشابهة، لكنه على معناه الحقيقى فى عالم المثال و البرزخ و غيرهما. و قد يكون العرض فى عالم جوهرا فى عالم آخر كأعمال المكلفين التى تتجسّم فى النشأة البرزخيـة و عالم القيامـة، ثم إن الآيـة القرآنية إذا كانت بحسب المعنى لها عوالم، و لكل عالم نحو من الوجود و المصداق فللعارف بها هكذا كالأئمة عليهـم السّـلام أن يفسّروها مرّة بلحاظ الظاهر، و تارة بلحاظ الباطن، و أخرى بلحاظ التأويل، و رابعـة بلحاظ تأويل التأويل، ثم إنه فى كل مرتبة قد يراد من المعنى المقصود المعنى العام الشامل لأنواع و أصـناف أقسامه، فيفسّـر تارة بلحاظ مصداق نوع، و أخرى بلحاظ مصداق صنف. و من المعلوم أن الأئمة عليهم السّلام عالمون و عارفون بجميع الشئون بنحو أوحاه اللّه

ص:88

1- 1) البقرة:257.

تعـالی إلی النبی صـلّی الله علیه و آله و مثّله فی قلبهم المبارک، فهم علیهم السّـلام مشاهـدون بحقائقه کلها کما علمت أنه آیاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (1)ففی کل شخص أو أی مسألة یعلمون أنه (أو أنها) من أیّ مصادیق القرآن بحسب ما ینطبق علیه (أو علیها) کما لاـ یخفی، و لهـذا ربمـا یری الجاهل بهـذه الأمور اختلافا بین الجوابین فیما یری اتحاد موضوعهما، مع الجهل بأن الموضوع فی کل منهما غیره فی الآخر بحسب ملاحظـة هـذه الأمور، التی یوجب لحاظها تغییرا فی الأخـذ بظاهر الکلام. فظهر مما ذکر أن الآیات القرآنیة بجمیع شئونها و عوالمها تکون لدیهم، و لا تکون هکذا عند غیرهم، بل و لا عشر أعشار ما عندهم علیهم السّلام لا یکون عند غیرهم کما لا یخفی علی المتتبع للآثار. و قد یقال: إن المراد من الآیات

فی قوله علیه السّلام:

«و آیات الله لدیکم»

هو مـا أودعه الله تعـالی فی سایر خلقه مما أودعه فی کیفیـة خلقهم ذاتا و صـفة و فعلا، حیث إنها بحیث تنبئ عن الحکم و المصالـح التی جعلها فیها، و لا یمکن لأحد الإحاطة بها، أو بیانها کما خلقه الله تعالی فإنها کلها عندهم علیهم السّـلام و قد بیّنوها للناس کما فی حدیث توحیـد المفضل و نحوه، و من أراد الاطلاع علی هذه الأمور، فلیراجع السـماء و العالم من البحار، أو یراد منها ما أودعه الله تعالی فیهم من الأمثال، التی ضـربها للخلق مما فیه اعتبارهم و تنبیههم و تعلیمهم و تعریفهم، و جمیع ما یراد منهم مما نصبه الله تعالی آیة مبینة و مبصرة فی الآفاق و فی أنفس الخلق. قال تعالی: وَ تِلْکَ اَلْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا یَعْقِلُهٰا إِلاَّ اَلْعٰالِمُونَ (2)و هم علیهم السّلام العالمون بها، و قال تعـالی: وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَةٍ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ (3)و هم علیهم السّـلام یعلمونها و لا یعرضون عنها بل یلاحظونها

ص: 89

1- 1) العنکبوت:49.

2- 2) العنکبوت:43.

3- 3) یوسف:105.

و قال تعالى: وَ ضَرَبْنٰا لَكُمُ اَلْأَمْثٰالَ (1)و هم عليهم السّلام يعرفونها، و قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي اَلْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ (2)و هم عليهم السّلام قد رأوها و أراهم الله تعالى تلك. و جميع هذه الآيات لديهم عليهم السّلام إما بمعنى أنهم عليهم السّلام العالمون الذين يعقلونها، أو أنها ضربت لهم، أو أنها صدرت عنهم تشريعا بالبيان، أو تكون بالإعجاز، أو أنها آياتهم، بل الحجج المضروبة منه تعالى لبيان حقيقتهم، أو أنها آيات محامدهم كسورة هل أتى حيث نزلت فيهم، و كذا ساير الآيات النازلة فى شأنهم، و قد عقد لها المجلسى بابا فى البحار فراجع، فإن فى القرآن آيات تدل على محامدهم و الثناء عليهم، أو أن تلك الآيات من صفاتهم لما علمت من أن القرآن ظهور الأسماء الإلهية التى تجلى الله بها. و قد علمت أنهم الأسماء الحسنى، فحينئذ تكون صفاتهم بلحاظ حقيقتها الواقعية، فالآيات حينئذ آيات و علامات بالحقيقة لهم عليهم السّلام أو معنى أنها لديهم أنهم عليهم السّلام المعرفون بها، فإنهم عليهم السّلام عرفوا للخلق بتلك الآيات إما ببيانها أو بقيامها بهم عليهم السّلام فى الخارج بلحاظ أنهم عليهم السّلام أحسن مصداق لها،

قال عليه السّلام فى النهج ما يقرب من هذا: «أنزلوهم (أى آل محمد صلّى الله عليه و آله) أحسن منازل القرآن» ، أو المراد منها إنهم عليهم السّلام الدالون عليها بأنحاء الدلالة، أو أنهم عليهم السّلام هم الموردون حياض الانتفاع بها شيعتهم، و الذائدون عنها أعدائهم. أقول: و يمكن أن يراد من هذه الجملة أنهم هم نفس تلك الآيات الإلهية، و معنى كونها لديهم أن كونها كونهم، فإن الشىء عند نفسه فيصح أن يقال: هو لديه أى أن الشىء لديه و لدى نفسه، و متقوّم به بأن يمسكه الله تعالى به فهو (أى ذو الآية) لدى

ص:90

1- 1) إبراهيم:45.

2- 2) فصلت:53.

الآية ما شاهدها دون ما فقدها، فإنه حينئذ لا يكون لديه، فافهم تعرف، ثم إنه إنما أطلق عليهم أنهم آيات الله، لأنهم عليهم السّلام علامات جليلة و جليّة و واضحة لعظمة الله و قدرته و لطفه و رحمته، مضافا إلى أنه وردت أحاديث صريحة فى ذلك.

ففى البحار (1)عن تفسير القمى:

وَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنٰا غٰافِلُونَ قال: أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السّلام و الدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «ما لله آية أكبر منى» .

و فيه عنه، عن داود بن كثير الرقّى قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله وَ مٰا تُغْنِي اَلْآيٰاتُ وَ اَلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ (2)قال: «الآيات الأئمة و النذر الأنبياء» .

و فيه عنه،

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فِي جَنّٰاتِ اَلنَّعِيمِ. وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا قال: «و لم يؤمنوا بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام فَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ (3). و هذه الأحاديث دلّت على أن المراد من الآيات هو ولايتهم عليهم السّلام.

و فيه عنه،

سَيُرِيكُمْ آيٰاتِهِ فَتَعْرِفُونَهٰا

(4)

قال: «أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السّلام إذا رجعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم» .

و فيه عنه ، بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (5)قال: «هم الأئمة عليهم السّلام قوله: وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا (6)«يعنى ما يجحد أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السّلام إلاّ الكافرون» .

و فى المحكى عن الباقر عليه السّلام أنه قال: «كان على عليه السّلام يقول: ما لله عز و جل آية أكبر

1- 1) البحار ج 23 ص 206.

2- 2) يونس:101.

3- 3) الحج:56،57.

4- 4) النمل:93.

5- 5) العنكبوت:49.

6- 6) العنكبوت:49.

منی» .

و عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: أَتَتْکَ آیٰاتُنٰا (1)و قوله سبحانه: وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیٰاتِ رَبِّهِ (2)«الآیات الأئمة أی لم یؤمن بهم و ترکهم معاندة فلم یتّبع آثارهم» الخبر.

و عن إکمال الدین، عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ (3)قال: «یعنی خروج القائم (عج) منّا» ، الخبر.

و فی تفسیر البرهان بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام فی حدیث قال: یقول الله سَنُرِیهِمْ آیٰاتِنٰا فِی اَلْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ «فأیّ آیة فی الآفاق غیرنا أراها الله أهل الآفاق» . أقول: من تأمّل فی الأحادیث الواردة فی کیفیة بدو خلقهم، و ما أعطاهم الله تعالی من العلم و القدرة و الولایة التشریعیة و التکوینیة الإلهیة، و أنها مظاهره عندهم، و هم الأسماء الحسنی الإلهیة، و عندهم الاسم الأعظم بتمام حروفه سوی واحد منها الذی استأثره تعالی عنده. علم بالقطع و الیقین بل بالوجدان أنهم الآیات الإلهیة، التی أراها الله تعالی أهل الآفاق، و أنهم أکبر آیة لله تعالی، و الحمد لله ربّ العالمین، و صلی الله علی محمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: و عزائمه فیکم

قال فی المجمع: یقال: عزمت عزما و عزما (بالضم) و عزیمة: إذا أردت فعله و قطعت علیه، و العزم و العزمة: ما عقد علیه قلبک إنک فاعله.

ص: 92

1- 1) طه:126.

2- 2) طه:127.

3- 3) الأنعام:158.

و قال: و فى تفسير الشيخ أبى على: أولو العزم أولو الجد و الثبات و الصبر، و قال: و عزم عزما و عزيمة: اجتهد و جدّ فى أمره، و قال: و فى الحديث: من عزائم الله كذا، عزائم الله: موجباته، و الأمر المقطوع عليه لا ريب فيه و لا شبهة، و لا تأويل فيها و لا نسخ فيه. قال:

و فى حديث: «شهادة أن لا إله إلاّ الله، فإنها عزيمة الإيمان» ، أى عقيدته المطلوبة لله تعالى من خلقه، و ما زاد عليها كمال لها، و العزيمة هى إرادة الفعل و القطع عليه، و الجد فى الأمر. و قال: و عزم الله لى أى: خلق الله فىّ قوة و صبرا. و عزم الله لى: أى خلق الله لى عزما.

و فى الحديث «الزكاة عزمة من عزمات الله تعالى» أى حق من حقوقه، و واجب من واجباته، و العزائم: الرقى، و عزمت عليكم: أى أقسمت عليكم. و قال: و عزائم المغفرة: محتّماتها، و المراد ما يجعلها حتما. و العوازم: جمع عازمة و هى التى جرت به السنّة من الفرائض و السنن من قوله تعالى: فَإِذٰا عَزَمَ اَلْأَمْرُ (1)أى لزم فرض الجهاد. و تلخيصها: أن العوازم هى: الأمور الثابتة بالكتاب و السنة، و عوازم الأمر: ما أمر الله فيها، انتهى ملخصا. أقول: العزائم جمع عزيمة و هى الشىء الذى لا بد منه، و يختلف باختلاف الموارد، فحينئذ معنى و عزائمه فيكم: أن الإرادة القطعية بنحو عقد عليها القلب على فعل مثلا بنحو الجدّ و الثبات و الصبر و الاجتهاد فى تحصيل مرضاته تعالى فيكم، أو أن عزائم الله و موجباته، التى هى مقطوع بها فى الدين بحيث لا ريب و لا شبهة و لا تأويل و لا نسخ فيها من العقائد و الأحكام و المعارف الإلهية كلها فيكم، أى عندكم و أنتم متلبّسون بها، و متحققون بحقائقها و عاملون بها، أو أن العقيدة المطلوبة من

1- 1) محمد:21.

العباد للّٰه تعالى و هى: ما دلّت عليه كلمة التوحيد تكون فيكم، أى أنتم متصفون بمفادها بنحو الأتم الأكمل على ما هى عليه فى الواقع، أو أنه تعالى خلق و جعل فيكم العزم أى القوة و الصبر على الأمور.

و فى الدعاء:

«و قد علمت أن أفضل زاد الراحل إليک عزم إرادة يختارک بها»

الدعاء، فإن المستفاد منها أن العزم له دخل عظيم فى الوصول إلى نتائج الأعمال الصالحة، و الفوز بالمقامات العالية، حيث جعل أفضل الزاد إليه تعالى عزم الإرادة، فإنه الذى يجعل جميع عناوين العبادات من الصلوة و الحج و الصوم و غيرها على نحو المطلوبية له تعالى، حيث إن المراد من عزم الإرادة بقرينة تعقيبها لقوله: يختارک بها،

و قوله عليه السّلام بعد ذلک: «و قد ناجاک بعزم الإرادة قلبى» هو الخلوص و الإخلاص للّٰه تعالى فى إتيان الأعمال له تعالى، فلا محالة تكون الأعمال منتجة بما وعد اللّٰه العالمين بها، مضافا إلى أنه (أى عزم الإرادة يوجب الاستقامة فى الأمر، التى هى السبب الوحيد للوصول إلى السعادات الأبدية، قال تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ (1)الآية، و كذا غيرها و لذا أمر صلّى اللّٰه عليه و آله بالاستقامة فى قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ (2)

و قال صلّى اللّٰه عليه و آله: «شيّبتنى سورة هود» ، قيل: لما فيها من هذه الآية المباركة، فالاستقامة التى هى حقيقة العزم، مضافا إلى أنه ملازم للإخلاص يكون مظهرا لعبودية العبد لدى سيّده، و قائما بوظيفته اللازمة عليه كما لا يخفى. أو أن الواجبات الإلهية و حقوقه تعالى من الزكوة مثلا و نحوها تكون فيكم، أى علمها و بيان حقيقتها و كيفية عملها يكون فيكم، أى عندكم و منكم، و كذا عندكم عوازمه، التى جرت بها السنة من الفرائض و السنن الثابتة بالكتاب و السنة، و ما أمر اللّٰه تعالى بها، فإنها كلها تكون فيكم و عندكم، أو أنكم تأخذون بالعزائم

1- 1) فصلت:30.

2- 2) هود:112.

دون الرخص، أی أنتم تتحملون مشـقة العزائم علی أنفسـكم، و لا تأخذون بالرخص كذا قیل. و فیه: أنهم علیهم السّلام كانوا أیضا یأخذون بالرخص،

فقـد روی عن النبی صـلّی الله علیه و آله: «إن الله یجب أن یؤخذ برخصه كما یحب أن یؤخذ بعزائمه (أو قال: بفرائضه) فخذوا برخص الله و لا تشددوا علی أنفسـكم، إن بنی إسـرائیل لما شددوا علی أنفسهم شدّد الله علیهم» . أقول: و التشدید منهم تركهم الأخذ بالرخص، و حیث إنه نهی عنه تنزیها، فبعیـد منهم علیهم السّـلام ترک الرخص، فتأمل. أو أن الواجبات الإلهیـة اللازمـة التی لا رخصة فی تركها من الاعتقاد بإمـامتهم و عصـمتهم، و وجوب متابعتهم و موالاتهم كلها فیكم أی عنـدكم، و قـد بیّنوها بالآیات و الأخبار المتواترة الصادرة منهم علیهم السّـلام أو أن العزائم الـتی أقسم الله تعـالی بهـا فی القرآن كالشـمس و القمر و الضـحی و التین و الزیتون و البلـد إنمـا هی فیكم، أی أنتم المقصودون بها و القیّمون علیها فإنها قائمة بكم و بولایتكم و أنتم الواسطة لاستفاضتها الفیض من المبدإ المتعال. هذا و قد وردت أحادیث قـد فسـرت تلـک العزائم بهم علیهم السّـلام كما لا یخفی علی المتتبع لآثارهم. ففی البحار ج 24 ذكر أحادیث كثیرة فی تفسـیر كثیر من الآیات التی قد فسرت و أولت بهم علیهم السّلام فمنها:

فیه ص 76 عن تفسیر القمی:

وَ اَلنَّجْمِ إِذٰا هَویٰ

(1)

قال: النجم رسول الله صلّی الله علیه و آله إذا هوی، لما أسری به إلی السماء و هو فی الهواء.

و فیه عن الكنز، عن ابن عباس فی قول الله عز و جل: وَ اَلشَّمْسِ وَ ضُحٰاهٰا (2)

ص: 95

1- 1) النجم:1.

2- 2) الشمس:1.

قال: هو النبی صلّی الله علیه و آله وَ اَلْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا (1)قال: علی بن أبی طالب علیه السّلام وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا (2)قال: الحسن و الحسین علیهما السّلام وَ اَللَّیْلِ إِذٰا یَغْشٰاهٰا بنو أمیة، الحدیث.

و فیه عن تفسیر القمی،

وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا فِی ظُلُمٰاتِ اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ

(3)

قال: النجوم آل محمد صلّی الله علیه و آله.

و فیه عن الکنز، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ اَلْمَشٰارِقِ وَ اَلْمَغٰارِبِ (4)قال: «المشارق الأنبیاء و المغارب الأوصیاء» . قال المجلسی رحمه الله: بیان: عبّر عن الأنبیاء بالمشارق، لأن أنوار هدایتهم تشرق علی أهل الدنیا، و عن الأوصیاء بالمغارب، لأن بعد وفاة الأنبیاء تغرب أسرار علومهم فی صدور الأوصیاء، ثم تفیض عنهم علی الخلق بحسب قابلیاتهم و استعدادهم. أقول: و لعل التعبیر عن الأوصیاء بالمغارب، لأنهم علیهم السّلام بعد النبی غربوا عن الخلق و استتروا عنهم، فکما أن الشمس تغرب عند المساء، و تغیب عن الناس مع وجودها فی وراء الأفق، فکذلک الأوصیاء غابوا و غربوا عنهم مع وجودهم فی وراء أفق العامة العمیاء، فلم یستضیء بهم إلاّ شیعتهم، و کیف کان فقد وردت أحادیث فی هذا الموضوع، فراجع (5). أو المراد أن سور العزائم أو آیات العزائم نزلت فیکم، یعنی أن المقصود منها بنحو تنطبق علیه تلک العزائم أنتم، فبهذا اللحاظ کأنها نزلت فیهم، فتأمل، أو أن المراد أن الأحکام التی یجب علینا قبولها فإنما هی بمتابعتکم إذ إنها فیکم، فلا محالة تؤخذ عنکم بمتابعتکم، أو أن المراد أن العزائم أی خصوص المواثیق المؤکدة،

1- 1) الشمس:2.

2- 2) الشمس:4.

3- 3) الأنعام:97.

4- 4) المعارج:40.

5- 5) البحار ج 24.

و العهود الموثقة الإلهية قد أخذها الله تعالى علينا فيكم أى فى متابعتكم. و الحاصل: أن الله تعالى أخذ منا تلك العهود فى متابعتكم، و قد يقال: إن المراد أن ملكوت كل شىء الذى لا بد منه فى وجود كل موجود، بحيث لولاه لما يوجد فإنما هى فيكم، و حينئذ يكون من العزيمة المفسرة بالملكوت هو عالم الأمر الإلهى، الذى هو من شئون اسم الله الأعظم، الذى هو مبدأ ظهور الأشياء، فهو ذلك الأمر و عالم الأمر إنما هو فيكم إذ أنتم مصدر الأشياء بإرادته تعالى و إذنه.

قال عليه السّلام فى الزيارة كما فى كامل الزيارات:

«إرادة الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم و تصدر من بيوتكم»

الزيارة، و قد تقدم ما يمكن أن يكون شرحا لهذه الجملة، فراجع، و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و نوره و برهانه عندكم و أمره إليكم

قد يقال: إن المراد من و نوره هو العلوم و الحقائق و الهدايات، التى هى حقائق القرآن الذى هو النور، قال تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (1)يعنى القرآن كما فسر به، و إطلاق النور على القرآن كثير جدا، و كذا المراد من برهانه هو القرآن أيضا، لما تقدم من قوله تعالى: قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فالقرآن برهان باعتبار كونه حجة على الخلق إلى يوم القيامة، أو المراد منه الدلائل الظاهرة و المعجزات الباهرة التى صدرت عنهم عليهم السّلام فإنها كلها تكون عندهم، فهم مظاهر آيات الله و علومه و برهانه كما تقدم أيضا.

و قوله:

و أمره إليكم

، من الإمامة و إظهار العلوم و من الأحكام الإلهية، التى صدرت عنهم لمكان ولايتهم التشريعية و التكوينية، قال تعالى: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، و قال تعالى: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ

1- 1) النساء:174.

بِغَيْرِ حِسٰابٍ

(1)

. أقول: تقدم الكلام فى

«و نوره و برهانه»

و فى قوله عليه السّلام:

«و خصّكم ببرهانه » ، فلا نعيد إلاّ أن

قوله عليه السّلام:

«و نوره و برهانه عندكم»

، ظاهر فى أن المراد منها هو ما به ظهور الحق، و لا ريب أنه بعلومهم و ولايتهم ظهر الحق للناس، و كذا البرهان فإنه يراد منه أن الحجة و الدليل الموجب لإثبات الحق و الدين الإلهى إنما هو عندكم، و هو إما نفس النبى صلّى الله عليه و آله كما

فى المحكى عن تفسير العياشى، عن عبد الله بن سليم، قال: قلت للصادق عليه السّلام: فى قوله تعالى: قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ (2)، قال: «البرهان محمد صلّى الله عليه و آله» ، أو النبوة و العظمة كما يستفاد هذا من فحوى ما

فى المحكى عن مجمع البيان، عن الصادق عليه السّلام أنه قال فى قوله تعالى: لَوْ لاٰ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ إنه النبوة و العصمة المانعة من ارتكاب الفواحش، و من المعلوم أن النبوة و العصمة عندهم عليهم السّلام أى حقائقها.

و فى تفسير نور الثقلين عن تفسير على بن إبراهيم: قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (3)«فالنور أمير المؤمنين عليه السّلام ثم قال: فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ اِعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ. . و هم الذين تمسّكوا بولاية أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السّلام» .

و فيه، و فى تفسير العياشى عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: قوله: قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (4)قال: «البرهان محمد صلّى الله عليه و آله و النور على عليه السّلام قال: قلت له: صِرٰاطاً مُسْتَقِيماً ، قال: الصراط المستقيم على عليه السّلام» .

1- 1) سورة ص:39.

2- 2) النساء:174.

3- 3) النساء:174.

4- 4) النساء:174.

و أما قوله عليه السّلام:

«و أمره إليكم»

، فنقول: قد يقال: إن المتبادر من و أمره هو الشأن، أى ما هو شأنه تعالى اللايق به هو إليكم، و شأنه تعالى كثيرة قال تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ (1).

فعن تفسير على بن إبراهيم: و قوله: يَسْئَلُهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ (2)قال: «يحيى و يميت و يرزق و يزيد و ينقص» .

و فى المحكى عن الكافى، عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبة و فيها: «الحمد لله الذى لا يموت، و لا تنقضى عجائبه، لأنه كل يوم هو فى شأن من إحداث بديع لم يكن» .

و عن المجمع، عن أبى الدرداء عن النبى صلّى الله عليه و آله فى قوله: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبا، و يفرج كربا، و يرفع قوما، و يضع آخرين» . أقول: و لكن يجمعه بحيث لا يشذّ عنه شأن ولايته تعالى، و هى جامعة لشئون المعبود جلّ و علا و هى ثابتة لهم عليهم السّلام.

ففى بصائر الدرجات (3)أحاديث دلّت على أن ولايتهم ولاية الله منها: ما رواه بإسناده عن أبى بصير قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «ولايتنا ولاية الله، التى لم يبعث الله نبيا قط إلاّ بها» . أقول: ولايتهم ولاية الله بما لها من المعنى المتقدم شرحه فى أول الشرح فى الدنيا و الآخرة. و بعبارة أخرى: أنهم عليهم السّلام مظاهرها مطلقا فى جميع عوالم الوجود.

ففى تفسير نور الثقلين عن الكافى بإسناده عن على بن حسان، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن قوله عز و جل: هُنٰالِكَ اَلْوَلاٰيَةُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ (4)قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام» .

1- 1) الرحمن:29.

2- 2) الرحمن:29.

3- 3) بصائر الدرجات ص 75.

4- 4) الكهف:44.

و من المعلوم أن ولايته لا تتحقق إلاّ فى الخلق، و لا تتحقق فيهم إلاّ بهم عليهم السّلام حيث إنهم مظاهرها على ما فسّروا ولاية الله بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام و هم ذكروا أن ولايتهم ولاية الله، فالمستفاد حينئذ منها أن شأنه تعالى و ولايته إليهم، فإن لفظ الأمر عام يشمل جميع أموره تعالى من عالم الأمر، و هو كما قلنا ظاهر فى ولايته تعالى و هم مظاهرها، و حينئذ فمعنى أن ولاية الله تعالى و أمره إليهم أنه تعالى فوّض أمره و ولايته إليهم عليهم السّلام. و لكن حيث إنه تعالى فوّض إليهم أمر الخلق لم يرفع يده سبحانه عن شيء من ذلك، بل الولاية الثابتة لهم عليهم السّلام و صاحب الولاية أعنى النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام تحت ولايته تعالى، و فى قبضته يتصرّف فيها كيف يشاء، و الولى أيضا يتصرف فيها بإذنه كيف شاء الله تعالى كما أخبر تعالى عن حقيقتهم بما لهم تلك الولاية قال: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. . . الآيات، و قد تقدم بيانها. فالله تعالى هو الولى المطلق، ثم من دونه بإذنه تعالى وليّه، فالولى و ولايته قائمان بمدد الله تعالى كقيام الصورة فى المرآة، فالولى هو المظهر، و ولايته تعالى هو الظاهر فيه كما

قال عليه السّلام:

«و نحن مظاهره فيكم»

، و هذا هو السرّ

لقوله عليه السّلام:

«و أمره إليكم»

، أى أمره من الشأن و الولاية الإلهية الذى لا يشاركه فيه غيره فى كل حال إليكم، أى أنتم قائمون به، و تعملون فيه أى فى أمره بأمره لا بأمركم، فلم يكونوا مستقلين و منحازين عنه تعالى فيه فإنه شرك، مضافا إلى أنه لو جاز استقلالهم به و لو فرض قيامهم به بإذن الله لجاز استغناؤهم عن أمره سبحانه، و هذا باطل بالضرورة، لأن الخلق مهما كان و بلغ ما بلغ لا يستغنى عن الحق، قال تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرٰاءُ إِلَى اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ هُوَ اَلْغَنِيُّ (1)

و قال صلّى الله عليه و آله: «الفقر فخرى» . هذا مضافا إلى أنه لو كانوا مستقلين فيه لم يكن حينئذ الأمر أمره تعالى، بل هو

1- 1) فاطر:15.

أمرهم، و حينئذ لا معنى

لقوله:

«و أمره إليكم»

، بالإضافة بل ينبغى أن يقال: و الأمر إليكم. و كيف كان فالتفويض الصحيح، الذى يستفاد من هذه الجملة هو: التفويض الذى لا يستلزم عزل الحق عن الخلق، فإن العزل المذكور يستلزم ألوهيتهم، و هو باطل، و هذا هو التفويض المنهى عنه فى الأحاديث كما ستعلم، ثم إنه لا بد من بيان حقيقة هذا التفويض الصحيح، ليتميز عن الباطل منه، فنقول: لا بد أولا من بيان أمر تتشخص فيه حدود الألوهية و الربوبية له تعالى، بحيث يكون أصلا محكما ترد إليه متشابهات الأقوال، و يتميز أيضا مقام الأئمة عليهم السّلام بالنسبة إليه تعالى فى الجملة فنقول: لا ريب على كل ذى مسكة من أنّ القول بألوهية الأئمة عليهم السّلام أو بكونهم شركاء لله تعالى فى المعبودية، أو فى الخلق و الرزق بنحو الاستقلال لا-بنحو كونهم وسائط منه تعالى، أو أن الله تعالى حلّ فيهم، أو اتحدّ بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير تعليم من الله بالوحى و الإلهام، أو أنهم عليهم السّلام كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تغنى عن جميع الطاعات، و لا تكليف معها بترك المعاصى كلها كفر أو شرك أو إلحاد و خروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدلة العقلية و النقلية الثابتة فى كتب أصول العقائد. يدل على هذا من الآيات قوله تعالى فى آل عمران: مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اَللّٰهُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحُكْمَ وَ اَلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّٰاسِ كُونُوا عِبٰاداً لِي مِنْ دُونِ اَللّٰهِ (1)الآية و قال تعالى فى الرعد: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ اَلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (2)، و قال تعالى فى سورة الروم: اَللّٰهُ اَلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰانَهُ

1- 1) آل عمران:79.

2- 2) الرعد:16.

وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ

(1)

.

و من الأخبار ما فى البحار (2)عن العيون، الهمدانى، عن على عن أبيه، عن الهروى قال: قلت للرضا عليه السّلام: يا بن رسول الله ما شيء يحكيه عنكم الناس، قال: و ما هو؟ قلت: يقولون: إنكم تدعون أن الناس لكم عبيد، فقال: «اللهم فاطر السموات و الأرض عالم الغيب و الشهاد أنت شاهد بأنى لم أقل ذلک قطّ، و لا سمعت أحدا من آبائى عليهم السّلام قاله قطّ، و أنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة و إن هذه منها، ثم أقبل علىّ و قال: يا عبد السّلام إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنّا فمن نبيعهم، فقلت: يا بن رسول الله صدقت. ثم قال: يا عبد السّلام أ منكر أنت لما أوجبه الله عز و جل لنا من الولاية كما ينكره غيرک؟ قلت: معاذ الله بل أنا مقرّ بولايتكم» .

و فيه عن قرب الإسناد للطيالسى، عن الفضيل بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «اتقوا الله، و عظّموا الله، و عظّموا رسوله صلّى الله عليه و آله و لا تفضلوا على رسول الله صلّى الله عليه و آله أحدا فإن الله تبارک و تعالى قد فضّله، و أحبّوا أهل بيت نبيكم حبّا مقتصدا، و لا تغلوا، و لا تفرقوا، و لا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن قلتم و قلنا متّم و متنا، ثم بعثكم الله و بعثنا فكنا حيث يشاء الله و كنتم»

.

و فيه عن الخصال الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إيّاكم و الغلو فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، و قولوا فى فضلنا ما شئتم» .

و فيه عن العيون بإسناده عن الحسين بن خالد الصيرفى، قال: قال أبو الحسن عليه السّلام: «من قال بالتناسخ فهو كافر» ، الحديث.

و فيه عن الاحتجاج و غيره فى حديث. . . إلى أن قال (أى الرضا عليه السّلام) و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا ما شئتم، و لن تبلغوا، و إياكم

1- 1) الروم:40.

2- 2) البحار ج 25 ص 268.

و الغلو كغلو النصارى فإنى برىء من الغالين» .

و فيه عن بصائر الـدرجات بإسـناده عن كامل التمار، قال: كنت عن أبى عبد الله عليه السّلام ذات يوم فقال لى: «يا كامل اجعل لنا ربّا نؤب إليه، و قولوا فينا ما شئتم، قال: قلت: نجعل لكم ربّا تئوبون إليه و نقول فيكم ما شئنا؟ قال: فاستوى جالسا، ثم قال: و عسى أن نقول: ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألفا غير معطوفة» . أقول: كأنه استعظم كلامه عليه السّلام

حيث قال عليه السّلام: «و قولوا فينا ما شئتم» ، بتوهم أنهم قد علموا مقام الأئمة، و لو فى ظرف عدم كونهم إلها، فعليه فكيف يمكن أن يقال فيهم فوق ما علموا منهم؟ فأجابه عنه بأنكم ما علمتم حقيقة علمنا، و ذلک لأنه ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألف غير معطوفة و هى كناية عن القلّة، فإن المعطوفة يكون أو غير المعطوفة يكون و هذه أقلّ معنى من الأولى، و قد تقدم شرحه.

و فيه عن رجال الكشى، عن الوشا، عن بعض أصـحابنا، عن أبى عبـد الله عليه السّلام قال: «من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله و من شک فى ذلک فعليه لعنة الله» . و هناک أحاديث أخر فيه مع شـرحها ذكرها رحمه الله فراجعها. و كيف كان فالمسـتفاد من هذه الآيات و الأحاديث ما تقدم من نفى الألوهية عنهم عليهم السّلام و إثباتها له تعالى فقط. إذا علمت هذا فاعلم أنّ هناک أحاديث دلّت على أنهم عليهم السّلام قد فوّض إليهم أمر الدين و أمر الخلق و الأشياء، فلا بد من ذكرها، ثم بيان المقصود منها، فنقول:

فى البحار (1)عن العيون بإسناده عن ياسـر الخادم قال: قلت للرضا عليه السّلام: ما تقول فى التفويض؟ فقال: إن الله تبارک و تعالى فوّض إلى نبيه صلّى الله عليه و آله أمر دينه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فأما الخلق و الرزق فلا، ثم قال عليه السّلام: «إن الله عز و جـل خـالق كـل شـىء، و هو يقول عز و جل: اَللّٰهُ اَلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ

1- 1) البحار ج 25 ص 328.

سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ

(1)

.

قوله عليه السّلام: «أما الخلق و الرزق فلا» ، أى أنهم لم يفوض إليهم أمر الخلق و الرزق، بحيث يكونون رازقين و خالقين فى قباله تعالى مستقلا، و أما كونهم وسائط للخلقة، بحيث يكون الله تعالى خالقا بهم فستعلم شرحه قريبا.

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن عبد الله بن سليمان، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سأله رجل عن الإمام فوّض الله إليه كما فوض إلى سليمان؟ فقال: «نعم، و ذلك أنه سأله رجل عن مسألة فأجاب فيها، و سأله رجل آخر عن تلك المسألة، فأجاب بغير جواب الأول، ثم سأله آخر عنها، فأجابه بغير جواب الأولين، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أعط بغير حساب، هكذا فى قراءة على عليه السّلام قال: قلت: أصلحك الله فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام؟ قال: سبحان الله أ ما تسمع قول الله تعالى فى كتابه: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ و هم الأئمة، و أنها لبسبيل مقيم لا يخرج منها أبدا، ثم قال: نعم إن الإمام إذا نظر إلى رجل عرفه، و عرف لونه، و إن سمع كلامه من خلف حائط عرفه و عرف ما هو، لأن الله يقول وَ مِنْ آيٰاتِهِ خَلْقُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوٰانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِلْعٰالِمِينَ (2)فهم العلماء و ليس يسمع شيئا من الألسن إلاّ عرفه ناج أو هالك فلذلک يجيبهم بالذى يجيبهم به» . أقول: هذا إشارة إلى التفويض فى بيان الحكم على ما يراه الإمام حين السؤال و الجواب، ما هو الحكم الإلهى فى هذه القضية الشخصية؟ و سيأتى بيانه.

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «وضع رسول الله صلّى الله عليه و آله دية العين و دين النفس و دية الأنف، و حرم النبيذ و كل مسكر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله صلّى الله عليه و آله من غير أن يكون جاء فيه شىء؟ قال: نعم

1- 1) الروم:40.

2- 2) الروم:22.

لیعلم من یطع الرسول و من یعصیه» . أقول: سیأتی بیان المراد من هذا التفویض فی بیان أقسامه.

و فیه عن بصائر الدرجات فی نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام «لا و الله ما فوّض الله إلی أحد من خلقه إلاّ إلی الرسول و إلی الأئمة علیهم السّلام فقال: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ و هی جاریة فی الأوصیاء.

و فیه عن الاختصاص و بصائر الدرجات بإسناده عن الثمالی، قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «من أحللنا له شیئا أصابه من أعمال الظالمین فهو له حلال، لأن الأئمة منا مفوّض إلیهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام» . أقول: سیأتی إن هذا فی الموضوعات لا الأحکام. و مثله

ما فیه عنهما بإسناده عن رفید مولی أبی هبیرة، قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «إذا رأیت القائم أعطی رجلا مائة ألف، و أعطی آخر درهما، فلا یکبر فی صدرک، فإن الأمر مفوّض إلیه» .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن جابر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قوله: لنبیه صلّی الله علیه و آله لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ ، فسره لی، قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام «لشیء قاله الله، و لشیء أراده الله، یا جابر إن رسول الله صلّی الله علیه و آله کان حریصا علی أن یکون علی علیه السّلام من بعده علی الناس، و کان عند الله خلاف ما أراد رسول الله صلّی الله علیه و آله قال: قلت: فما معنی ذلک؟ قال: نعم عنی بذلک قول الله لرسوله صلّی الله علیه و آله: لیس لک من الأمر شیء یا محمد فی علی الأمر إلیّ فی علی و فی غیره، أ لم أتل علیک یا محمد فیما أنزلت من کتابی إلیک: الم. أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ یُفْتَنُونَ (1)إلی قوله: وَ لَیَعْلَمَنَّ (2)قال: فوّض رسول الله صلّی الله علیه و آله الأمر إلیه» . أقول: ذکر هذا الحدیث فی المقام إنما هو لدفع ما یتوهم من أن التفویض إلی

1- 1) العنکبوت:1-2.
2- 2) العنکبوت:3.

الرسول و إلى الأئمة ربما ينافيه قوله تعالى: لَيْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ فإنه يندفع بما قاله عليه السّلام من أنّ الآية واردة فی مورد خاص، و هو موضوع كون أمير المؤمنين على الناس ظاهرا بعده صلّى اللّه عليه و آله فإنه تعالى بيّن لنبيه أن الأمة لا بد لهم من أن يمتحنوا كما أنزلنا إليک، و امتحانهم إنما هو بما وقع من الفتن بعده صلّى اللّه عليه و آله و تمام الكلام موكول فی محله، فليس قوله: لَيْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ (1)، ينافی التفويض المذكور. و لذا

روى فيه عن تفسير العياشی، عن جابر الجعفی قال: قرأت عند أبی جعفر عليه السّلام قول اللّه: لَيْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ قال: «بلى و اللّه، إن له من الأمر شيئا و شيئا و شيئا، و ليس حيث ذهبت، و لكنی أخبرک أن اللّه تبارک و تعالى لما أمر نبيّه صلّى اللّه عليه و آله أن يظهر ولاية على عليه السّلام فكّر فی عداوة قومه له و معرفته بهم و ذلک للذی فضّله اللّه به عليهم فی جميع خصاله، كان أول من آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بمن أرسله، و كان أنصر الناس للّه و لرسوله، و أقتلهم لعدوهما، و أشدهم بغضا لمن خالفهما و فضل علمه الذی لم يساوه أحد، و مناقبه التی لا تحصى شرفا. فلما فكّر النبی صلّى اللّه عليه و آله فی عداوة قومه له فی هذه الخصال، و حسدهم له عليها، ضاق عن ذلک، فأخبر اللّه أنه ليس له من هذا الأمر شیء، إنما الأمر فيه إلى اللّه أن يصيّر عليا وصيّه و ولی الأمر بعده، فهذا عنى اللّه، و كيف لا يكون من الأمر شیء و قد فوّض اللّه إليه أن جعل ما أحل فهو حلال، و ما حرم فهو حرام، قوله: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2). أقول:

قوله عليه السّلام: «و كيف لا يكون. . . الخ» ، ظاهر فيما قلنا من أنه ليس لک من الأمر شیء، مسوق لبيان ما حتمه اللّه فی أمر على عليه السّلام و فی افتتان الأمة به عليه السّلام بعده صلّى اللّه عليه و آله و هذا لا ينافی تفويض الأمر إليه صلّى اللّه عليه و آله فی ساير الأشياء.

1- 1) آل عمران:128.

2- 2) الحشر:7.

و فيه (1)عن الكافى بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر، و أبا عبد اللّٰه عليه السّلام يقولان: «إن اللّٰه عز و جل فوّض إلى نبيه أمر خلقه، لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا .

و فيه عنه، عن أبى عبد اللّٰه عليه السّلام قال: «إن اللّٰه تبارك و تعالى أدّب نبيّه صلّى اللّٰه عليه و آله فلما انتهى به إلى ما أراد قال له: وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (2)ففوض إليه دينه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و إن اللّٰه عز و جل فرض الفرائض، و لم يقسم للجدّ شيئا، و إن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله أطعمه السدس، فأجاز اللّٰه جلّ ذكره له ذلك، و ذلك قول اللّٰه عز و جل: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (3). أقول: قد ذكروا عليهم السّلام فى غير واحد من الأخبار قولهم عليهم السّلام: إن اللّٰه تبارك و تعالى أدّب نبيّه صلّى اللّٰه عليه و آله فلما انتهى إلى ما أراد، و ذلك لمعنى و حاصله: أنه صلّى اللّٰه عليه و آله إنما وضع بعض الأحكام كما أشير إليه فى هذا الحديث، و فيما تقدم من حديث زرارة من وضع دية العين و نحوها بعد ما أدّبه اللّٰه تعالى بحيث صار صلّى اللّٰه عليه و آله كما أراد من إحاطته صلّى اللّٰه عليه و آله بمصالح الأمور، و أنه لا يريد شيئا إلاّ ما أراده اللّٰه تعالى، فبعد هذه المنزلة فوض إليه أمر الدين حتى فى وضع الأحكام هكذا، و أمضى اللّٰه تعالى، و أجاز ما وضع علما منه تعالى أنه صلّى اللّٰه عليه و آله لا يضع حكما إلاّ ما يريده اللّٰه، و سيأتى توضيح لهذا قريبا إن شاء اللّٰه. و هذا من خصائصه صلّى اللّٰه عليه و آله حيث إنه أشرف الأنبياء من جميع الجهات، و إليه يشير ما فيه

عن بصائر الدرجات فى حديث، و قال فى آخره: «و لم يفوض إلى أحد من الأنبياء غيره» .

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن

1- 1) البحار ج 17 ص 4.
2- 2) القلم:4.
3- 3) ص:39.

أشياء من الصلوات و الديات و الفرائض، و أشياء من أشباه هذا فقال: «إنّ اللّه فوض إلى نبيّه» .

و فيه عنه بإسناده عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال لى جعفر بن محمد عليه السّلام: «إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يفوض إليه، إن اللّه تبارك و تعالى فوض إلى سليمان عليه السّلام ملكه فقال: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (1)و إن اللّه فوض إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله نبيه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2)فقال رجل: إنما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مفوضا إليه فى الزرع و الضرع. فلوّى جعفر عليه السّلام عنه عنقه مغضبا فقال: فى كل شىء و اللّه فى كل شىء» .

و فى البحار (3)من كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسى بالإسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال: «إن اللّه لم يزل فردا متفردا بالوحدانية، ثم خلق محمدا و عليّا و فاطمة عليهم السّلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء و أشهدهم خلقها، و أجرى عليها طاعتهم، و جعل فيهم ما شاء، و فوض أمر الأشياء إليهم فى الحكم و التصرف و الإرشاد و الأمر و النهى فى الخلق، لأنهم الولاة فلهم الأمر و الولاية و الهداية، فهم أبوابه و نوابه و حجابه، يحللون ما شاء، و يحرمون ما شاء، و لا يفعلون إلاّ ما شاء عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . فهذه الديانة التى من تقدمها غرق فى بحر الإفراط، و من نقصهم عن هذه المراتب التى رتّبهم اللّه فيها زهق فى برّ التفريط، و لم يوف آل محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم و مكنونه» . أقول: و مثله عن الكافى مع اختلاف فى اللفظ.

1- 1) سورة ص:39.

2- 2) الحشر:7.

3- 3) البحار ج 25 ص 339.

و فی بصائر الدرجات (1)بإسناده عن معلی بن خنیس، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله عز و جل: فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (2)قال: «آل محمد، فعلی الناس أن یسألوهم و لیس علیهم أن یجیبوا، ذلک إلیهم إن شاءوا أجابوا و إن شاءوا لم یجیبوا» . أقول: و مثله کثیر، و هذا أیضا یدل علی تفویض أمر الجواب إلیهم علیهم السّلام کما ستأتی الإشارة إلیه. أقول: قال المجلسی رحمه الله فی البحار (3): و أما التفویض فیطلق علی معان بعضها منفی عنهم علیهم السّلام و بعضها مثبت لهم. فالأول: التفویض فی الخلق و الرزق و التربیة و الإماتة و الإحیاء، فإن قوما قالوا: إن الله تعالی خلقهم و فوض إلیهم أمر الخلق، فهم یخلقون و یرزقون و یمیتون و یحیون، و هذا الکلام یحتمل وجهین: أحدهما: أن یقال: إنهم یفعلون جمیع ذلک بقدرتهم و إرادتهم، و هم الفاعلون حقیقة، و هذا کفر صریح دلت علی استحالته الأدلة العقلیة و النقلیة، و لا یستریب عاقل فی کفر من قال به. و ثانیهما: أن الله تعالی یفعل ذلک مقارنا لإرادتهم کشق القمر، و إحیاء الموتی، و قلب العصا حیّة، و غیر ذلک من المعجزات، فإن جمیع ذلک إنما تحصل بقدرته تعالی مقارنا لإرادتهم، لظهور صدقهم، فلا یأبی العقل عن أن یکون الله تعالی خلقهم و أکملهم و ألهمهم ما یصلح نظام العالم، ثم خلق کل شیء مقارنا لإرادتهم و مشیتهم، و هذا و إن کان العقل لا یعارضه کفاحا، لکن الأخبار السالفة تمنع من القول به فیما عدا المعجزات ظاهرا بل صراحا، مع أن القول به قول بما لا یعلم إذ لم یرد ذلک فی

1- 1) بصائر الدرجات ص 39.

2- 2) الأنبیاء:7.

3- 3) البحار ج 25 ص 348.

الأخبار المعتبرة فيما نعلم. أقول: قوله رحمه الله أن يقال: إنهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم. . إلخ، أى بنحو الاستقلال فى قبال الحق تعالى فإن هذا كفر صريح، و أما القول بأن لهم عليهم السّلام المدخلية فى الخلق، بحيث يصح الاستناد إليهم بنحو يصح استناد ما استند إليهم إليه تعالى بالوجه الذى أشار إليه أخبار الأمر بين الأمرين فلا كفر فيه بل هو الحق، و بيان هذا يتوقف على بيان الأخبار فى الباب بالمقدار اللازم، ثم بيان المدعى المستفاد منها فنقول:

فى توحيد الصدوق (1)بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السّلام قالا: «إن الله عز و جل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، و الله أعزّ من أن يريد أمرا فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السّلام هل بين الجبر و القدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع مما بين السماء و الأرض» .

و فيه (2)بإسناده عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله. . . إلى أن قال: ثم قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «عن الله أروى حديثى، إن الله تبارك و تعالى يقول: «يا بن آدم بمشيتى كنت أنت الذى تشاء لنفسك ما تشاء، و بإرادتى كنت أنت الذى تريد لنفسك ما تريد و بفضل نعمتى عليك قويت على معصيتى، و بعصمتى و عونى و عافيتى أديت إلىّ فرائضى، فأنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بسيئاتك منى» الحديث.

و فى حديث آخر رواه عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال عليه السّلام فى ذيله: ثم قال: قال الله عز و جل : «يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بسيئاتك منّى، عملت المعاصى بقوتى التى جعلتها فيك» .

1- 1) توحيد الصدوق ص 360.

2- 2) توحيد الصدوق ص 344.

و فیه (1)بإسناده عن سلیمان بن جعفر الجعفری، عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: ذکر عنده الجبر و التفویض، فقال: «أ لا أعطیکم فی هذا أصلا لا تختلفون فیه، و لا تخاصمون علیه أحدا إلاّ کسرتموه؟ قلنا: إن رأیت ذلک، فقال إن الله عز و جل لم یطع بإکراه، و لم یعص بغلبة، و لم یهمل العباد فی ملکه، هو المالک لما ملکهم، و القادر علی ما أقدرهم علیه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم یکن الله عنها صادا، و لا منها مانعا، و إن ائتمروا بمعصیته فشاء أن یحول بینهم و بین ذلک فعل، و إن لم یحل و فعلوه، فلیس هو الذی أدخلهم فیه، ثم قال علیه السّلام: من یضبط حدود هذا الکلام فقد خصم من خالفه» .

و فیه (2)بإسناده عن مهزم قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «أخبرنی عما اختلف فیه من خلّفت من موالینا، قال: قلت: فی الجبر و التفویض، قال: فسلنی قلت: أجبر الله العباد علی المعاصی؟ قال: الله أقهر لهم من ذلک، قال: قلت: ففوض إلیهم؟ قال: الله أقدر علیهم من ذلک، قال: قلت: فأیّ شیء هذا أصلحک الله؟ قال: فقلب یده مرتین أو ثلاثا ثم قال: لو أجبتک لکفرت» . أقول:

قوله علیه السّلام: «الله أقهر لهم من ذلک» ، و ذلک حیث إن القائل بالجبر یقول: إن الله تعالی لو جعل عباده مختارین لفات عنه إنفاذ مشیته فیهم، کما ذهبت إلیه المفوضة

فقال علیه السّلام: «إنه تعالی أقهر لهم من ذلک، و لیست الملازمة ثابتة، بل هو قاهر علیهم مع اختیارهم» ، و إلیه یشیر ما تقدم من

قوله علیه السّلام: «هو المالک لما ملکهم» . فنقول: المستفاد من هذه الأحادیث و هی کثیرة أن العباد فی أفعالهم کانوا مختارین، و لذا یصحّ استناد الفعل إلیهم، و مع ذلک قد صحّ استناده إلیه تعالی، بل ما أراده کان و یکون، و إلیه یشیر

قول أبی عبد الله علیه السّلام قال: «الله أقدر علیهم من ذلک» ،

و قول الرضا علیه السّلام: «هو المالک لما ملکهم» . فإن قلت: إن أحادیث الباب واردة مورد المعاصی غالبا.

1- 1) توحید الصدوق ص 361.

2- 2) توحید الصدوق ص 362.

قلت: إنها قد وردت فی موردها و لا تختص بها، فالمستفاد منها هو الأمر الکلی و القاعدة الکلیة، التی تشمل جمیع الأفعال من العباد حتی الأنبیاء و الأئمة، بل و الملائکة کما لا یخفی فلا یختص المستفاد منها بالمعاصی، کیف و قد ثبت فی العقل أن حکم الأمثال فیما یجوز و ما لا یجوز سواء. و الحاصل: أن جمیع الأفعال تجری فیه مسألة الأمر بین الأمرین، و لعله إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی حدیث التوحید قال: فسئلا علیهما السّلام: هل بین الجبر و القدر منزلة ثالثة؟ قالا: «نعم أوسع ما بین السماء و الأرض» ، أی أن تلک المنزلة تسع ما بین السماء و الأرض، أی أنّ کل ما یقع فیهما فهو مصداق لتلک المنزلة الثالثة، و حینئذ نقول: کل فعل صدر من أی شخص فإنه هو بقدرته تعالی و بحوله و قوته صدر، و یصح استناده إلی الشخص و إلیه تعالی، فالقول بأنه مستند إلیه تعالی فقط، بحیث یکون العبد مجبورا، فهو کفر و القائل به کافر کما فی حدیث رواه فی التوحید عن الصادق علیه السّلام کما أن القول باستناده إلی العبد فقط لتوهین الله فی سلطانه، فهو أیضا کفر و القائل به کافر. ثم إن الفعل یختلف سعة و ضیقا بحسب اختلاف سعة قدرته و ضیقها، فکل یعمل علی حسب ما أقدره الله تعالی فحینئذ تقول: إن قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ خَلَقَکُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (1)ظاهر فی أن العمل الذی استند إلی العباد یکون متعلقا لخلقه تعالی إیاه و مستندا إلیه تعالی، فالعامل کما یصحّ أن یقول: إنی عملت، کذلک یصحّ أن یقال: إن عمله عمل الله تعالی الفعال لما یشاء، و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی الدعاء:

یا فاعل کل إرادة

، و قولهم فی التوحید الافعالی یشیر إلی هذا المعنی من أن کل فعل مستند إلیه تعالی بهذا البیان. إذا علمت هذا فنقول: لا مانع من أن یعطی الله تعالی ولیه و أولیاءه القدرة و القوة، بحیث یعمل فی العالم عالم الوجود الأفعال المهمة و الوسیعة من خلق

1- 1) الصافات:96.

السموات و الأرض و غيرها، و يكون معنى استناد الفعل إلى الولى كاستناد الفعل إلى أىّ شخص فى فعله بنحو الأمر بين الأمرين لا بنحو الجبر، و لا بنحو التفويض المطلق، فلو قال على عليه السّلام مثلا: أنا خالق السموات و الأرض، فإن أراد عليه السّلام (و لم يرد) إنه فاعل بالتفويض الباطل فهو باطل و القول به كفر، و أما لو أراد عليه السّلام أنه تعالى أقدرنى على ذلک كما أقدر أدنى الأشخاص فى أقل الأفعال فلا كفر فيه، بل هو محض الحسن، و إليه يشير ما

قاله الصادق عليه السّلام فى حديث كميت الشاعر: إن الله أقدرنا على ما نريد، فإن ظاهره هو أنه تعالى أقدرهم على ما يريدون بنحو يصح الاستناد إليهم عليهم السّلام. كيف و قد تقدم

عن التوحيد من أنه تعالى أقدر ملكا، فخلق سبع سموات و سبع أرضين، ثم إنه استند الخلق إلى نفسه استقلالا و عجب من نفسه، فأرسل الله تعالى إليها نارا فأحرقتها، ثم قيل له: إن كنت مستقلا فى خلقها فانف عنها النار، و كيف كان فلا مانع من إبقاء ظواهر الأحاديث على ما هى ظاهرة فيه على أن يكون المعنى المراد منها هو المعنى المراد من الأمر بين الأمرين، و لعمرى إن أحاديثه معتبرة، و نحن نذكر بعضها ثم نعقبها بالشرح فنقول: منها:

ما ذكره المجلسى رحمه الله فيما حكى عنه فى المجلد الرابع عشر من الطبع السابق عن بعض مؤلفات القدماء، عن القاضى أبى الحسن الطبرى. . . إلى أن قال: عن الشيخ المعتمر الرقى رفعه إلى أبى جعفر ميثم التمار قال: كنت بين يدى مولاى أمير المؤمنين عليه السّلام إذ دخل غلام و جلس فى وسط المسلمين، فلما فرغ عليه السّلام من الأحكام نهض إليه الغلام و قال: يا أبا تراب أنا إليک رسول جئتک برسالة تزعزع لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوّله إلى آخره، و علم علم القضايا و الأحكام، و هو أبلغ منک فى الكلام، و أحق منک بهذا المقام فاستعد بالجواب و لا تزخرف المقال. فلاح الغضب فى وجه أمير المؤمنين عليه السّلام و قال لعمار: «اركب جملک، و طف فى قبائل الكوفة و قل لهم: أجيبوا عليّا، ليعرفوا الحق من الباطل، و الحلال و الحرام

و الصحة و السقم، فركب عمار فما كان إلاّ هنيئة حتى رأيت العرب كما قال اللّٰه تعالى: وَ نُفِخَ فِی اَلصُّورِ فَإِذٰا هُمْ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ إِلیٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (1)فضاق جامع الكوفة، و تكاثف الناس تكاثف الجراد على الزرع الغضّ فی أوانه، فنهض العالم الأردع (2)و البطل الأنزع، و رقى فی المنبر و راقى، ثم تنحنح فسكت جميع من فی الجامع. فقال عليه السّلام: رحم اللّٰه من سمع فوعى، أيها الناس يزعم أنه أمير المؤمنين و اللّٰه لا ـ يكون الإمام إماما حتى يحيى الموتى، أو ينزل من السماء مطرا، أو يأتى بما يشاكل ذلک مما يعجز عنه غيره، و فيكم من يعلم أنى الآية الباقية، و الكلمة التامة، و الحجة البالغة، و لقد أرسل إلى معاوية جاهلا من جاهلية العرب عجرف (3)فی مقالة و أنتم تعلمون، لو شئت لطحنت عظامه طحنا، و نسفت الأرض من تحته نسفا، و خسفتها عليه خسفا، إلاّ أن احتمال الجاهل صدقه. . . إلى أن قال: و اللّٰه لو شئت لمددت يدى هذه القصيرة فی أرضكم هذه الطويلة، و ضربت صدر معاوية بالشام، و أخذت بها من شاربه أو قال من لحيته فمدّ يده و ردّها، و فيها شعرات كثيرة، فتعجبوا من ذلک، ثم وصل الخبر بعد مدة أن معاوية سقط من سريره فی اليوم الذى كان عليه السّلام مدّ يده و غشى عليه، ثم أفاق و افتقد من شاربه و لحيته شعرات» . أقول: هذه الرواية أحد مسانيد الخطبة الشقشقية، ذكرها و ذكر مسانيدها المتعددة الشارح الخوئى قدّس سرّه فراجعه، و إنما ذكرتها استشهادا

بقوله عليه السّلام: «و اللّٰه لا يكون الإمام إماما. . إلخ» ، فإنه ظاهر فی استناد إحياء الموتى إلى الإمام عليه السّلام. و منها:

ما فی توحيد الصدوق (4)بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا

1- 1) يس:51.

2- 2) الأردع من يعجبک.

3- 3) العجرفة الخرق و قلة المقالات.

4- 4) توحيد الصدوق ص 167.

عبـد الله علیه السّـ لام یقـول: «إن لله عز و جـل خلقـا من رحمته خلقهـم من نوره و رحمته من رحمته لرحمته، فهم عین الله النـاظرة، و أذنه السامعة، و لسانه الناطق فی خلقه بإذنه، و أمناؤه علی ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم یمحو السـیئات، و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمـة، و بهم یحیی میّتـا، و بهم یمیت حیّـا، و بهم یبتلی خلقه، و بهم یقضـی فی خلقه قضـیته، قلت: جعلت فـداک من هؤلاـء؟ قـال: الأوصیاء» .

و فی بصائر الدرجات (1)بإسناده عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «إن الدنیا تتمثّل للإمام فی فلقة الجوز، فما تعرض لشیء منها، و إنه لیتناولها من أطرافها، کما یتناول أحدکم من فوق مائدته ما یشاء، فلا یعزب عنه منها شیء» .

و فی البحار (2)ما رواه جابر بن عبد الله فی تفسیر قوله تعالی: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ (3)قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «أول ما خلق الله نوری ابتـدعه من نوره، و اشـتقه من جلال عظمته، فأقبل یطوف بالقـدرة حتی وصل إلی جلال العظمـة فی ثمانین ألف سنة، ثم سجد لله تعظیما، ففتق منه نور علی علیه السّلام فکان نوری محیطا بالعظمة، و نور علی محیطا بالقدرة» ، الحدیث.

و فیه (4)عن بصائر الدرجات بإسناده عن علی بن جعفر، عن أبی الحسن علیه السّلام أنه سمعه یقول: «لو أذن لنا لأخبرنا بفضلنا، قال: قلت له: العلم منه؟ قال: فقال لی: العلم أیسر من ذلک» .

و فیه عن بصائر الـدرجات عن غیر واحـد من أصـحابنا قال: خرج عن أبی الحسن الثالث أنه قال: «إن الله جعل قلوب الأئمة موردا لإرادته، فإذا شاء شیئا شاءوه و هو قول الله: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ (5)» .

1- 1) بصائر الدرجات ص 408.
2- 2) البحار ج 25 ص 22.
3- 3) آل عمران:110.
4- 4) البحار ج 25 ص 372.
5- 5) الإنسان:30.

و فيه (1)و فی روایة سعید بن المسیب و عبایة بن ربعی: أن علیّا علیه السّلام ضرب الأرض برجله فتحرکت فقال: «أسکنی فلم یأن لک ثم قرأ: یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا (2)» .

و فی البحار (3)عن غیبة النعمانی بإسناده عن أبی نعیم محمد بن أحمد الأنصاری قال: وجه قوم من المفوضة و المقصرة کامل بن إبراهیم الهمدانی إلی أبی محمد علیه السّلام (العسکری علیه السّلام) . . . إلی أن قال (أی الحجة عجل الله تعالی فرجه الشریف) ثم قال: «و جئته تسأله عن مقالة المفوضة کذبوا، بل قلوبنا أوعیة لمشیة الله فإذا شاء شئنا و الله یقول: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ (4)ثم رجع الستر إلی حالته فلم أستطع کشفه» .

و فیه (5)فی حدیث طارق بن شهاب عن أمیر المؤمنین علیه السّلام نقله عن مشارق الأنوار للحافظ رجب البرسی (رضوان الله تعالی علیه) . . . إلی أن قال علیه السّلام فی وصف الإمام علیه السّلام: «سرّ الواحد و الأحد، فلا یقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصة الله و خالصته، و سرّ الدیان و کلمته، و باب الإیمان و کعبته، و حجة الله و محجته، و أعلام الهدی و رایته، و فضل الله و رحمته، و عین الیقین و حقیقته، و صراط الحق و عصمته، و مبدأ الوجود و غایته، و قدرة الرب و مشیته، و أمّ الکتاب و خاتمته، و قال علیه السّلام قبل هذا: و الإمام بشر ملکی، و جسد سماوی، و أمر إلهی الصفات زاید الحسنات، عالم بالمغیبات نصّا من رب العالمین، و نصا من الصادق الأمین. . . إلی أن قال علیه السّلام: و أمره بین الکاف و النون (و فی نسخة: لا بل هم الکاف و النون)» .

و فی الجواهر السنیة فی الأحادیث القدسیة نقلا عن الحافظ البرسی قال: ورد

1- 1) البحار ج 25 ص 379.
2- 2) الزلزلة:4.
3- 3) البحار ج 25 ص 336.
4- 4) الإنسان:30.
5- 5) البحار ج 25 ص 174.

فى الحـديث القدسـى عن الرب العلى أنه يقول: «عبـدى أطعنى أجعلـک مثلى، أنـا حى لا أموت، أجعلک حيّا لا تموت، أنا غنى لا أفتقر، أجعلک غنيا لا تفتقر، أنا مهما أشأ يکن، أجعلک مهما تشأ يکن» .

قال: و منه (أى من الحديث القدسـى) : «إن لله عبادا أطاعوه فيما أراد، فأطاعهم فيما أرادوا، يقولون للشىء: کن، فيکون» . أقول: و نظير هذه الأحاديث کثير جدا، يسـتفاد منها مع اختلاف ألفاظها أمرا معنويا متواترا، و هو أن العبد إذا کان مطيعا له تعالى جدا، ألبسه الله تعالى لباس الکرامة الکبرى» و هو أنه يکون فاعلا للأمور الخارقة للعادة، و هذا فى شأن غير المعصوم فما ظنک بهم؟ بل هم أفضل من غيرهم، کيف

و قد ورد فيهم فى الدعاء المعروف فى رجب عن الحجة (عج) :

«لا فرق بينک و بينها إلاّ أنهم عبادک»

و قد تقدم فى صدر الشـرح شـرحه. و کيف کان فالغرض ببيان هذه الأحاديث بيان أمر و هو أن المراءى من اسـتناد الأفعال إلى الإمام عليه السّـلام على اختلافهـا و کثرتهـا، بـل و إلى غيرهـم من سائر أولياء الله تعالى على حسب مراتبهم يحتمل ثبوتا أن يراد منها أمور: الأول: أن يکونوا مسـتقلين فى العمل و الفعل فى قباله تعالى، و هذا کفر صـريح لا مصير إليه بالأدلة القطعية کما لا يخفى. الثانى: أن يکون هو و الله فاعلين کل منهما مسـتند إليه الفعل، غاية الأمر بنحو الاشتراک، و هذا أيضا شـرک صريح لا مصير إليه. الثالث: أن الله تعالى يخلق الأفعال مقارنا لمسألتهم کما فى الاحتجاج عنه عليه السّلام

و قد خرج التوقيع و فيه: «فأما الأئمة عليهم السّـلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» . قال المجلسى فيما نقلنا عنه سابقا: و هذا و إن کان العقل لا يعارضه کفاحا، لکن الأخبار السابقة تمنع من القول به کما تقدم. و يظهر مما نذکره أن هذا الکلام غير

مستقیم لظاهره کما ستعرفه قریبا إن شاء اللّه. الرابع: أن یکون الفعل مستندا إلیهم بنحو بیّناه فی الجمع بین الأمر بین الأمرین بنحو لا یکون جبرا و لا تفویضا، خصوصا بعد ما ورد من الأحادیث الکثیرة من أن قلوبهم أوعیة لمشیة اللّه تعالی، فإن هذه الأحادیث إذا انضمت إلی مسألة الأمر بین الأمرین بالنحو المتقدم بیانه، فیستفاد منها أمر دقیق و هو أنهم علیهم السّلام حیث کانوا فانین فی اللّه تعالی بالمعنی المتقدم، و أنهم لم یریدوا و لم یشاءوا إلاّ ما أراد اللّه و شاء، فلا محالة یکون فعلهم فعله کما قال تعالی: وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ رَمیٰ (1)فیصح حینئذ إطلاق القول بأنهم فعلوا کذا و کذا فإنه فی الحقیقة یرجع إلی معنی أنه تعالی فعل کذا

و کذا، المعبّر عنه بقول:

«لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک فتقها و رتقها بیدک» ، الدعاء. بل نقول: حیث إنهم علیهم السّلام لم یکن لهم إرادة و مشیة کما علمت، بل قلوبهم أوعیة لمشیته تعالی، فحینئذ کما یصح استناد فعلهم إلیه تعالی، کذلک یصحّ استناد فعله تعالی إلیهم، إذ بعد ما علم أنهم لم یفعلوا إلاّ ما شاء بنحو کان هذا أصلا فی أفعالهم، فحینئذ فی مقام التعبیر لا یفرق فی الاستناد إلیهم أو إلیه تعالی کما قال تعالی: وَ مٰا نَقَمُوا إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ (2)فإنه تعالی أسند فعل الإغناء إلی رسوله فی قباله تعالی، مع أنه لا ریب فی أنه لا یراد منه الاستقلال فی الاستناد، و لیس هذا إلاّ لما قلناه من أنه لما کان فعل الرسول فعله تعالی و إنما هو مظهر لفعله تعالی، فصح إطلاق الاستناد إلیه صلّی اللّه علیه و آله. فإن قلت: لا یستفاد مما قلت إلاّ أنهم علیهم السّلام مظاهر له تعالی، فأین و الاستناد إلیهم علیهم السّلام و لو بنحو الأمر بین الأمرین؟ قلت: نعم جمیع الممکنات مظاهر له تعالی کل بحسبه، إلاّ أن المظهریة یختلف

1- 1) الأنفال:17.

2- 2) التوبة:74.

بحسب اختلاف المظاهر،

قال علی علیه السّلام: «ما للّه آیة أکبر منی» ، أی ما للّه مظهر أوسع منی، و هذا لا ینافی کونهم علیهم السّلام مظاهر له تعالی حتی فی الاستناد إلیهم. و بعبارة أخری: أنهم مظاهره تعالی فی جمیع الأمور حتی فی النسبة فتأمل. و بعبارة ثالثة: أنهم علیهم السّلام مظاهره فی ظرف النسبة إلیهم، و إلاّ فلو لم ینسب إلیهم شیء، لما کانوا مظاهر، بل کانوا أجانب عن الفعل بالمرة، بل و هکذا غیرهم من سایر الخلق فإنهم أیضا مظاهره هکذا، إلاّ أنه کل بحسب ظرفیته، فتدبر تعرف هذا، مع أنه قد أسند اللّه تعالی الفعل إلیهم بقوله: وَ مٰا رَمَیْتَ و بقوله: إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ فقد أسند الفعل إلیه صلّی اللّه علیه و آله کما لا یخفی، و هذا هو الظاهر من قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ خَلَقَکُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (1)کما تقدم فإنه تعالی أسند الفعل إلی الخلق فی ظرف کونهم و فعلهم مستندا إلیه تعالی کما لا یخفی. ثم إن السرّ فی إطلاق الاستناد إلیهم من اللّه تعالی کما فی قوله: إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أو

قوله علیه السّلام: «أنا خالق السموات و الأرض» ، مع أن الأصل هو ما عرفت من أنه لا استقلال و لا شراکة فی الاستناد فی قباله تعالی، هو أنهم علیهم السّلام یفعلون ما یفعلون بإذنه، و معناه أن من المعلوم أن الإنسان لا یفعل شیئا إلاّ بالمشیة، فإذا کانت مشیتهم علیهم السّلام عین مشیته تعالی، فما صدر منهم إنما هو صادر منه تعالی،

قال الحسین علیه السّلام:

«أم کیف أترجم بمقالی و هو برز منک إلیک»

و إنما صارت مشیتهم علیهم السّلام عین مشیته تعالی، لأنه تعالی غمسهم فی أنوار أسمائه الحسنی.

ففی البحار (2): أقول: قال الشیخ أبو الحسن البکری الشهید الثانی بإسناده عن جماعة منهم ابن عباس، و ساق الحدیث. . . إلی أن قال: فروی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام: «کان اللّه و لم یکن معه شیء، فأول ما خلق نور حبیبه محمد صلّی اللّه علیه و آله. . . إلی أن قال: فخلق منه اثنی عشر حجابا من القدرة و العظمة و العزة، و الهیبة و الجبروت، و الرحمة

1- 1) الصافات:96.

2- 2) البحار ج 15 ص 26.

و النبوة، و الكبرياء و المنزلة، و الرفعة و السعادة و الشفاعة. . . ، إلى أن قال: ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله صلّى الله عليه و آله أن يدخل فى حجاب القدرة، فدخل و هو يقول: سبحان العلى الأعلى، و بقى على ذلك اثنى عشر ألف عام، و هكذا بالنسبة إلى ساير الحجب إلى آخرها، مع ذكرها المخصوص. . . إلى أن قال: ثم إن الله تعالى خلق من نور محمد صلّى الله عليه و آله عشرين بحرا من نور، فى كل بحر علوم لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ثم قال لنور محمد صلّى الله عليه و آله: أنزل فى بحر العزّ، و هكذا إلى تمام العشرين» . انتهى ملخصا بعضه فإنه طويل جدا، فيه من المعارف ما لا يكاد يحصى، و إنما أشرنا إليه للإشارة إلى أنه تعالى كيف غمس نوريته فى تلك الحجب و البحار مع تلك الأذكار فى تلك المدة الكثيرة، و أنه تعالى كيف أدبه و صنعه بآدابه و تربيته حيث غمسه فى أنوار فيوضاته القدسية بحيث استولت الأنوار على ذواتهم

بحيث لما سمع القلم اسم محمد صلّى الله عليه و آله خرّ ساجدا و قال: «سبحان الواحد القهار، سبحان العظيم الأعظم، ثم رفع رأسه من السجود و كتب: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» . ثم قال: يا رب و من محمد الذى قرنت اسمه باسمك و ذكره بذكرك؟ قال الله تعالى له: «يا قلم فلولاه ما خلقتك، و لا خلقت خلقى إلاّ لأجله، فهو بشير و نذير» الحديث السابق ذكره. و كيف كان فلأجل هذا الغمس محقت إنياته صلّى الله عليه و آله و إنياتهم عليهم السّلام لما هم عليهم السّلام و هو صلّى الله عليه و آله واحد، فإنهم خلقوا منه صلّى الله عليه و آله حيث كان كذلك، و كيف كان فبعد ما كانوا كذلك فلم يصدر عنهم شىء إلاّ و هو صادر عنه تعالى، لأنهم عليهم السّلام فى كل أحوالهم لم يكن لهم اعتبار و لا اختيار من أنفسهم، نعم لهم حينئذ من الوجود ما بقى من صافى إنياتهم مما يمسك وجودهم عن التلاشى، و كان ذلك البقاء ببقائه تعالى، فهم الذين لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون و هم الذين عند ربهم كما تقدم، و كيف كان فلا يصدر عنهم شىء إلاّ بما شاء الله أو بمشيته ما شاء كان.

و بعبارة أخرى: إن ما شاءوه يكون فى الحقيقة و أولا بالذات موجودا بمشيته تعالى و بالعرض و بالصورة يكون بمشيتهم، التى هو عين مشيته تعالى، فالأفعال بصورتها صادرة منهم عليهم السّلام بما شاءوا و مشيتهم هى بما لها من الأثر، و هو الفعل صورة لمشيته تعالى فى عالم الملک، و إنما صارت مشيتهم بما لها من الآثار صورة مشيته تعالى، لأنه تعالى خلقهم على هيئة إرادته، و هيكل وحدته، و صورة كينونيته فى الخلق، و إليه يشير

قوله عليه السّلام لكميل: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» ،

و قوله: «نحن صنايع الله» ، فإنه بمناسبة الحكم و الموضوع هم صنايعه أى صور إرادته. و هو المراد من باطن

قوله: «إن الله خلق آدم على صورته» ، أى على هيئة إرادته، لأنه تعالى منزه عن الصور، و هذه الصورة التى تكون لهم عليهم السّلام فى واقع أنوارهم الذاتى و التى لا حدّ لها و لا نعت، كيف و هم حينئذ حقائق أسمائه الحسنى التى لا حدّ لها و لا نعت، كما

قال على عليه السّلام: «و ليس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود» ، و هو المراد من قوله فيما تقدم فى صدر الشرح

قول الصادق عليه السّلام: «إن أمرنا لا يحدّ» ، و إليه يشير

قول على عليه السّلام: «أنا الذى لا يقع عليه اسم و لا صفة» فإنه يشير إلى هذه الصورة المشية الإلهية، التى هو التجلى الأعظم منه تعالى بهم و لهم عليهم السّلام و لهذا

قال عليه السّلام أيضا: «ظاهرى إمامة و باطنى غيب لا يدرک» ،

و قالوا أيضا: «نحن تلک الكلمات لا يستقصى و لا يدرک فضلنا» ، و قد تقدم. فحينئذ نقول: إذا كانت ماهيتهم هيئة إرادته تعالى، و وجودهم نور المشية الإلهية و صورتها الإمكانية، فلا محالة تكون أفعالهم و أقوالهم على ما يوافق مراد الله، و إليه يشير قوله تعالى: اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ (1)أى يعلم حيث يجعل رسالته فى مظاهر صور إرادته و مشيته، كى لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

1- 1) الأنعام:124.

لهذه العلة و بهذه الجهة كانت حقائقهم النورية، التى لا إنية لها نفسانية تراجمة مشيته تعالى، فأفعالهم كأقوالهم معنى مشيته تعالى و مترجمة لها فى عالم الملك، أى تبيّن مشيته تعالى، و لذا كانت أفعالهم كأقواهم و تقريراتهم حجة لنا تشريعا كما هو ظاهر، و تكوينا حيث إن فعلهم فعله.

قال على عليه السّلام فى خطبته يوم الغدير و الجمعة على ما تقدم قال: «فجعلهم ألسنة إرادته» ، ففعلهم فعله تعالى أظهره الله بهم، كما أن كلامهم تعالى تكلم بهم و هو أحد معانى قوله تعالى: لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ (1)أى أن قولهم قوله لا قولهم فتدبر، ثم إنه تعالى لهذه الأمور كلها فرغهم لنفسه تعالى و اصطنعهم لنفسه تعالى، فأخلى أفئدتهم و جميع مشاعرهم مما سواه تعالى، ملأها من علمه و مشيته و إرادته

كما قال عليه السّلام فى حديث بدء خلقهم كما فى البحار و التوحيد: «و حمّلهم علمه و دينه فجعلهم خزائن علمه و عيبته و حكمه و اقتداره» ، ثم إنه تعالى حفظهم و سددهم و عصمهم عما ليس له فأمرهم ففعلوا بأمره وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . و هذا هو المراد من قوله تعالى لنبيه: لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاكَ اَللّٰهُ (2)فإنه تعالى هكذا أو بأدق منه أراه حقائق مشيته و إرادته فى خلقه، و لذا

قال عليه السّلام: «و بهم يقضى فى الخلق قضيته» ، و إليه يشير ما تقدم

عن الكافى، عن الصادق عليه السّلام فى هذه الآية: «و الله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسوله صلّى الله عليه و آله و إلى الأئمة عليهم السّلام» ، قال الله تعالى: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاكَ اَللّٰهُ. . (3)و هى جارية فى الأوصياء. فظهر أنهم عليهم السّلام كان رأيهم كرأى النبى صلّى الله عليه و آله صوابا فيما فوض إليهم فى الفعل و القول، مما أشير إليه فى الأخبار السابقة، لأجل ما ذكرناه من أن فعلهم و قولهم

1- 1) الأنبياء:27.

2- 2) النساء:105.

3- 3) النساء:105.

فعله و قوله تعالی بالبیان المتقدم، و لا یفعلون بمقتضی نفوسهم البشریة، بل بمقتضی ما أراه الله تعالی لهم بالنحو المتقدم، ثم إن الذی یجب علینا هو نفی ربوبیتهم، و نفی کونهم شرکاء مع الله، و نفی التفویض الذی هو یوجب عزل الحق عن السلطنة و التأثیر، و أما ما عداها من معانی التفویض الصحیحة التی ذکرناها، فلا دلیل علی ردها، بل لا بد من حملها علی ظاهرها مخافة أن نکون من أهل هذه الآیة بَلْ کَذَّبُوا بِمٰا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ (1)، و قد تقدم سابقا أخبار کثیرة دلّت علی عدم جواز رد ما نسب إلیهم، و لو کان الناسب من القدریة، بل اللازم ردّ علمه إلیهم لا تکذیبهم فراجع. ثم إنه یظهر مما ذکره أن ما قاله فی البحار عقیب ما نقلناه عنه من قوله: و ما ورد من الأخبار الدالة علی ذلک و أمثالها، فلم یوجد إلاّ فی کتب الغلاة و أشباههم فیه أنه إن أرید من قوله: علی ذلک، أی علی أنهم یفعلون تلک الأمور المنسوبة إلیهم بقدرتهم و إرادتهم بنحو الاستقلال فهو صحیح، و قد علمت أنه کفر صریح، و إن أرید منه ما ذکره من أنه تعالی فعل ذلک مقارنا لإرادتهم إلی آخر ما ذکره فی القسم الثانی السابق ذکره ففیه: أنه لا کفر فیه و لا غلو، علی أن نسبة من ذکر هذه الأحادیث فی کتبه إلی الغلاة کحافظ رجب البرسی (رضوان الله علیه) لیس مما ینبغی صدوره منه رحمه الله. هذا مضافا إلی ما علمت من المراد من قولهم علیهم السّلام فی تلک الأخبار مما لیس فیه کفر و لا إلحاد، بل عین الحق، فتأمل، لئلا یشتبه علیک الأمر، ثم قال رحمه الله بعد ذلک مع أنه یحتمل أن یکون المراد کونهم علة غائیة لإیجاد جمیع المکونات، و أنه تعالی جعلهم مطاعین فی الأرضین و السموات، و یطیعهم بإذن الله تعالی کل شیء حتی الجمادات، و أنهم إذا شاءوا أمرا لا یردّ الله مشیتهم، و لکنهم لا یشاءون إلاّ أن یشاء الله.

1- 1) یونس:39.

أقول: كونهم عليهم السّلام علة غائية لإيجاد الممكنات مما لا ريب فيه، كما علمته من الأحاديث القدسية، و أنها كثيرة جدا، كما أنه دلّت أحاديث كثيرة على أنهم مطاعون فى الوجود بإذنه تعالى، إلاّ أن هذا مما لا يمكن حمل

قوله عليه السّلام: «أنا خالق السموات و الأرضين» ، أو

قوله: «بهم يقضى فى الخلق قضيته» ، الظاهر فى كونهم سببا لها (لظهور الباء فى السببية) فى كونهم علة غائية، أو أنهم مطاعون فيهما، فإن تلك العبارات ظاهرة فى استناد الأفعال إليهم بنحو الفاعلية، و أين هذا من كونهم مطاعين أو كونهم علة غائية؟ على أنه ذكر بعضهم أن العلة ترجع إلى العلة الفاعلية بدعوى أن الغاية هى الصورة العلمية للفاعل الذى، هو بهذه الصورة الكائنة فيه يكون علة فاعلية لا مطلقا، و لكن فيه ما فيه، و تحقيق الكلام فيه نفيا و إثباتا موكول إلى محله. ثم إنه رحمه الله ذكر بعد هذا: و أما ما ورد من الأخبار فى نزول الملائكة و الروح لكل أمر إليهم، و أنه لا ينزل ملك من السماء لأمر إلاّ بدأ بهم فليس ذلک لمدخليتهم فى ذلک، و لا الاستشارة بهم، بل له الخلق و الأمر تعالى، و ليس ذلک إلاّ لتشريفهم و إكرامهم و إظهار رفعة مقامهم. أقول: فيه أنه قد ثبت فى محله و ستأتى الإشارة إليه أن الملائكة بجميع أقسامها، فإنما هى من شئونهم، كيف و قد خلقوا من أنوارهم، و كذا ساير الأمور، كما دلّت عليه الأخبار، و منها ما ذكرناه عن استاد الشهيد الذى ذكره رحمه الله و تقدم بعضه، و حينئذ فكيف لا يكون نزولهم و الابتداء بهم لمدخليتهم، بل هو لعين مدخليتهم لذلک، كيف و الفرع قائم بالأصل، و أخذ منه ما يفعله كما لا يخفى، و هذه المدخلية فوق الاستشارة التى احتملها و نفاها رحمه الله فإنهم أجل من أن يستشير الملائكة منهم، بل هذا نقص لهم، بل يكون نزولهم لديهم عليهم السّلام للاستيذان التكوينى الذى جعله الله تعالى بل لهم، لكونهم أسبابا للخلقة، و لهم كما لا يخفى. ثم قال رحمه الله: الثانى: التفويض فى أمر الدين، و هذا أيضا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله تعالى فوض إلى النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام عموما أن يحلّوا ما شاءوا و يحرموا ما شاءوا من غير وحى و إلهام، أو يغيّروا ما أوحى إليهم بآرائهم، و هذا باطل لا يقول به عاقل، فإن النبى صلّى الله عليه و آله كان ينتظر الوحى أيّاما كثيرة لجواب سائل، و لا يجيبه من عنده، و قد قال تعالى: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (1). أقول: و قد قال تعالى أيضا: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنٰا بَعْضَ اَلْأَقٰاوِيلِ. لَأَخَذْنٰا مِنْهُ (2). قال رحمه الله: و ثانيهما: أنه تعالى لما أكمل نبيه صلّى الله عليه و آله بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئا إلاّ ما يوافق الحق و الصواب، و لا يحل بباله ما يخالف مشيته تعالى فى كل باب فوّض إليه تعيين بعض الأمور كالزيادة فى الصلوة، و تعيين النوافل فى الصلوة و الصوم و طعمة الجد و غير ذلک مما مضى و سيأتى، إظهارا لشرفه و كرامته عنده، و لم يكن أصل التعيين إلاّ بالوحى، و لم يكن الاختيار إلاّ بإلهام، ثم كان يؤكد ما اختاره صلّى الله عليه و آله بالوحى، و لا فساد فى ذلک عقلا، و قد دلّت النصوص المستفيضة عليه مما تقدم فى هذا الباب، و فى أبواب فضائل نبينا صلّى الله عليه و آله من المجلد السادس. أقول: هذا صحيح (و تقدم من الأخبار ما يدل على ذلک) إلاّ أن قوله رحمه الله: و لم يكن الاختيار إلاّ بإلهام، و لم يكن أصل التعيين إلاّ بالوحى، لعله مستدرک لا يحتاج إلى ذكره لما علمت آنفا، و أشار إليه هو رحمه الله قبل هذا من أنه تعالى أكمل نبيه صلّى الله عليه و آله بحيث لم يكن يختار إلاّ ما يوافق الحق و الصواب، و ذكرنا أن قلوبهم أوعية لمشيّته تعالى و هم تراجمة مشيته تعالى. ثم قال رحمه الله بعد كلمات: الثالث: تفويض أمور الخلق إليهم من سياستهم و تأديبهم، و تكميلهم و تعليمهم، و أمر الخلق بإطاعتهم فيما أحبّوا و كرهوا، و فيما

1- 1) النجم:4.

2- 2) الحاقة:44-45.

علموا جهة المصلحة فيه و ما لم يعلموا، و هذا حق لقوله تعالى: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (1)و غير ذلک من الآيات و الأخبار، و عليه يحمل

قولهم عليه السّلام: «نحن المحللون حلاله، و المحرمون حرامه» ، أى بيانهما علينا، و يجب على الناس الرجوع فيهما إلينا، و بهذا الوجه ورد خبر أبى إسحاق الميثمى. أقول: هذا صحيح، و لكن فيه أنه خلاف ظاهر أحاديث التفويض فإنها ظاهرة فى التفويض، فى الأحكام لا فى تطبيقها على الموضوعات، فإن هذا معلوم من أحاديثهم، و تقدم ما يزيدک بصيرة فى هذا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و ساسة العباد»

، و الاستشهاد لمقصوده بالآية الشريفة و إن كان صحيحا بلحاظ استفادة العموم منها بالنسبة إلى الأحكام و الموضوعات، إلاّ أن أحاديث الباب ظاهرة فيما قلناه (و الله العالم) . الرابع: تفويض بيان العلوم و الأحكام بما رأوا المصلحة فيها بسبب اختلاف عقولهم، أو بسبب التقية فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام، و بعضهم بالتقية، و يبينون تفسير الآيات و تأويلها، و بيان المعارف بحسب ما يحتمل عقل كل سائل، و لهم أن يبينوا، و لهم أن يسكتوا

كما ورد فى أخبار كثيرة: عليكم بالمسألة، و ليس علينا الجواب، كل ذلک بحسب ما يريهم الله من مصالح الوقت، كما ورد فى خبر ابن أشيم و غيره، و هو أحد معانى خبر محمد بن سنان فى تأويل قوله تعالى: لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ (2). و لعل تخصيصه بالنبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام لعدم تيسّر هذه التوسعة لسائر الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام بل كانوا مكلفين بعدم التقية فى بعض الموارد، و إن أصابهم الضرر، و التفويض بهذا المعنى أيضا ثابت حق بالأخبار المستفيضة. أقول: و مما يدل على هذا أيضا قوله رحمه الله: بسبب اختلاف عقولهم (أى عقول

1- 1) الحشر:17.

2- 2) النساء:105.

الناس و المخاطبين (بالفتح) . الخامس: الاختيار فى أن يحكموا بظاهر الشريعة أو بعلمهم، و بما يلهمهم الله من الواقع و مخ الحق فى كل واقعة، و هذا أظهر محامل خبر ابن سنان، و عليه أيضا دلت الأخبار. السادس: التفويض فى العطاء فإنه تعالى خلق لهم الأرض و ما فيها، و جعل لهم الأنفال و الخمس و الصفايا و غيرها، فلهم أن يعطوا ما شاءوا و يمنعوا ما شاءوا كما مرّ فى خبر الثمالى. أقول: هذا صحيح و لكنه أحد معانى التفويض، لا- أنه منحصر فيه كما هو ظاهر. فتحصّل من جميع ما ذكرنا أنهم عليهم السّلام لما كانوا خلفاء الله فى أرضه و سمائه، و هذا أمر عام يشمل كون إياب الخلق إليهم فى القيامة كما تقدم، و أن أمر الخلائق مفوض إليهم فى الدنيا بالمعانى الصحيحة المتقدمة، كيف لا و هم مظاهر آياته و صفاته تعالى فلهم الحكم و الأمر فى الخلق بما رتّبهم الله تعالى فيه؟ و لنختم الكلام فى هذا المقال بما يزيدك بصيرة فى مقامهم الشامخ السامى، الذى جعله الله تعالى لهم، و بما هو دليل كلى لجميع ما تقدم، و هو

ما رواه فى بصائر الدرجات بإسناده عن أبى بصير، عن خثيمة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «نحن جنب الله، و نحن صفوته، و نحن خيرته، و نحن مستودع مواريث الأنبياء، و نحن أمناء الله، و نحن حجة الله، و نحن أركان الإيمان، و نحن دعائم الإسلام، و نحن من رحمة الله على خلقه، و نحن الذين بنا يفتح الله و بنا يختم، و نحن أئمة الهدى، و نحن مصابيح الدجى، و نحن منار الهدى، و نحن السابقون، و نحن الآخرون، و نحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّك بنا لحق، و من تخلف عنّا غرق، و نحن القادة الغرّ المحجّلين، و نحن خيرة الله، و نحن الطريق و صراط الله، المستقيم إلى الله، و نحن من نعمة الله على خلقه، و نحن المنهاج، و نحن معدن النبوة، و نحن موضع الرسالة، و نحن الذين إلينا مختلف الملائكة، و نحن

السراج لمن استضاء بنا، و نحن السبيل لمن اقتدى بنا، و نحن الهداة إلى الجنة، و نحن عزّ الإسلام، و نحن الجسور و القناطر، من مضى عليها سبق، و من تخلف عنها محق، و نحن السنام الأعظم، و نحن الذين بنا نزل الرحمة، و بنا تسقون الغيث، و نحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا و نصرنا، و عرف حقنا، و أخذ بأمرنا فهو منّا و إلينا، و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا» .

[34]قوله عليه السّلام: من والاكم فقد و إلى الله، و من عاداكم فقد عادى الله، و من أحبكم فقد أحبّ الله، و من أبغضكم فقد أبغض الله، و من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله.

أقول:

فى البحار (1)عن أمالى الصدوق بإسناده عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «أنا سيد ولد آدم، و أنت يا على و الأئمة من بعدك سادات أمتى، من أحبنا فقد أحبّ الله، و من أبغضنا فقد أبغض الله، و من والانا فقد والى الله، و من عادانا فقد عادى الله، و من أطاعنا فقد أطاع الله، و من عصانا فقد عصى الله» .

و فيه (2)عن تفسير العياشى، عن أبى خالد الكابلى، عن أبى جعفر عليه السّلام:

(مُلْكاً عَظِيماً) «أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله و من عصاهم عصى الله، فهذا ملك عظيم» (وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) . و لا ريب فى أن طاعتهم واجبة دلّت عليها أخبار كثيرة، منها ما

فيه ص 298 عن تفسير الفرات، أحمد بن القاسم معنعنا عن أبى مريم قال: سألت جعفر بن محمد عليه السّلام أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ (3)، كانت طاعة مفترضة؟ قال: «كانت طاعة رسول الله صلّى الله عليه و آله خاصّة مفترضة لقول الله تعالى: مَنْ يُطِعِ

1- 1) البحار ج 27 ص 88.

2- 2) البحار ج 23 ص 291.

3- 3) النساء:59.

اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ

(1)

و كانت طاعة على بن أبى طالب عليه السّلام طاعة رسول الله صلّى الله عليه و آله» .

و فى غاية المرام (2)ابن بابويه بإسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «الأئمة من ولد الحسين من أطاعهم فقد أطاع الله، و من عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، و هم الوسيلة إلى الله تعالى» .

و فى تفسير نور الثقلين (3)عن كتاب الاحتجاج للطبرسى رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل و فيه: «و أجرى فعل بعض الأشياء على أيدى من اصطفى من أمنائه، فكان فعلهم فعله، و أمرهم أمره كما قال: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ .

و فيه (4)عن الكافى بإسناده عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ذروة (5)الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء و رضا الرحمن تبارك و تعالى الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تبارك و تعالى يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (6). و زاد فى حديث آخر فى آخره: «أما لو أن رجلا قام ليله و صام نهاره، و تصدق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولاية ولى الله فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته، إليه ما كان له على الله حق فى ثوابه، و لا كان من أهل الإيمان» .

و فيه عن أصول الكافى بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قول الله عز و جل: فَلَمّٰا آسَفُونٰا اِنْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ (7)فقال: «إن الله عز و جل لا يأسف كأسفنا، و لكنه خلق أولياء

1- 1) النساء:80.

2- 2) غاية المرام ص 245.

3- 3) نور الثقلين ج 1 ص 432.

4- 4) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 431.

5- 5) الذروة المكان العالى و كذا السنام.

6- 6) النساء:80.

7- 7) الزخرف:55.

لنفسه يأسفون و يرضون، و هم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، و سخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه و الأدلاء عليه، فلذلک صاروا کذلک، و ليس أن ذلک يصل إلى الله کما يصل إلى خلقه، و لکن هذا معنى ما قال من ذلک» ، الحديث بطوله.

و فى البحار (1)عن کنز الفوائد، إلى أن قال: و روى أبو عبد الله الحسين بن جبير فى کتاب نخب المناقب لآل أبى طالب عليه السّلام حديثا مسندا إلى الرضا عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «من أحب أن يتمسک بالعروة الوثقى فليتمسّک بحبّ على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و روى أيضا فى الکتاب المذکور عن الحسين بن جبير، بإسناده إلى أبى جعفر الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: إِلاّٰ بِحَبْلٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ حَبْلٍ مِنَ اَلنّٰاسِ (2)قال: «حبل من الله کتاب الله، و حبل من الناس على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و فيه عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّٰهِ جَمِيعاً (3)قال: «نحن الحبل» .

و فى البحار (4)عن أمالى الشيخ، عن أبى الحمراء خادم رسول الله صلّى الله عليه و آله. . . إلى أن قال الشيخ الخادم (رضوان الله عليه) بعد کلام: ثم قال له (أى رسول الله لعلى عليهما و آلهما السّلام) . . . إلى أن قال: «يا على من حاربک فقد حاربنى، و من حاربنى فقد حارب الله، يا على من أبغضک فقد أبغضنى، و من أبغضنى فقد أبغض الله، و اقعس الله جده و أدخله نار جهنم» .

و فيه (5)عن أمالى الصدوق، عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «من ناصب

1- 1) البحار ج 24 ص 83.
2- 2) آل عمران:112.
3- 3) آل عمران:103.
4- 4) البحار ج 27 ص 221.
5- 5) البحار ج 27 ص 233.

علیا حارب الله، و من شک فی علی فهو کافر» . فالمستفاد من هذه الأحادیث: أن الله تعالی حیث أمر بموالاتهم و محبتهم و الاعتصام بهم، و نهی عن معاداتهم و بغضهم، فلا محالة یکون الموالی لهم موالیا له تعالی، و السرّ فی ذلک کله أنه تعالی لما جعل رضاهم رضا نفسه، فقد وصلهم بنفسه، فیکون ما یتعلق بهم ما یتعلق به تعالی من تلک الأمور، و ذلک أن النبی صلّی الله علیه و آله و الأئمة علیهم السّلام لهم جهتان: جهة خلقیة بشریّة و جهة إلهیة، فما یصل إلیهم من الجهة البشریة فلا یصل إلیه تعالی، و ما یصل إلیهم من الجهة الإلهیة المعبر عنها

فی الدعاء بقوله:

«لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک» ، الدعاء، و تقدم شرحه، فیصل إلیه تعالی، لأنهم علیهم السّلام من هذه الجهة فانون عن أنفسهم، و باقون ببقائه تعالی، و من هذه الجهة أنهم وجه الله و عین الله إلی آخر ما مرّ

فی الحدیث السابق عن بصائر الدرجات، و لذا قال الله تعالی: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (1)و قال علیه السّلام: «من أحبنا فقد أحبّ الله» ، إلی آخر ما تقدم فی الحدیث. و کیف کان فهم فی هذه الجهة قائمون مقامه تعالی، فیصح بهذه الجهة أن ینسب إلیه تعالی ما نسب إلیهم من هذه الجهة، و هذا واضح لا ریب فیه، و الحمد لله رب العالمین.

[35]قوله علیه السّلام: أنتم السبیل الأعظم، و الصراط الأقوم، و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء

أقول: السبیل و الطریق بمعنی، إلاّ أنه ربما یفترقان فی موارد الاستعمال کما ذکر فی اللغة، فقد قیل: السبیل هو الطریق، إلاّ أن الطریق من الطرق و هو بمعنی القرع، و لذا یقال للآتی باللیل: طارق، لاحتیاجه إلی قرع الباب، و یقال للمسلک و الجادة:

1- 1) النساء:80.

الطريقة و الطريق، كأن الإنسان يقرعه فى السلوك و الطىّ، و المراد بالمسلک ما يعمّ المذهب كما لا يخفى. و عن القاموس: الصراط (بالكسر) الطريق ثم السبيل، و إن كان يطلق على الطريق و الصراط الصورى المادى، إلاّ أنه غالبا يستعمل فيما يكون السير فيه معنويا، و هو إما يكون إلى الله و إلى الحق و الخير و الجنة و نحوها كسبيل الهدى و الرشاد و أمثالهما، و بهذا المعنى ورد تأويله بالولاية و الأئمة و بخصوص على (عليه و عليهم السّلام) و بسبيلهم و طريقهم بل بشيعتهم أيضا، حتى ورد أنهم سبيل الله و سبيل الهدى و الرشاد. و إما يكون ما يقابل الحق و الخير، أى الكفر و الضلال، و الباطل و الهوى و أمثالهما، و بهذا المعنى ورد تأويله بولاية الثلاثة، و بالجملة هو مقابل الأول، و تقدم أنه تعالى عبّر عن الأول بالسبيل مفردا لوحدته و اتحاد سالكيه إليه تعالى، و عن الثانى بالسبل جمعا لاختلافه و اختلاف سالكيه، كما تقدم فى شرح قوله: و صراطه. ثم إن وجه اتصاف السبيل بالأعظم و الصراط بالأقوم هو أن السبيل بمعنى الطريق، و هو بعدد أنفاس الخلائق، و كل واحد منهم يكون نفسه طريقه إليه تعالى، و هو عظيم بالنسبة إلى نفسه، و بالنسبة إلى ما يتوقف عليه سيره من وجوده و موجوديته من المعارف و القوى الظاهرية و الباطنية، و أيضا تختلف كل منها بحسب الكلية و الجزئية بلحاظ نفسه، أو بالإضافة إلى غيره، و لكنها مع كثرتها و تعددها، ليس فيها ما يشمل جميع شئون الألوهية بحيث يصل من نفسه إلى جميعها إلاّ حقيقة نفوسهم المقدسة المطهرة. فلهم عليهم السّلام الجهة الكلية للسير إليه تعالى، بحيث يظهر بها جميع الشئون الربوبية و يوصل بها إلى جميعها، نعم لا- إلى الكنه، بل إلى ما أجاز تعالى كما لا يخفى، فهم عليهم السّلام السبيل الأعظم فى كل خير نازل من خزائنه تعالى، و فى كل خير صاعد من أعمال الخلائق إليه تعالى، و تقدم فى شرح قوله: و صراطه، الكلام مبسوطا جدّا، و ذكرنا

أنهم علیهم السّلام الطریق منه تعالی إلی جمیع خلقه فی وصول الفیض منه تعالی لکل إیجاد، أو تکلیف لطفی إلهی، فلا یستفیض أحد شیئا بجمیع شئون الوجود إلاّ بواسطتهم علیهم السّلام، و کذلک أنهم علیهم السّلام الطریق من الخلق إلیه تعالی، أی لا یستمد شیء من الخلق بأقسامه و جواهره و أعراضه و أجسامه من الله إلاّ بواسطتهم، و لا یصل أحد إلی معرفته ذاتا أو صفة أو غیرها، و لا یصل عمل منهم إلیه تعالی، إلاّ بواسطتهم علیهم السّلام و تقدم شرحه سابقا. و منه یعلم أیضا کونهم علیهم السّلام الصراط الأقوم، و ذلک أنهم علیهم السّلام بعد ما کانوا حجج الله تعالی علی خلقه، و أنه لیس بینهم و بینه تعالی ستر و لا حجاب، کما تقدم عن السجاد علیه السّلام و أنهم معصومون و مؤیدون بنور الروح، الذی هو أعظم من جبرئیل و میکائیل کما تقدم، و أنهم العروة الوثقی التی لا انفصام لها، فلا محالة یکون صراطهم هو الصراط الأقوم، لا انقطاع له دون البلوغ إلی الحق، فهو قوی و قویم، أی صراط أقامه الله تعالی بقوته و قدرته، فلا محالة لا انفصام له أبدا، و هذا معنی کونه أقوم. ثم إنه قد تقدمت أخبار الباب فی شرح

قوله علیه السّلام:

و صراطه

، مفصلا بما لا مزید علیه منّا، إلاّ أنه ربما فسّر السبیل بولایتهم علیهم السّلام کما فی الأحادیث، فلا بأس بذکر بعضها، و الإشارة إلی وجهها، فنقول:

ففی المحکی عن المناقب، عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ صَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ (1)قال: «عن ولایة علی علیه السّلام» .

و فی روایة أخری: یعنی «بالسبیل علیا، و لا ینال ما عند الله إلاّ بولایته» .

و فی البحار (2)عن تفسیر العیاشی القمی:

وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ قال: «إلی ولایة أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: وَ إِنَّ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

ص: 133

1- 1) النحل:88.

2- 2) البحار ج 24 ص 14.

عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ قال: عن الإمام لحادون» .

و فيه (1)عن الخصائص بالإسناد عن الأصبغ، عن على عليه السّلام و فى كتبنا عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: وَ إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ قال: «عن ولايتنا» .

و فيه (2)عن كنز جامع الفوائد، عن موسى بن جعفر عليه السّلام، و أيضا فيه بإسناده عن ابن نباتة فى قوله عز و جل: وَ إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ قال: «عن ولايتنا أهل البيت» . و فى خبر آخر قال: «عن ولايتنا» .

و فيه (3)عن كنز الفوائد، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله عز و جل: وَ لٰكِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِنٰا (4)قال: «ذاک على بن أبى طالب عليه السّلام» ، و فى قوله: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: «إلى ولاية على بن أبى طالب عليه السّلام» . أقول: هذه نبذة منها دلت على أن الصراط و السبيل هو ولايتهم عليهم السّلام و قد تقدمت أخبار عن بصائر الدرجات و غيره فى أن ولايتهم ولاية الله، فلا محالة تكون ولايتهم بما هو مفسّر بالسبيل و الصراط هى الموصلة إليه تعالى و إلى الحق، و إلى الجنة، و هم عليهم السّلام بحقيقتهم الولوية السبيل و الصراط إليه تعالى، حيث علمت أن الولاية بقسميها تشريعية و تكوينية معناه التصرف فى الخلق بالأمر و النهى، و القلب و الانقلاب فى الموجود على حسب ما أقدرهم الله، و ما تقتضيه المصلحة، و لا ريب فى أنها لا تكون إلاّ و هى موصلة إلى الحق، لأنها ولاية الله، و الله تعالى يدعو بولايته إلى الحق كما لا يخفى، و قد تقدم شرحه مفصلا فى «و صراطه» فراجعه.

ص: 134

1- 1) البحار ج 24 ص 16.
2- 2) البحار ج 24 ص 22.
3- 3) البحار ج 24 ص 24.
4- 4) الشورى:52.

و أما قوله: «و شهداء دار الفناء»

اشارة

، فنقول: هناک أخبار فی ذیل آیات دلّت علی أنهم الشهداء، فنذکر بعضها ثم نعقبها بالکلام فنقول:

فی بصائر الدرجات (1)بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله تبارک و تعالی: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ (2)قال: «نحن الشهداء علی الناس بما عندهم من الحلال و الحرام و ما ضیّعوا منه» .

و فیه عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: الآیة، قال علیه السّلام: «هم الأئمة علیهم السّلام» .

و فیه عن یزید بن معاویة قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قول الله تعالی: الآیة قال: «نحن الأمة الوسط (الوسطی) و نحن شهداء الله علی خلقه و حجته فی أرضه» .

و فیه بإسناده عن قیس الهلالی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «إن الله طهّرنا و عصمنا، و جعلنا شهداء علی خلقه، و حجته فی أرضه، و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا یفارقنا» . و تقدم ما یدل علی هذا فی السابق.

و فی تفسیر نور الثقلین (3)عن کتاب المناقب لابن شهرآشوب، أبو حمزة الثمالی، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ یَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً (4)قال: «نحن الشهود علی هذه الأمة» .

و فیه عن مجمع البیان. . إلی أن قال: و قال الصادق علیه السّلام: «لکل زمان و أمة إمام، تبعث کل أمة مع إمامها» .

و فی مقدمة تفسیر البرهان، و فی المناقب عن سلیم بن قیس، عن علی علیه السّلام قال:

1- 1) بصائر الدرجات ص 82.

2- 2) البقرة:143.

3- 3) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 73.

4- 4) سورة النحل الآیة 89.

«إن الله تعالى إيّانا عنى بقوله: شُهَدٰاءَ عَلَى اَلنّٰاسِ ، فرسول الله شاهد علينا، و نحن شهداء على خلقه، قال الله تعالى: وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً . . . إلى قوله تعالى: عَلَيْكُمْ شَهِيداً (1). أقول: و الوجه فى كونهم عليهم السّلام الشهداء على الناس هو ما روى فى ذيل قوله تعالى: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ و هى كثيرة، و نحن نذكر بعضها.

ففى بصائر الدرجات (2)بإسناده عن محمد بن مسلم و زرارة قالا: سألنا أبا عبد الله عليه السّلام عن الأعمال تعرض على رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: «ما فيه شك، ثم تلا هذه الآية: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ (3)قال: إن لله شهداء فى أرضه» .

و فيه بإسناده عن عبد الله بن أبان قال: قلت للرضا عليه السّلام: إن قوما من مواليك سألونى أن تدعو الله لهم، فقال: «و الله إنى لتعرض علىّ فى كل يوم أعمالهم» .

و فيه، بإسناده عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «الإمام يسمع الصوت فى بطن أمّه، فإذا سقط إلى الأرض كتب على عضده الأيمن: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ فإذا ترعرع نصب له عمودا من نور من السماء إلى الأرض يرى به أعمال العباد» .

و فيه، عن أبى عبد الله عليه السّلام. . . إلى أن قال: «فإذا خرج إلى الأرض أوتى الحكمة، و زيّن بالعلم و الوقار، و ألبس الهيبة، و جعل له مصباح من نور يعرف به الضمير، و يرى به أعمال العباد» .

و فيه، عن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: . . . إلى أن قال بعد

1- 1) البقرة:143.

2- 2) بصائر الدرجات ص 43.

3- 3) التوبة:105.

ذكر الآية: فإذا شاء مضى الإمام الذى كان من قبله، رفع لهذا منارا من نور ينظر به إلى أعمال الخلائق، فبهذا يحتج الله على خلقه» .

و فيه (1)بإسناده عن محمد بن مروان، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن الإمام يسمع الصوت فى بطن أمّه، فإذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ . فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء و الأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق و المغرب» .

و فيه، عن أبى حمزة الثمالى، قال: قال أبو جعفر عليه السّلام. . . إلى أن قال: «حتى إذا شبّ رفع الله له عمودا من نور يرى فيه الدنيا و ما فيها، لا يستر عنه منها شيء» .

و فيه (2)عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول. . . إلى أن قال عليه السّلام: «فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عمودا من نور، يبصر به ما يعمل به أهل كل بلدة» .

و فى حديث بعده قال عليه السّلام: «يعلم ما يعمل به القرية الأخرى» .

و فيه (3)بإسناده عن إسحاق الحريرى قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام فسمعته و هو يقول: «إن لله عمودا من نور حجبه الله عن جميع الخلائق طرفه عند الله و طرفه الآخر فى أذن الإمام، فإذا أراد الله شيئا أوحاه فى أذن الإمام» .

و فيه، بإسناده عن صالح بن سهل، «إن الله جعل بينه و بين الرسول رسولا، و لم يجعل بينه و بين الإمام رسولا، قال: قلت: و كيف ذاك؟ قال: جعل بينه و بين الإمام عمودا من نور ينظر الله به إلى الإمام، و ينظر الإمام (إليه، بحار) إذا أراد علم شيء، نظر فى ذلك النور فعرفه» .
أقول: المراد من قوله: رسولا، هو جبرئيل أى أنه تعالى جعل بينه و بين

1- 1) بصائر الدرجات ص 434.
2- 2) بصائر الدرجات ص 437.
3- 3) بصائر الدرجات ص 439.

الرسول ملكا و رسولا، فالرسول رسول عنه تعالى يوحى إليه بواسطة الملک أحيانا كما علمت سابقا، و هـذا هو الفرق بين الرسول و الإمام، فإن الرسول يوحى إليه بواسطة الملک، و الإمام لا يوحى إليه بواسطة الملک، و تقدم أن حقيقة ذلک النور هو الروح الذى أوحاه الله تعالى إلى النبى صـلّى الله عليه و آله فى قوله: وَ كَذٰلِکَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (1)، و هذا الروح هو حقيقة النبوة المختصة بالنبى صـلّى الله عليه و آله ابتـداء، ثم إنه لفيهم و صار إليهم، فهم يعلمون ما يعلمون بواسـطة ذلک النور الـذى هو حقيقـة النبوة. فحاصل هذا الحديث: أن النبى أوحى إليه ذلک الروح ابتداء، و أوحى إليه تفصـيلا بواسـطة الملک (أى جبرئيل) و أما الإمام فلا يكون عمله إلاّ بواسـطة الروح، الذى هو حقيقـة النبوة، و أعظم من جبرئيل و ميكائيل كما تقـدم، و هـذا هو الفرق بينه و بين الرسول كما تقـدم، فلا تظن أن الحديث يعطى مقام النبوة للإمام عليه السّلام بل هو ظاهر و صريح فى أنه (أى الإمام) يعلم بواسطة عمود النور، الذى هو النازل إليه صلّى الله عليه و آله أولا ثم جعل فيهم، و تقدم الكلام فيه مفصلا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و مختلف الملائكة»

. و يدل على هذا

ما فيه (2)أيضا بإسـناده عن أبى جعفر عليه السّـ لام قال: قال أبو عبد الله عليه السّـ لام: «إنا أنزلناه نورا كهيئة العين على رأس النبى صـلّى الله عليه و آله و الأوصـياء عليهم السّـ لام لا يريد أحد منا علم أمر من أمر الأرض أو أمر من أمر السـماء إلى الحجب التى بين الله و بين العرش إلاّ رفع طرفه إلى ذلک النور فرأى تفسـير الذى أراد فيه مكتوبا» . أقول: قد ذكر عليه السّـ لام إنا أنزلناه نور على رأس النبى و الأوصـياء، و هو شاهـد على ما قلناه من أن النور فى جميع تلک الروايات يراد منه الروح، الـذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و هو أولا يكون فيه صـلّى الله عليه و آله ثم يكون فيهم عليهم السّلام.

1- 1) الشورى:52.

2- 2) بصائر الدرجات ص 462 رقم 5.

و فیه بإسناده عن أبی بکر الحضرمی قال: قال لی أبو عبد الله علیه السّلام: «یا أبا بکر ما یخفی علیّ شیء من بلادکم» .

و فیه بإسناده عن علی بن أحمد بن محمد، عن أبیه قال: کنت أنا و صفوان عند أبی الحسن علیه السّلام (1)فذکروا الإمام و فضله قال: «إنما منزلة الإمام فی الأرض بمنزلة القمر من السماء فی موضعه هو مطلع علی جمیع الأشیاء کلها» .

و فی تفسیر البرهان (2)، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولویه بإسناده عن عبد الله بن بکر الأرجانی، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی حدیث طویل قلت له: جعلت فداک فهل یری الإمام ما بین المشرق و المغرب؟ قال: «یا بن بکر فکیف یکون حجة علی ما بین قطریها، و هو لا یراهم و لا یحکم فیهم، و کیف یکون حجة علی قوم غیّب، لا یقدر علیهم و لا یقدرون علیه، و کیف یکون مؤدیا عن الله و شاهدا علی الخلق و هو لا یراهم، و کیف یکون حجة علیهم، و هو محجوب عنهم، و قد حیل بینهم و بینه أن یقوم بأمر ربه فیهم و الله یقول: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّةً لِلنّٰاسِ (3)یعنی به من علی الأرض و الحجة من بعد النبی صلّی الله علیه و آله و هو یقوم مقام النبی، و هو الدلیل علی ما تشاجرت فیه الأمة و الأخذ بحقوق الناس» ، الحدیث.

و فیه فی حدیث بعده فقال الرضا علیه السّلام: «إنما هو مثل القمر یدور فی کل مکان یراه (أو تراه) من کل مکان» .

و فیه (4)بإسناده عن الحرث بن المغیرة النضری قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «اتقوا الکلام فإنّا نؤتی به» .

و فیه بإسناده عنه، و عن أبی بکر الحضرمی، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «ما

1- 1) أبی عبد الله (البحار) .
2- 2) تفسیر البرهان ج 3 ص 352.
3- 3) سبأ:28.
4- 4) بصائر الدرجات ص 396.

يحدث فيكم حدث إلاّ علمناه، قلت: و كيف ذاک؟ قال: يأتينا به راكب يضرب» .

و فيه (1)بإسناده عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إن الله أحكم و أكرم و أجل و أعلم من أن يكون أحتج على عباده بحجة، ثم يغيب عنهم شيئا من أمرهم» .

و فيه و فی حديث عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام فأقبلت أقول: كذا و كذا يقولون، قال: «فتقول قل كذا و كذا، فقلت: جعلت فداک هذا الحلال و الحرام و القرآن أعلم أنک صاحبه و أعلم الناس به و هذا هو الكلام، فقال لی: و تشک يا هشام؟ من شک أن الله يحتج على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه فقد افترى على الله» . هذه جملة من الأحاديث الواردة فی الباب فنقول:

يقع الكلام فی أمور:

الأول: فی مورد الشهادة

و هی كما تقدم لا ينحصر فی الشهادة على أعمالهم الظاهرة، بل هی عبارة عن تحمل حقائق أعمال الناس فی الدنيا من سعادة و شقاوة و ردّ و قبول بالنسبة إلى التوحيد و الإيمان بالرسول و الولاية للأئمة عليهم السّلام و كونهم أهل محبتهم أم لا، و الانقياد له تعالى و لهم و التمرد بالنسبة إليه تعالى و إليهم، فيتحملونها منهم فی الدنيا، فيشهدون بها يوم القيامة إما لهم أو عليهم، و هذه الشهادة المتحملة فی الدنيا و المبينة فی الآخرة ترجع إلى أن المشهود به له نحو من الحيوة و الوجود، يحضر يوم القيامة على ما كان فی النشأة قال الله تعالى: وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً (2). نعم لحقايق الأعمال فی الدنيا وجود، و لها فی الآخرة وجود يناسب عالم الآخرة، و لا دليل على اتحاد خصوصيات الموجود فيهما كما لا يخفى. و مما ذكر يعلم وجه كونهم عليهم السّلام شهداء دار الفناء، فإن الإضافة لبيان ظرف

1- 1) بصائر الدرجات ص 122.
2- 2) الكهف:49.

التحمل لها و هى الـدنيا، و سـيأتى أنهم عليهم السّـلام لإحاطتهم العلمى و الوجودى، الـذى منحهم الله تعالى يتحملون هذه الشـهادات بحقائقها فى دار الفناء إلى دار البقاء، و ظهر أيضا الفرق بين

قوله عليه السّلام:

«و شهداء على خلقه»

، فيما تقدم و بين

قوله عليه السّلام هنا:

«و شهداء دار الفناء»

، فـإن الأولى تشـير إلى بيان شأنهم فى هـذا الأمر، أى تحمل الشـهادة، و هـذه تشـير إلى الظرف الـذى يتحمل فيه تلك الشـهادة فتأمل. و الحاصل: أنهم عليهم السّـلام يشـهدون على الأنبياء فإن الله تعالى أرسلهم، و يشهدون لهم عليهم السّلام بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم، و يشهدون لمن أجابهم و أطاعهم بإجابته و إطاعته، و على من أعرض و عصى بإعراضه و عصيانه، أى يظهرون حقيقة ما يشهدون له أنه بلّغ ما أمر بتبليغه، و يشهدون على أمته و لهم و كذلک رسول الله صلّى الله عليه و آله.

الثانى: فى بيان السّر فى تحمل هذه الشهادة

فنقول: الوجه هو أنه تعالى حملهم العلم و أمر الخلافـة و أعباء الرسالة و حمولة الرب، و أشـهدهم خلق الأشـياء و عرفهم حقائق الأشـياء، فهم عليهم السّلام علموا بتعليمه تعالى عالم المشية و مظاهرها، فلا محالة هم عالمون بحقائق الأمور، و شاهدون لها بحيث لا يخفى منها شىء لهم كما نطقت به الأحاديث المتقدمة، و تقدم بيان هذا السر فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و شهداء على خلقه»

، ثم إنهم شـهداء على الشـيعة و على مخالفيهم، بل على جميع الخلق، فإن هذا لازم كونهم عليهم السّـلام قد أشـهدهم خلق الأشـياء، و كونهم حجة على الخلق أجمعين كما لا يخفى.

الثالث:

قد تقدم أن الشـهادة لا تختص بهم عليهم السّـلام بل تكون للشـيعة أيضا، إلاّ أن شـهادتهم بالنسبة إلى من يشهدون له أو عليه تكون موردا لشهادتهم عليهم السّلام له و تقدم وجه أن الشيعة أيضا لهم الشهادة فى الجملة يوم القيامة، و ذكر أحاديث الباب و شرحها عند

قوله عليه السّلام:

«و شهداء على خلقه»

، فراجعها.

الرابع:

أنه قد يقال: إن ظاهر بعض الأحاديث المتقدمة من نحو

قوله عليه السّلام فى حديث حرب بن المغيرة: «اتقوا الكلام فإنا نؤتى به» فى أن ما شهدوا به من

أقوال الخلائق مطلقا، فإنما هو من أخبار الملائكة أو الجن، مع أن ظاهر سائر الأحاديث الكثيرة، بل و الآيات فى أنهم يرون أعمال العباد بأنفسهم بنور الله، و بذلك العمود من النور المشار إليه فى كثير من الأخبار، فكيف التوفيق بينهما؟ و لكنه يقال فى الجمع بينهما: إن الملائكة بأجمعها إنما هى من شئونهم و عواملهم فى الوجود، فإن مدركاتهم عليهم السّلام للأشياء كل بحسبها إنما هو شأن من شئونهم يسمى ذلك الشأن بالملك، أو بالقوى السارية فى الوجود المسخرة لهم عليهم السّلام. فالملائكة بالنسبة إليهم كالقوى و الخواطر النفسانية بالنسبة إلينا، فكما إنا إذا عملنا عملا فتارة ننسبه إلى أنفسنا فنقول: كذا علمت و كذا عملت، و أخرى ننسبه إلى خواطرنا فنقول: خطر ببالى و علمت بقوتى كذا و كذا، فمرجع الكل إلى أن الحقيقة الإنسانية التى هى الجواهرة اللطيفة الملكوتية، تعمل أعمالها بمعونة هذه القوى المعبر عنها بالخواطر أيضا، فإن الخواطر و القوى شأن من شئون حقيقتنا الإنسانية كما لا يخفى. و الإمام لما كان هو قطب عالم الإمكان، و له القدرة عليها و الإحاطة بها، فهو الإنسان الكبير الذى يكون جميع قوى عالم الوجود من الملائكة بأقسامها من شئون هذا القطب، و الإمام الذى هو الإنسان الكبير، فلا مانع من أن ينسب الرؤية تارة إلى نفسه المقدسة و أخرى إلى الملائكة التى هى من شئونهم عليهم السّلام كما لا يخفى.

و أما قوله عليه السّلام: «و شفعاء دار البقاء»،

اشارة

فنقول: فى المجمع: و فى الحديث تكرر ذكر الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا و الآخرة، و هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب و الجرائم و فى غيره، بل ربما يطلق على مطلق السؤال للغير و الدلالة إلى الشر أو الخير، و كل ذلك قد يكون فى الدنيا و فيما يتعلق بها، بل تحقق بعض أفرادها لا يكون إلاّ فيها، لكن أكثر استعمالها فى القرآن بالنسبة إلى الآخرة. أقول: قوله: يطلق على مطلق السؤال للغير و الدلالة إلى الشر أو الخير، يدل

على أن الشفاعة كما تكون فى الأمور الخيرية كذلک تكون فى الشر، إلاّ أن الشفاعة فى الشر يطلق عليها الماحل

قال صلّى الله عليه و آله فى القرآن: «فإنه شافع مشفّع و ماحل مصدق» . و فيه يقال: محل فلان بفلان إذا قال عليه قولا يوقعه فى مكروه. . . إلى أن قال الماحل هو الذى يسعى بالنميمة إلى الملوک. أقول: فالشفاعة فى الشر هو بمعنى الماحل: و النميمة أحد مصاديق القول الذى يوقعه فى المكروه، فلا تكون الشفاعة فى الشر أو الماحل إلاّ فى النميمة، بل هو عام لكل ما يكون مكروها على المشفوع له كما لا يخفى. و كيف كان قوله تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهٰا (1)يشير إلى الشفاعة فى الخير، و ذلک كمن يصلح بين اثنين يكن له جزء منها، و من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها، أى من يمشى بالنميمة مثلا يكن له إثم منها. و فيه: و اسم الفاعل شفيع و الجمع شفعاء، مثل كريم و كرماء، و شافع أيضا، و شفعت الشىء شفعا من باب نفع ضممته إلى الفرد. أقول: هذا بحسب موارد استعماله فى اللغة، و حينئذ قيل: فالشفاعة من الشفع مقابل الوتر، كان الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة، التى مع المستشفع فيصير به زوجا بعد ما كان فردا، فيقوى على نيل ما يريده، و لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته و ضعفها و قصورها. أقول: قد يقال: إنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، أو هى طلب إسقاط العقاب عمن يستحقه، و قد يقال أيضا: إنها على خمسة أقسام: الأول: و هو الإزاحة من هول الموقف و تعجيل الحساب، و هذا مختص بالنبى صلّى الله عليه و آله.

1- 1) النساء:85.

الثانى: فى إدخال قوم الجنة بغير حساب، و هى أيضا مختصة به صلّى اللّه عليه و آله. الثالث: هى لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا صلّى اللّه عليه و آله و من يشأ اللّه. الرابع: فيمن دخل النار من المؤمنين، فالشفاعة فيهم، هو إخراجهم منها، و هذا يكون للنبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام و المؤمنين و الملائكة. الخامس: الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها، انتهى ملخصا. أقول: إن الأربعة الأولى منها ترجع إلى أنها هو السؤال فى التجاوز عن الذنوب، و إلاّ فيرجع إلى الشفاعة بمعنى طلب الزيادة، و هو نوع من الشفاعة أيضا، و هذه هى التى لا ينكرها أحد حتى المعتزلة الذين ينكرون الشفاعة على ما قيل. إذا علمت هذا فنقول:

لا بد من بيان مورد الشفاعة و حقيقتها.

أما الأول

فنقول: لا ريب فى أن الإنسان بمقتضى حبه لنفسه، و إن له قوة تحريك الإرادة، فلا محالة بمعونة قوى الغضب و الشهوة دائما يكون فى مقام دفع المضار، و جلب المنافع بالأسباب، ثم إن تلك الأسباب قد تكون أسبابا مادية، و تكون تحت اختياره، كما إذا عطش أو جاع أو مرض، أو أراد زيادة الصحة، أو رفع الحر أو البرد، فإنه فى هذه الأمور يتوسل بالأسباب المادية المعدة لها، التى تكون تحت اختياره، ففى هذه الأمور لا يستشفع بأحد بعد ما كانت الأسباب ممكنة التوسل بها له كالأكل و الشرب و اللبس و المداواة مثلا. و الحاصل: أن المنافع و المضار التى تكون أسبابها تحت الاختيار لا يتوسل الإنسان فى تحصيلها إلاّ بأسبابها المعدة لها و لا يستشفع بغيره، هذا و قد تكون الخيرات و الشرور و المنافع و المضار مما قد أثبته القوانين الكلية الإلهية مثلا أو غير إلهية، ففى مثل هذه لا ريب فى أن العامل بها مورد للثواب فى عمل الخير، و مأمون عن العقاب فى تركه ما هو معصية و مخالفة لتلك القوانين، و أما إذا خالف فى الأمرين فلا محالة يقع إما فى عدم النفع فيما إذا ترك الواجب و إما فى المضرة فيما إذا فعل المحذور، و لم يكن فى إمكان ما به يخرج عن عدم النفع، أو يدفع به عن نفسه المضرة.

فلا محالة يتوسل بالشفاعة فی الأمرين فهذا مورد الشفاعة، و هذا كما ترى لا يختص بملة خاصة، بل هو عام يشمل جميع الملل الحقة و الباطلة، إلاّ أن الكلام فيما نحن فيه لا يقع إلاّ بالنسبة إلى الملة الحقة الإسلامية و الإمامية.

و أما الثانی (أعنی حقيقة الشفاعة) :

اشارة

فتارة يقع فيها بلحاظ أصل معنى الشفاعة، و أخرى فی شرائط الشفيع، و ثالثة فی شرائط المشفوع له فنقول:

أما الأول:

اشارة

قال بعض الأعلام رحمهم الله الشفيع لا يطلب من المولى مثلا أن يبطل مولوية نفسه و عبودية عبده، فلا يعاقبه، و لا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه و تكليفه المجعول، أو ينسخه عموما، أو فی خصوص الواقعة فلا يعاقبه، و لا يطلب منه أن يبطل قانون المجازات عموما أو خصوصا، فلا يعاقب لذلک رأسا، أو فی خصوص الواقعة، فلا نفوذ و لا تأثير للشفيع فی مولوية و عبودية، و لا فی حكم و لا فی جزاء حكم. بل الشفيع بعد ما يسلم جميع الجهات الثلاث المذكورة، إنما يتمسک إما بصفات فی المولى الحاكم توجب العفو و الصفح كسؤدده و كرمه و سخائه و شرافة محتدة، و إما بصفات فی العبد تستدعی الرأفة و الحنان، و تثير عوامل المغفرة كمذلّته و مسكنته و حقارته و سوء حاله، و إما بصفات فی نفسه أعنی نفس الشفيع من قربه إلى المولى و كرامته و علوّ منزلته عنده فيقول: ما أسألک إبطال مولويتک و عبوديته، و لا أن تبطل حكمک و لا أن تبطل الجزاء، بل أسألک الصفح عنه، بأن لک سؤددا و رأفة و كرما، و أنک لا تنتفع بعقابه و لا يضرّک الصفح عن ذنبه، أو بأنه جاهل حقير مسكين لا يعتنی مثلک بشأنه، و لا يهتم بأمره، أو بأن لی عندک من المنزلة و الكرامة ما يوجب إسعاف حاجتی فی تخليصه و العفو عنه، انتهى موضع الحاجة. أقول: فيستفاد مما قاله إن الشفاعة هی التوسل بوسائل مثل الذی ذكر من الصفات فی المولى، أو فی العبد المجرم، أو فی نفس الشفيع بنحو تكون هذه الوسائل حاكمة على الحكم الموجب للعقاب، أو رفع الثواب مثلا بنحو لا يضاده، بل يكون

حاكما علیه بدون مضاده. و بعبارة أخری: أن الشفاعة التی هی التوسل بتلک الوسائل، توجب إخراج هذا العبد من موضوع کونه ممن یجب عقابه للمخالفة، و إدخاله تحت موضوع آخر، و هو أنه بلحاظ تلک الصفات یکون ممن ینبغی أن یعفی عنه أو یصفع عنه، و فی الحقیقة أنه تعالی کما جعل الأحکام الأولیة سببا لأن تکون مخالفتها موجبة للعقاب، فکذلک أنه تعالی جعل أسبابا ناشئة من لطفه و رحمته، لإظهار عفوه و صفحه، فالمجرم و إن کان بلحاظ جرمه محکوما بالعقاب، إلاّ أنه بلحاظ استشفاعه، و بلحاظ تحقق الشفاعة فیه، و بلحاظ تلک الصفات یکون موردا للعفو و الصفح. و هذا کما علمت لیس إبطالا للأحکام کما زعمه قوم، بل تحکیم لأسباب أخری، قد جعلها الله تعالی فی ظرف تحقق شرائطه، و سیجیء قریبا أن الشفاعة فی الحقیقة ترجع إلیه تعالی أولا و بالذات، ثم إلی غیره بالعرض أی بإذنه قال تعالی: مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ (1)ثم إن الشفاعة کما یأتی بیانها إنما تکون مع تحقق شرائط فی الشافع و المشفوع له لا مطلقا، مضافا إلی ما علمت من أنها علی القاعدة العقلیة، و لیست مستلزمة لإبطال الأحکام الإلهیة، بل هی موجبة لإخراج موضوع عن موضوع حکم و إدخاله فی موضوع آخر، إلاّ أنه مع ذلک اشتبه الأمر علی بعض،

فاستشکلوا علی الشفاعة بأمور نذکر بعضها مع الجواب بعونه تعالی.

الاشکال الأول:

أن رفع العقاب بالشفاعة بعد ما کان ثابتا بمقتضی الحکم الأولی إما یکون عدلا و إما یکون ظلما، فإن کان الأول، فلازمه أن أصل الحکم الأولی یکون ظلما تعالی الله عنه علوا، و إن کان الثانی فلا ریب فی أنه لا یجوز نسبة طلب الظلم منه تعالی إلی الأنبیاء لا فی الدنیا و لا فی الآخرة، و جوابه أولا بالنقض

1- 1) البقرة:55.

بالأوامر الامتحانية، فرفع الحكم الامتحانى و إثباته أولا كلاهما عدل، و سرّه اختبار سريرة المكلف من إخراج باطن أمره، و إخراج ما فيه بالقوة إلى ما بالفعل، فيما ترک أو امتثل فكذلک الشفاعة، إذ من الممكن أن تكون النجاة لجميع المؤمنين مكتوبة، ثم يجعل الأحكام بنحو الامتحان ليهلک الكافرون بكفرهم، و أما المؤمنون فالمطيع منهم ترفع درجاته، و أما المسيئون منهم فينالون بالشفاعة النجاة المكتوبة لهم، و ثانيا بالحل و هو أنه قد علمت آنفا أن الشفاعة ليست هى إبطال الأحكام الأولى، بل هى فى الحقيقة تحكيم لأسباب أخرى فى الموضوع، و إدخاله فى موضوع آخر، فأين هذا من المضادة حتى يقال ما قيل؟

الاشكال الثانى:

أن سنة الله تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف و الاختلاف، فما قضى و حكم به يجريه على وتيرة واحدة من غير استثناء قال تعالى: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اَللّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اَللّهِ تَحْوِيلاً (1)و من المعلوم أن الشفاعة موجبة للاختلاف فى سنته تعالى و فعله، فإن رفع العقاب عن جميع المجرمين موجب لنقض الغرض المحال مضافا إلى أنه لعب ينافى الحكمة حكمة التشريع، و رفع العقاب عن بعض دون بعض موجب للاختلاف فى فعله أيضا، فالقول بالشفاعة لعله مبتن على الأهواء و الأوهام، التى ربما تقضى فى الحق و الباطل، و عن الحكمة و الجهل على السواء، و هو كما ترى خصوصا فى حقه تعالى. و الجواب عنه: هو أنه تعالى لا ريب فى أن سنته واحدة، لكن ليست وحدتها قائمة على أصل صفة واحدة من صفاته، بل هى قائمة على ما يستوجبه جميع صفاته و هى كثيرة، فإنه تعالى مفيض ما فى الوجود من حياة أو موت أو رزق أو نعمة، فننسبها كلها إليه تعالى، إلاّ أن كل واحدة منها منسوبة إليه تعالى بنحو يخصّه و نحو يقتضيه، لا كلها بنحو واحد، و إلاّ لأوجب البطلان و الهرج و المرج فى الوجود، و لبطلت الأسباب و التأثيرات المختلفة كما لا يخفى فهو الله تعالى مشفى للمريض،

1- 1) فاطر:43.

لکن لا من حیث إنه ممیت منتقم قهار شدید العقاب، بل لأنه رءوف رحیم شافی و هکذا، کما أنه لا یهلک جبارا، لأنه رءوف رحیم بل لأنه منتقم شدید البطش. و بعبارة أخری: کل أمر من الأمور یرتبط به تعالی من جهة ما یتضمنه من المصالح و الخیرات، فعدم اختلاف سنته، و عدم اختلاف فعله إنما هی بالنسبة إلی جمیع صفاته المربوطة به تعالی، لا بالنسبة إلی صفة واحدة، فوقوع الشفاعة، و ارتفاع العقاب، لأجل عدة من الأسباب کالرحمة و المغفرة، و الحکم و القضاء، و إعطاء کل ذی حق حقه و الفصل و القضاء، کل ذلک لا یوجب اختلافا فی السنة الجاریة، و ضلالا فی الصراط المستقیم.

الإشکال الثالث:

أن وعد الشفاعة یوجب التجری علی المعصیة، و إغراء لهم علی المعصیة، و هو مناف للغرض الشرعی، و هو السوق إلی العبودیة و الطاعة، فلا بد من التأویل لما یدل علی وعد الشفاعة بنحو لا ینافی هذا الأصل المسلّم. و الجواب عنه: أولا: بالنقض بآیات المغفرة و الرحمة الواسعة له تعالی، و هی کثیرة جدا. و ثانیا: بالحل بأن وعد الشفاعة إنما یوجب التجری بشرطین و إلاّ فلا. تعیین المذنب أو الذنب بنحو لا یقع فیهما اشتباه، بحیث یکون بنحو الانجاز من غیر تعلق بشرط جائز. أنه إن قیل: إن الفرد الفلانی، أو الطائفة المخصوصة، أو جمیع الناس لا یعاقبون لکان ذلک موجبا للتجری بالنسبة إلیه أو إلیهم. و أما إذا أبهم الأمر، فلم یعیّن أن الشفاعة فی حق من تؤثر، و فی أی ذنب توجب رفع عقوبته، فحینئذ حیث إن کل نفس عاصیة لا تعلم شمول الشفاعة لها، فلا محالة لا یوجب وعد الشفاعة تجریا بالنسبة إلیه، کما لا یخفی، بل هذا الإبهام فی الأمرین یوقظ قریحة رجائها، فلا محالة لا تکون قنوطا من رحمة الله تعالی، أو یأسا من روحه، فهو حینئذ یکون قلبه بین الرجاء من وعد الشفاعة و بین الخوف

من أنه لا يعلم أنها شاملة له أم لا، فالآيات التی تهدد العاصین مثل قوله تعالی: کَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (1)و قوله تعالی: ثُمَّ کٰانَ عٰاقِبَةَ اَلَّذِینَ أَسٰاؤُا اَلسُّوایٰ أَنْ کَذَّبُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ (2)توجب خوفا فی القلوب مطلقا خصوصا فی قلوب العاصین. و الآیات التی توقظ قریحة الرجاء مثل قوله تعالی: إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئٰاتِکُمْ (3)، توجب مضافا إلی حصول الرجاء فی القلب رفع الید عن المعاصی الکبیرة طمعا فی أن یغفر الله تعالی المعاصی الصغیرة، فهذا البیان منه تعالی موجب لجلب القلوب، و انجذابها إلیه تعالی بالإطاعة، و ترک المعاصی الکبیرة، التی عسی أن تکون موصلة لترک المعاصی کلها، و هو بیان شاف بحکم الفطرة السلیمة بحسنه کما لا یخفی، و هذا البیان الإلهی ربما أوجب انقلاع العبد عن المعاصی، و رکوبه علی صراط التقوی و الصراط المستقیم، فیصیر حینئذ من المحسنین، فلا تتوقف حینئذ نجاته علی الشفاعة، لما سیأتی من أن الشفاعة للعاصین، و أما المحسنون فیدخلون الجنة بإحسانهم، بل ربما یشفعون لغیرهم کما سیأتی بیانه. و الحاصل: أن القرآن لم ینطق فی خصوص المجرمین بالتعیّن، و لم یعین الذنب المغفور بالشفاعة بعینه، بل أثبت الشفاعة فی البعض و فی بعض الذنوب فی بعض الجهات و بعض الأوقات و بعض الأشخاص من دون تعیین، فلا یوجب تجری العاصین قطعا، بل یوجب توقیظ رجائهم و خوفهم منه تعالی بالبیان المتقدم، فلا إشکال فیه أصلا، و لهذا الجواب بیان مفصل راجع المفصلات کما أن هناک إشکالات أخر مع جوابها لا بد للرجوع إلیها و الله الهادی.

1- 1) المطففین:14.

2- 2) الروم:10.

3- 3) النساء:31.

هذا بعض الكلام فى بيان حقيقة الشفاعة و موردها، فثبت أنها أمر عقلى لا إشكال فيه، مضافا إلى ما ورد من الآيات و الأحاديث بثبوتها، و أنه لا بد من الاعتقاد بها، فنحن نذكر بعض الآيات و الأحاديث فى هذا الموضوع فنقول: أما الآيات فكثيرة منها قوله تعالى: وَ اِتَّقُوا يَوْماً لاٰ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لاٰ يُقْبَلُ مِنْهٰا شَفٰاعَةٌ وَ لاٰ يُؤْخَذُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ (1)، و قال تعالى: مَنْ ذَا اَلَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ (2)، و قال تعالى: وَ لاٰ تَنْفَعُ اَلشَّفٰاعَةُ عِنْدَهُ إِلاّٰ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتّٰى إِذٰا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا اَلْحَقَّ وَ هُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ (3)، و سيأتى بعضها فى طى ذكر الأحاديث. أقول: هذه الآيات قد أثبتت الشفاعة مع ما لها من الشرط فى الشافع و المشفوع له كما سيجىء بيانها، و فيها نكتة و هى أن آيات الشفاعة لم تذكر بنحو الإطلاق بأن يقول: إنا لنشفع لكم، ليمكن أن يستظهر منه أنها لم تكن مشروطة بشرط، بل غالبا أو جميعا ذكرت بلسان الحصر المستفيد منه تقييدها بشرط، بل شروط كما لا يخفى، و هى بهذا اللسان تدل على أن الشفاعة لا تبطل أدلة الأحكام الأولية و لا تعارضها، بل فى موضوعها و فى تحقق شرائطها تكون حاكمة على تلك الأدلة الأولية للأحكام كما لا يخفى. و أما الأحاديث فكثيرة جدا و نذكر بعضها اللازم فنقول:

ففى البحار (4)عن الخصال مسندا عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لكل نبى دعوة قد دعا بها، و قد سأل سؤالا، و قد أخبأت دعوتى لشفاعتى لأمتى يوم القيامة» .

1- 1) البقرة:48.

2- 2) البقرة:255.

3- 3) سبإ:23.

4- 4) البحار ج 8 ص 34.

و فيه عن الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا تعنونا فى الطلب و الشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدمتم» .

و قال عليه السّلام: «لنا شفاعة و لأهل مودتنا شفاعة» .

و فيه عن أمالى الصدوق بإسناده عن الحسين بن خالد، عن الرضا، عن أبيه عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «من لم يؤمن بحوضى، فلا أورده الله حوضى، و من لم يؤمن بشفاعتى، فلا أناله الله شفاعتى، ثم قال عليه السّلام: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السّلام: يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز و جل وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ (1)؟ قال: لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى الله دينه» .

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: لاٰ يَمْلِكُونَ اَلشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (2)، قال: «لا يشفع و لا يشفع لهم و لا يشفعون إِلاّٰ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً إلاّ من أذن له بولاية أمير المؤمنين و الأئمة من بعده فهو العبد عند الله» ، الحديث.

و فيه عن أمالى الصدوق بإسناده عن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا المعراج و المسألة فى القبر و الشفاعة» .

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم فى حديث. . . إلى أن قال: ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن لرسول الله صلّى الله عليه و آله الشفاعة فى أمته، و لنا شفاعة فى شيعتنا، و لشيعتنا شفاعة فى أهاليهم، ثم قال: و إن المؤمن ليشفع فى مثل ربيعة و مضر، و إن المؤمن ليشفع حتى لخادمه و يقول: يا رب حق خدمتى كان يقينى الحر و البرد» . أقول: فالمستفاد من هذه الأحاديث (و هى كثيرة جدا، مع ما فيها من التأكيد

1- 1) الأنبياء:28.

2- 2) مريم:87.

على ثبوتها، و الإنكار و التشنيع على منكرها) أن الشفاعة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و للأئمة عليهم السّلام و للمؤمنين، نعم فى المؤمنين الذين ارتضى لهم دينهم، كما صرح به فى الأخبار. ثم إن المستفاد من الآيات و الأحاديث أن مورد الشفاعة (أى المشفوع لهم يوم القيامة) هم الدائنون بدين الحق من أصحاب الكبائر، فما

فى أمالى الصدوق عن الرضا عليه السّلام من قوله (أى النبى صلّى اللّه عليه و آله) : «إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، فأما المحسنون، فما عليهم من سبيل» ، يدل على أن المرتضى دينه هو المؤمن بدينه صلّى اللّه عليه و آله و هم الذين

قد عيّنهم أبو عبد اللّه عليه السّلام بقوله فى الحديث السابق: «إلاّ من أذن له بولاية أمير المؤمنين و الأئمة من بعده عليهم السّلام فهو العهد عند اللّه» الحديث، دلّ على ما هو الشرط فى الشافع و المشفوع لهم و الشفاعة، فإن المستفاد من

قوله عليه السّلام قبله قال: «لا يشفع و لا يشفع لهم، و لا يشفعون إلاّ من اتخذ عند اللّه عهدا» ، هو ما ذكرناه كما لا يخفى، فالمؤمن بالولاية هو الذى ارتضى دينه و هو الذى اتخذ عند اللّه عهدا. و مما ذكر علم شرائط الشافع أيضا كما لا يخفى. ثم إنه قد يستفاد من كلمات بعض الأعاظم أن التوبة و الاستغفار سواء كان من المذنب، أو من غيره فى حقه كالملائكة فى حق المؤمنين، أو المؤمن فى حق أخيه المؤمن، و كذا الأعمال الصالحة، أو كونها فى الأيام المتبركة، أو فى الأمكنة الشريفة، كل ذلك تكون بمنزلة الشافع، و لكن فيه أنه خلاف الظاهر من الشافع، و أنه من الأسباب الموجبة لكونه من المحسنين الذين لا سبيل عليهم. و الحاصل: أن كل شافع سبب لغفران الذنب، و أما كل ما هو سبب للغفران فليس بشافع كما لا يخفى، و حيث إنه لا نفع معتدا به فى بحثه فالأولى تركه، و كيف كان فالظاهر أن الشفعاء هم الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام و المؤمنون بعناوينهم المذكورة فى الآيات و الأحاديث قال تعالى: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ (1)، إلى قوله: وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ

1- 1) الأنبياء:26.

لِمَنِ اِرْتَضىٰ

(1)

، فهذه الآية تشمل بإطلاقها الأنبياء، و قال تعالى: وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِى شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اَللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْضىٰ (2)، فدلّت هذه الآيات على أن الملائكة تشفع بعد إذنه تعالى. و أما سائر أصناف المؤمنين فيدل على كونهم شفعاء

قول أبى جعفر عليه السّلام: «لرسول الله صلّى الله عليه و آله: . . . و لنا شفاعة فى شيعتنا، و لشيعتنا شفاعة فى أهاليهم» الحديث

فقوله عليه السّلام: «و لشيعتنا شفاعة» يشمل جميع أفراد الشيعة الاثنى عشرية كما لا يخفى. ثم إنه قد يقال: إن الأسباب الكونية شفعاء عند الله بما هم وسائط بينه و بين الأشياء، و لكن فيه أنه ليس كل سبب شفيعا اصطلاحا نعم هو الشفيع لغة و لا كلام لنا فيه، فالمراد بالشفاعة هى المتعلقة بالثواب و العقاب فى رفع ذنب كالشرك فما دونه، و كما تقع هذه من الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام و المؤمنين بالنسبة إلى أهل المعاصى الكبيرة ممن يدين دين الحق كما تقدم.

بقى الكلام فى زمان وقوع الشفاعة

فنقول: المستفاد من أحاديث الباب أن تعلق الشفاعة بالمجرمين، إنما هو بعد ابتلائهم بالعذاب، إما بعذاب جهنم فينجيهم الله بالشفاعة، و إما بعذاب القيامة و قد يقال: إن عذاب القيامة من عذاب جهنم، كما يستفاد من بعض الأخبار، و هذا فى الجملة لا ريب فيه، و أما كون جميع عذاب القيامة من عذاب جهنم فلا، فإن المستفاد من الأحاديث أن لمواقف القيامة أهوالا من حيث هى موقف لها، لا من حيث إن فيه عذاب جهنم، و كيف كان فالشفاعة زمانها يوم القيامة بعد شمول البلاء و العذاب لأهله إما من عذاب جهنم و إما من عذاب الموقف. فإن قلت: قد دلّت أحاديث كثيرة على حضور النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام عند الموت و عند مسألة البرزخ، و أنهم عليهم السّلام يعينون الميت على الشدائد و ينجونه منها

ص: 153

1- 1) الأنبياء:28.

2- 2) النجم:26.

و هل هذا إلاّ شفاعة منهم عليهم السّلام لهم؟ قلت: قد يقال: إن هذا ليس من الشفاعة، بل هو من قبيل التصرفات و الحكومة الموهوبة لهم عليهم السّلام بإذن الله سبحانه، فهذا نظير وساطة الإمام عليه السّلام يوم القيامة فى الدعوة لرعاياه و متابعيهم له، التى تستتبع إعطاء كتابهم بيمينهم كقوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ. . (1)، فطلب الإمام إياهم و متابعتهم له عليه السّلام الموجبة لإعطاء كتابهم بيمينهم، يكون من قبيل الحكومة الإلهية الموهوبة لهم عليهم السّلام. و الحاصل: أن أسباب النجاة كثيرة فى موارد كثيرة فى الدنيا، و فى البرزخ، و فى القيامة، و ليست هذه من باب الشفاعة، بل من باب إظهار مقام الإمام و المناصب الإلهية. و بعبارة أخرى: أن موجب النجاة قد يكون بأمر مستقل للإمام عليه السّلام مثلا كهذه الأمور، و قد يكون بنحو إذا انضم إليه أمر آخر ينتج النجاة، كما علمته فى معنى الشفاعة فهو الشفاعة، فأفهم. فتحصل أن كل موجب للنجاة ليس من الشفاعة، و إن كانت هى من أسباب النجاة، فالشفاعة تقع فى آخر موقف من مواقف القيامة، و حقيقتها استيهاب المغفرة بالمنع فى دخول النار، أو إخراج بعض من كان فيها، كل ذلك لأجل اتساع الرحمة الإلهية، و ظهور كرامته تعالى للمشفوع لهم، رزقنا الله ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

[36]قوله عليه السّلام: و الرحمة الموصولة

اشارة

فى المحكى عن القاموس: الرحم (بالكسر) ككتف بيت نبت الولد و وعائه و القرابة و أصلها و أسبابها، و الجمع أرحام، و قال: الرحمة: الرقة و المغفرة و العطف. أقول: و ذكر العلماء أنها إذا نسبت إلى الله تعالى فالمراد الغاية المترتبة عليها

1- 1) الاسراء:71.

كالثواب مثلا، و لا يبعد إرادة أسباب تلک و الموجب لها كالإطاعة مثلا، و كيف كان

فلنذكر أولا أخبار الباب

، ثم بيان الوجه فی كونهم علیهم السّلام الرحمة، ثم بيان كونها الموصولة، فنقول:

فی البحار (1)عن كنز جامع الفوائد بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله عز و جل: يَوْمَ لاٰ يُغْنِی مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ اَللّٰهُ (2)، قال: «نحن و الله الذين رحم الله و الذين استثنی و الذين تغنی ولايتنا» .

و فيه عنه، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: يَوْمَ لاٰ يُغْنِی مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ اَللّٰهُ ، قال: «نحن أهل الرحمة» .

و فيه عن الكافی: العدة عن سهل، عن محمد بن سليمان، عن أبی عبد الله علیه السّلام أنه قال لأبی بصير: «يا أبا محمد و الله ما استثنی الله عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء و لا أتباعهم، ما خلا أمير المؤمنين و شيعته فقال فی كتابه و قوله الحق: يَوْمَ لاٰ يُغْنِی مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ اَللّٰهُ (3)يعنی بذلک عليا و شيعته» .

و فيه (4)عن عيون أخبار الرضا علیه السّلام بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتی أمان لأمتی» . أقول: سيأتی أن كونهم أمانا للأمة معنی كونهم الرحمة.

و فيه (5)عن تفسير العياشی، عن أبی الحسن علیه السّلام فی قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ. . . (6)قال: «الفضل رسول الله صلّی الله علیه و آله و رحمته أمير المؤمنين علیه السّلام» .

ص: 155

1- 1) البحار ج 24 ص 205.

2- 2) الدخان:41 و 42.

3- 3) الدخان:41.

4- 4) البحار ج 27 ص 309.

5- 5) البحار ج 35 ص 423.

6- 6) النور:20.

و فیه عن الکنز، عن جعفر بن محمد علیه السّلام فی قوله تعالی: یُدْخِلُ مَنْ یَشٰاءُ فِی رَحْمَتِهِ (1)قال: «الرحمة ولایة علی بن أبی طالب علیه السّلام و الظالمون ما لهم من ولی و لا نصیر» .

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده عن النبی صلّی الله علیه و آله فی حدیث طویل، أنه قال لعلی علیه السّلام: «و الذی بعث محمدا بالحق نبیّا، ما آمن بی من أنکرک، و لا أقرّ بی من جحدک، و ما آمن بالله من کفر بک، إن فضلک لمن فضلی، و إن فضلی لفضل الله، و هو قول الله عز و جل: قُلْ بِفَضْلِ اَللّٰهِ الآیة، ففضل الله نبوة نبیکم، و رحمته ولایة علی ابن أبی طالب علیه السّلام فبذلک (قال: بالنبوة و الولایة) فلیفرحوا (یعنی الشیعة) هو خیر مما یجمعون (یعنی مخالفیهم من المال و الأهل و الولد فی دار الدنیا) .

و فی تفسیر نور الثقلین (2)عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السّلام و حمران عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ قالا: «فضل الله رسوله صلّی الله علیه و آله و رحمته ولایة الأئمة علیهم السّلام» .

و فی المحکی عن تفسیر العیاشی، عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ اَلْأَرْحٰامَ ، قال: «قرابة الرسول و سیدهم علی علیه السّلام أمروا بمودتهم، فخالفوا ما أمروا به» .

و عن تفسیر الفرات بن إبراهیم، عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ (3)، قال: «أی للرحمة خلقهم (أی الشیعة) و قال: و الرحمة التی یقول طاعة الامام علیه السّلام» الخبر.

و عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشٰاءُ (4)قال: «الرحمة علی علیه السّلام» .

1- 1) الإنسان:31.

2- 2) تفسیر نور الثقلین ج 1 ص 433.

3- 3) هود:119.

4- 4) البقرة:105.

و عن المناقب: ابن عباس فی قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ (1)«فضل الله محمد صلّی الله علیه و آله و رحمته علی علیه السّلام» . و قیل: فضل الله علی علیه السّلام و رحمته فاطمة علیها السّلام. أقول: هذه بعض أحادیث الباب، فالمستفاد منها أن المراد من الرحمة فی تلک الآیات ولایة الأئمة علیهم السّلام أو طاعتهم و الائتمام بهم علیهم السّلام أو علم الإمام.

ففی المحکی عن الکافی، عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (2)، قال: یقول: علم الإمام، و وسع علمه الذی هو من علمه کل شیء و هو شیعتنا» الخبر. أو المراد منها النبی صلّی الله علیه و آله أو علی بن أبی طالب علیه السّلام أو فاطمة الزهراء (سلام الله علیهم أجمعین) فهم علیهم السّلام خصوصا أمیر المؤمنین علیه السّلام الرحمة.

و أما کونها الموصولة،

ففی المحکی عن الصادق علیه السّلام عن الکافی فی قوله: وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (3)، «نزلت فی رحم آل محمد صلّی الله علیه و آله» و قد یکون فی قرابتک، ثم قال: «فلا تکونن ممن یقول للشیء: إنه فی شیء واحد» .

و عن العیاشی، عنه علیه السّلام: «الرحم معلقة بالعرش فیقول: اللهم صل من وصلنی، و اقطع من قطعنی، و هو رحم آل محمد، و هو قول الله: وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ و رحم کل ذی رحم» (و العیاشی: و رحم کل مؤمن) . أقول: حقیقة الرحمة المراد بها هنا هو حقیقة محمد و آله الطاهرین، التی هی النور المحمدی، الذی هو أول خلق الله، و الذی خلق منه أنوار الأئمة و الزهراء علیها السّلام علی ما بینته الأخبار المذکورة فی محلها، و معنی کونها موصولة ما تقدم من

قول الصادق علیه السّلام فی تفسیر قوله تعالی: وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (4)و ما

1- 1) النور:20.

2- 2) الأعراف:156.

3- 3) الرعد:21.

4- 4) الرعد:21.

حکی عن تفسیر العسکری علیه السّلام لقوله تعالی: اَلرَّحْمٰنُ (1)، إن الرحمن مشتق من الرحمة، و قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: «قال الله تعالی: «أنا الرحمن و هی من الرحم، شققت لها اسما من اسمی من وصلها وصله» (أقول: أی من وصل تلک الرحم وصله الله، و کذا فیمن قطعها) و من قطعها بتتّه» . ثم قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إن الرحمة التی اشتقها الله تعالی من اسمه بقوله أنا الرحمن هی رحم محمد صلّی الله علیه و آله و إن من إعظام الله إعظام محمد صلّی الله علیه و آله و إن من اعظام محمد إعظام رحم محمد صلّی الله علیه و آله و إن کل مؤمن و مؤمنة من شیعتنا هو من رحم محمد صلّی الله علیه و آله و إن إعظامهم من إعظام محمد صلّی الله علیه و آله، فالویل لمن استخف بشیء من رحم محمد صلّی الله علیه و آله و طوبی لمن عظّم حرمته و أکرم رحمه و وصلها» . أقول: فالرحمن الذی هو الاسم له تعالی، إنما یتسمی الله تعالی به، إذا تحققت الرحمة فی الخارج، کما أنه لا یقال لزید: إنه قائم، إلاّ إذا تحقق منه القیام کما لا یخفی، کذلک لا یکون هو تعالی رحمن إلاّ إذا تحققت حقیقته فی الخارج، و هی حقیقة محمد و آله المعبّر عنها بالرحم، المشار إلیه

فی قول الصادق علیه السّلام: «نزلت فی رحم آل محمد صلّی الله علیه و آله» فهم علیهم السّلام الرحم (أی الرحمة) أو محلها أو مظهرها، فهم علیهم السّلام من هذه الجهات صفة و اسم له تعالی، و بها یعرف الله بهذه الصفة، فهو تعالی و إن کان مصدر الرحمة إلاّ أن الصادر (أی الرحمة) بما هی صفة مخلوقة هی حقیقة محمد و آله الطاهرین. فحینئذ محصل کلام

أمیر المؤمنین علیه السّلام علی ما فی تفسیر العسکری علیه السّلام: أن الرحم هی الرحمة و الرحمن و هی بلحاظ أصلها الأولی عامة المشار إلیها بقوله تعالی: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ لکنها یراد منها الرحمة الخاصة فی قوله تعالی: اَلرَّحْمٰنُ بعلی و فاطمة و الحسن و الحسین و التسعة المعصومین من ذریته (علیهم الصلوة و السّلام) و یلحق بهم علیهم السّلام من سائر الخلق من سبقت له العنایة باتّباعهم،

1- 1) الرحمن:1.

فمن تبعهم فله من تلك الرحمة و من تلک الرحم بنسبة قبوله من ذلک المقام، أعنی مقام المتابعة و المشایعة و قبول الولایة، و هذه المتابعة و المشایعة هی التی توجد رتبة الشعاع فی التابع کما و کیفا الموجبة لکونه شیعة لهم علیهم السّلام و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فیما تقدم: «و إن کل مؤمن و مؤمنة من شیعتنا هو من رحم محمد صلّی الله علیه و آله» . فظهر مما ذکرنا من الأخبار و البیان أن المراد من الرحمة الموصولة هی الرحمة التی أمر الله تعالی بها أن توصل فی قوله: وَ اَلَّذِینَ یَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ (1). و بعبارة أخری: أن المستفاد من الآیة الشریفة أن المؤمنین أمروا بوصل ما أمر الله به أن یوصل، و هذا هی تلک الرحمة التی هی حقیقة محمد و آله، فهذه الرحمة هی التی أمر الله بها أن توصل، فبلحاظ أن المؤمنین و الشیعة یصلون برحم آل محمد، التی هی الرحمة بالمتابعة و المشایعة، فلا محالة یکون محمد و آله الطاهرون هم الرحمة الموصولة بصلة الشیعة لهم علیهم السّلام فالموصولة (أی هذه الرحمة) موصولة بعضها ببعض، فالشیعة موصولون بالأئمة علیهم السّلام و الأئمة علیهم السّلام موصولون بمحمد صلّی الله علیه و آله و محمد صلّی الله علیه و آله موصول بالله، فهذه هی حقیقة الوصل المراد من قوله: الموصولة. و بعبارة أخری: أن الشیعة لما خلقوا من فاضل طینتهم، و من شعاع نورهم، کما دلت علیه أحادیث کثیرة، فهم لا محالة متصلون بهم کاتصال شعاع الشمس بها، و حیث ثبت أیضا أنهم علیهم السّلام هم الرحمة، التی هی الرحم المشتق من اسم الرحمن، و الذی أمر الله به أن یوصل، و هم تابعون للأئمة علیهم السّلام بالمشایعة مشتقون منهم معنی، فکل مؤمن و مؤمنة من رحم آل محمد صلّی الله علیه و آله و موصول بهم علیهم السّلام و هم موصولون برسول الله صلّی الله علیه و آله و هو صلّی الله علیه و آله موصول بالله تعالی، و إلی هذا الوصل بما له من هذا المعنی یشیر ما

فی بصائر الدرجات بإسناده عن جابر الجعفی قال: کنت مع محمد بن علی فقال: «یا جابر خلقنا نحن و محبونا من طینة واحدة بیضاء نقیة من أعلی علیّین،

1- 1) الرعد:21.

فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبّونا من دونها، فإذا كان يوم القيامة التفت العليا بالسفلى، و إذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجزة نبينا، و ضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر الله نبيه و ذريته؟ و أين ترى يصير ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده على يده فقال: دخلناها و رب الكعبة، ثلاثا» .

و فيه بإسناده عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداک هذا الحديث الذى سمعته منک ما تفسيره؟ قال: و ما هو؟ قال: «إن المؤمن ينظر بنور الله، فقال: يا معاوية إن الله خلق المؤمنين من نوره، و صبغهم فى رحمته، و أخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمّه، أبوه النور و أمّه الرحمة، و إنما ينظر بذلک النور الذى خلق منه» .

و فى المحكى عن الصادق عليه السّلام حين سأله المفضّل. . . إلى أن قال عليه السّلام: «ألا إنّا خلقنا من نور الله، و خلق شيعتنا من ذلک النور، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثم قرن عليه السّلام بين إصبعيه الوسطى و السبابة، و قال: كهاتين، ثم قال: يا مفضل أ تدرى لم سميت الشيعة شيعة؟ يا مفضل شيعتنا منّا، و نحن من شيعتنا، أ ما ترى هذه الشمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق، قال: و إلى أين تعود؟ قلت: مغرب، قال عليه السّلام: هكذا شيعتنا منّا بدءوا و إلينا يعودون» . و يمكن أن يراد من الرحمة الموصولة: أن الرحمة الرحمانية عامة لكل أحد فى الدنيا، و أما الرحمة الرحيمية المشار إليها بقوله: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهٰا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (1)الآية، فهى لا محالة مختصة بالمؤمنين، كما دلّت عليه أحاديث كثيرة، و حينئذ معنى كونهم الرحمة الموصولة أن الرحمة، التى تكون موصولة بالمؤمن من الدنيا إلى الآخرة، بحيث لا تنفک عنه إنما هى الرحمة التى تكون منهم و بهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام الرحمة الموصولة من الدنيا إلى الآخرة لمن يتمسک بولايتهم و محبتهم، فالشيعة بالتمسک بهم و بمحبتهم متصلون بهم، و هم رحمة لهم،

1- 1) الأعراف:156.

و موصولون بهم، و هذا الاتصال كما علمت متصل برحمة الله لا محالة. و من هذا يعلم أن من وصلهم وصله الله تعالى برحمته و رضوانه و محبته، و من قطعهم قطعه الله تعالى من رحمته و وصله ببغضه، و قطعه من رضوانه و وصله بسخطه، و قطعه من محبته و وصله بمقته. و بعبارة أخرى: أن توصيف الرحمه بالموصولة لإخراج الرحمة، التى ليست بموصولة، و هى الرحمة، التى تشمل جميع العباد حتى العصاة و الكفرة، فهذه الرحمة ليست بموصولة برسول الله صلّى الله عليه و آله الذى هو موصول باللّه تعالى، فالرحمة التى تشمل غير الشيعة إنما هى الرحمة غير الموصولة و هى فى الحقيقة رحمة صورية غير دائمة، و ما كان من الرحمة هكذا ليست برحمة حقيقة، لأن الرحمة الحقيقية ما يلائم النفس مطلقا، فالكافر إذا علم أنه ستنقطع عنه هذه الرحمة، فلا محالة يشمئزّ من هذا القطع، و إن كان فعلا مشمولا للرحمة إلاّ أنها رحمة مشوبة بما لا يلائم النفس. و كيف كان فالرحمة المقطوعة عن الخير المطلق الثابتة لغير الشيعة، ليست رحمة مطلقة، بل إنما هى رحمة مؤقتة اقتضى العدل الإلهى ذلك لغير الشيعة فى الدنيا، و سبب قطعها إنما هو سوء أعمال العصاة و الكفرة، لا لأجل نقص من الرحمة بحسب الاقتضاء و اللطف الإلهى كما حقق فى محله.

قوله عليه السّلام: و الآية المخزونة

فى المجمع: قوله تعالى: لَقَدْ كٰانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيٰاتٌ لِلسّٰائِلِينَ (1)هى جمع آية و هى العبرة، و الآيات العلامات و العجائب. . . ، إلى أن قال: و الآية من القرآن. قيل: كل كلام متصل إلى انقطاعه. و قيل: ما يحسن السكوت عليه.

1- 1) يوسف:7.

و قيل: هى جماعـة حروف من قولهم: خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم. و قال الجوهرى: الآيـة العلامـة و الأصل أويه (بالتحريک) و جمع الآية آى و آيات، انتهى، و قد يقال: إن إطلاق الآية على الآيات القرآنية، لأجل أن نظام كل منها علامة من الله سـبحانه، و قد علمت أنها فى اللغـة بمعنى العلامـة، و ما يوجب العبرة و العجب و لا ريب فى أن الآيات القرآنية لها هذه الخواص الثلاث من العلامة و العبرة و العجب لما فيها من عجائب القـدرة و الحكمـة. أقول: و بهذه الجهة أطلقت الآية عليهم عليهم السّـ لام. قال بعض الأعلام: و الوجه فيه أنهم عليهم السّـ لام علامات جليلـة واضـحة لعظمـة الله و قـدرته و علمه، و لطفه و رحمته، و هـذه بأجمعها أيضا دلالات على طريق تحصـيل جنته و رضوانه و قربه كما لا يخفى. ثم إن توصيف الآية بكونها مخزونة يشير إلى أنها من الأسرار، أى أنهم الآيات المستورة، و من الأسرار المودعة فى النفوس البشـرية باعتبار أنه يعرف بها رب العالمين، و به يعبد الله تعالى بحيث لولاه فى سرّ البشر لما عبد الله و لما عرف، و لما كان لهم طريق فى أنفسـهم إلى معرفته تعالى، فهـذه الآية مخزونة أى مكتوبة فى نفوس الخلق، و يراد من توصـيفها بها أيضا وجوب صونها و حفظها عن أن يوصل إليها بشـىء من نزعات الشـيطان، و يجب أيضا كتمانها لئلا تعرضها مدلهمات ثياب الجاهلية من أهل الغفلة، و المحجوبين عن المعارف الإلهية، و لئلا تصير فى معرض الإضاعة فإن الشىء يضيع بالإذاعة.

و لـذا ورد: اسـتعينوا على حوائجكم (أى على نجاحها و بقائها) بالكتمان، و هـذا الحفظ لا بـد من مراعاته لها فى جميع أحوال هـذا السـر الباطن، و جميع مراتب ظهورها فى الإنسان إلى أن يوديها إلى معطيها محفوظـة عن هذه الآفات المادية، بل لا بد من تقليد رقابنا بالخضوع لها، و الخشوع لها فى السرّ و العلانية، فإنه أمانة الله التى يجب التعظيم لها، كما سيجىء قريبا بيانه.

و إلی ما ذکر تشیر عدة من الأخبار،

ففی البحار (1)عن أمالی ابن الشیخ بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله عز و جل: وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ (2)، قال: «النجم رسول الله، و العلامات الأئمة من بعده» (علیه و علیهم السّلام) .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن معلی بن خنیس، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله: وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ فالنجم رسول الله صلّی الله علیه و آله و العلامات الأوصیاء بهم یهتدون.

و فیه عنه، عن أبی مخلّد الخیاط قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ (3)قال: «النجم محمد صلّی الله علیه و آله و العلامات الأوصیاء» .

و فیه عن المناقب، عنه صلّی الله علیه و آله: «أنت أحد العلامات (أی أنه صلّی الله علیه و آله قال لعلی علیه السّلام)» .

و فی مقدمة تفسیر البرهان و عن الباقر علیه السّلام أنه قال: «کان علی علیه السّلام یقول: ما لله عز و جل آیة أکبر منی» .

و عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: أَتَتْکَ آیٰاتُنٰا (4)و قوله سبحانه: وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیٰاتِ رَبِّهِ (5): الآیات الأئمة، أی لم یؤمن بهم، و ترکهم معاندة، فلم یتبع آثارهم، الخبر.

و فیه عن إکمال الدین، عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ (6)الآیة قال: «یعنی خروج القائم (عج)» .

و فیه، فی الکافی عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ

1- 1) البحار ج 24 ص 81.

2- 2) النحل:16.

3- 3) النحل:16.

4- 4) طه:126.

5- 5) طه:127.

6- 6) الأنعام:158.

رَبِّهِمْ

(1)

«یعنی کفروا بولایـة علی علیه السّـ لام» الخبر. و مثل هـذه الأخبار أخبار کثیرة کما لا یخفی. فالمسـتفاد من الآیات و الأحادیث: أن الآیة تطلق علی أمور کثیرة، کما ورد التفسـیر لها فی مواردها (أی موارد ذکر الآیات فی الآیات القرآنیة) إلاّ أنه لیس لله تعالی آیة أتم و أکبر و أدل إلاّ هم علیهم السّلام أو منهم أو لهم أو عنهم، کما علمته من الأخبار المتقدمة.

و فی المحکی عن الکافی، عن داود الرقی قال: سألت أبا عبـد الله علیه السّـ لام عن قوله تبارک و تعالی: وَ مٰا تُغْنِی اَلْآیٰاتُ وَ اَلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ یُؤْمِنُونَ (2)، قال: «الآیات الأئمة، و النذر الأنبیاء» (صلوات الله علیهم أجمعین) .

و فی تفسیر نور الثقلین (3)بإسـناده عن أبی حمزة، عن أبی جعفر علیه السّـ لام قال: جعلت فداک إن الشیعة یسألونک عن تفسیر هذه الآیة: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ (4)، قال: «ذلک إلیّ إن شـئت أخبرتهم، و إن شـئت لم أخبرهم، ثم قال: لکنی أخبرک بتفسـیرها، قلت: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ ، قال: فقال: هی فی أمیر المؤمنین علیه السّلام کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: ما لله عز و جل آیة هی أکبر منی، و لا لله من نباء أعظم منی» .

و فیه عن تفسـیر علی بن إبراهیم، عن أبی الحسن الرضـا علیه السّـ لام فی قوله: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ قال: «قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: ما لله نبأ أعظم منّی، و ما لله آیة أکبر منی، و لقد عرض فضلی علی الأمم الماضیة علی اختلاف ألسنتها فلم تقرّ بفضلی» .

ص: 164

1- 1) الکهف:105.

2- 2) یونس:101.

3- 3) تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 491.

4- 4) النبإ:2.

و یمکن أن یراد من الآیات الآیات التی کانت عندهم من الأنبیاء السابقین و من النبی صلّی اللّه علیه و آله فتلک الأمور المختصة بهم، التی کانت آیة و علامة لنبوتهم، تکون عندهم مخزونة، و کونها عندهم إما یراد منه أنهم علیهم السّلام تلک الآیات بأجمعها کما

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أنا عصا موسی أنا ناقة صالح» ، کما ذکره فی البحار فی الخطبة الواردة عنه علیه السّلام فی معرفته علیه السّلام بالنورانیة فراجعها، و مثلها خطبة البیان التی قیل: إن العامة أیضا رووها عنه علیه السّلام. و أما یراد منه أنها عندهم مخزونة محفوظة أمانة منه تعالی عندهم.

ففی البحار (1)عن بصائر الدرجات، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی: «یا أبا محمد إن اللّه لم یعط الأنبیاء شیئا إلاّ و قد أعطی محمدا جمیع ما أعطی الأنبیاء، و عندنا الصحف التی قال اللّه: صُحُفِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ (2)قلت: جعلت فداک و هی الألواح؟ قال: نعم» .

و فیه عن بصائر الدرجات عن أبی حمزة الثمالی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن فی الجفر أن اللّه تبارک و تعالی لما أنزل ألواح موسی علیه السّلام أنزلها علیه، و فیها تبیان کل شیء و هو کائن إلی أن تقوم الساعة، فلما انقضت أیام موسی، أوحی اللّه إلیه أن استودع الألواح، و هی زبرجدة من الجنة الجبل فأتی موسی الجبل فانشق له الجبل، فجعل فیها الألواح ملفوفة. . . إلی أن قال علیه السّلام: ثم دعا أمیر المؤمنین علیه السّلام (أی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) فقال: دونک هذه، ففیها علم الأولین و الآخرین، و هی ألواح موسی، و قد أمرنی ربّی أن أدفعها إلیک. قال: یا رسول اللّه لیست أحسن قراءتها؟ قال: إن جبرئیل أمرنی أن آمرک أن تضعها تحت رأسک لیلتک هذه، فإنک تصبح و قد علمت قراءتها، قال: فجعلها تحت رأسه، فأصبح و قد علّمه اللّه کل شیء فیها، فأمره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن ینسخها

1- 1) البحار ج 26 ص 184.
2- 2) الأعلی:19.

فنسخها فى جلد شاة، و هو الجفر و فيه علم الأولين و الآخرين و هو عندنا و الألواح، و عصا موسى عندنا، و نحن ورثنا النبى صلّى اللّه عليه و آله» ، و تقدم فى معنى و ورثة الأنبياء ما يوضح لک هذا من أن خصائص الأنبياء و النبى الأعظم كلها عندهم فراجعه. و أما

قوله عليه السّلام:

«المخزونة»

، فقد علمت بعض معانيها و حاصله: أنهم الآيات التى لا يعلم حقيقتها إلاّ اللّه تعالى، لأنهم حقيقة الاسم المخزون عنده تعالى، الذى لا يخرج منه إلاّ إليه، أى لا يظهر فى الوجود إلاّ إلى الوجه الربوبى، و لا يعرفه غيره، و هو حقيقة ولايتهم التى هى ولاية اللّه تعالى التى لا حد لها و لا رسم و لا يعرفها أحد و لا يحد لأحد كما صرّح به فى الأخبار و قد تقدم ما يشير إليه. و قد يقال: بأن المراد من كونها مخزونة أنها (أى الآيات) لعزّتها و علوّ قيمتها و علوّ قدرتها، قد أخزنها اللّه تعالى لنفسه، فإن الشىء العزيز عند الشخص يخزنه و يصونه عن غيره،

ففى الحديث: «إن للّه ضنائن يضن بها عن البلاء، يحييهم فى عافية، و يميتهم فى عافية» . و فى المجمع: الضنائن الخصائص من الضنن، و هو ما يختصه و يضن به أى يبخل به لمكانه منه و موقعه عنده. و كيف كأن فلو كان للّه تعالى عباد ضنائن بالمعنى المذكور، فما ظنك بهم عليهم السّلام الذين قد اصطفاهم اللّه لنفسه؟ فهم عليهم السّلام بلحاظ تلک المكانة منه تعالى من حيث كونهم حقيقة الاسم المخزون عنده تعالى الآية المخزونة. و قد يقال: إنهم الآية المخزونة لأجل أنهم بمثابة من النور الإلهى الذى لا يتحمل غيرهم رؤيته، بحيث لو رآه غيرهم لا نمحق وجوده فيجب حينئذ لهذه العلة خزنها و سترها، و لنعم ما قيل بالفارسية: أحمد ار بگشايد آن پر جليل تا ابد مدهوش ماند جبرئيل

و قد يقال: بكونهم الآيات المخزونة، لعدم وجود ظرف يسعها غير الظرف الإلهى، الذى هم فيه مخزونون، و ذلك لأن تلك الآيات تكون حقيقتها فى الإحاطة و السعة، بحيث تسع كل ممكن، فلا يسعها ممكن، و إلاّ لكان أكبر منها، و إليه يشير قوله عليه السّلام فيما تقدم من

قوله عليه السّلام تقريبا: «إن أمرنا لا يحد، لأن من حدّ شيئا فهو أكبر منه» . و كيف كان فهم عليهم السّلام فى الصقع الذى رتّبهم الله تعالى فيه، و له من العلوّ و الرفعة و السعة ما يشمل الكل، و لا يشمله الكل، فلا محالة تكون مخزونة لغيرها. و قد يقال: إن حقيقتهم التى هى مظهر لعظمته تعالى و لأسمائه، لا بد من أن تكون مخزونة إبقاء لعظمتها، و حفظا لنظام العالم، فإن الحكمة الإلهية اقتضت سترها، و كونها مخزونة لبقاء النظام، و لحفظ عظمتهم ضرورة أنّ الشىء إذا صار معلوما و مبتذلا ذهب بهاؤه و انمحت عظمته. و قد يقال: إن المراد من كونها مخزونة أنها مخزونة لخلص عباده، و هم العارفون ببعض رتبهم. و بعبارة واضحة: أنه تعالى جعلهم الآية المخزونة لعباده العارفين، أى اختصهم لعباده العارفين، فهى مخزونة لغير العارفين و معلومة لهم، فهو تعالى أخزنهم عن غيرهم لهم، لكونهم أهلا لمعرفتهم، و لكن فيه أنه لم يكن حينئذ لهذه الجملة بيان لفضيلتهم عليهم السّلام كما لا يخفى، فتأمل. و قد يقال: إن المراد من كونهم الآيات المخزونة، ما حاصله من أن القرآن الذى هو آيات الله تعالى لها ظاهر و باطن، و ظاهرها ما هو المتبادر منها عند العارفين بالكلام و بأسلوب الخطاب، و العالمين بالمعارف الإلهية، و باطنها هو حقيقته، التى لا يعلمها إلاّ الله و الراسخون فى العلم المفسّر بالأئمة عليهم السّلام. و بعبارة أخرى: أن للقرآن محكما و متشابها، و أنّ لكل منهما باطنا و تأويلا، لا يعلم المتشابهات منه و تأويله إلاّ الأئمة عليهم السّلام و حيث إن الأئمة عليهم السّلام كما تقدم هم حقائق

تلک الآیات کما قال سبحانه: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (1)و قد تقدم أن المراد منه هو صدورهم علیهم السّلام فالقرآن بحقیقته هو صدورهم، فالآیات البینات هی فی صدورهم، بل هی نفس صدورهم و حقائقهم، فهم بتلک الحقائق، و بذلک اللحاظ مخزونة عن غیرهم کما لا یخفی، و إلیه یشیر

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فیما تقدم مما حاصله: أن الله تعالی جعل القرآن علی ثلاثة أقسام: قسم یعلمه العارف و الجاهل، و قسم یعلمه من کان قد صفی ذهنه، و لطف حسّه، و صحّ تمییزه، و قسم (و هو المراد منه هنا) یختص علمه بالأئمة علیهم السّلام و النبی صلّی الله علیه و آله لئلا یدعی أحد النبوة و الإمامة، نقلناه بالمعنی. و کیف کان فهم علیهم السّلام الآیات المخزونة، التی قد عجز الناس، بل و الملائکة عن درکها و المعرفة بها، لغموض حقیقتها، و علوّ معناها، و سعة وجودها، فلا محالة تکون مخزونة، فإنها و إن صارت بالنسبة إلی أولیاء الله معلومة، إلاّ أنها بلحاظ کنهها تکون مخزونة، و تقدم

قول الصادق علیه السّلام لأبی الصامت: «إن أمرنا لا یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان، قلت: فمن یحتمله؟ قال: نحن» . أقول: أی لا غیرنا، و قد تقدم شرحه و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: و الأمانة المحفوظة

فی المجمع: الأمانة ما یؤتمن علیها الإنسان، و ائتمنه علی الشیء أمنه، یقال: اؤتمن فلان-علی ما لم یسمّ فاعله- أقول: أی أن الأمانة صفة فی الإنسان یؤتمن علیها بلحاظ تلک الصفة، و هی قائمة بالنفس کسائر الصفات النفسانیة. و فی المحکی عن القاموس: الأمانة و الأمنة ضد الخیانة، و قال: الأمین القوی

1- 1) العنکبوت:49.

و المؤتمن، و قال أيضا: هو أمين، أى مأمون به ثقة. و فى المصباح المنير قيل للوديعة الأمانة. أقول: لما لم يعط الوديعة إلاّ للأمين، فأطلق عليها الأمانة، لأنها مودعة عند الأمين بلحاظ صفة الأمانة. و كيف كان قد يقال: إن الأمانة المحفوظة، أى التى يجب حفظها على الناس و لو بأن يبذلوا أنفسهم و أموالهم فى حراستها، لأن قوامهم و قوام دينهم و دنياهم بهم، إنما هى ولايتهم و إمامتهم، و هى التى عرضت على السموات و الأرض، فقد وردت أحاديث (كما سيأتى) قد دلّت على أن الأمانة المعروضة عليهما هى الولاية، فالأئمة عليهم السّلام بلحاظ ولايتهم هم أمانة الله، التى يجب على الخلق حفظها، بأن يقيدوا رقابهم بقيد العبودية و الخضوع لهم، و تسليم أنفسهم و أموالهم إليهم عليهم السّلام بحيث لا يختاروا إلاّ ما اختاروه، و لا يريدون إلاّ ما أرادوه، و لا يعملون إلاّ بما أمروه إلى غير ذلك مما يجب على الرعية بالنسبة إلى الإمام عليه السّلام و الأمانة أى الولاية بمثابة من الأهمية إليه تعالى، بحيث أمر الله تعالى الإمام السابق أن يؤديها إلى الإمام اللاحق، كما ستأتى الأخبار الدالة عليه. أقول: لا بد أولا من ذكر الأحاديث الواردة فى تفسير قوله تعالى: إِنّٰا عَرَضْنَا اَلْأَمٰانَةَ (1)، و قوله تعالى: إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا (2)، ثم التعقيب ببيان المراد منها فنقول:

فى تفسير البرهان (3)ابن بابويه بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «إن الله تبارك و تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، فجعل أعلاها و أشرفها أرواح محمد و على و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة بعدهم عليهم السّلام

1- 1) الأحزاب:72.

2- 2) النساء:58.

3- 3) تفسير البرهان ج 3 ص 340.

فعرضـها على السـموات و الأـرض و الجبـال فغشـيها نورهم. . . إلى أن قـال: (أى الله تعالى) فولايتهم أمانتى عنـد خلقى، فأيكم يحملها بأثقالهـا، و يـدعيها لنفسه دون خيرتى فأبت السـموات و الأرض و الجبال أن يحملنها، و أشـفقن من ادعاء منزلتها و تمنى محلها عن عظمة ربّها-إلى أن قال عليه السّلام: فلم يزل أنبياء الله بعد ذلک يحفظون هذه الأمانة، و يخبرون بها أوصـياءهم و المخلصـين من أممهم، فيأبون حملها و يشـفقون من ادعائها، و حملها الإنسان الـذى قـد عرف فاصل كل ظالم منه إلى يوم القيامـة، و ذلک قول الله عز و جل: إِنّٰا عَرَضْنَا اَلْأَمٰانَةَ عَلَى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبٰالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً (1).

و فيه، عنه بإسـناده عن أبى بصـير قال: سألت أبا عبـد الله عليه السّلام عن قول الله عز و جل: إِنّٰا عَرَضْنَا اَلْأَمٰانَةَ عَلَى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبٰالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً ، قال: «الأمانة الولاية و الإنسان هو أبو الشرور المنافق» .

و فيه عنه، عن الحسـين بن خالد قال: سألت أبا الحسن على بن موسـى الرضا عليه السّلام عن قول الله عز و جل الآية، فقال: «الأمانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر» .

و فيه عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله تبارک و تعالى الآية، قال: «هى الولاية أبين أن يحملنها و حملها الإنسان، و الإنسان الذى حملها أبو فلان» .

و فيه عن الصادق عليه السّلام عن قوله تعالى الآية قال: «يعنى بها ولاية على بن أبى طالب عليه السّلام» . أقول: و مثله

فى تفسير نور الثقلين عن الكافى، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله تعالى الآية، قال: «هى ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام» .

1- 1) الأحزاب:72.

و فيه عن غوالى اللئالى و فى الحديث: «أن عليا عليه السّلام إذا حضر وقت الصلوة يتململ و يتزلزل و يتلوّن، فيقال له: ما لک يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلوة، وقت أمانة عرضها الله على السموات و الأرض فأبين أن يحملنها و أشفقن منها» .

و فى تفسير نور الثقلين (1)عن كتاب معانى الأخبار بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن قال: سألت موسى بن جعفر عليه السّلام عن قول الله عز و جل: إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا (2)، فقال: هذه مخاطبة لنا خاصّة أمر الله تبارک و تعالى كل إمام منا أن يؤدّى الإمام الذى بعده يوصى إليه، ثم هى جارية فى سائر الأمانات، و لقد حدثنى أبى عن أبيه أن على بن الحسين عليه السّلام قال لأصحابه: «عليكم بأداء الأمانة، فلو أن قاتل الحسين بن على عليه السّلام ائتمننى على السيف الذى قتله به لأديته إليه» .

و فيه عن أصول الكافى بإسناده عن أبى كهمش قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: عبد الله بن أبى يعفور يقرئک السّلام، قال: «عليک و عليه السّلام إذا أتيت عبد الله فاقرأه السّلام و قل له: إن جعفر بن محمد يقول لک: انظر ما بلغ به على عليه السّلام عند رسول الله صلّى الله عليه و آله فالزمه، فإن عليا عليه السّلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلّى الله عليه و آله بصدق الحديث و أداء الأمانة» . و مثلهما أخبار كثيرة.

و فى مقدمة تفسير البرهان عن الكافى، عن الرضا عليه السّلام قال فى حديث له: «إن الإمام عليه السّلام أمين الله فى خلقه» .

و فيه عن تفسير الفرات، عن الباقر عليه السّلام قال: «نحن الأمانة التى عرضت على السموات و الأرض و الجبال» .

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 411.

2- 2) النساء:58.

و فیه عن کتاب سـعد السـعود: رأیت فی تفسـیر عن الباقر علیه السّلام فی هذه الآیة (أی آیة رد الأمانة) أنه قال: «هذه الآیة فی أمر الولایة أن تسلّم إلی آل محمد صلّی الله علیه و آله» . أقول:

قوله علیه السّلام: «أن تسـلّم إلی آل محمـد صـلّی الله علیه و آله» ، معناه أن الدین الخالص الذی هو لله إنما هو الولایة، و معنی أن تسـلم الولایـة إلی آل محمـد صـلّی الله علیه و آله هو أن الواجب من الله تعالی علی خلقه أن یحفظوا هـذه الولایـة و أهلها، بأن یحفظوا أولا أهل الولایة أی محمدا و آله الطاهرین، ثم ما لهم علیهم السّلام ثم عرضهم و دینهم، و أن یعرفوهم بما عرفهم الله، و یعرفوا منزلتهم التی رتّبهم الله و یقروهم فیهـا و یحبوهم و یتولوهم و یتبرءوا من أعـدائهم، و الواجب أیضـا هو الرد إلیهم فیما اختلفوا، و التسـلیم لهم فی کل حال، و التزام حـدودهم، و القیام بأوامرهم، و اجتناب نواهیهم علی حسب ما حـددوا بأن یبـذلوا أنفسـهم دونهم و مالهم و أهلهم باللسان و الید و القلب و جمیع جوارحهم، و أن لاـ یعصوهم فی شـیء من ذلـک و أن یمتثلوا أوامرهـم و یجتنبوا نواهیهم و یؤثروهم علی أنفسـهم فی کل شیء، و بهـذه الأمور و نحوها یتحقق معنی تسـلیم الولایـة لآل محمـد صـلّی الله علیه و آله و بمراعاة هذه الأمور یتحقق کونها محفوظة. و الحاصل: أن الأمانـة المحفوظة معناها أنه لا بد من أن تحفظ هذه الأمانة، و حفظها بهذه الأمور المذکورة، و یمکن أن یراد بکونها محفوظة ما ذکرناه فی المخزونـة فی قوله و الآیـة المخزونـة بجمیع معانیها، فإن المخزونة و المحفوظة یرجع کل منهما إلی الآخر معنی بضـرب من البیان، و یمکن أن یقال: إن معنی کونها محفوظـة أن ولایتهم، التی عرفت أنها المراد من الأمانـة حسب بیان الأحادیث أنه تعالی قد حفظها (أی الأمانة المفسّرة بالولایة) بأن جعلها فی رعایته و حفظه، فلا یقدر أحد من الخلق أن یخفض قدرهم أو یغیرهم عما رتّبهم الله فیها. و إلی هذا الحفظ یشیر ما ورد فی تفسیر قوله تعالی: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اَللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکافِرُونَ (1).

1- 1) الصف:8.

ففی الکافی (1)عن أبی الحسن علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه تبارک و تعالی: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ قال: «یریدون لیطفؤا ولایة أمیر المؤمنین علیه السّلام بأفواههم، قلت: قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ قال: یقول: و اللّه متم الإمامة و الإمامة هی النور و ذلک قوله عز و جل: فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا (2)قال: النور الإمام» . و یمکن أن یراد من المحفوظة أنه تعالی قد حفظ هذه الأمانة سواء فسّرت بالولایة، أو بأرواحهم الطیبة بلحاظ مظهریتها له تعالی و لأسمائه الحسنی بالعصمة و التأیید و التسدید، و الإمداد الإلهی و النور الربوبی بحیث لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه، و إنما کانوا علیهم السّلام أمانة اللّه فی خلقه، أو کانت ولایتهم أمانة اللّه فی خلقه، لأن ولایتهم ولایة اللّه کما تقدمت الأحادیث الدالة علیها، فهی له تعالی ظهرت بهم فی الخلق. و کذلک إذا فسّرت الأمانة بأنفسهم الشریفة، ضرورة أن أرواحهم بما هی مظاهره فی الخلق، کما تقدم قول علی بن الحسین علیه السّلام الدال علی ذلک، فإنما هی أمانة منه تعالی فی الخلق، و هم المقصودون بالغایة من الخلق،

کما قال تعالی فی الحدیث القدسی، الذی ذکره المحقق الحر العاملی فی الجواهر السنیة فی الأحادیث القدسیة مخاطبا له صلّی اللّه علیه و آله: «خلقت الأشیاء لأجلک و خلقتک لأجلی» . و تقدم فی حدیث المفضل عن الصادق علیه السّلام أن المعروض علی السموات و الأرض و الجبال هو أرواحهم علیهم السّلام، و کیف کان فالمعروض علیها هو الأمانة سواء فسّرت بأنفسهم الشریفة أو بولایتهم التی هی ولایة اللّه و کل منهما یرجع إلی الآخر بضرب من التأویل الحسن و الواضح کما لا یخفی، فإن عروض أرواحهم أیضا بلحاظ ولایتهم کما لا یخفی، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

1- 1) الکافی ج 2 ص 365.
2- 2) التّغابن:8.

قوله علیه السّلام: و الباب المبتلی به الناس

اشارة

أقول: الکلام فی شرح هذه الجملة فی مقامین:

الأول: فی المعنی المراد من الباب.

و الثانی: فی معنی ابتلاء الناس به. أما الأول: فلا بد من ذکر أحادیث الباب ثم بیان المستفاد منها فنقول:

فی مقدمة تفسیر البرهان عن کتاب کنز الفوائد، عن أبی ذر: أن النبی صلّی الله علیه و آله قال: «إن علیا باب الله الأکبر، فمن أراد الله فلیدخل الباب» ، الخبر.

و فی کتاب سلیم بن قیس قال: سمعت سلمان الفارسی رحمه الله یقول: «إن علیا باب فتحه الله، من دخله کان مؤمنا، و من خرج عنه کان کافرا» .

و رواه الکلینی عن الباقر علیه السّلام و فیه: «و من لم یدخل فیه» .

و فی المناقب عن علی علیه السّلام أنه قال فی حدیث له: «أنا باب الله الذی یؤتی منه، اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً ، الخبر.

و فی معانی الأخبار عن الصادق علیه السّلام قال: قال علی علیه السّلام فی خطبة: أنا باب حطّة» .

و فی بعض الأخبار: أن الأئمة علیهم السّلام باب القرآن، و باب الإیمان، و باب المقام، و أبواب الجنان، و باب الأحکام، و الباب الاقصد، و باب الیقین، و باب التقوی.

و روی الکفعمی عن الباقر علیه السّلام أنه قال فی معنی أنهم علیهم السّلام باب الله: «إن الله احتجب عن خلقه بنبیه و الأوصیاء من بعده، و فوّض إلیهم من العلم ما علم احتیاج الخلق إلیه، و لما استوفی النبی صلّی الله علیه و آله علی علی علیه السّلام العلوم و الحکمة قال: أنا مدینة العلم و علی بابها، و قد أوجب الله علی خلقه الاستکانة لعلی علیه السّلام بقوله: اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً ، و قوله: حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَکُمْ خَطٰایٰاکُمْ وَ سَنَزِیدُ اَلْمُحْسِنِینَ ، أی الذین لا یرتابون فی فضل الباب و علو قدره» ، الخبر.

و فی الکافی عن علی علیه السّلام أنه قال فی حدیث له: «أنه قد جعل الله للعلم أهلا،

و فرض على العباد طاعتهم بقوله: وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا (1)، فالبيوت هى بيوت العلم، الذى استودعه الأنبياء، و أبوابها أوصياؤهم» ، انتهى ما أردنا نقله منه.

و فى البحار (2)عن البصائر، عن هاشم بن أبى عمار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «أنا عين الله، و أنا جنب الله، و أنا يد الله، و أنا باب الله» .

و فى سفينة البحار (3)الباقر عليه السّلام: «إن عليا باب فتحه الله، فمن دخله كان مؤمنا، و من خرج منه كان كافرا» .

و فيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «بى أنذرتم، و بعلى بن أبى طالب عليه السّلام اهتديتم، و قرأ: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ (4)و بالحسن عليه السّلام أعطيتم الإحسان، و بالحسين تسعدون، و به تشبّثون، ألا و إن الحسين باب من أبواب الجنة، من عانده حرم عليه ريح الجنة» .

و فى تفسير نور الثقلين (5)عن كتاب الاحتجاج للطبرسى، و عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السّلام فجاءه ابن الكوّا فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عز و جل: وَ لَيْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰكِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقىٰ وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا (6)فقال عليه السّلام: «نحن البيوت، أمر الله أن يؤتى أبوابها، نحن باب الله و بيوته التى يؤتى منه، فمن بايعنا و أقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها، و من خالفنا، و فضّل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها، و أنهم عن الصراط لناكبون» ، الحديث.

و فيه عن تفسير العياشى، عن سعد، عن أبى جعفر عليه السّلام: قال: سألته عن هذه

1- 1) البقرة:189.
2- 2) البحار ج 24 ص 194.
3- 3) سفينة البحار ج 1 ص 108.
4- 4) الرعد:7.
5- 5) سفينة البحار ج 1 ص 108.
6- 6) البقرة:189.

الآية: وَ لَيْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰكِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقىٰ وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا فقال: «آل محمد صلّى الله عليه و آله أبواب الله و سبيله و الدعاة إلى الجنة، و القادة إليها، و الأدلاء عليها إلى يوم القيامة» .

و فيه، و قال النبى صلّى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم و على بابها، و لا تؤتى المدينة إلاّ من بابها» ، و يروى: «أنا مدينة الحكمة» .

و فيه (1)عن العيون بإسناده إلى الحسين بن خالد عن الرضا على بن موسى عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «لكل أمة صدّيق و فاروق، و صدّيق هذه الأمة و فاروقها على بن أبى طالب، إن عليا سفينة نجاتها و باب حطّتها» .

و فيه، عن الخصال فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و تعدادها قال على عليه السّلام: «و أما العشرون: فإنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول لى: مثلك فى أمتى مثل باب حطّة فى بنى إسرائيل، فمن دخل فى ولايتک، فقد دخل الباب كما أمره الله عز و جل» .

و فيه يقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث طويل: «و نحن باب حطّة» .

و فيه و فى كتاب التوحيد بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبته: «أنا باب حطّة» .

و فى روضة الكافى خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام و هى خطبة الوسيلة، قال فيها عليه السّلام «ألا و إنى فيكم أيها الناس كهارون فى آل فرعون، و كباب حطّة فى بنى إسرائيل» .

و فى المجمع: و روى عن الباقر عليه السّلام قال: قال: «نحن باب حطّتكم» . أقول: و قد وردت أخبار كثيرة

أن رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: «أنا مدينة العلم و على بابها» . إذا علمت هذه فنقول: قد يراد من الباب: الباب الذى ابتلى الله بنى إسرائيل بدخولها سجّدا، و أن يقولوا حطّة أى هو حطّة لذنوبنا، أو حطّ عنا ذنوبنا، فدخلها

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 70.

قوم منهم كـذلک فنجوا، و قوم منهم لم يـدخلوها فهلكوا، و إليهم الإشـارة بقوله تعـالى فَبَدَّلَ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ اَلَّذِى قِيلَ لَهُمْ (1)و قضـيتهم مذكورة فى التفاسير، و قد ذكروا وجوها لمعنى الباب فى الآية فليراجع إليها، فالأئمة عليهم السّلام كذلک أى بحكم ذلک الباب، فمن دخل فى باب متابعتهم نجا، و من لم يدخل هلک. و قد يراد منه باب الحكم و العلم و المعارف،

كما صـرّح به النبى الأعظم صلّى الله عليه و آله بقوله الذى رواه الخاصة و العامة: «أنا مدينة العلم و على بابها، و من أراد المدينة (أى مدينة العلم و الفضـيلة و التوحيـد) فليأتهـا من بابهـا» . و قـد يراد منه أن لكـل شـىء بابـا يناسـبه، و باب الرحمن، و باب الجنان، و باب العلم و المعارف هو محمـد و آله الطاهرون، و قد قال تعالى: وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها (2). ثم إن حقيقة هذا الباب هو مقام ولايتهم التى هى ولاية الله تعالى، و قـد علمت أنها سـنام الأمر، و أساس الأمر، و ذروة الأمر و بها بيان التوحيـد و النبوة و الولايـة و معارف الـدين، و حينئذ نقول: دخول الباب إنما هو بالدخول فى ولايتهم، كما

قال عليه السّلام: «فمن بايعنا و أقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها» ، و لا بد من أن يكون الدخول فيها بالخشوع و الخضوع لها، فإن بنى إسـرائيل أمروا بالدخول سـجدا تعظيما لمحمد و آل محمد صلّى الله عليه و آله و لولايتهم عليهم السّلام و هكذا الباب فى زماننا لا بد من الدخول فيه سجدا، أى تعظيما لهم و لولايتهم عليهم السّلام. يدل على ما ذكرناه

ما رواه فى تفسير البرهان (3)قال الإمام العسـكرى عليه السّلام: قال الله تعالى: اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ قُلْنَا (لأسلافكم) اُدْخُلُوا هٰذِهِ اَلْقَرْيَةَ (و هى أريحا من بلاد الشام و ذلک حين خرجوا من التيه) فَكُلُوا مِنْهٰا (من القرية) حَيْثُ شِئْتُمْ

1- 1) البقرة:59.

2- 2) البقرة:189.

3- 3) تفسير البرهان ج 2 ص 13.

رَغَداً (واسعا بلا تعب) وَ اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ (باب القرية) سُجَّداً (مثّل الله عز و جل على الباب مثال محمد صلّى الله عليه و آله و على عليه السّلام، و أمرهم أن يسجدوا تعظيما لذلك المثال، و يجددوا على أنفسهم بيعتهما، و اذكروا موالاتهما، و ليذكروا العهد و الميثاق المأخوذين عليهم لهما) . وَ قُولُوا: حِطَّةٌ (أى قولوا إن سجدونا لله تعالى تعظيما لمثال محمد و على عليهما و آلهما السّلام، و اعتقادنا لولايتهما حطة لذنوبنا و محو لسيئاتنا) قال تعالى: نَغْفِرْ لَكُمْ (بهذا الفعل) خَطٰايٰاكُمْ (السالفة و نزيل عنكم آثامكم الماضية) وَ سَنَزِيدُ اَلْمُحْسِنِينَ (من كان منكم لم يفارق الذنوب، التى فارقها من خالف الولاية، و ثبت على ما أعطى الله من نفسه من عهد الولاية و إنا نزيدهم، فهذا الفعل زيادة درجات و مثوبات، و ذلك قوله: و سنزيد المحسنين) الحديث. و كيف كان فالباب هو ولايتهم، و الدخول فيها هو الإقرار بها، و لا بد من التواضع لها و لهم، فإن بنى إسرائيل بهذا الملاک أمروا بدخول الباب، فكذلک هذه الأمه أمروا بدخول هذا الباب (أى باب ولايتهم) تعظيما لهم عليهم السّلام و خضوعا لهم عليهم السّلام.

و أما المقام الثانى (أعنى كون الناس قد ابتلوا بهذا الباب)

فنقول: معنى كون الناس مبتلين بهذا الباب أن الله تعالى امتحن عباده بولايتهم، فمن أقرّ بها صار مؤمنا ممتحنا، كما تقدمت الأخبار الدالة على أن المؤمن الممتحن هو المقرّ بولايتهم، و هذه الولاية هى التى أخذ الله تعالى الميثاق على جميع خلقه من الناطق منهم و الصامت بقبولها، فمن قبلها صلح، و من لم يقبلها فسد حتى الأنبياء بل و الأئمة عليهم السّلام فإنه قد أخذ من الجميع قبول الولاية و نصرتها.

ففى تفسير البرهان (1)و روى صاحب كتاب الوحدة بإسناده عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن الله تبارک و تعالى

1- 1) تفسير البرهان ج 1 ص 294.

أحـد واحـد، و تفرد فى وحـدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمدا و خلقنى و ذريتى، ثم تكلم بكلمة فصارت روحـا، فأسـكنها الله تعـالى فى ذلك النور، و أسـكنه فى أبـداننا، فنحن روح الله و كلمته، و بنا احتجب من (على خ) خلقه، فما زلنا فى ظلّة خضـراء حيث لا شـمس و لا قمر، و لا ليل و لا نهار، و لا عين تطرف نعبـده و نقـدسه و نسـبحه، و ذلك قبل أن يخلق خلقه. و أخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان و النصـرة لنا، و ذلك قوله عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ (1)يعنى محمدا صـلّى الله عليه و آله و لتنصرون وصيه، فقد آمنوا بمحمد و ينصرون وصيه و سينصرونه جميعا، و إن الله أخذ ميثاقى مع ميثاق محمد بالنصـرة بعضـنا لبعض، فقد نصـرت محمدا، و جاهدت بين يديه، و قتلت عدوه، و وفيت الله بما أخذ علىّ من الميثاق و العهد و النصـرة لمحمد صـلّى الله عليه و آله و لم ينصرنى أحد من أنبياء الله و رسله، و ذلك لما قبضهم الله إليه و سوف ينصرونى» .

و فيه بإسناده عن فرج بن شيبة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول و قد تلا وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ «يعنى رسول الله (وَ لَتَنْصُرُنَّهُ) يعنى وصـيه أمير المؤمنين، و لم يبعث الله نبيا و لا رسولا، إلاّ و أخذ الله عليه الميثاق لمحمد بالنبوة و لعلى بالإمامة» .

و فيه عن بكير قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا، و هم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذّر بالإقرار له بالربوبية و لمحمد صلّى الله عليه و آله بالنبوة، و عرض الله على محمد صلّى الله عليه و آله الأئمة الطيبين و هم أظلّة، و خلقهم من الطين الذى خلق منه آدم، قـال: و خلق أرواح شـيعتنا قبل أبـدانهم بألفى عام، و عرض عليهم و عرّفهم رسول الله صـلّى الله عليه و آله عليا، و نحن نعرفهم فى لحن القول» .

1- 1) آل عمران:81.

أقول:

فقوله علیه السّلام: «و لم یبعث نبیا و لا رسولا، إلاّ و أخذ علیه المیثاق لمحمد بالنبوة و لعلی بالامامة» ،

و قوله علیه السّلام: «و عرض علیهم و عرّفهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیا»

و قوله علیه السّلام فی حدیث أبی حمزة: «و إن اللّه أخذ میثاقی مع میثاق محمد بالنصرة بعضنا لبعض» ، یدل علی أن الأنبیاء و الأئمة علیهم السّلام و الناس خصوصا الشیعة، قد أخذ منهم المیثاق علی نصرة الولایة حیث ما حلّت، و ذلک لما علمت مرارا من أنها باطن النبوة و مظهر التوحید، و منها بیان الحقائق و المعارف، فهذه الولایة حقیقة الباب الذی ابتلی به الناس بأن یقبلوها و یدخلوها سجدا أی تعظیما لها. ثم إن حقیقة الابتلاء به هو أنه تعالی لما جعل هذا الباب المفسّر بالولایة باب السعادة فی الدنیا و الآخرة، و أوضح ذلک لعباده بنحو لا یشک فیه أحد، فأجری تکلیفه علی عباده، بأن یختاروا هذا الباب فهو (أی الباب) میزان السعادة و الشقاوة، و هو مما به الامتحان، و به یتحقق قوله تعالی: لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَةٍ وَ یَحْییٰ مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَةٍ (1)فمن دخله حیّ عن بینة، و من أنکره هلک عن بینة، لأنه تعالی بیّن أن هذا الباب هو المیزان للحیوة الطیبة و الهلاک و البوار الأبدی، و هو میزان متابعة النفس و الشیطان و مخالفتهما. فهو سبحانه بیّن أن هذا الباب هو میزان السعادة و الشقاوة، و جعل فی الخلق نفسا، و خلّی بینهم و بین الشیطان الذی یزین لهم أعمالهم، و منحهم الاختیار فی دخول هذا الباب بنحو تقدم، و إن یترکوه فتسلط النفس و الشیطان فی ظرف وضوح حقانیة الباب مع وجود الاختیار للناس، و هذه کلها أسباب الامتحان و الابتلاء، و هذا ما یمتحن اللّه به عباده، و هذا معنی

قول النبی صلّی اللّه علیه و آله فیما تقدم عن الخصال فی الخصلة، التی هی العشرون لعلی علیه السّلام: «مثلک فی أمتی مثل باب حطّة فی بنی إسرائیل فمن دخل فی ولایتک، فقد دخل الباب کما أمره اللّه عز و جل» . و کیف کان فکل من آمن باللّه و رسله و بالأئمة علیهم السّلام فله هذا الابتلاء بهذا الباب،

1- 1) الأنفال:42.

و ذلک لیمیز الخبیث من الطیب، و لیظهر ممن کان إیمانه صوریّا ما یکتمه من النفاق، و من کان إیمانه حقیقیا ما یستره من الإیمان الخالص، و إلیه الإشارة بقوله تعالی: الم. أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ یُفْتَنُونَ (1)فالامتحان و الفتنة للمؤمن، لیصیر الامتحان له تمحیصا. و الحاصل: أن المؤمن لا محالة مبتلی و واقع فی معرض الامتحان بهذا الباب باب الولایة و له تمحیص، بل و له البلاء و المصائب فی امتحانه، لیصفوا عن أکدار الشرک و تخلیص باطنه، فیلاقی ربّه و هو طاهر مطهر، و وردت أحادیث کثیرة فی امتحان المؤمن بالولایة و تمحیصه و ابتلائه بالمصائب، کل ذلک لتطهیره و تخلیصه من شوائب الشرک الخفی الباطنی، فهنا ثلاثة أمور: الامتحان بالولایة و التمحیص و الابتلاء، و إلی کل منها أحادیث کثیرة نذکر بعضها: أما بالنسبة إلی الامتحان بالولایة،

ففی بصائر الدرجات (2)بإسناده عن سدیر الصیرفی، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن أمرکم هذا (أی ولایة الأئمة علیهم السّلام) عرض علی الملائکة فلم یقرّ به إلاّ المقربون، و عرض علی الأنبیاء فلم یقرّ به إلاّ المرسلون، و عرض علی المؤمنین فلم یقرّ به إلاّ الممتحنون» .

و فیه (3)عن الفضیل، عن أبی الحسن علیه السّلام فی قول الله تعالی: یُوفُونَ بِالنَّذْرِ (4)«الذی أخذ علیهم المیثاق من ولایتنا» . و أما بالنسبة إلی التمحیص،

ففی کتاب الغیبة للنعمانی رحمه الله أحادیث کثیرة فی التمحیص منها ص 108 بإسناده إلی أبی بصیر عن أبی عبد الله علیه السّلام أنه قال: «مع القائم (عج) من العرب شیء یسیر، فقیل له: إن من یصف هذا الأمر منهم لکثیر قال: لا بد للناس من أن یمحصوا و یمیزوا و یغربلوا، و سیخرج من الغربال خلق

1- 1) العنکبوت:1-2.
2- 2) بصائر الدرجات ص 67.
3- 3) بصائر الدرجات ص 90.
4- 4) الإنسان:7.

کثیر» .

و قال: و حدثنا علی بن الحسین. . . إلی أن قال: عن عبد الله بن أبی یعفور، عن أبی عبد الله علیه السّلام أنه سمعه یقول: «ویل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب، قلت: جعلت فداک کم مع القائم من العرب؟ قال: شیء یسیر، فقلت: و الله إن من یصف هذا الأمر منهم لکثیر! ! فقال: لا بد للناس من أن یمحصوا و یمیّزوا و یغربلوا، و یخرج من الغربال خلق کثیر» . و أما بالنسبة إلی البلاء، ففی البحار عقد له بابا ذکر فیه ثمانیة و ثمانین حدیثا بألسنة مختلفة، و نحن نذکر بعضها.

ففی البحار (1)عن مجالس المفید، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن فیما ناجی الله به موسی بن عمران: أن یا موسی ما خلقت خلقا هو أحبّ إلیّ من عبدی المؤمن، و إنی إنما ابتلیته لما هو خیر، له و أنا أعلم بما یصلح عبدی، فلیصبر علی بلائی، و لیشکر نعمائی، و لیرض بقضائی أکتبه فی الصدیقین إذا عمل بما یرضینی و أطاع أمری» .

و فیه عن جامع الأخبار قال أمیر المؤمنین علی علیه السّلام: «الجزع عند البلاء تمام المحنة، و قال علیه السّلام: قال النبی صلّی الله علیه و آله: إن البلاء للظالم أدب، و للمؤمن امتحان، و للأنبیاء درجة، و للأولیاء کرامة» . أقول: جمیع هذا الأحادیث دالة علی أن المؤمن یمتحن بهذه الأمور، لیعلم ثباته علی الإیمان و الولایة لمحمد و آل محمد صلّی الله علیه و آله و لعمری إن المؤمن الممتحن الصابر الأخذ بقوائم دینه لقلیل.

ففی البحار فی باب قلة عدد المؤمنین عن صفات الشیعة للصدوق بإسناده عن الفضل بن قیس، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال لی: «کم شیعتنا بالکوفة؟ قال: قلت

1- 1) البحار ج 67 ص 235.

خمسون ألفا، فما زال يقول. . . إلى أن قال: و الله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة و عشـرون رجلا يعرفون أمرنا الذى نحن عليه، و لا يقولون علينا إلاّ الحق» .

و فيه عن الكافى بإسـناده عن قتيبة الأعشـى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، و المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟» .

و فيه عنه، عن كامـل التمـار قـال: سـمعت أبـا جعفر عليه السّـلام يقول: «الناس كلّهم بهائم (ثلاثا) إلاّ قليل من المؤمنين و المؤمن غريب ثلاث مرّات» .

[37]قوله عليه السّلام: من أتاكم نجا و من لم يأتكم هلك.

اشارة

أقول: لما ثبت كونهم عليهم السّلام الباب المبتلى به الناس، و الممتحن به الناس، فلا محالة يكون النجاة و الهلاک منوطا بإتيان هذا الباب و عدمه، فهنا مقامان:

الأول: أن من أتاهم نجا.

الثـانى: أن من لم يـأتهم هلـک. أمـا الأـول فنقول: إن إتيـانهم إما يكون بمعرفتهم، أو بالردّ إليهم فيما اختلفوا و بالمعرفـة بفرض طاعتهم و بوجوب النصـيحة لهم عليهم السّـلام و باللزوم لجماعتهم و بموالاتهم، و بالاقتداء بهم، و بالكون معهم، و بالتسليم لهم فى كل حال، يدل على هذا عدة من الأحاديث نذكر بعضها مما فيه الكفاية فنقول:

ففى الوافى عن الكافى، الأربعمائة، عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ذروة الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء و رضا الرحمن تعالى الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تعالى يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (1)» .

و فيه عنه، بإسناده عن أبى سلمة، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: «نحن

1- 1) النساء:80.

الذين رضا الله طاعتنا، لا يسع الناس إلاّ معرفتنا، و لا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمنا، و من أنكرنا كان كافرا، و من لم يعرفنا و لم ينكرنا كان ضالا حتى يرجع إلى الهدى، الذى افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء» .

و فيه، عنه، عن عبد الحميد بن أبى العلاء قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت مولى لأبى عبد الله عليه السّلام فملت إليه لأسأله عن أبى عبد الله عليه السّلام فإذا أنا بأبى عبد الله عليه السّلام و ساق الحديث. . . إلى أن قال: فلما خرج من المسجد قال لى: «يا أبا محمد و الله لو أن إبليس سجد لله تعالى بعد المعصية و التكبر عمر الدنيا، ما نفعه ذلک، و لا قبله الله تعالى، ما لم يسجد لآدم كما أمر الله تعالى أن يسجد له، و كذلک هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها صلّى الله عليه و آله و بعد تركهم الإمام الذى نصبه نبيهم صلّى الله عليه و آله فلن يقبل الله تعالى لهم عملا، و لن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله تعالى من حيث أمرهم، و يتولوا الإمام الذى أمروا بولايته. و يدخلوا فى الباب الذى فتحه الله و رسوله لهم، يا أبا محمد إن الله افترض على أمة محمد صلّى الله عليه و آله خمس فرائض الصلوة و الزكوة و الصيام و الحج و ولايتنا، فرخص لهم فى أشياء من الفرائض الأربعة، و لم يرخص لأحد من المسلمين فى ترک ولايتنا لا و الله ما فيها من رخصة» .

و فيه، عنه بإسناده عن ابن أبى يعفور، عن أبى عبد الله عليه السّلام أن رسول الله صلّى الله عليه و آله خطب الناس فى مسجد الخيف فقال: «نضر الله عبدا سمع مقالتى، فوعاها و حفظها و بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله، و النصيحة لأئمة المسلمين، و اللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافى دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم» . و فى حديث زاد فى آخره: و هم يد على من سواهم.

أقول: لا يغل من الغلول أو الإغلال أى لا يخون، و يحتمل أن يكون من الغل بمعنى الحقد و الشحناء أى لا يدخله حقد يزيله عن الحق، كذا ذكر المحقق الكاشانى فى الوافى.

و فيه، عنه بإسناده، عن إسماعيل بن جابر قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: «أعرض عليك دينى الذى أدين الله تعالى؟ قال: فقال: هات، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريک له و أن محمدا صلّى الله عليه و آله عبده و رسوله، و الإقرار بما جاء به من عند الله، و أن عليا كان إماما فرض الله طاعته، ثم كان بعده الحسن إماما فرض الله طاعته، ثم كان بعد الحسين إماما فرض الله طاعته، ثم كان بعده على بن الحسين إماما فرض الله طاعته، حتى انتهى الأمر إليه، ثم قلت: أنت يرحمک الله، قال: فقال: هذا دين الله و دين ملائكته» .

و فيه، عنه بإسناده، عن العجلى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «ما نظر الله عز و جل إلى ولى له، يجهد نفسه بالطاعة لإمامه و النصيحة، إلاّ كان معنا فى الرفيق الأعلى» .

و فى الوافى أيضا عن الكافى بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أخبرنى عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق، فقال: «إن الله تعالى بعث محمدا صلّى الله عليه و آله إلى الناس أجمعين رسولا و حجة لله على جميع خلقه فى أرضه، فمن آمن بالله و بمحمد رسول الله، و اتّبعه و صدقه، فإن معرفة الإمام منا واجبة عليه، و من لم يؤمن بالله و برسوله و لم يتبعه و لم يصدقه و يعرف حقهما، فكيف تجب عليه معرفة الإمام و هو لا يؤمن بالله و رسوله و يعرف حقهما؟ قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله و رسوله، و يصدق رسوله فى جميع ما أنزل الله، أ يجب على أولئک حق معرفتكم؟ قال: نعم أ ليس هؤلاء يعرفون فلانا و فلانا؟ قلت: بلى، قال: أ ترى أن الله هو الذى أوقع فى قلوبهم معرفة هؤلاء، و الله ما أوقع ذلک فى قلوبهم إلاّ الشيطان، لا و الله ما ألهم المؤمنين حقنا إلاّ الله» .

أقول: قد يقال: إن

قوله علیه السّلام: «فکیف تجب علیه معرفة الإمام» ، یدل علی أن الکفار لیسوا مکلفین بشرایع الإسلام، و قد یقال: إن المراد من قوله علیه السّلام هذا بیان التلازم، أی أن من لم یؤمن باللّه و رسوله لا یؤمن بالأئمة علیهم السّلام لا أنه إن من لم یؤمن باللّه و رسوله، لا یجب علیه الإیمان بالأئمة و بالشرایع مثلا. و الحاصل: أن إنکارهم للّه و لرسوله لازم لإنکارهم للأئمة علیهم السّلام فهم منکرون لهما بالملازمة و فی عرض الآخر، فهم معاقبون علی الفروع، کما هم معاقبون علی الأصول، و لهذا الکلام بحث موکول فی محله، و لعله سیجیء فی طیّ المباحث الآتیة إن شاء اللّه.

و فیه، عنه بإسناده، عن جابر الجعفی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من سره أن یحیی حیاتی و یموت میتتی، و یدخل الجنة التی وعدنیها ربی، و یتمسک بقضیب غرسه ربی بیده، فلیتوّل علی بن أبی طالب علیه السّلام و أوصیاءه من بعده علیهم السّلام فإنهم لا یدخلونکم فی باب ضلال و لا یخرجونکم من باب هدی، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منکم، و إنی سألت ربی أن لا یفرق بینهم و بین الکتاب حتی یردا علیّ الحوض هکذا و ضمّ بین اصبعیه، و عرضه ما بین صنعاء إلی أیلة، فیه قد حان فضة و ذهب عدد النجوم» . أقول: صنعاء بلد بالیمن کثیرة الأشجار و المیاه تشبه دمشق، و قریة بباب دمشق، و أیلة (بالفتح و المثناة التحتانیة) جبل بین مکة و المدینة، و بلد بین ینبع و مصر، کذا فی الوافی.

و فیه، عنه، محمد، عن أحمد، عن البزنطی، عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال سألته عن قول اللّه عز و جل: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ کُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِینَ (1)قال: «الصادقون هم الأئمة و الصدیقون بطاعتهم» .

1- 1) التوبة:119.

أقول:

قوله علیه السّلام: «و الصدیقون بطاعتهم» ، یراد منه أن دلیل کونهم الصادقین هو طاعتهم لله تعالی، فإن الطاعة و العمل أبین دلیل علی الصدق و التصدیق بالحق و ما یلزمه، کما تقدمت الإشارة إلیه. و مثله أحادیث أخر.

و فیه، عنه بإسناده، عن سدیر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: إنی ترکت موالیک مختلفین یتبرأ بعضهم من بعض، قال: فقال: «و ما أنت و ذاک، إنما کلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة علیهم السّلام و التسلیم لهم فیما ورد علیهم، و الردّ إلیهم فیما اختلفوا فیه» .

و فیه، عنه بإسناده، عن کامل التّمار قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «قد أفلح المؤمنون، أ تدری من هم؟ قلت: أنت أعلم، قال: قد أفلح المؤمنون المسلّمون، إن المسلّمین هم النجباء فالمؤمن غریب فطوبی للغرباء» . أقول: المؤمن غریب هو المسلم النجیب، و لا ریب فی أنه هکذا غریب لندرته و قلّة أمثاله.

و فیه عنه بإسناده عن الکاهلی قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شریک له، و أقاموا الصلوة، و آتوا الزکوة، و حجّوا البیت، و صاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشیء صنعه الله عز و جل، أو صنعه رسول الله صلّی الله علیه و آله إلاّ صنع خلاف الذی صنع، أو وجدوا ذلک فی قلوبهم، لکانوا بذلک مشرکین، ثم تلا هذه الآیة: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (1)، ثم قال أبو عبد الله علیه السّلام: علیکم بالتسلیم» .

و فیه، عنه بإسناده، عن یحیی بن زکریا الأنصاری، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سمعته یقول: «من سرّه أن یستکمل الإیمان کله، فلیقل القول منّی فی جمیع الأشیاء، قول آل محمد فیما أسرّوا و ما أعلنوا، و فیما بلغنی عنهم و فیما لم یبلغنی» .

و فیه، عنه بإسناده، عن الفضیل بن یسار قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن الروح

1- 1) النساء:65.

و الراحة، و الفلج و العون، و النجاح و البركة، و الكرامة و المغفرة، و المعافاة و اليسر، و البشرى و الرضوان، و القرب و النصر و التمكن، و الرجاء و المحبة من الله تعالى لمن تولّى عليّا عليه السّلام و أتمّ به، و برىء من عدوه، و سلّم لفضله و للأوصياء من بعده، حقا علىّ أن أدخلهم فى شفاعتى، و حق على ربى تبارك و تعالى أن يستجيب لى فيهم، فإنهم أتباعى، و من تبعنى فإنه منّى» .

و فى البحار (1)عن أمالى ابن الشيخ بإسناده، عن يونس بن عبد الجبار، عن على بن الحسين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليه السّلام فرحوا و استبشروا، و إذا ذكر عندهم آل محمد صلّى الله عليه و آله اشمأزت قلوبهم، و الذى نفس محمد بيده لو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا، ما قبل الله ذلک منه حتى يلقاه بولايتى و ولاية أهل بيتى» .

و فيه، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله تبارک و تعالى: وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ (2)قال: «و من تاب من ظلم، و آمن من كفر، و عمل صالحا، ثم اهتدى إلى ولايتنا، و أومأ بيده إلى صدره» .

و فيه، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن الثمالى قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: «إن الله اصطفى محمدا بالرسالة، و أنبأه بالوحى، فأنال فى الناس و أنال، و فينا أهل البيت معاقل العلم، و أبواب الحكمة، و ضياء الأمر، فمن يحبنا منكم نفعه إيمانه، و يقبل منه عمله، و من لم يحبنا منكم لم ينفعه إيمانه، و لا يقبل منه عمل» . أقول: أنال أى أعطى و جاد و بثّ فى الناس» .

و فيه عن المحاسن بإسناده عن عمر بن أبان الكلبى، قال: قال لى أبو

1- 1) البحار ج 27 ص 172.
2- 2) طه:82.

عبد الله عليه السّلام: «ما أكثر السواد؟ قلت: أجل يا بن رسول الله، قال: أما و الله ما يحج لله غيركم، و لا يصلّى الصلاتين غيركم، و لا يؤتى أجره مرتين غيركم، و إنكم لرعاة الشمس و القمر و النجوم و أهل الدين، و لكم تغفر و منكم يقبل» .

و فيه عن الخصال بإسناده عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله «من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتى، فقد أصاب خير الدنيا و الآخرة، فلا يشكّن أحد أنه فى الجنة، فإن فى حبّ أهل بيتى عشرين خصلة، عشر منها فى الدنيا و عشر فى الآخرة. أما فى الدنيا: فالزهد و الحرص على العمل، و الورع فى الدين، و الرغبة فى العبادة، و التوبة قبل الموت، و النشاط فى قيام الليل، و اليأس عما فى أيدى الناس، و الحفظ لأمر الله و نهيه عز و جل، و التاسعة بغض الدنيا، و العاشرة السخاء. و أما فى الآخرة: فلا ينشر له ديوان، و لا ينصب له ميزان، و يعطى كتابه بيمينه، و يكتب له براءة من الناس، و يبيّض وجهه، و يكسى من حلل الجنة، و يشفع فى مائة من أهل بيته، و ينظر الله عز و جل إليه بالرحمة، و يتوج من تيجان الجنة، و العاشرة يدخل الجنة بغير حساب فطوبى، لمحبّى أهل بيتى» .

و فى البحار (1)عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «يا على إن الله قد غفر لک و لأهلک و لشيعتک، و محبّى شيعتک، و محبّى محبّى شيعتک، فأبشر فإنک الأنزع البطين، منزوع من الشرک بطين من العلم» .

و فى البحار (2)عن بصائر الدرجات، بإسناده عن بريد، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «بنا عبد الله، و بنا عرف الله، و بنا وحد الله، و محمد صلّى الله عليه و آله حجاب الله» .

أما الثانى أعنى أن من لم يأتهم هلک:

فيدل عليه أيضا عدة كثيرة جدا من

1- 1) البحار ج 27 ص 79.

2- 2) البحار ج 23 ص 102.

الروایات، نذکر بعضها مما فیه الکفایة.

ففی البحار (1)عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام و بهذا الإسناد قال: قال النبی صلّی اللّه علیه و آله لعلی علیه السّلام: «من أحبّک کان مع النبیین فی درجتهم یوم القیامة، و من مات و هو یبغضک فلا یبالی مات یهودیّا أو نصرانیا» .

و فیه عنه بهذا الإسناد قال: قال النبی صلّی اللّه علیه و آله و أخذ بید علی علیه السّلام: «من زعم أنه یحبنی و لا یحب هذا فقد کذب» .

و فی البحار (2)عن تفسیر العیاشی، عن مسعدة بن صدقة، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبته: قال اللّه: اِتَّبِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیٰاءَ قَلِیلاً مٰا تَذَکَّرُونَ (3)ففی اتباع ما جاءکم من اللّه الفوز العظیم، و فی ترکه الخطأ المبین» .

و فیه عن بشارة المصطفی بإسناده عن الثمالی، عن أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین علیه السّلام قال: «من دعا اللّه بنا أفلح، و من دعاه بغیرنا هلک و استهلک» .

و فیه (4)عن اکمال الدین بإسناده عن محمد بن الفضیل، عن الرضا عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی أنت و الأئمة من ولدک بعدی حجج اللّه علی خلقه، و أعلامه فی بریته، فمن أنکر واحدا منهم فقد أنکرنی، و من عصی واحدا منهم فقد عصانی، و من جفا واحدا منهم فقد جفانی، و من وصلکم فقد وصلنی، و من أطاعکم فقد أطاعنی، و من والاکم فقد والانی، و من عاداکم فقد عادانی، لأنکم منّی خلقتم من طینتی و أنا منکم» . أقول: و الأخبار فی هذا الباب کالباب السابق کثیرة، و سیأتی تمام الکلام فی هذا فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و من جحدکم کافر» .

ص:190

1- 1) البحار ج 27 ص 79.

2- 2) البحار ج 23 ص 102.

3- 3) الأعراف:3.

4- 4) البحار ج 22 ص 97.

و كيف كان فقد دلّت الأحاديث الكثيرة على وجوب معرفتهم، و الردّ إليهم، و فرض طاعتهم، و وجوب النصيحة لهم، و اللزوم بجماعتهم و موالاتهم و الاقتداء بهم، و الكون معهم، و التسليم لهم فى كل حال، و إن من كان معهم، نجا و كان من المفلحين، و إن من لم يأتهم، أو ردّ عليهم، أو اعترض عليهم، أو عدل بهم سواهم، أو تقدمهم، أو تأخّر عنهم، أو قدم عليهم غيرهم، أو شک فيهم، أو فى شىء فى فضائلهم، أو مال بقلبه إلى من فعل ذلک من الناس من أهل الخلاف و الجور و الظلم، و كان هذا الميل منه إليه بعد أن تبيّن الهدى له، كما نرى ذلک فى بعض عوامنا المعاصرين فهو هالک و كان من الخاسرين، و الحمد لله رب العالمين و صلّى على محمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: إلى الله تدعون، و عليه تدلّون، و به تؤمنون، و له تسلّمون، و بأمره تعلمون، و إلى سبيله ترشدون، و بقوله تحكمون.

اشارة

أقول: هذه الجمل السبع كأنها فى حكم التعليل

لقوله عليه السّلام:

«و الباب المبتلى به الناس من أتاكم نجا و من لم يأتكم هلک»

، و فى تقديم الظرف فيها إشارة إلى أن مضمون هذه الجمل بنحو الأتم الأكمل منحصر فيهم عليهم السّلام. و كيف كان

فقوله:

«إلى الله تدعون»

، قد تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«الدعاة إلى الله»

، ما هو شرح لهذه الجملة، و تقدم بيان أقسام الدعوة من الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة، و بالمجادلة بالتى هى أحسن، و أيضا تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و الأدلاء على مرضاة الله»

، بيان معنى الدليل، و أنهم عليهم السّلام أدلاء عليه و على مرضاته علما و عملا و حالا، فراجعه فإنه يفيد فى المقام.

و أما قوله عليه السّلام: «و به تؤمنون»

، فهم علیهم السّلام أحسن مصادیق المؤمن، بل هم بولا یتهم عین الایمان.

ففی اللوامع النورانیة (1)للسید البحرانی رحمه الله: علی بن إبراهیم بإسناده إلی

ص:191

1- 1) اللوامع النورانیة ص 329.

عبد الرحمن بن كثير قال: سألت الصادق عليه السّلام عن قوله تعالى: أَمْ نَجْعَلُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي اَلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ اَلْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ (1)قال: «أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه. و المفسدين فى الأرض حبتر و زريق و أصحابهما، أَمْ نَجْعَلُ اَلْمُتَّقِينَ أمير المؤمنين عليه السّلام كَالْفُجّٰارِ حبتر و زريق (و دلام خ) و أصحابهما» . ذكره فى البرهان أيضا.

و فى البحار (2)بإسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى: أَ فَمَنْ كٰانَ مُؤْمِناً الآية، قال ابن عباس رضى اللّه: أما المؤمن فعلى بن أبى طالب عليه السّلام و أما الفاسق فعقبة بن معيط.

و فيه، و عن الحسين بن على عليه السّلام أنه قال للوليد: «كيف تشتم عليّا، و قد سمّاه اللّه مؤمنا فى عشر آيات و سمّاک فاسقا» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن عكرمة أنه قال: «ما أنزل اللّه جل ذكره: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إلاّ و رأسها على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و فيه عن كنز الفوائد بإسناده عن عبد الرحمن بن مسلم، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله عز و جل: إِنَّ اَلَّذِينَ أَجْرَمُوا كٰانُوا مِنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (3)إلى آخر السورة، «نزلت فى على عليه السّلام و فى الذين استهزؤا به من بنى أمية، و ذلک أن عليّا مرّ على قوم من بنى أميّة و المنافقين فسخروا منه» . أقول: فعبّر تعالى عن على بقوله: من الذين آمنوا.

و فيه عن مناقب ابن شهرآشوب، أبو حمزة عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا آبٰاءَكُمْ وَ إِخْوٰانَكُمْ أَوْلِيٰاءَ إِنِ اِسْتَحَبُّوا اَلْكُفْرَ عَلَى اَلْإِيمٰانِ (4)قال: «فإن الإيمان ولاية على بن أبى طالب عليه السّلام» .

ص:192

1- 1) ص:28.
2- 2) البحار ج 35 ص 338.
3- 3) المطففين:29.
4- 4) التوبة:23.

الباقر عليه السّلام «و زيد بن على، و من يكفر بالإيمان، قال: بولاية على عليه السّلام» .

الباقر و الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يُنٰادَوْنَ لَمَقْتُ اَللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اَلْإِيمٰانِ فَتَكْفُرُونَ (1)قالا: «إلى ولاية على عليه السّلام» .

و فيه عن تفسير القمى:

إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

(2)

إلى قوله: لَهُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (3)«فإنها نزلت فى أمير المؤمنين عليه السّلام و أبى ذر و مقداد و سلمان (رضوان الله عليهم) .

و فيه عن كشف الغمة مما خرجه العزّ الحنبلى قوله تعالى: أَ فَمَنْ كٰانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كٰانَ فٰاسِقاً لاٰ يَسْتَوُونَ (4)«المؤمن على و الفاسق الوليد» .

و فيه عن تفسير فرات أبو القاسم العلوى معنعنا عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله «من الخير لعلى بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه السّلام ما لم يقل لأحد قال: إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ اَلْبَرِيَّةِ (5)، فعلى و الله خير البرية» . أقول: و نظير هذه الأحاديث المروية عن الفريقين كثيرة جدا، و كيف لا و هم عليهم السّلام المؤمنون بوجوده تعالى و بوحدانيته، و جميع صفاته و أفعاله التى وصف الله بها نفسه، و أخبر بها أنه فعله؟ فهم عليهم السّلام المؤمنون بقوله تعالى: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ (6)، فهم عليهم السّلام مؤمنون بأن جميع الأمور منه تعالى و به و له و إليه، و هم عليهم السّلام مؤمنون بما عرف الله لهم به من وصفه فى ذواتهم المقدسة، فهم العارفون بما لا يشاركهم فيها أحد، و أيضا هم عليهم السّلام المؤمنون بوعده تعالى و وعيده، و بكتبه و رسله

1- 1) غافر:10.

2- 2) الأنفال:2.

3- 3) الأنفال:4.

4- 4) السجدة:18.

5- 5) البينة:7.

6- 6) النساء:78.

و ملائکته، و بالقرآن و بنبیه، و أنهم علیهم السّلام حججه علی خلقه و أنهم مظاهره و معانیه و أبوابه، و خزّان علمه، و حفظة سره إلی آخر أوصافهم علیهم السّلام فإنهم مؤمنون بذلک الإیمان. و إلی هذا الأمور یدل ما

فی تفسیر نور الثقلین عن الکافی بإسناده إلی سلام عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْنٰا (1)، قال: «إنما عنی بذلک علیا علیه السّلام و فاطمة و الحسن و الحسین و جرت بعدهم فی الأئمة علیهم السّلام ثم یرجع القول من الله فی الناس فقال: فإن آمنوا، یعنی الناس بمثل ما آمنتم به یعنی علیا و فاطمة و الحسن و الحسین و الأئمة علیهم السّلام، فقد اهتدوا و إن تولّوا فإنما هم فی شقاق، قال عزّ من قائل: . . فَإِنَّمٰا هُمْ فِی شِقٰاقٍ (2).

فی المجمع: و روی عن الصادق علیه السّلام أنه قال: «یعنی فی کفر» . أقول: قد دلّ هذا الحدیث الشریف علی أن الأئمة علیهم السّلام هم المعنیّون فی قوله: آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْنٰا ، و هذا یشمل جمیع ما أنزل إلیهم علیهم السّلام و هنا ملاحظة دقیقة و هی أن أصل الإیمان و حقیقته هو التصدیق بکل حق و القیام به، و نفی کل باطل و الاجتناب عنه، و هذا بحقیقته لا یکون إلاّ لله تعالی، فهو المؤمن بنفسه و بما قاله و عمله و أنزله بنحو الأتم الأکمل، و لهذا جعل الله تعالی الدین الخالص الذی لا یکون إلاّ هکذا، أی لا یکون إلاّ ما کان متعلقا للإیمان به بنحو ما ذکر لنفسه فقال: أَلاٰ لِلّٰهِ اَلدِّینُ اَلْخٰالِصُ . و من المعلوم أن غیره الذی یشوبه التغییر، و یلحقه التظنین، و تأخذه الغفلة و السهو، لا یمکنه الإیمان الحقیقی، لأنه حین ما تأخذه الغفلة و السهو یزول عنه، و یتغیر عنه الإذعان و الإیمان، فحینئذ لا یکون الإیمان الحقیقی إلاّ له تعالی، فحینئذ نقول: إذا کان مصداق قوله تعالی: آمَنّٰا بِاللّٰهِ هم الأئمة علیهم السّلام بنحو قرّره الله تعالی

1- 1) البقرة:136.

2- 2) البقرة:137.

و أثبته و أمضـاه بقوله تعـالى: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ (1)فإنه يـدلّ على أنهم هم المؤمنون حقا، فلا محالة يكون إيمانهم عليهم السّـ لام كإيمـانه تعالى أى بنحو الحقيقـة. و بعبارة أخرى: يكون إيمانهم عليهم السّـ لام مظهرا لإيمانه تعالى دون سائر الناس، و أما سائر الناس فإن كـان إيمانهم بمثل إيمانهم عليهم السّـ لام فقـد اهتـدوا، و إلا فلا، فإيمانهم مقياس و ميزان لإيمان الناس، فكل إيمان كما و كيفا كان بمثل إيمانهم و مشابها له كان سـببا للهداية و إلا فلا، فتأمل تعرف. أقول: بيان آخر فى أن إيمانهم عليهم السّلام هو الإيمان الحقيقى بحيث يليق أن يكون مظهرا أتم لإيمانه تعالى و حاصـله: أن الإيمان قـد يعبّر عنه بالتصديق القلبى، و هذا قد يلازم العمل، و هو ما إذا كان مع التصديق القبول و التعلق بمتعلق الإيمـان المعبر عنه بالفارسـية (بگرويـدن) و قـد لاـ يلاـزمه فيكون تصـديقا محضا بـدون التعلق و القبول بمتعلق الإيمان، و من المعلوم أن التصـديق القلبى مهما كان أقوى و أثبت فى القلب كان تعلق القلب و قبوله لمتعلق الإيمان أشـدّ و أقوى. و هـذا المعنى مقول بالتشـكيك فله مراتب كثيرة، فقـد يكون التصـديق و التعلق و القبول بنحو يلازم العمل الصورى فقط، كما ترى ذلك فى كثير من المقدسـين الظـاهريين، و قـد يكون بنحو أقوى يلازم الاتصاف بالأخلاق الحسـنة، و إزالـة الصـفات الرذيلـة، مضافا إلى العمل فيكون صـاحبه مشـيه على طبق الصـفات الحميـدة، و قـد يكون بنحو أقوى من هـذا بحيث يتعلق القلب بمتعلق الإيمـان و هو الله تعالى بنحو لا يلتفت إلى غيره أبـدا، و لكل من هـذه الـدرجات حالات و درجات تخصّ بتلك الدرجة، كما أن لكل منها منافيات لا يدفعها إلاّ قوة إيمانه فى تلك الدرجـة، و ربما كان حال درجة سابقة منافيا لحال الدرجة اللاحقة كما لا يخفى. و لهذا المبحث بيان و شـرح يطول ذكره، و لعل العارف بحقائق الإيمان و درجاته

1- 1) البقرة:137.

و موارد إطلاقاته لا يخفى عليه شرح الكلام و بيانه فى هـذا المبحث، ثم إن كل أحد يدعى أنه مؤمن إلاّ أنه إذا قيس إيمانه بما ذكر من تلك المراتب و الـدرجات يعلم أن إيمانه ضـعيف و يكون فى بعض الدرجات، و أما الأئمة عليهم السّـلام فحيث إنهم عليهم السّـلام فى أعلى درجات الإيمان و أقوى مراتبه بحيث لا يدانيهم أحد، فلا محالة أطلق القول المنصرف إلى الفرد الأكمل عليهم

فقال عليه السّلام:

«و به تؤمنون» . فبلحاظ أن إيمانهم مظهر لإيمانه تعالى و أنه إيمان بالحقيقـة، و أنه بنحو الأتم الأكمل الشامل لجميع الدرجات و المراتب كانت هذه الجملة أى

قوله عليه السّلام:

«و به تؤمنون»

، من شئون ولايتهم و خصائصهم، إذ علمت أنه لا يشاركهم أحد فى إيمانهم كما لا يخفى.

و أما قوله عليه السّلام: «و له تسلمون»

اشارة

فإما يقرأ بالتخفيف من أسلم يسلم و إما بالتشديد من سلّم يسلّم،

أما الأول:

ففى الكافى (1)بإسـناده عن سالم الخياط قال: سألت أبا جعفر عليه السّـلام عن قول الله عز و جل: فَأَخْرَجْنٰا مَنْ كٰانَ فِيهٰا مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ. فَمٰا وَجَدْنٰا فِيهٰا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (2)، فقال أبو جعفر عليه السّـلام: «آل محمد لـم يبق فيها غيرهم» . أقول: أى أنهم الكاملون فى الإسلام و لا يحاذيهم أحد، و هذا من التأويل.

و فى اللوامع النورانية عن أمالى الشيخ بإسناده عن عبد الله بن العباس فى هذه الآية وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً قال: أسـلمت الملائكة فى السـماء و المؤمنون فى الأرض طوعا أولهم و سابقهم من هذه الآية على بن أبى طالب عليه السّـلام و لكل أمة سابق. الحديث.

و فى غايـة المرام عن ابن بـابويه فى أمـاليه بإسـناده عن جابر بن عبـد الله الأنصارى، قال: قال رسول الله صـلّى الله عليه و آله: «على بن أبى طالب أقدم أمتى سلما،

1- 1) الكافى ج 1 ص 425.

2- 2) الذاريات:35-36.

و أكثرهم علما، و أصحّهم دينا، و أفضلهم يقينا، و أحلمهم حلما، و أسمحهم كفّا، و أشجعهم قلبا، و هو الإمام و الخليفة بعدى» .

و فيه عن ابن بابويه بإسناده عن الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: «خرج رسول الله صلّى الله عليه و آله و عليه خميصة قد اشتمل بها، فقيل: يا رسول الله من كساك هذه الخميصة؟ قال: كسانى حبيبى و صفيّى و خاصّتى و خالصتى، و المؤدّى عنّى و وصيّى و وارثى و أخى، و أوّل المؤمنين إسلاما و أخلصهم إيمانا، و أسمح الناس كفا سيد الناس بعدى قائد الغرّ المحجّلين إمام أهل الأرض على بن أبى طالب، فلم يزل يبكى حتى ابتلّ الحصى من دموعه شوقا إليه» . أقول: و مثله أحاديث كثيرة من الفريقين كما لا يخفى.

و فى مقدمة تفسير البرهان (1)ففى الكافى و غيره عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اَللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ (2)، قال: «نزلت فى على، كان أول من أسلم و أخلص وجهه لله، و هو محسن أى مؤمن مطيع» . هذه بعض الأحاديث فى هذا الباب و لا ريب فى أنهم أحسن مصداق للمسلم حيثما أطلق فى الآيات و الأحاديث كما، لا يخفى.

و أما الثانى أعنى القراءة بالتشديد:

فهم عليهم السّلام المسلّمون له تعالى فى جميع الأمور تشهد بذلك أفعالهم و أحوالهم، و تحمّلهم المصائب و الحوادث الواقعة عليهم من الأعداء. و كيف كان فالتسليم كما علمت سابقا هو الانقياد و الإخبات، و قد دلّت أحاديث كثيرة على أنهم عليهم السّلام هم المخبتون فى قوله تعالى: وَ بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِينَ (3).

1- 1) تفسير البرهان ص 187.

2- 2) لقمان:22.

3- 3) الحج:34.

ففی مقدمة تفسیر البرهان عن کنز الفوائد، عن الباقر علیه السّلام فی قوله عز و جل: وَ بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِینَ الآیة، قال: «نزلت فینا خاصّة» . أقول: أی أنهم المصداق الأتم لها (و الله العالم) . ثم إن حقیقة الإسلام هو التسلیم،

ففی الکافی (1)فی باب نسبة الإسلام: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لأنسبن الإسلام نسبة لا ینسبه أحد قبلی، و لا ینسبه أحد بعدی إلاّ بمثل ذلک، إن الإسلام هو التسلیم، و التسلیم هو الیقین، و الیقین هو التصدیق، و التصدیق هو الإقرار، و الإقرار هو العمل، و العمل هو الأداء. إن المؤمن لم یأخذ دینه عن رأیه، و لکن أتاه من ربه فأخذه. إن المؤمن یری یقینه فی عمله، و الکافر یری إنکاره فی عمله. فو الذی نفسی بیده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنکار الکافرین و المنافقین بأعمالهم الخبیثة. و کیف کان فحقیقة التسلیم له تعالی ما کان هو خلع الإنیة فی التحقق، و محق الذات عن التذوّت فی قباله تعالی عند ذکره تعالی، و حیث إن العبد المسلّم (بالتشدید) الفانی عن نفسه عند توجهه إلیه تعالی، إنما یحصل له حالة الخلع و المحق المذکورین فی محله، إذا ظهرت فی قلبه أنوار عظمته و جلاله و جماله، فحینئذ لا محالة لا یبقی له شیء من الآثار الخلقیة، فیکون جمیع ما یصدر من العبد حینئذ من المناجاة و الدعاء و الإجابات، و الأمر و النهی و البعث، و المشی فی جمیع الأکوان الخلقیة، و النزول إلی الرخص، و إلی إصلاح أمر الخلق به تعالی، أی یکون صدور جمیع تلک الأمور به و منه تعالی. فحینئذ یکون العبد الکذائی بجمیع شئونه من شئونه تعالی، فیکون إذن الله تعالی و عینه و لسانه و یده و قلبه، و حکمه و علمه، و أمره و معانیه کلها و أبوابه

1- 1) الکافی ج 2 ص 45.

و بیوته، و مساجده إلی غیر ذلک مما نطقت به الأخبار و أثبتها لهم علیهم السّلام هکذا، و هو تعالی قد أقامهم علیهم السّلام لنفسه هکذا، و اصطفیهم لنفسه هکذا، و لم یبق لهم علیهم السّلام فی أفعالهم إلاّ فعله تعالی، و فی صفاتهم إلاّ صفاته، و فی أسمائهم إلاّ أسماؤه، و لا ریب فی أن التسلیم بهذا المعنی إنما هو لهم علیهم السّلام بما له من الآثار المذکورة، و حیث إنهم کاملون فی التسلیم، فلا محالة لهم تلک الآثار بکمالها و تمامها، و أما غیرهم فکل بحسب ما له من صفة التسلیم و آثاره کما و کیفا.

فمن هنا یعلم معنی قوله علیه السّلام: «و بأمره تعملون»

، حیث إنه بعد ما کانوا مسلمین له تعالی بحقیقة التسلیم فلا محالة یعملون بأمره و بإرادته لا بارادتهم، حیث علمت أنه لیس لهم أمر إلاّ أمره، و لا إرادة إلاّ إرادته، و فی هذه الجملة إشارة إلی قوله تعالی: بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ (1)و قد تقدم شرحه.

و فی تفسیر نور الثقلین (2)عن الاحتجاج للطبرسی رحمه الله عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل و فیه: «ألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطابا یدلّ علی انفراده و توحیده، و بأن لهم أولیاء تجری أفعالهم و أحکامهم مجری فعله، فهم العباد المکرمون، لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلّی الله علیه و آله و من حلّ محله أصفیاء الله الذین قال: فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ ، الذین قرنهم الله بنفسه و برسوله، و فرض علی العباد من طاعتهم مثل الذی فرض علیهم منها لنفسه» ، الحدیث. أقول:

قوله علیه السّلام: «تجری أفعالهم و أحکامهم مجری فعله» ، صریح فیما ذکرناه فی معنی التسلیم، و إلیه أیضا یشیر

قوله علیه السّلام فی حدیث الخرائج المتقدم بعد أن قال علیه السّلام للخارجی: اخسأ: و لکن لله خزّان لا علی ذهب و لا فضة، و لا إنکار علی أسرار،

1- 1) الأنبیاء:26-27.

2- 2) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 421.

هذا تدبير اللّه أ ما تقرأ: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (1).

فقوله: و لكن للّه. . . الخ ، إشارة إلى مقامهم الإلهى الثابت لهم بالتسليم، و إلى ما لهم من تلك الآثار الإلهية، و لهذا عبّر عليه السّلام عن فعله بالنسبة إلى الخارجى

بقوله عليه السّلام: «هذا تدبير اللّه» ، فكان فعله عليه السّلام مصداقا لتدبيره تعالى، فافهم. و كيف كان فهم عاملون بأمره و لا يسبقونه بالقول على حد قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ قَتَلَهُمْ (2)و كونهم عاملين بأمره أيضا على حدّ قوله تعالى: وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ (3)فأبان اللّه تعالى بهذين الآيتين و ما أشبههما تفرّده بالصنع وحده لا شريک له، و قال تعالى: أَلاٰ لَهُ اَلْخَلْقُ وَ اَلْأَمْرُ (4)و لا يتمّ هذا (أى التفرد بالصنع) مع ما يرى من صدور الأفعال، و انتسابها إلى الأسباب الظاهرية و الفاعلين من البشر، إلاّ بأن يكون الفاعلون من البشر على حدّ ما وصفهم بقوله: لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (5)الظاهر فى كونهم فانين فى قبضة قدرته تعالى، بحيث تجرى أفعالهم مجرى أفعاله، كما صرّح به الحديث الآنف ذكره. و مما ذكر يظهر صحة قوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَرُونِي مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ اَلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ (6)تحديا للمشركين و الكفار، بيانه: أنه تعالى جعل فعل أوليائه فعله تعالى بنحو ما تقدم ذكره، فهو تعالى يعمل فى الخلق بهم عليهم السّلام بحيث يكون فعله فعلهم و بالعكس، و بهذه الجهة و المنزلة العظمى تجرى على أيديهم المعجزات فهم عليهم السّلام يد اللّه و قدرته و مظاهره، و الذى يدعى من

ص:200

1- 1) الأنبياء:26-27.

2- 2) الأنفال:17.

3- 3) الأنفال:17.

4- 4) الأعراف:54.

5- 5) الأنبياء:27.

6- 6) الأحقاف:4.

دون الله تعـالى إن كـان حقا فلا بـد من أن تصـدر على يـديه المعجزات بنحو يعجز عنها الثقلان، و بنحو أيضا تحكى عن أن أفعالهم أفعاله تعـالى لكونه معجزة. فحينئـذ يصـحّ توبيخه تعالى المشـركين و ردّه إياهم بأن ما تـدعون من دونه تعالى، أرونى ما ذا خلقوا من الأرض من الأفعال الخارقـة بنحو الإعجاز، و لو فى الأرض و الـدنيا، و بهذا اللحاظ ذكر الأرض قبل السـموات أم لهم شـرك فى السـموات، كل ذلك إشارة و تلويح إلى أن أولياءه عليهم السّلام قد خلقوا من الأرض، كما ذكر عن عيسى (على نبينا و آله و عليه السّلام) : وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ بِإِذْنِي (1)و كما ظهر من تلك المعجزات الكثيرة منهم عليهم السّلام بل لهم شرك فى السموات، أى يعملون فيها بإذنه تعالى، فهم عليهم السّلام عاملون فيها بإذنه تعالى،

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام ما مضـمونه: أنه تعالى أرى موسى عليه السّلام ملكه فى الملكوت حيث خرّ صعقا، فراجع الحديث فى تفسير البرهان فى ذيل الآية المباركة. و كيف كان فكل ما يعمله أولياؤه فهو حق، حيث إنه بإذنه تعالى، و ما يعمله غيرهم من الأباطيل فإنما هى إفك، فأفعالهم بل و ما يعملون من المعجزات فكلها على ما كان يفعله عيسى عليه السّلام على ما حكاه الله تعالى عنه، هذا

و قد تقدم عنهم عليهم السّلام: «اجعلوا لنا ربّا نئوب إليه، و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا فقال السائل: نقول ما شئنا، فقال عليه السّلام: و ما عسى أن تقولوا؟ و الله ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألف غير معطوفة» ، و قد تقدم شرحه.

و أما قوله عليه السّلام: «و إلى سبيله ترشدون»

، أى السبيـل القويم و الصـراط المسـتقيم الـذى مرّ بيانه، و بقوله تحكمون لا بالآراء و الاسـتحسان و القياس كما هو دأب غيرهم. و بعبارة أخرى: ترشـدون الخلق و تهـدونهم إلى الطريق الحق، الـذى لا بـد من التثبت عليه و التصـلب فيه، و إلى معرفته تعالى و كيفية عبادته كما تقدم

قوله عليه السّلام: «لولانا ما عرف الله، لولانا ما عبد الله» ، و تحكمون أيضا بقوله تعالى المشار إليه

1- 1) المائدة:110.

بقوله تعالی: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ (1).

ففی الکافی عن محمد بن سنان، و عن عبد الله سنان، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی هذه الآیة: «لا و الله ما فوض الله إلی أحد من خلقه إلاّ إلی رسول الله صلّی الله علیه و آله و إلی الأئمة علیه السّلام یرشدون الناس إلیه» ، و إن کان المراد أنفسهم الشریفة، لما تقدم من أنهم السبیل إلیه بل هم السبیل الأعظم، فحینئذ فما معنی کونهم یرشدون الناس إلی أنفسهم خاصة، فإنه مضافا إلی أنه لم یعهد منهم أنهم علیهم السّلام أرشدوا الناس إلی أنفسهم، إن الإرشاد إلی أنفسهم خاصة سدّ منهم لباب التوحید، و هو مناف لمقام ولایتهم و عبودیتهم و شأنهم کما لا یخفی. و کذا بعینه

فی قوله:

«و بأمره تعملون»

، باعتبار أن أمره تعالی قد یطلق علیهم علیهم السّلام

و فی قوله:

و بقوله تحکمون

، فإنهم أیضا قد أطلق أنهم قوله تعالی و الجواب: إن أنفسهم الشریفة لها اعتباران: الأول: اعتبار التشخیص، و أنهم مخلوقون مربوبون و لو بلحاظ علو مقامهم، و لا ریب فی أنه لا معنی لأنهم یرشدون الناس إلی أنفسهم الشریفة بهذا الاعتبار. و الثانی: اعتبار أنهم سبیل الله من حیث قیامهم به تعالی، و فناؤهم عن أنفسهم الشریفة البشریة، و أنهم مظاهره تعالی، کما تقدم مرارا أنهم لیسوا إلاّ مظاهر لجماله و جلاله و معارفه تعالی. فبهذا الاعتبار لا یکون الإرشاد إلی أنفسهم الشریفة إلاّ إرشادا إلیه تعالی حیث إنه سبیله حقا فهم علیهم السّلام بمثابة

قوله: «من أحبّکم فقد أحبّ الله» ، و قوله تعالی مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (2)کما لا یخفی و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

1- 1) النساء:105.

2- 2) النساء:80.

[38]قوله عليه السّلام: سعد من والاكم، و هلک من عاداكم، و خاب من جحدكم، و ضلّ من فارقكم، و فاز من تمسّک بكم، و أمن من لجأ إليكم، و سلم من صدّقكم، و هدى من اعتصم بكم

[فى بيان قوله سعد من والاكم]

أقول: السعادة ضد الشقاوة بمعنى الشدة و العسر، فمعناها هو الرخاء و اليسر فى شئونه فى الدارين الدنيا و الآخرة. و بعبارة أخرى: هى الحيوة الطيبة فيهما كما أن

قوله:

«و هلک من عاداكم»

، هو هلاک الدين، و هو من الشقاوة الحقيقية فى الدارين و سيأتى تحقيقها قريبا. و كيف كان فسعادة من والاهم فى الدنيا يكون بأمور، منها: أنهم على الشريعة السمحة السهلة، و أنهم تكفّر عنهم عظائم الذنوب بقليل من البلايا من النقص فى الأموال و الأنفس و الأمراض، و قد يكون البلاء لرفع الدرجة، و الأخبار فى هذا كثيرة جدا، و نحن نذكر بعضها مما فيه الكفاية.

ففى الشافى (1)عن الكافى، عن الصادق عليه السّلام: «أن المؤمن ليكرم على الله حتى لو سأله الجنة بما فيها، أعطاه ذلک من غير أن ينقص من ملكه شيئا، و إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الغائب أهله بالطرف، و أنه ليحميه الدنيا كما يحمى الطبيب المريض» .

و فيه عنه عليه السّلام: «أنه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلاّ بإحدى خصلتين: إما بذهاب ماله أو ببلية فى جسده» .

و فيه عنه، عن عبد الله بن أبى يعفور قال: شكوت إلى أبى عبد الله عليه السّلام مما ألقى من الأوجاع و كان مسقاما، فقال لى: «يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر فى المصائب لتمنى أنه قرض بالمقاريض» .

و فيه عنه عليه السّلام سئل أ يبتلى المؤمن بالجذام و البرص و أشباه هذا؟ قال: «و هل كتب البلاء إلاّ على المؤمن» .

1- 1) ما ذكرناه يكون عن الشافى للفيض رحمه الله.

و فيه عنه، عن الصادق عليه السّلام: أن فى كتاب على عليه السّلام: «إنّ أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، و إنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه و حسن عمله اشتد بلاؤه و ذلک أن الله تعالى لم يجعل الدنيا ثوابا لمؤمن، و لا عقوبة لكافر، و من سخف دينه و ضعف عمله قل بلاؤه، و إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقى من المطر إلى قرار الأرض» .

و فيه عنه، عن الباقر عليه السّلام: «إن الله تعالى إذا أحبّ عبدا غتّه بالبلاء غتّا، و ثجّه بالبلاء ثجّا، فإذا دعاه قال: لبيک عبدى لئن عجلت لک ما سألت إنى على ذلک لقادر، و لئن ادّخرت لک فما ادخرت لک خير لک» . أقول: الغت الغمس، و الثجّ الصبّ.

و فيه عنه، عن النبى صلّى الله عليه و آله: «لا حاجة لله فيمن ليس له فى ماله و بدنه نصيب، أى ما يأخذه ليبلوه فيهما» .

و فيه عنه، عن الصادق عليه السّلام: «إن المؤمن ليهول عليه فى نومه، فتغفر له ذنوبه، و إنه ليمتحن فى بدنه فيغفر له ذنوبه» .

و فيه عنه عليه السّلام: «إذا أراد الله بعبد خيرا عجل عقوبته فى الدنيا، و إذا أراد بعبد سوءا أمسک عليه ذنوبه حتى يوافى بها يوم القيامة» .

و فيه، عنه، عن الصادق عليه السّلام: «إن العبد إذا كثرت ذنوبه، و لم يكن عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها» .

و فيه عن كتاب التمحيص، عن جابر: إن على بن الحسين عليه السّلام إذا كان عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها.

و فيه عن كتاب التمحيص، عن جابر: إن على بن الحسين عليه السّلام إذا كان رأى المريض قد برأ قال له: «يهنئک الطهور من الذنوب» .

و فى المحكى عن الكاظم عليه السّلام: «من عاش فى الدنيا عيشا هنيئا فليتهم فى دينه، فإن البلاء أسرع إلى المؤمن من اللمح بالبصر» .

و عن الباقر عليه السّلام: «طينة المؤمن من كل شیء إلاّ الكذب و الخيانة» .

و عنه صلّى الله عليه و آله: «إن ولی علی عليه السّلام لن تزول له قدم حتى تثبت له أخرى» .

و عن سعدان بن مسلم، عن الصادق عليه السّلام: «المؤمن مبتلی طوبى للمؤمن إذا صبر على البلاء و سلّم لله القضاء، قلت: جعلت فداک من المؤمن الممتحن؟ قال الذی امتحن بوليه و عدوّه، إذا مرّ بإخوانه اغتابوه، و إذا مرّ بأعدائه لعنوه، فصبر على تلك المحنة كان مؤمنا ممتحنا» .

و عن كتاب التمحيص، عن يونس بن يعقوب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «ملعون كل بدن لا يصاب فی كل أربعين يوما، قلت: ملعون؟ قال: ملعون، قلت: ملعون؟ قال: ملعون، فلما رآنی قد عظم ذلک علیّ قال: يا يونس إن من البلية الخدشة و اللطمة و العثرة، و النكبة و الهفوة، و انقطاع الشسع، و اختلاج العين، و أشباه ذلک، إن المؤمن أكرم على الله من أن يمرّ عليه أربعون يوما لا يمحصه فيها من ذنوبه و لو بغم يصيبه ما يدری ما وجهه، إن أحدكم ليضع الدراهم بين يديه فيزنها فيجدها ناقصة فيغم بذلک، ثم يعيد وزنها فيجدها سواء فيكون ذلک حطّا لبعض ذنوبه» .

و عن كتاب مسكن الفؤاد للشهيد الثانی رحمه الله روی أن أسماء بنت عميس (رضوان الله عليها) لما جاءها خبر ولدها محمد بن أبی بكر أنه قتل و أحرق بالنار فی جيفة حمار، قامت إلى مسجدها، فجلست فيه، و كظمت غيضها حتى شخبت يداها دما.

و فيه أيضا عن أبی عبد الله عليه السّلام قال: «دعی النبی صلّى الله عليه و آله إلى طعام، فلما دخل إلى منزل الرجل، نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة على وتد فی حائط فتثبت عليه و لم تسقط و لم تنكسر، فعجب النبی صلّى الله عليه و آله فقال له الرجل: أ عجبت من هذه البيضة؟ فو الذی بعثک بالحق نبيا ما رزيت شيئا قط، فنهض رسول الله صلّى الله عليه و آله و لم يأكل من طعام الرجل شيئا، و قال صلّى الله عليه و آله: من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة» .

ص: 205

أقول: فهـذه البلايـا تكون من الله تعالى للمؤمن، ليصـلح بها حاله، و يـدفع بها ما هو أعظم منها من عـذاب الآخرة أو الـدنيا مع ما فيها من الأجر العظيم، حيث إنها (أى البلايا) تكون من أعظم نعم الله تعالى عليه، فيجب شـكرها و لو أن الله تعالى أعطى الرخاء لعبـده بعـد هـذه البلايا، فهوعنـده محمود جـدا، لأنه حينئـذ ترويح له و تفريج و تذكير له ليرجو فى الشدة الرخاء، ثم أنه تعالى لا يديم له الرخاء، لئلا يركن إلى الـدنيا و دار الفناء، و هذا بخلاف ما إذا لم يبتله بالبلاء، فإن النعم إذا كانت من دون البلاء و غير مسـبوقة بها، فلم تعظم فى عين العبد و لم يشكرها بل ربما كفر بها كما ربما نرى ذلک فى بعض المترفين. و كيف كان فالبلايا قسمان: قسم منها يكون فى الدين، و هذه البلايا مما أعـاذ الله منها أولياءه من أن يبتليهم بها، كما صـرحت به الأدعيـة و الأخبار. و قسم منها بلاء حسن، و البلايا الجميلـة فإنها ترد على محبى أمير المؤمنين عليه السّلام هدية من الله تعالى إما لرفع الدرجـة، فإن عنـد الله مقامات لأوليائه شـريفة جـدا، لا تنال إلاّ بالمحن و احتمال البلايا فى هـذه الـدنيا، و إما لتكون كفارة لـذنوبه، و إما لتدفع بلايا أعظم منها، كما صـرحت به الأحاديث المتقدمة، و إليه الإشارة فى قوله تعالى: وَ لِيُبْلِيَ اَلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاٰءً حَسَناً (1)و المؤمنون قد جعل الله لهم بدنا على البلاء صابرا، و بالله و بقضائه راضـيا، فلا يشكون البلوى، فيبدل الله تعالى لحمهم غير لحمه، و دمهم غير دمه، و بشـرة غير بشـرته، أى تكون هذه مما لم تعص الله فيه، بل يكون طاهرا طيبا كما ورد فى الأخبار. أقول: و قـد ذكر بعضـهم أمورا كثيرة لبيان السـعادة الدنيويـة لمن والاهم عليهم السّلام و نحن نـذكرها مختصـرا لما فيها من المنافع و التنبيه قال:

ص: 206

1- 1) الأنفال:17.

و منها: أن المحب و الموالى لهم يوفق للصواب فى اعتقاداته و علومه، و أفعاله و أقواله و أعماله، و هذا بخلاف غيرهم كما نرى ذلک منهم. و منها: أن يجعل الله لهم قلبا ذاكرا و متوجها إليه تعالى، فيتقلى من ملائكة الرحمن الإلهامات، و الأفكار الصائبة الربوبية، فبها يعرف آيات الله تعالى الآفاقية و الأنفسية، و يعرفها حق معرفتها، و بهذه الجهة يخلص لله الوحدانية فى جميع أفعاله و حاله و شئونه، فيكون مصداقا لقوله تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً (1)، و هذا بخلاف غيرهم من المخالفين، فإنهم لتركهم الولاية قد أعمى الله قلوبهم، فهم لا يفقهون، بل هم مصداق لقوله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ (2)الآية. و منها: أن يرزقه الله زوجة صالحة تسرّه إذا نظر إليها، و تطيعه إذا أمرها، و تحفظه إذا غاب عنها فى نفسها. و منها: أن يبصره الله عيوب نفسه، فيشتغل بإصلاحها، و ينصرف عن عيوب غيره، فيكون لما يرى من عيوبه ماقتا لنفسه، و يرى نفسه مقصرا فى طاعة ربّه، و مستح منه تعالى، و خائف منه تعالى غير آمن العقوبة، مع أنه راج منه تعالى المثوبة و المغفرة، و هذه أحوال العباد و المؤمنين العارفين، و قد رزقها الله تعالى لمحب على عليه السّلام. و منها: أن يظهر الله تعالى أعماله الصالحة للعباد، ليكون محبوبا عند القلوب، فمن رآه يستحسنه من عدو و صديق، و يرى أنه عند الله تعالى قد عامل الله بالعبودية له تعالى و عامله الله تعالى بالكرامة. و منها: أنه تعالى يرزقه الحيوة الطيبة المشار إليها بقوله: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً (3)، المفسرة تارة بالقنوع كما عن القمى، و بالقناعة كما روى هذا عن على عليه السّلام أو مع القناعة كما روى عن النبى صلّى الله عليه و آله.

ص: 207

1- 1) البقرة:269.

2- 2) الأعراف:179.

3- 3) النحل:97.

و منهـا: أنه تعـالى يقبض روحه باختيـاره و رضـاه، ليكون محبـا للقـاء الله تعالى، لأن من كره لقاء الله كره لقاءه و ملاقاته تعالى مع الكراهة عذاب أليم للروح، و قد عصمه الله من ذلک، و يدل على هذا أخبار كثيرة نذكر بعضها.

ففی محاسن البرقی (1)عن أبی حمزة الثمالی قال: سـمعت أبا عبد الله علیه السّـلام یقول: «قال الله تبارک و تعالی: ما ترددت عن شیء أنا فـاعله کترددی عن المؤمن، فـإنی أحبّ لقـائه و یکره الموت، فـأزویه عنه، و لو لـم یکن فی الأـرض إلاّ مؤمن واحـد لاکتفیت به عن جمیع خلقی، و لجعلت له من إیمانه أنسا لا یحتاج معه إلی أحد» .

و فی فضائل الشـیعة للصدوق رحمه الله الحدیث الرابع و العشـرون و بهذا الإسـناد عن سدیر قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّـلام: جعلت فـداک یـا بن رسول الله، هـل یکره المؤمن علی قبض روحه؟ قـال: «لاـ إذا أتاه ملک الموت لیقبض روحه جزع عنـد ذلک، فیقول له ملک الموت: یا ولی الله لا تجزع فو الذی بعث محمدا بالحق، لأنا أبرّ بک، و أشفق علیک من الوالد الرحیم لولده حین حضره افتح عینیک و انظر قال: و یمثل له رسول الله صـلّی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین و فاطمة و الحسن و الحسـین و الأئمة علیهم السّلام هم رفقاؤک. قال: فیفتح عینیه و ینظر، و تنادی روحه من قبل العرش: یا أیتها النفس المطمئنّة ارجعی إلی محمد و أهل بیته و ادخلی جنتی، قال: فما من شیء أحبّ إلیه من انسلال روحه و اللحوق بالمنادی» .

و فی قرة العیون (2)للمحقق الکاشانی عن الکافی بإسـناده عن أمیر المؤمنین علیه السّـلام: «إن العبـد إذا کان فی آخر یوم من أیام الدنیا، و أول من یوم من أیـام الآـخرة، مثـل له ماله و ولـده و عمله، فیلتفت إلی ماله فیقول: و الله إنی کنت علیک حریصا شـحیحا، فما لی عنـدک؟ فیقول: خـذ منی کفنـک، قـال: فیلتفت إلی ولـده فیقول: و الله إنی کنت لکم محبـا، و إنی کنت علیکم محامیـا، فما لی عنـدکم؟ فیقولون: نودّیک إلی حفرتک

ص: 208

1- 1) محاسن البرقی ص 159.

2- 2) قرة العیون ص 456.

فنواریک فیها، قال: فیلتفت إلی عمله فیقول: و الله إنی کنت فیک لزاهـدا، و إن کنت علیّ لثقیلا، فما لی عندک؟ فیقول: أنا قرینک فی قبرک و یوم نشـرک حتی أعرض أنـا و أنت علی ربـک. قال: فإن کان لله ولیّا أتاه أطیب ریحا و أحسـنهم (أحبهم خ ل) منظرا و أحسـنهم ریاشا (1)، فقال: أبشر بروح و ریحان و جنة نعیم، و مقدمک خیر مقدم، فیقول له: من أنت؟ فیقول: أنا عملک الصالح ارتحل من الدنیا إلی الجنة، و إنه لیعرف غاسله، و یناشد حامله أن یعجله، فإذا أدخل قبره أتاه ملکا القبر کالبرق الخاطف فیقولان له: من ربّک و ما دینک و من نبیّک؟ فیقول: الله ربّی، و دینی الإسـلام، و نبّی محمد صلّی الله علیه و آله. فیقولان له: ثبتک الله فیما یحبّ و یرضی، و هو قول الله تعالی: یُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ فِی اَلْحَیٰاةِ اَلـدُّنْیٰا وَ فِی اَلْآخِرَةِ (2)ثم یفسـحان له فی قبره مـدّ بصـره، ثم یفتحان له بابا إلی الجنـة، ثم یقولان له: نم قریر العین نوم الشاب الناعم، فإن الله تعالی یقول: أَصْحٰابُ اَلْجَنَّةِ یَوْمَئِذٍ خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِیلاً . قال: و إذا کان لربّه عدوّا، فإنه یأتیه أقبح من خلق الله زیّا و ریّا، و أنتنه ریحا فیقول: أبشـر بنزل من حمیم، و تصلیة جحیم، و أنه لیعرف غاسله و یناشد حملته أن یحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقیا عنه أکفانه، ثم یقولان له: من ربّک و ما دینک و من نبیک؟ فیقول: لا أدری، فیقولان: لا دریت و لا هدیت، فیضـربان یافوخه بمرزبـة معهما ضـربة، فما خلق الله تعالی من دابـة إلاّ و یـذعر لها ما خلا الثقلین، ثم یفتحان له بابا إلی النار، ثم یقولان له: نم بشـرّ حال فیه من الضـیق مثل ما فیه القنا من الزجّ، حتی إن دماغه لیخرج من ضفره و لحمه، و یسلط الله علیه حیّات الأرض و عقاربها و هوامها، فتنهشه، حتی یبعثه الله من قبره، و إنه لیتمنی قیام

1- 1) الرناش ما ظهر من اللباس الفاخر.

2- 2) إبراهیم:27.

الساعة مما هو فيه من الشر» .

و فی کثیر من الأخبار: أنه یسأل عن إمامه.

و عنه علیه السّلام: «و الله لا یبغضنی عبد أبدا فیموت إلاّ رآنی عند موته حیث یکره، و لا یحبّنی عبد أبدا فیموت علی حبّی إلاّ رآنی عند موته حیث یحبّ» .

و فی روایة عن الباقر علیه السّلام: «و رسول الله صلّی الله علیه و آله بالیمین» .

و عن الصادق علیه السّلام فی المیت: «تدمع عیناه عند الموت، قال: ذاک عند معاینة رسول الله فیری ما یسره، ثم قال: أ ما تری الرجل یری ما یسّره و ما یحبّه فتدمع عینه لذلک و یضحک» .

و فی خبر آخر: فیقول له رسول الله صلّی الله علیه و آله: «أما ما کنت ترجو فهو ذا أمامک، و أما ما کنت تخاف فقد أمنت منه» .

و فی محاسن البرقی (1)عنه، عن ابن فضال، عن علی بن عقبة، عن عقبة بن خالد قال: دخلنا علی أبی عبد الله علیه السّلام أنا و معلی بن خنیس فقال: «یا عقبة لا یقبل الله عن العباد یوم القیامة إلاّ هذا الذی أنتم علیه و ما، بین أحدکم و بین أن یری ما تقرّ به عینه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه، و أومأ بیده إلی الورید، قال: ثم اتّکأ و غمز إلی المعلّی أن سله فقلت: یا بن رسول الله إذا بلغت نفسه هذه فأیّ شیء یری؟ فردد علیه بضع عشرة مرّة (أی شیء یری) فقال فی کلها: یری، لا یزید علیها، ثم جلس فی آخرها فقال: یا عقبة، قلت: لبیک و سعدیک. فقال: أبیت إلاّ أن تعلم؟ فقلت: نعم یا بن رسول الله إنما دینی مع دمی، فإذا ذهب دمی کان ذلک، و کیف بک یا بن رسول الله کل ساعة و بکیت، فرق لی فقال: یراهما و الله، قلت: بأبی أنت و أمی من هما؟ فقال: ذاک رسول الله صلّی الله علیه و آله و علی علیه السّلام یا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبدا حتی تراهما، قلت: فإذا نظر إلیهما المؤمن أ یرجع إلی الدنیا؟ قال: لا، بل یمضی أمامه، فقلت له: یقولان شیئا جعلت فداک؟ فقال: نعم

1- 1) محاسن البرقی ص 175 تحت رقم 108.

يدخلان جميعا على المؤمن، فيجلس رسول الله صلّى الله عليه و آله عند رأسه و على عليه السّلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله فيقول: يا ولى الله أبشر أنا رسول الله، إنى خير لک مما تترک من الدنيا، ثم ينهض رسول الله صلّى الله عليه و آله فيقدم عليه على (صلوات الله عليه) حتى يكبّ عليه فيقول: يا ولى الله أبشر أنا على بن أبى طالب الذى كنت تحبّنى أما لأنفعنّک، ثم قال أبو عبد الله عليه السّلام: أما إن هذا فى كتاب الله عزّ و جل، قلت: أين هذا جعلت فداک من كتاب الله؟ قال: فى سورة يونس قول الله تبارک و تعالى هاهنا: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كٰانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ اَلْبُشْرىٰ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ فِي اَلْآخِرَةِ لاٰ تَبْدِيلَ لِكَلِمٰاتِ اَللّٰهِ ذٰلِکَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (1)» . أقول: و نظير هذه الأحاديث كثيرة جدا، فيظهر منها أنه تعالى قد خصّ شيعة على و عباده الصالحين بالسعادة الدنيوية و الأخروية، بما ذكروا بأنه تعالى لا يقبض روحه إلاّ برضاه، لتكون باختياره محبّا للقاء الله تعالى، لأن من كره لقاء الله، كره الله لقاءه و إنما يفعل الله تعالى به ذلک (أى يقبض روحه) برضاه مع حبّه للقاء الله تعالى لما ثبت فى محله: أن الروح فى حال النزع إن كانت مع حبّها له تعالى كانت فى نعيم مقيم و سرور و بهجة إلى أن يدخل الجنة، و إن كانت مع كراهتها له تعالى كانت فى عذاب و شدة و ضيق، كما علمته من بيان موت عدوّ الله تعالى. و لعمرى إن هذه السعادة هى السعادة المنجية، التى لا يعدلها شىء، حيث يحضر عنده رسول الله صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام و أمير المؤمنين (روحى له الفداء) و يبشرونه بما سمعت، و هذه السعادة إنما هى لمن والاهم و آمن بسرّهم و علانيتهم و أحبّهم، و أقرّ بفضلهم و مقامهم الذى رتبهم الله فيه، و جحد أعداءهم و ما يدعون لهم من المقام، و أبغضهم كما لا يخفى، فالمقرون بولايتهم التشريعية و التكوينية التى مرّ مرارا بيانهما له هذه السعادة الأبدية.

و أما قوله عليه السّلام: «و هلک من عاداكم»

، أى بالخلود فى النار و بئس المصير، فكل

ص: 211

1- 1) يونس:63-64.

ما كان من السعادة لمن والاهم يكون ضدّه لمن عاداهم من الشقاوة حرفا بحرف، و تقدم ما لأعدائهم من العذاب، كما فى الحديث المروى فى الكافى عن أمير المؤمنين عليه السّلام مضافا إلى أنه ورد فى قوله تعالى: وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً (1).

فى الكافى عن الصادق عليه السّلام أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «إن كانت أعمالهم لأشدّ بياضا من القباطى، فيقول الله عز و جل لها: كونى هباء منثورا و ذلك أنهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه» . و فى رواية لم يدعوه.

و فى المحكى عن البصائر، عن الصادق عليه السّلام أنه سئل أعمال من هذه؟ قال: «أعمال مبغضينا و مبغضى شيعتنا» .

و عن القمى، عن الباقر عليه السّلام قال: «يبعث الله يوم القيامة قوما بين أيديهم نور كالقباطى، ثم يقال له: كن هباء منثورا، ثم قال: أما و الله إنهم كانوا يصومون و يصلون، و لكن كانوا إذا عرض لهم شىء من الحرام أخذوه، و إذا ذكر لهم شىء من فضل أمير المؤمنين عليه السّلام أنكروه. و الهباء المنثور هو الذى تراه يدخل البيت من الكوه من شعاع الشمس» .

و قوله عليه السّلام: «و خاب من جحدكم»

، أى لم ينل ما طلبه من الثواب و حسن العاقبة، بل خسر و هلك من أجل جحوده ولايتهم و إمامتهم، فهو خسر فى الدنيا و الآخرة و فى البرزخ، أما فى الدنيا فلما ورد على قلوبهم من رين المعصية و الطبع القلبى حتى لم يوفّقوا إلى الحق لا فى الاعتقاد، و لا فى الأعمال، و لا فى طهارة مولد، و لا برزق حلال، بل ورد عليهم فى جميع ذلك ظلمات الباطل و الشكوك، كل ذلك لجحودهم ولاية محمد و آله (صلوات الله عليهم أجمعين) و لإطاعتهم للطاغوت و مواليهم أئمة الكفر.

1- 1) الفرقان:23.

فالشيطان وليهم فى الدنيا و الآخرة، يخرجهم من النور الذى أتت به الأنبياء، و أتى به القرآن، و بيّنه الأئمة عليهم السّلام من الدعوة إلى قبول الولايـة إلى الظلمات، التى هى ولايـة أعـدائهم كل ذلك لأجل جحودهـم الولاية بعد ظهور الآيات القاطعات الظاهرات ببيان النبى الأكرم صلّى الله عليه و آله بنحو حصل لهم اليقين بالحق، و بلزوم قبول ولاية الأئمة عليهم السّلام و إليه يشير قوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا (1)، و الأحاديث الدالة على ما ذكرنا كثيرة جدا، و نحن نذكر بعضها لمن أراد التبصر.

ففى ثواب الأعمـال و عقاب الأعمال (2)عن أبى جعفر عليه السّلام قـال: «لو أن كـل ملـك خلقه الله عز و جل، و كل نبى بعثه الله، و كل صـديق، و كـل شـهيد شـفعوا فى ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله عز و جل من النار ما أخرجه الله أبـدا، و الله عز و جل يقول فى كتابه: مٰاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (3)» . أقول: الآية واردة لخلود أهل الجنة و الاستشـهاد به إما بلحاظ المعنى أو أنها قريبة المضـمون لقوله تعالى حكاية عن مالک جهنم: إنكم ماكثون، أو أنه اشتبه الراوى فى النقل لاقتراب اللفظين فى الاثنين و هو الأظهر.

و فيه (4)بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إن الجنة تشتاق لأحباء على عليه السّلام يشتد ضوؤها لأحباء على عليه السّلام و هم فى الـدنيا قبل أن يدخلوها، و إن النار لتغيظ و يشـتد زفيرها على أعداء على عليه السّلام و هم فى الدنيا قبل أن يدخلوها» .

و فيه (5)بإسناده عن محمد بن جعفر، عن أبيه عليه السّلام قال: «نزل جبرئيل عليه السّلام على

1- 1) النمل:14.

2- 2) ثواب الأعمال. . . ص 247.

3- 3) الكهف:3.

4- 4) ثواب الأعمال. . . ص 247.

5- 5) ثواب الأعمال. . . ص 250.

النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: یا محمد السّلام یقرئک السّلام، و یقول: خلقت السموات السبع و ما فیهن و الأرضین السبع و ما علیهن، و ما خلقت موضعا أعظم من الرکن و المقام، و لو أن عبدا دعانی منذ خلقت السموات و الأرضین، ثم لقینی جاحدا (لک و) لولایة علی لأکببته فی سقر» . فعلم من هذه الأحادیث و نحوها هلاکهم فی الآخرة، و أما هلاکهم فی البرزخ فلما علمت من حدیث أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حال قبض روح الأعداء.

و أما قوله علیه السّلام: «و ضلّ من فارقکم» .

أقول: ضل أی تاه و ضاع و بطل، و الضلالة هو ضد الرشاد، فصاحبها لا یهتدی إلی شیء من الحق لما فارق الأئمة، و ذلک لأن الحق بتمامه و کماله و مراتبه فیهم و منهم و إلیهم، و هم أهله و معدنه، کما سیجیء فی شرح قوله علیه السّلام: «إن ذکر الخیر. . . إلخ» ، فالمفارق لهم کالمتحیر لا یدری أین یذهب فی طریق الحق و تکون أعمالهم أیضا هباء منثورا کما تقدمت الأحادیث الدالة علیه. و کیف کان فمن فارقهم فقد هلک هلاک الشقاء أبد الآبدین، و لا یکاد یری السعادة، لأنه فقد کل خیر بترکه لولایة محمد و آله الطاهرین. و قد یقال: معنی ضلّ من فارقکم بترکه متابعتهم، هو بیان حال المستضعفین المفارقین لهم من دون نصب و عناد، فإنهم الضّالون و للّه فیهم المشیة إن یشأ یعذبهم و إن یشأ یعف عنهم کما ورد عنهم. أقول: الظاهر یعمّ هذا: و من فارقهم من عناد بعد ثبوت الحجة علیه کما لا یخفی.

[39]و أما قوله علیه السّلام: «فاز من تمسک بکم» .

اشارة

أی فاز فوزا عظیما، و نال ما أراد من النعیم المقیم بتمسکه و اعتصامه بهم علیهم السّلام و قد مضی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«من اعتصم بکم فقد اعتصم باللّه» . ثم إن الفوز أی النجاة من النار و من غضب الجبار، و الظفر بالخیر و السعادة

الأبدية، إنما هو بالتمسک بهم أی بأن يعتقد بولايتهم الخاصة، التی هی التولی بهم، و التبری من أعدائهم، و هی الراجعة إلی معرفة الله سبحانه، و معرفة أوليائه و أنبيائه، و الإيمان بسرهم و علانيتهم، و ما بيّنوه من صفة التوحيد و العدل و النبوة و الإمامة و المعاد، و الصلوة و الزكوة و الحج و الصوم، و الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر، و جميع التكاليف الشرعية و الآداب الإلهية. فمن تمسک بهذه الأمور كلها من حيث العقائد و الأعمال، فقد فاز بجميع شئون الخير و السعادة، و من قصّر فيما يرجع إلی الأعمال بعد ما اعتقد بما يرجع منها إلی العقائد و الضروريات، فهو من العصاة الذی يرجی فی حقه التوبة و الشفاعة، و هو مع هذا فی خطر عظيم، إذ ربما يؤدی فی المعاصی إلی إنكار ولايتهم عليهم السّلام و العياذ بالله منه.

و أما قوله عليه السّلام: «و أمن من لجأ إليكم» .

أقول: لجأ إلی الحصن، لجأ بالتحريک مع الهمزة من بابی نفع و تعب، و التجأ إليه أی اعتصم، فالحصن ملجأ (بفتح الجيم) . و يقال: الجأت ظهری إليک أی اعتمدت فی أموری إليک، كما يعتمد الإنسان بظهره إلی ما يستند إليه. و الأمن هو الأمان، و الأمنة مصدر آمنت، و الأمنة الذی يثق بكل شیء، و أمن يأمن (بفتح العين) أمنا و آمنا و أمانا و أمنة، اطمأن فهو آمن و أمين و أمن و أمن الأسد سلم أی منه، و الأمان الطمأنينة و العهد و الحماية و الذمة، و أمن يأمن (بكسر العين) أمنا وثق به و أركن إليه. و حينئذ فمعناه من اعتمد من أموره، أی أمور دينه كله إليكم، و اعتصم بكم فيها فهو أمن، أی دخل فی وثاقكم و عهدكم و حمايتكم و ذمتكم و اطمأن بكم، و سلم مما يكرهه من المعاصی، و من ضررها و عقوباتها و من الخطإ فی الاعتقادات و الجهل و الضلالة، فيها و من تسلط الشيطان عليه فی أن يسلبه الإيمان و التوحيد

ص: 215

و الولاية.

ففی تفسیر نور الثقلین (1)عن روضة الکافی، عن زید الشحّام قال: دخل قتادة ابن دعامة البصری علی أبی جعفر علیه السّلام و ساق الحدیث. . إلی أن قال علیه السّلام «ویحک یا قتادة ذلک من خرج من بیته بزاد و راحلة و کراء حلال یروم هذا البیت عارفا بحقّنا فهو یهوانا قلبه، قال الله عز و جل: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ اَلنّٰاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ (2)و لم یعن البیت فیقول: إلیه، فنحن و الله دعوة إبراهیم (صلی الله علیه) من هوانا قلبه قبلت حجّته و إلاّ فلا، یا قتادة فإذا کان کذلک کان آمنا من عذاب جهنم یوم القیامة، قال قتادة: لا جرم و الله لا فسّرتها إلاّ هکذا، فقال أبو جعفر علیه السّلام: ویحک یا قتادة إنما یعرف القرآن من خوطب به» . و من المعلوم أن من لجأ إلیهم بأن عرف حقّهم و هواهم بقلبه، فهو لا محالة أمن من عذاب جهنم یوم القیامة، و لا ریب أیضا، أن ولایتهم علیهم السّلام موجبة للأمن من المعاصی الکبیرة من مثل الشرک و الضلالة، و الخروج من الدین، بل لو کانت بتمامها موجودة فی أحد لآمنته من جمیع المعاصی کما لا یخفی، و منه یظهر آمنهم من الضلالة فی الاعتقادات علی أن الظاهر منه أن الملتجأ إلیهم أمن من العذاب و سوء العاقبة، و ذلک بتوفیق منه تعالی له للتوبة، و الخروج عما لیس فیه رضاه تعالی.

و أما قوله علیه السّلام: «و سلم من صدّقکم» .

أی و سلم من العذاب و الهلکة من صدّقکم فی إمامتکم و سائر شئونکم، و ببیان آخر: من صدقکم: بأن آمن و قبل ولایتهم الحقیقیة و اعتقد بولایتهم التکوینیة و التشریعیة التی هی منصب إلهی تال لمنصب الرسالة الإلهیة، بأن عقد قلبه و فؤاده بالمعرفة بها، و حسن اعتقاده بها، و ثبت علیها قلبا، و أقرّ بها لسانا، و قام عملا بما تقتضیه من الإتیان بجمیع ما أمر الله به، و ترک جمیع ما نهاه عنه.

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 4 ص 329.

2- 2) إبراهیم:37.

فقوله:

و سلم من صدقكم

، يساوق

قوله:

«سعد من والاكم»

، أى صدق بولايتكم. و لعله إليه يشير ما

فى المحكى عن تفسير العياشى، عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت: أصلحك الله أى شىء إذا عملته استكملت حقيقة الإيمان؟ قال: «توالى أولياء الله محمدا و عليا و فاطمة و الحسن و الحسين و على بن الحسن ثم انتهى الأمر إلينا، ثم ابنى جعفر و أومأ إلى جعفر و هو جالس، فمن و إلى هؤلاء فقد و إلى أولياء الله، و كان مع الصادقين كما أمره الله» الحديث. و معنى سلم أى سلم فى دينه من جميع المضار و المكاره الدنيوية و الأخروية و من العذاب الأخروى و كان من الآمنين يوم القيامة.

و أما قوله عليه السّلام: «و هدى من اعتصم بكم»

، أى إلى طريق النجاة، و لعله إشارة إلى قوله تعالى: وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّٰهِ (1)، و قد ورد أن المراد بالحبل الأئمة عليهم السّلام فمن اعتصم بهم، فقد اعتصم بحبل الله، و هدى إلى الهداية الإلهية، و إلى كل خير فى الدنيا و الآخرة. ثم إن حقيقة الهداية عامة شاملة لجميع مصاديقها من الوصول إلى أقصى الغايات، التى هى معرفته تبارک و تعالى، و هذه تترتب على كمية الاعتصام و كيفيتها، فمن كان اعتصامه بهم عليهم السّلام أشدّ و أقوى، كانت هدايته أحسن و أبلغ إلى جميع مراتبها، رزقنا الله تعالى حقيقة الاعتصام بهم بمحمد و آله الطاهرين.

[40]قوله عليه السّلام: من اتّبعكم فالجنة مأواه، و من خالفكم فالنار مثواه

اشارة

أقول: المأوى: المنزل. و المثوى (بالفتح) : المنزل من ثوى بالمكان يثوى ثواء (بالمد) إذا قام فيه. أقول: كون متابعتهم عليهم السّلام سببا لدخول الجنة، و مخالفتهم سببا لدخول النار، مما

1- 1) آل عمران:103.

قد أجمعت عليه الأخبار من الطرفين بحد لا يكاد يحصـى، و نحن نذكر بعضـها، و إن كان قد تقدم كثير منها، ثم نشـير إلى سرّ هذا الأمر، فنقول:

ففى الشافى عن الكافى، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله: «من سرّه أن يحيى حيوتى و يموت ميتتى، و يدخل الجنة التى وعدنيها ربى، و يتمسك بقضيب غرسه ربى بيده، فليتول على بن أبى طالب، و أوصياءه من بعده، فإنهم لا يدخلونكم فى باب ضلال، و لا يخرجونكم من باب هدى، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، و إنى سألت ربى أن لا يفرق بينهم و بين الكتاب حتى يردا علىّ الحوض هكذا و ضمّ بين إصبعيه، و عرضه ما بين صنعاء إلى أيلة قدحان فضة و ذهب عدد النجوم» .

و فى ثواب الأعمال و عقاب الأعمال (1)للصدوق رحمه اللّه بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «كل ناصب و إن تعبّد و اجتهد يصير إلى هذه الآية: عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ. تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً (2)» .

و فيه (3)بإسناده عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «إن عدوّ على عليه السّلام لا يخرج من الدنيا حتى يجرع جرعة من الحميم، و قال: سواء على من خالف هذا الأمر صلّى أم زنا» .

و فى حديث آخر قال الصادق عليه السّلام: «الناصب لنا أهل البيت لا يبالى صام أم صلّى، زنا أم سرق، أنه فى النار أنه فى النار» .

و فى المحكى عن أبى الحسن محمد بن أحمد بن على بن الحسين بن شاذان فى مناقبه من طرق العامة أن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا على أنت أمير المؤمنين و إمام المتقين، يا على أنت سيد الوصيين، و وارث علم النبيين، و خير الصديقين، و أفضل السابقين، يا على أنت زوج سيدة نساء العالمين، و خليفة خير

1- 1) ثواب الأعمال. . . ص 247.

2- 2) الغاشية:3-4.

3- 3) ثواب الأعمال. . . ص 250.

المرسلین، یا علی أنت مولی المؤمنین، یا علی أنت الحجة بعدی علی الناس أجمعین، استوجب الجنة من تولاک، و استحق دخول النار من عاداک. یا علی و الذی بعثنی بالحق بالنبوة و اصطفانی علی جمیع البریة، لو أن عبدا عبد الله ألف عام، ما قبل الله ذلک منه إلاّ بولایتک، و ولایة الأئمة من ولدک، و إن ولایتک لا یقبلها الله إلاّ بالبراءة من أعدائک و أعداء الأئمة من ولدک، بذلک أخبرنی جبرئیل علیه السّلام فمن شاء فلیؤمن و من شاء فلیکفر» .

و فی کتاب طوالع الأنوار عن مناقب ابن شاذان، عن أبی سعید الخدری قال سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: «إذا کان یوم القیامة أمر الله ملکین یقعدان علی الصراط، فلا یجوز أحد إلاّ ببراءة علی بن أبی طالب علیه السّلام و من لم یکن له براءة علی أمیر المؤمنین کبّه علی منخریه فی النار، و ذلک قوله تعالی: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ فقلت: فداک أبی و أمّی یا رسول الله ما معنی براءة أمیر المؤمنین؟ قال: مکتوب لا إله إلاّ الله محمد رسول الله صلّی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب وصی رسول الله» .

و فیه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سئل عن قوله تعالی أَلْقِیا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفّارٍ عَنِیدٍ (1): «یا علی إذا جمع الله الناس یوم القیامة فی صعید واحد، کنت أنا و أنت یومئذ عن یمین العرش، فیقول الله تعالی: یا محمد صلّی الله علیه و آله و یا علی علیه السّلام قوما و ألقیا من أبغضکما و کذّبکما فی النار» .

و فیه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: إلی أن قال عن الله تعالی «و إنی آلیت بعزّتی أن لا أدخل النار أحدا تولاه (یعنی علیا علیه السّلام) و سلّم له و للأوصیاء من بعده، و لا أدخل الجنة من ترک ولایته و التسلیم له و للأوصیاء من بعده، و حقّ القول منّی لأملأن جهنم و أطباقها من أعدائه و لأملأن الجنة من أولیائه و من شیعته» .

1- 1) ق:24.

و فی المحکی عن أمالی الطبرسی بإسناده عنه صلّی الله علیه و آله أنه قال: «مثل أهل بیتی مثل سفینة نوح من رکبها نجا، و من تخلّف عنها زخّ فی النار» . هذا بعض أحادیث الباب، و هی کثیرة جدا کما لا یخفی علی المتتبع،

بقی الکلام فی بیان سرّ هذا الأمر

فنقول أولا:

روی فی بصائر الدرجات فی باب خلق أبدان الأئمة علیهم السّلام بإسناده عن أبی حمزة الثمالی قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إن الله خلقنا من أعلی علیین، و خلق قلوب شیعتنا مما خلقنا منه، و خلق أبدانهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوی إلینا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآیة: کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ اَلْأَبْرٰارِ لَفِی عِلِّیِّینَ. وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّیُّونَ. کِتٰابٌ مَرْقُومٌ. یَشْهَدُهُ اَلْمُقَرَّبُونَ (1)، و خلق عدونا من سجّین، و خلق قلوب شیعتهم مما خلقهم منه، و أبدانهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوی إلیهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآیة: کَلاّٰ إِنَّ کِتٰابَ اَلْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ. وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّینٌ. کِتٰابٌ مَرْقُومٌ (2)» .

و فیه عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن الله خلق المؤمن من طینة الجنة، و خلق الناصب من طینة النار، و قال: إذا أراد الله بعبد خیرا طیّب روحه و جسده، فلا یسمع من الخیر إلاّ عرفه، و لا یسمع شیئا من المنکر إلاّ أنکره، قال: و سمعته یقول: الطینات ثلاثة، طینة الأنبیاء و المؤمن من تلک الطینة، إلاّ أن الأنبیاء هم صفوتها، و هم الأصل، و لهم فضلهم، و المؤمنون الفرع من طینة لازب، کذلک لا یفرّق الله بینهم و بین شیعتهم، و قال: طینة الناصب من حمإ مسنون، و أما المستضعفون فمن تراب، لا یتحوّل مؤمن عن إیمانه، و لا ناصب عن نصبه، و لله فیهم المشیة جمیعا» .

و فیه بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبیه، عن جده علیه السّلام قال: قال علی بن الحسین علیه السّلام: «ثم إن الله بعث جبرئیل إلی الجنة، فأتاه بطینة من طینتها، و بعث ملک

1- 1) المطففین:18 و 19 و 20 و 21.

2- 2) المطففین:7 و 8 و 9.

الموت إلى الأرض، فجاء بطينة من طينتها، فجمع الطينتين، ثم قسّمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، و جعل شيعتنا من طينتنا، فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحة، فذاک مما خالطهم من الطينة الخبيثة، و مصيرها إلى الجنة، و ما كان فی عدونا من برّ و صلوة و صوم و من الأعمال الحسنة، فذاک لما خالطهم من طينتنا الطيّبة و مصيرهم إلى النار» .

و فيه فی باب ضـلال الذين ضلّوا من أئمة الحق بإسناده عن معلّى بن خنيس، عن أبی عبد الله عليه السّلام فی قول الله عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّٰهِ (1)، من يتخذ دينه رأيه بغير إمام هدى (من الله الهدى) الظاهر (من أئمة الهدى) .

و فيه بإسـناده عن أبی حمزة الثمالی قال: سـمعت أبا جعفر عليه السّـلام عن قول الله عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّٰهِ قـال: «عنی الله بهـا من اتخـذ دينه رأيه من غير إمام من أئمـة الهـدى» . فالمسـتفاد من هـذه الأحاديث أن من خلق من طينتهم، فلا محالة يتّبعهم فتصـير الجنـة مأواه، و من خلق من طينة الأعداء، فلا محالة يخالفهم باختياره، فيصـير إلى النار. إذ كل شـیء يرجع إلى أصـله كما حقق فی محله، ثم أنه لما كان فی هذا شبهة الجبر خصوصا بالنسبة إلى المخالفين

فقال عليه السّلام فی ذيل حديث أبی حمزة: «و لله فيهم المشية جميعا» ،

و فی بعض الأحـاديث الأخر: «و جعل فيهم البـداء» . و حاصـله: أن المخالفين ليسوا مجبورين فی اختيار الكفر و المعصـية، بل لله فيهم المشـية، فيمكن فی بعض الظروف و الشـرائط أن يختـاروا الإيمان و الطاعـة، كيف و مطلقات الآيات و الأحاديث الدالـة على أن من أخذ بالـدين و تمسّک به، فهو من الناجين كما دلّ عليه حـديث معلى بن خنيس و نحوه، فإنه ظاهر فی أن من اتخـذ دينه رأيه، أی اتخـذه كـذلک بسوء اختياره لا بالجبر كما لا يخفی، و هيهنا أبحاث دقيقة موكولة إلى مظانها.

1- 1) القصص:50.

[41]قوله علیه السّلام: و من جحدکم کافر، و من حاربکم مشرک، و من ردّ علیکم فی أسفل درک من الجحیم

اشارة

أقول: قال بعض الأعاظم: و قد دلّت أخبار کثیرة علی کفر المخالفین، یحتاج جمعها إلی کتاب مفرد، و الجمع بینها و بین ما علم من أحوالهم علیهم السّلام من معاشرتهم و مؤاکلتهم و مجالستهم و مخالطتهم، یقتضی الحکم بکفرهم، و خلودهم فی الآخرة فی النار، و جریان حکم الإسلام علیهم فی الدنیا رأفة و رحمة بالطائفة المحقّة، لعدم إمکان الاجتناب عنهم

قال:

«و من حاربهم مشرک بالله»

،

و قد قال صلّی الله علیه و آله: «یا علی حربک حربی، و من حاربه فقد حارب الله تعالی» ، و یجری لآخرهم ما یجری لأولهم، و من رد علیهم شیئا من أقوالهم أو أخبارهم فی أسفل درک من الجحیم. أقول: لا بد من بیان أمور ثلاثة بما لها من الأحکام.

الأول: معنی الجحد و الحکم بأن جاحدهم کافر.

الثانی: معنی المحاربة معهم و الحکم بأن المحارب لهم مشرک. و الثالث: معنی الردّ علیهم و الحکم بأن الرد علیهم فی أسفل درک من الجحیم، أما الأول: فاعلم بأنّ الجحود هو الإنکار مع العلم یقال: جحد حقّه جحدا و جحودا، أی أنکره مع علمه بثبوته، کما فی المجمع و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَیْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ (1)أی جحدوا بالآیات بألسنتهم و استیقنوها فی قلوبهم، و الاستیقان أبلغ من الإیقان، و الکفر ضد الإیمان، و قد کفر بالله جحد، فالکفر قد فسّر بالجحود، کما أن الجحود من أحد أقسام الکفر.

ففی الشافی عن الکافی قیل للصادق علیه السّلام: أخبرنی عن وجوه الکفر فی کتاب الله، قال: «الکفر فی کتاب الله تعالی علی خمسة أوجه» : منها: کفر الجحود، و الجحود علی قسمین و الکفر بترک ما أمر الله، و کفر البراءة و کفر النعمة، فأما کفر الجحود فهو الجحود بالربوبیة و هو قول من یقول: لا ربّ

1- 1) النمل:14.

و لا جنـة و هو قول صـنف (صـنفين خ ل) من الزنادقـة يقال لهم: الدهريـة، و هم الـذين يقولون: و ما يهلكنا إلاّ الدهر، و هو دين وضـعوه لأنفسـهم بالاسـتحسان منهم على غير تثبت منهم، و لا تحقيق لشـىء مما يقولون قال الله تعالى: إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ إن ذلک كما يقولون و قال: إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ يعنى بتوحيـد الله تعالى. فهذا أحد وجوه الكفر، و أما الوجه الآخر من الجحود على معرفة، و هو أن يجحد الجاحد و هو يعلم أنه حق قد استيقن عنده، و قد قال الله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا الحديث. أقول: قد يقال: إن

قوله عليه السّلام:

«و من جحدكم كافر»

يراد به القسم الثانى من الجحود نظرا إلى ثبوت الأدلـة الشرعية القطعيـة من الآيـات و الأحاديث على ثبوت ولايتهم و إمامتهم، و وجوب إطاعتهم، و تقدمهم على غيرهم فى الوصاية و الخلافة، و سائر شئون الدين من الفريقين بحيث لا يرتاب فيه أحد، و مع ذلک كيف نرى من المخالفين إنكار فضـلهم عليهم السّلام و جحد مقام إمامتهم، فالمخالف قد جحد و هو يعلم أن ولايتهم حق، و قد استيقن بها قلبا كما لا يخفى، و هذا الجحد و الإنكار إنما هو من جهة الظلم و العلو و متابعة الهوى، فربما يوافق مع الإقرار بالتوحيد و الرسالة إلاّ أنه ينكر الولاية. و الحاصل: أنه جحود للولايـة و كفر بها لا للربوبيـة، و قـد يقال: إن الجاحـد لولايتهم كافر بالمعنى الأول، أى يلازم جحد ولايتهم جحد الربوبية و إنكارها بدعوى أن الإيمان بالله و بربوبيته و آياته و كتبه و رسله و اليوم الآخر مقرون بالإيمان بهم، فمن لم يؤمن بهم لم يؤمن بالله و لا بربوبيته و آياته و كتبه و رسله و اليوم الآخر دلّت على هذا نصوص كثيرة لا تحصى من الفريقين و من أعدائهم و نحن نشير إلى بعضها.

فمنها

ما رواه فی غایة المرام (1)عن أمالی ابن بابویه بإسناده عن حذیفة بن أسید الغفاری قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «یا حذیفة إن حجة الله علیک بعدی علی بن أبی طالب، الکفر به کفر بالله، و الشرک به شرک بالله، و الشکّ فیه شکّ فی الله، و الإلحاد فیه إلحاد فی الله، و الإنکار له الإنکار لله، و الإیمان به إیمان بالله، لأنه أخو رسول الله و وصیه و إمام أمته و مولاهم، و هو حبل الله المتین و عروته الوثقی التی لا انفصام لها، و سیهلک فیه اثنان و لا ذنب له محب غال و مقصر. یا حذیفة لا تفارقن علیا فتفارقنی، و لا تخالفنّ علیّا فتخالفنی، إن علیا منی و أنا منه من أسخطه فقد أسخطنی، و من أرضاه فقد أرضانی» . أقول: و نظیره کثیر. و منها ما

فی ثواب الأعمال و عقاب الأعمال للصدوق بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن الله تبارک و تعالی جعل علیّا علیه السّلام علما بینه و بین خلقه، لیس بینهم و بینه علم غیره، فمن تبعه کان مؤمنا، و من جحده کان کافرا، و من شک فیه کان مشرکا» .

و فیه بإسناده عن الحسین بن أبی العلاء قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «لو جحد أمیر المؤمنین علیه السّلام جمیع من فی الأرض، لعذّبهم الله جمیعا و أدخلهم النار» . رواهما البرقی فی المحاسن أیضا.

و فی المحاسن (2)بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إذا قدمت الکوفة إن شاء الله فارو عنی هذا الحدیث: من شهد أن لا إله إلاّ الله وجبت له الجنة، فقلت: جعلت فداک یجیئنی کل صنف من الأصناف فأروی لهم هذا الحدیث؟ قال: نعم، یا أبان بن تغلب إنه إذا کان یوم القیامة جمع الله تبارک و تعالی الأولین و الآخرین فی روضة واحدة، فیسلب لا إله إلاّ الله إلاّ من کان علی هذا الأمر» .

1- 1) غایة المرام ص 606.

2- 2) المحاسن ص 18.

و فی المحکی عن مناقب بن شاذان، عن أمیر المؤمنین. . . إلی أن قال: عن رسول الله صلّی الله علیه و آله عن الله عز و جل. . . إلی أن قال تعالی: و إن لم یشهد أن لا إله إلاّ أنا وحدی أو شهد بذلک، و لم یشهد أن محمدا صلّی الله علیه و آله عبدی و رسولی، أو شهد بذلک و لم یشهد أن علی بن أبی طالب علیه السّلام خلیفتی، أو شهد بذلک و لم یشهد أن الأئمة من ولده حججی، فقد جحد نعمتی، و صغّر عظمتی، و کفر بآیاتی و کتبی و رسلی، إن قصدنی حجبته، و إن سألنی حرمته، و إن نادانی لم أسمع نداءه، و إن دعانی لم أستجب دعاءه، و إن رجانی خیّبته، و ذلک جزاؤه منی، و ما أنا بظلام للعبید» ، الحدیث.

و فی بصائر الدرجات عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إن ولایتنا عرضت علی السموات و الأرض و الجبال و الأمصار ما قبلها قبول أهل الکوفة» .

و فی الجواهر السنیة فی الأحادیث القدسیة للشیخ الحر العاملی رحمه الله عن مناقب الخوارزمی بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «لما خلق آدم، و نفخ فیه من روحه، عطس آدم فقال: الحمد لله ، فقال الله: حمدنی عبدی و عزتی و جلالی لو لا عبدان أرید أن أخلقهما فی دار الدنیا ما خلقتک، قال: یا رب أ یکونان منّی؟ قال: نعم یا آدم ارفع رأسک فانظر، فرفع رأسه فإذا علی العرش: لا إله إلاّ الله محمد نبی الرحمة و علی مقیم الحجة، من عرف حق علی زکی و طاب، و من أنکر حقه لعن و خاب، أقسمت بعزتی أدخل الجنة من أطاعه و إن عصانی، و أن أدخل النار من عصاه و إن أطاعنی» .

و فیه ص (1)عن أبی سلیمان عنهم قال: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: «لیلة أسری بی إلی السماء، قال لی الجلیل جلّ جلاله: آمَنَ اَلرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ ، فقلت: وَ اَلْمُؤْمِنُونَ ، فقال: صدقت یا محمد، من خلفت فی أمتک؟ قلت: خیرها، قال: علی بن أبی طالب؟ قلت: نعم یا ربّ، قال یا محمد. . . إلی أن قال تعالی: و عرضت

1- 1) الجواهر السنیة. . . ص 312.

ولايتكم على أهل السموات و الأرض، فمن قبلها كان عندى من المؤمنين، و من جحدها كان عندى من الكافرين» ، الحديث.

و عن الكافى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن الله نصب عليّا علما بينه و بين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، و من أنكره كان كافرا، و من جهله كان ضالاّ، و من نصب معه شيئا كان مشركا، و من جاء بولايته دخل الجنة، و من جاء بعدواته دخل النار» .

و فيه عن أبى إبراهيم عليه السّلام قال: «إن عليا باب من أبواب الجنة، فمن دخل بابه كان مؤمنا، و من خرج من بابه كان كافرا، و من لم يدخل فيه و لم يخرج منه كان فى الطبقة، التى لله تعالى فيهم المشية» .

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام: «إن عليا باب من أبواب الهدى» . أقول: و هذه الأحاديث صريحة فى أن منكر ولايتهم كان من الكافرين، نعم حكما و فى القيامة، و إنما يعامل معهم بالطهارة تسهيلا للأمة المحقة كما تقدم، و يؤيد هذا بل يدل على كفرهم الباطنى أنه كان الكثير من أعداءهم يصرّحون فى خلواتهم بإنكار البعث و الرسالة و الربوبية. و كيف كان فولايتهم و محبتهم و الاتباع لهم قد جمع فيه جميع أنحاء الإيمان و الإسلام، فلم يخرج عن ولايتهم شىء منهما و هم مبينهما، كما أن عداوتهم و خلافهم قد جمعا جميع أنحاء الكفر و أحواله لا يخرج عنهما شىء منه. بل كما قال بعض الأعاظم: ليس للكفر معنى فى الحقيقة إلاّ عداوتهم و مخالفتهم، لأن العارف بولايتهم يعاين الحق و الباطل و الإيمان و الكفر بنور الولاية فيقبل الإيمان و يجتنب الكفر كما هو المشاهد فلا لله معصية إلاّ معصيتهم، و لا طاعة إلاّ طاعتهم، و لا معرفة لله إلاّ معرفتهم و بسبيل معرفتهم، كل ذلك للعارف بولايتهم كما لا يخفى، ثم إن الكتب قد صرّحت بقضايا عن المخالفين دلّت على كفرهم الباطنى، و لعلنا نذكر بعضها فيما يأتى. ثم أنه قد ثبت فى محله أن الولاية باطن النبوة، و هى مظهر للتوحيد، فالتوحيد

ظاهر فی الولایة و بها، و هی باطن النبوة بمعنی أن النبی لم یأت عنه تعالی إلاّ بالولایة، فمقام النبوة الذی هو أعلی المقامات، و صاحبها أقرب الخلق إلیه تعالی، إنما هو متقوّم بالولایة الکلیة الإلهیة، و هی ساریة فیه صلّی اللّٰه علیه و آله ثم فیهم علیهم السّلام کما لا یخفی. فهذه العناوین الثلاثة مرتبطة کل منها بالآخر ارتباطا ذاتیا، ففقدان أحدها یفقد الکل، و هذا هو الوجه بسلب التوحید عن منکری الولایة یوم القیامة کما تقدم، و قد تقدم فی صدر الشرح ما یوضح لک هذا فراجعه.

و أما قوله علیه السّلام: «و من حاربکم مشرک» .

أقول: المراد من المحاربة معهم هو أن یشهر السیف لقتالهم علیهم السّلام طاعة لأولیاء الشیطان، و یدخل فیها من أطلق لسانه فی سبّهم و سبّ محبیهم حبّا لأولیاء الشیطان، و بغضا لهم و لأولیاء الرحمن، و من ردّ علیهم أو عارضهم فیما یحکمون به، و ما یأمرون به و ما ینهون عنه کل ذلک بعد ما تبین له هدایتهم علیهم السّلام و بل یمکن أن یقال: دخول من أبغضهم بقلبه لرضا الطواغیت فی المحاربة معهم. ثم إن المراد من الشرک الذی یکون ثابتا لمن حاربهم إما شرک الطاعة أی من حاربهم فقد جعل للّٰه تعالی شریکا، و هو الطواغیت فی إطاعته تعالی، و إما شرک عبادة بأن جعل بذلک شریکا فی المعبودیة، و توضیحه: أن من أطاع النبی و الأئمة فقد أطاع اللّٰه لقوله تعالی: أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (1)المفسّر بهم علیهم السّلام کما تقدم، و لقوله تعالی: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (2)و هذا بخلاف من حاربهم و أطاع الطواغیت، فإن طاعتهم و حربهم یرجع إلی إنکار ولایة أمیر المؤمنین و الأئمة علیهم السّلام و قد علمت آنفا أن إنکار إمامتهم مساوق لإنکار التوحید و الرسالة، فالمحارب لهم منکر معنی لربوبیته تعالی مطلقا، أو موجب لجعل الشریک فی عبادته تعالی، فإن عبادته الخالصة هی ما کانت مع الإقرار بالولایة،

1- 1) النساء:59.

2- 2) النساء:80.

و أما مع الإنكار، لها، فكأنه عبد الله و عبد الطاغوت كما لا يخفى. و أما الأحاديث الدالة على أن حربهم حرب الرسول صلّى الله عليه و آله كثيرة واردة فى متفرقات الأبواب.

ففى غاية المرام (1)فى حديث طويل عن على عليه السّلام. . . إلى أن قال: و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أ ما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، سلمك سلمى، و حربك حربى. . . إلخ.

و فى ثواب الأعمال و عقاب الأعمال (2)بإسناده عن معلى بن الخنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: قال الله عز و جل: «ليأذن بحرب منى من أذل عبدى المؤمن، و ليأمن من غضبى من أكرم عبدى المؤمن» . أقول: هذه الجمل الثلاث و إن كانت مشتركة فى أن صاحبها فى الضلالة إلاّ أن الجاحد لهم يكون كافرا بلحاظ الإنكار القلبى، و المحارب يكون مشركا بلحاظ الحرب و المعارضة لهم و الرد عليهم، و إن لم يعمل بعمل من مثل الحرب و السب، بل بمجرد الرد لأقوالهم فهو فى درك الجحيم. ثم إن المراد من الرد ما يعمّ رد ما لا يفهمه فرده بأن نفاه واقعا، و هذا لما علمت من أن ما ورد منهم و اشمأزّت منه القلوب، فلا بد من ردّ علمه إليهم، و ليس لنا إنكاره، فإن الإنكار على حدّ الشرك، و قد تقدمت أحاديثه، و ما كان ثقيلا على نفسه كما إذا تبين حكمهم عليهم السّلام فى بعض الموارد بما لم يعلم وجهه لنا، و كان الحكم ثقيلا، أو تبين له بعض الأمور العظيمة الراجعة إلى ولايتهم المطلقة الصعبة، فردّه كما هو المراءى من المخالفين حيث ينكرون و يردون فضائل الأئمة عليهم السّلام. بل و بعض الناس المنتحلين إلى ولايتهم كما فى زماننا هذا فنراهم، يردون بعض فضائلهم المهمة و ما يرده لشهوة نفسه، كمن غلبت عليه البطالة و الشهوات

1- 1) غاية المرام ص 359.

2- 2) ثواب الأعمال. . . ص 284.

النفسانية فرد عليهم ما ثبت له من فضائلهم أو حكما من أحكامهم، و ما كان ردّه عليهم بعد ثبوته له من الله تعالى و رسوله صلّى الله عليه و آله ظلما و علوا، كما هو شأن أئمة الضلال، الذين هم طلع شجرة الزقوم، بل ربما يقال: إن هذا الأمر هو المراد دون السابقة، و لكن الظاهر التعميم كما لا يخفى. ثم إن المراد من الرد التكذيب، و ترك العمل بما حكموا، و أما الترک بدون التكذيب كما هو شأن فسقة الناس ممن يقبلون قولهم و لا يعملون به، فهو من المعاصى قابل للعفو. و بعبارة أخرى: فهو من المعاصى فى الفروع لا فى الأصول. أقول:

و فى غاية المرام (1)فى حديث الأربعين مما رواه فى أحاديث الغدير، و هو حديث طويل و فيه: قال صلّى الله عليه و آله: «معاشر الناس سيكون من بعدى أئمة يدعون إلى النار، و يوم القيامة لا ينصرون، إن الله و أنا بريئان منهم، معاشر الناس إنهم و أنصارهم و أشياعهم و أتباعهم فى الدرک الأسفل من النار، و لبئس مثوى المتكبرين» .

بقى هنا شىء و هو بيان المراد من أسفل درک من الجحيم،

فنقول: المستفاد من الأحاديث أن الكائن فى أسفل درک الجحيم إنما هم رءوس أئمة الضلال.

ففى تفسير البرهان

(2)

فى ذيل قوله تعالى: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (3)بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام عن أبيه، عن جده عليهم السّلام قال: «للنار سبعة أبواب، باب يدخل منه فرعون و هامان و قارون، و باب يدخل منه المشركون و الكفار ممن لم يؤمن بالله طرفة عين، و باب يدخل منه بنو أمية هو لهم خاصة لا يزاحمهم فيه أحد و هو باب لظى، و هو باب

1- 1) غاية المرام ص 99.

2- 2) تفسير البرهان ج 2 ص 345.

3- 3) الحجر:43 و 44.

سقر و هو باب الهاوية، تهوى بهم سبعين خريفا، فكلما فارت بهم فورة قذف بهم فى أعلاها سبعين خريفا، فلا يزالون هكذا أبدا مخلّدين. و باب يدخل منه مبغضونا و محاربونا، و خاذلونا، و أنه لأعظم الأبواب و أشدّها حرّا، قال محمد بن فضيل الزرقى (راوى الحديث عنه عليه السّلام) : فقلت لأبى عبد الله عليه السّلام: الباب الذى ذكرته عن أبيك عن جدك، يدخل منه بنو أمية، يدخل من مات منهم على الشرك، أو من أدرك منهم الإسلام؟ فقال: لا أمّ لک أ لم تسمعه يقول: و باب يدخل منه المشركون و الكفار؟ فهذا الباب يدخل منه كل مشرك و كل كافر لا يؤمن بيوم الحساب، و هذا الباب الآخر يدخل منه بنو أمية، لأنه هو لأبى سفيان و معاوية و آل مروان خاصة يدخلون من ذلک الباب فتحطبهم النار حطبا، لا تسمع لهم فيها واعية، و لا يحيون فيها و لا يموتون» .

و عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب: بابها الأول للظالم و هو زريق، و بابها الثانى لحبتر، و الباب الثالث للثالث، و الرابع لمعاوية، و الباب الخامس لعبد الملک، و الباب السادس لعسكر بن هوسر، و الباب السابع لأبى سلامة، فهم أبواب لمن تبعهم» أقول: و عسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بنى أمية أو بنى العباس، و كذا أبو سلامة كناية عن أبى جعفر الدوانيقى، و يحتمل أن يكون عسكر كناية عن عايشة و ساير أهل الجمل، إذ كان اسم جمل عايشة عسكرا، و روى أنه كان شيطانا، كذا فى ذيل تفسير البرهان. (1)

و فيه (2)ثم قال (أى على بن إبراهيم) : و فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ (3)، «فوقوفهم على الصراط، و أما لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فبلغنى (و الله أعلم) إن الله جعلها (أقول: لا يخفى أن قوله: أما لها سبعة أبواب، فهو كلام على بن إبراهيم رحمة الله عليه، و لذا قال: فبلغنى و الله أعلم أن الله. . . إلخ، فإن هذا النحو من الكلام ليس من نحو كلام الإمام عليه السّلام فقوله: إن الله جعلها. . . إلخ، أول الرواية ينقلها بالمعنى مرسلا كما لا يخفى)

1- 1) تفسير البرهان ج 2 ص 345.

2- 2) تفسير البرهان ج 2 ص 346.

3- 3) الحجر:43.

سبع درجات أعلاها الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها تغلى أدمغتهم فيها كغلى القدور بما فيها. و الثانية لظى نَزّٰاعَةً لِلشَّوىٰ. تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى. وَ جَمَعَ فَأَوْعىٰ. و الثالثة سقر لاٰ تُبْقِى وَ لاٰ تَذَرُ. لَوّٰاحَةٌ لِلْبَشَرِ. عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ . و الرابعة الحطمة و منها ثبور شرر كالقصر، كأنها جمالات صفر، تدق كل من صار إليها كالكحل (مثل الكحل) فلا تموت الروح كلما صاروا كالكحل (مثل الكحل) عادوا. و الخامسة الهاوية فيها ملك، و يدعون: يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار، فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل، و إذا رفعوا ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرّها، و هو قول الله: وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغٰاثُوا بِمٰاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي اَلْوُجُوهَ بِئْسَ اَلشَّرٰابُ وَ سٰاءَتْ مُرْتَفَقاً (1)و من هوى فيها هوى سبعين عاما فى النار كلما احترق جلده بدل جلدا غيره. و السادسة هى السعير فيها ثلاثمائة سرادق فى كل سرادق ثلاثمائة قصر من نار، فى كل قصر ثلاثمائة بيت من نار، فى كل بيت ثلاثمائة لون من عذاب النار فيها حيّات من نار، و جوامع من نار، و عقارب من نار، و سلاسل من نار، و أغلال من نار، و هو الذى يقول الله: إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً (2). و السابعة جهنم و فيها الفلق و هو جبّ فى جهنم إذا فتح أسعر النار سعيرا، و هو أشد النار عذابا، و أما صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنم، و أما آثام فهو واد من صفر مذاب تجرى حول الجبل فهو أشد النار عذابا» .

و فيه (3)عن محمد بن يعقوب، و عن ابن بابويه، و نحن نذكر اللفظ للثانى

1- 1) الكهف:29.

2- 2) الإنسان:4.

3- 3) تفسير البرهان ج 4 ص 408.

بإسناده عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «لما نزلت هذه الآية: وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ (1)سئل عن ذلک رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: أخبرنى الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا جمع الأولين و الآخرين، أتى بجهنم تقاد بألف زمام، آخذ كل زمام مائة ألف ملک من الغلاظ الشداد، و لها هدّة و تغيّظ و زفير، و إنها لتزفر الزفرة فلو لا أن الله عز و جل أخّرهم إلى الحساب لأهلکت الجميع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالبر و الفاجر، فما خلق الله عز و جل عبدا و لا نبيا إلاّ نادى: ربّ نفسى نفسى، و أنت تنادى يا نبى الله: أمتى أمتى، ثم يوضع عليها صراط أدق من حدّ السيف (كذا) عليه ثلاث قناطر، أما واحدة فعليها الأمانة و الرحم» الحديث، و قد تقدم.

و فى البحار عن معانى الأخبار بالإسناد إلى المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، فجعل أعلاها و أشرفها أرواح محمد و على و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة بعدهم (صلوات الله عليهم أجمعين) و ساق الحديث فى قصة آدم و حواء. . . إلى أن قال: قالا: ربنا فأرنا ظالميهم فى نارک حتى نراها، كما رأينا منزلتهم فى جنتک، فأمر الله تبارک و تعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال و العذاب، و قال الله عز و جل مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم فى أسفل درک منها: كُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهٰا أُعِيدُوا فِيهٰا » الحديث.

و فيه (2)عن الخصال، عن أبى الحسن موسى عليه السّلام فى حديث طويل يقول فيه: «يا إسحاق إن فى النار لواديا يقال له: سقر، لم ينفس منذ خلقه الله، لو أذن الله عز و جل له فى التنفس بقدر مخيط لاحترق ما على وجه الأرض و إن أهل النار ليعوذون من حرّ ذلک الوادى و نتنه و قذره و ما أعد الله فيه لأهله، و إن فى ذلک الوادى لجبلا يتعوّذ جميع أهل ذلک الوادى من حرّ ذلک الجبل و نتنه و قذره، و ما

1- 1) الفجر:23.

2- 2) تفسير البرهان ج 2 ص 311.

أعد الله فيه لأهله، و إن فى ذلک الجبل لشـعبا يتعوذ جميع أهل ذلک الجبل من حرّ ذلک الشعب و نتنه و قذره و ما أعد الله فيه لأهله. و إن فى ذلک الشـعب لقليبا يتعوذ جميع أهل ذلک الجبل من حرّ ذلک القليب و نتنه و قذره، و ما أعد الله فيه لأهله، و إن فى ذلک القليب لحيّة يتعوذ جميع أهـل ذلک القليب من حيث تلک الحيـة و نتنها و قـذرها، و ما أعـد الله فى أنيابها من السم لأهلها، و إن فى جوف تلک الحية لصـناديق فيها خمس من الأمم السالفـة، و اثنان من هـذه الأمـة، قال: قلت: جعلت فداک و من الخمسة و من الاثنان؟ قال: فأما الخمسـة فقابيل الـذى قتل هابيل، و نمرود اَلَّذِی حَاجَّ إِبْرٰاهِيمَ فِی رَبِّهِ فقال: أَنَا أُحْيِی وَ أُمِيتُ ، و فرعون الذى قال: أَنَا رَبُّکُمُ اَلْأَعْلىٰ ، و يهود الذى هوّد اليهود، و بولس الذى نصّر النصارى، و من هذه الأمة الأعرابيان» .

و فيه (1)ص 312 عن أمالى الصدوق، عن النبى صـلّى الله عليه و آله فى سياق قصة يحيى عليه السّلام قال: قال زكريا عليه السّلام: حدثنى جبرئيـل عليه السّـلام عن الله عز و جل: «أن فى جهنم جبلا يقال له السـكران، فى أصل ذلک الجبل واد يقال له الغضـبان لغضب الرحمن تبـارک و تعالى، فى ذلک الوادى جبّ قامته مائـة عام، فى ذلک الجب توابيت من نار، فى تلک التوابيت صـناديق من نار، و ثياب من نار، و سلاسل من نار و أغلال من نار» .

و فيه عن تفسير فرات بن إبراهيم، محمد بن أحمد معنعنا عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله ذات يوم: «يا على إن جبرئيـل أخبرنى أن أمّتى تغـدر بک من بعـدى، فويل ثم ويل ثم ويل لهم (ثلاث مرات) قلت: يا رسول الله و ما ويل؟ قال: واد فى جهنم أكثر أهله معادوک، و القاتلون لـذريتک، و الناكثون لبيعتک، فطوبى ثم طوبى ثم طوبى (ثلاث مرات) لمن أحبّک و والاک، قلت: يا رسول الله و ما طوبى؟ قال: شجرة فى دارک فى الجنة، ليس دار من دور شيعتک فى الجنة إلاّ و فيها غصن

1- 1) تفسير البرهان ج 2 ص 312.

من تلک الشجرة، تهدل علیهم بکل ما یشتهون» ، أی ترسل و ترخی علیهم. أقول: هذا بعض الأحادیث فی بیان طبقات جهنم و بیان الأسفل منها، و هناک أحادیث أخر فی بیان درجات النار و درکاتها، و فیها اختلاف فی البیان فلبیانها و الجمع بینها مقام آخر. و کیف کان فالمراد من الذین ردّ علیهم أئمة الضلال و اتباعهم و إن کان ظاهر بعض الأحادیث أن الأسفل منها لأئمة الضلال کما لا یخفی، ثم إن الظاهر من الأسفل هو ما کان أنزل درکاتها، إما بلحاظ المکان المستلزم لشدة العذاب، و إما بلحاظ کیفیة العذاب. و بعبارة أخری: لیس للمکان من حیث هو هو دخل فی شدة العذاب إلاّ بلحاظ الضیق و البعد، و هما یرجعان إلی أشده بلحاظ الکیف، فحقیقة الأسفلیة لها تتحقق بشدة کیفیة العذاب، کما هو ظاهر من بعض تعابیر الأحادیث. ثم إن الوجه فی کونهم فی أسفل درک من الجحیم أنهم بعد ما بیّن لهم الرسول الأعظم صلّی الله علیه و آله الحق و أنه فی ولایتهم علیهم السّلام بأحسن البیان و التوضیح بما لا مزید علیه، و بحیث انقطع عنهم العذر فی ترکه، و مع هذا قابلوه بالإنکار و الجحود و العداوة الشدیدة، و سعوا غایة جهدهم فی أذی أهل بیته بما لا یقدر علی مثله أحد من المنافقین و المشرکین و الکافرین، بل نقول: إن أئمة الجور و أتباعهم المخصوصین بهم قد أسّسوا الشبهات و العناد و الجحود للحق لجمیع الخلق، ممن کان من زمانهم أو یکون إلی یوم القیامة. أسّسوا ذلک ببدعهم و صفاتهم الرذیلة القائمة بأحقادهم الباطنیة لمحمد و آله الطاهرین، و ببطلانهم و بعدهم عن الحق و الحقیقة، فثمرات نفاقهم و کفرهم و شرکهم و عداوتهم باقیة فی قلوب أتباعهم إلی یوم القیامة، فأتباعهم معذبون بإضلالهم و هم (أی أئمة الضلال) معذبون بقدر عذاب أتباعهم، مع ما لهم من العذاب، وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ وَ لَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ اَلْقِیٰامَةِ عَمّٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ (1).

1- 1) العنکبوت:13.

و قد دلّت أحاديث كثيرة على هذا منها: ما فى تفسير البرهان (1)على بن إبراهيم، قال الله عز و جل: لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً الآية، قال: قال: يحملون آثامهم، يعنى الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السّلام و آثام كل من اقتدى بهم و هو

قول الصادق عليه السّلام: «و الله ما اهرقت محجمة من دم، و لا قرع عصا بعصا، و لا غصب فرج حرام، و لا أخذ مال من غير حلة إلاّ وزر ذلک لفى أعناقهما، من غير أن ينقص من أوزار العاملين شىء» .

و فيه بإسناده عن الكميت بن زيد الأسدى قال: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام فقال: «و الله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، و لكن لک ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لحسان بن ثابت: لن يزال معک روح القدس ما دمت منّا (ما ذبيت عنا، خ) قال: قلت: أخبرنى عن الرجلين؟ قال: فأخذ الوسادة فكسرها فى صدره، ثم قال: يا كميت ما أهرق محجمة من دم، و لا أخذ مال من غير حلّة، و لا قلب حجر عن حجر إلاّ ذاک فى أعناقهما» . و مثله أخبار أخر كثيرة كما لا يخفى.

[42]قوله عليه السّلام: أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضى، و جار لكم فيما بقى

قال بعض الأعلام: أى جار لكم فيمن مضى و تقدم منكم، و جار لكم فيما بقى منكم، قال: و ما تستعمل فى أولى العقول كثيرا، و المعنى سابق لكم فيما مضى من الأزمنة السالفة أو الكتب المتقدمة، و جار لكم فيما بقى منها. و قال بعضهم: أشهد أن هذا أى وجوب متابعتكم، أو كل واحد من المذكورات فى الزيارة سابقا لكم فيما مضى من الأئمة أو فى الكتب المتقدمة. و قال بعضهم: هذه إشارة إلى ما شهد به من أول الزيارة إلى هنا، يعنى أن ما

1- 1) تفسير البرهان ج 2 ص 364.

شهـدت إنمـا هی لکم من أول مـا خلقکم إلی ما شاء الله تعالی إلی الأبـد من غیر اختصاص بعالم دون عالـم، أو زمان دون زمان، بل لازم لـذواتکم من بـدو خلقکم و إبـداء أنوارکم. أقول: إن ما ذکر فی الزیارة من الجمل، إنما هو بیان لشئون ولایتهم المطلقة الإلهیة تشـریعیة أو تکوینیة، و لا ریب، أنها ثابتة لهم من حیث إن أرواحهم، التی هی مظهر لجماله و جلاله، و هی محطّ لتلک الشـئون الإلهیة، و لا ریب فی أن تلک الشئون ثابتة لهم بلحاظ حقیقتهم، و هی خارجة عن الزمان و المکان، فلا محالة تکون تلک ثابتة لهم فی جمیع الأزمنة و الدهور، لا تختص لهم بزمان دون زمان لعـدم دخالته فیها نفیا و إثباتا، و أیضا إن تلک الشـئون لما کانت لحقیقة أنفسـهم الطاهرة بلحاظ اشـتمالها للروح القدسـی کما تقـدم، فمهما ظهرت تلک الروح القدسـی فلا محالـة ثبتت تلک الآثار و الشـئون الإلهیة، فلا محالة حینئذ لا تختص بواحد منهم بل تعمّ جمیعهم علیهم السّلام فی حال ظهور الروح القدسی فیهم کما یظهر ذلک من أخبار کثیرة. فمنها ما

فی البحار (1)عن أمالی ابن الشـیخ بإسـناده عن سـعید الأعرج قال: دخلت أنا و سـلیمان بن خالـد علی أبی عبد الله جعفر بن محمد علیه السّـ لام فابتدانی فقال: «یا سـلیمان ما جاء عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّـ لام یؤخذ به، و ما نهی عنه ینهی عنه، جری له من الفضـل مـا جری لرسول الله صـلّی الله علیه و آله و لرسوله الفضل علی جمیع من خلق الله، العائب علی أمیر المؤمنین فی شـیء کالعائب علی الله و علی رسوله صـلّی الله علیه و آله و الراد علیه فی صغیر أو کبیر علی حدّ الشرک بالله. کان أمیر المؤمنین علیه السّلام باب الله الذی لاـ یؤتی إلاّ منه، و سبیله الـذی من تمسّک بغیره هلک، کـذلک جری حکم الأئمـة علیهم السّـ لام من فوق الأرض و من تحت الثری، أ ما علمت أن أمیر المؤمنین علیه السّـ لام کان یقول: أنا قسیم الله بین الجنة و النار، و أنا الفاروق الأکبر (و أنا الصادق الأکبر خ ل) و أنا صاحب العصا و المیسم، و لقد أقرّ لی جمیع

1- 1) البحار ج 25 ص 352.

الملائکة و الروح بمثل ما أقرّوا لمحمد صلّی الله علیه و آله و لقد حملت مثل حمولة محمد، و هو حمولة الرب، و إن محمدا صلّی الله علیه و آله یدعی فیکسی فیستنطق فینطق، و أدعی فاکسی و استنطق فأنطق، و لقد أعطیت خصالا لم یعطها أحد قبلی، علمت البلایا و القضایا و فصل الخطاب» . أقول: المستفاد منه أن مقامهم علیهم السّلام مقامه صلّی الله علیه و آله فی وجوب الإطاعة لهم فی جمیع الأمور و الإقرار بفضلهم علیهم السّلام و ذلک لأنهم کمحمد صلّی الله علیه و آله فی کونهم حملوا حمولة الرب، و لعمری إن هذا هو السرّ فی کونهم کمحمد صلّی الله علیه و آله فی تلک الشئون کما لا یخفی.

و فیه (1)عن قرب الإسناد، ابن عیسی، عن البزنطی، عن الرضا أنه علیه السّلام کتب إلیه: قال أبو جعفر علیه السّلام: «لا یستکمل عبد الإیمان حتی یعرف أنه یجری لآخرهم ما یجری لأولهم فی الحجة و الطاعة، و الحلال و الحرام سواء، و لمحمد صلّی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام فضلهما» ، الخبر.

و فیه (2)عن إکمال الدین بإسناده عن الثمالی، عن أبی جعفر، عن أبیه عن جده الحسین (صلوات الله علیهم) قال: دخلت أنا و أخی علی جدی رسول الله صلّی الله علیه و آله فأجلسنی علی فخذه. و أجلس أخی الحسن علی فخذه الآخر، ثم قبّلنا و قال: «بأبی أنتما من إمامین سبطین اختارکما الله منی و من أبیکما و من أمکما، و اختار من صلبک یا حسین تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، و کلهم فی الفضل و المنزلة سواء عند الله تعالی» .

و فیه (3)عن بصائر الدرجات بإسناده عن الحارث النظری، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سمعته یقول: «رسول الله صلّی الله علیه و آله و نحن فی الأمر و النهی و الحلال و الحرام نجری مجری واحد، فأما رسول الله و علی (علیهما و آلهما السّلام) فلهما فضلهما» .

1- 1) البحار ج 25 ص 353.

2- 2) البحار ج 25 ص 356.

3- 3) البحار ج 25 ص 357.

و فی حدیث آخر بعده عن أبی الحسن علیه السّلام قال: «نحن فی العلم و الشجاعة سواء، و فی العطایا علی قدر ما نؤمر» .

و فیه (1)عن کتاب المحتضر، و منه عن زید الشحام قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: أیّما فضل الحسن علیه السّلام أم الحسین علیه السّلام؟ فقال: «إن فضل أولنا یلحق بفضل آخرنا، و فضل آخرنا یلحق بفضل أولنا، و کل له فضل، قال: قلت له: جعلت فداک وسّع علیّ فی الجواب، فإنی و الله ما سألتک إلا مرتادا (أی طالبا لمعرفتکم) فقال: نحن من شجرة طیبة، برأنا الله من طینة واحدة، فضلنا من الله، و علمنا من عند الله، و نحن أمناؤه علی خلقه، و الدعاة إلی دینه، و الحجاب فیما بینه و بین خلقه، أزیدک یا زید؟ فقلت: نعم. فقال: خلقنا واحد، و علمنا واحد، و فضلنا واحد، و کلنا واحد عند الله تعالی، فقال: أخبرنی بعدّتکم؟ فقال: نحن اثنا عشر هکذا حول عرش ربنا عز و جل فی مبتداء خلقنا، أولنا محمد صلّی الله علیه و آله و أوسطنا محمد صلّی الله علیه و آله و آخرنا محمد صلّی الله علیه و آله» . أقول: هذا الحدیث الشریف أوضح التسویة بما لا مزید علیه و بما هو وجه لها، و نحن نسأل الله تعالی التوفیق لإطاعتهم، و المشی فی صراطهم بحقهم، و الحشر معهم یوم القیامة بمحمد و آله الطاهرین.

[43]قوله علیه السّلام: و إن أرواحکم و نورکم و طینتکم واحدة، طابت و طهرت، بعضها من بعض.

اشارة

أقول: الروح هو ما یشیر الإنسان بقوله: أنا، أعنی النفس الناطقة المستعدة ببیان و فهم الخطاب، و لا تفنی بفناء الجسد، و إنه جوهر لا عرض، و هی المعنی فی القرآن و الحدیث، و قد تحیر العقلاء فی حقیقتها، و اعترف کثیر بالعجز عن معرفتها

1- 1) البحار ج 25 ص 363.

حتی قیل: إن

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» ، معناه أنه کما لا یمکن التوصل إلی معرفة النفس، لا یمکن التوصل إلی معرفة الرب، و مما یعضد هذا قیل: قوله تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی (1)و کیف کان فهی غیر داخلة فی البدن بالجزئیة و الحلول، بل هی منزهة عن صفات الجسمیة متعلق بالجسم تعلق التدبیر و التصرف فقط. و قال بعض الأعلام ما حاصله: أن حقیقة الإنسان هو جوهرة لطیفة ملکوتیة، و هی تستخدم هذا البدن الجسمانی فی حاجاته مسخّرا له تسخیر المولی لخدمه، و هی روح لتوقف حیاة البدن علیه، و قلب لتقلبه فی الخواطر، و عقل لاکتسابه العلوم و اتصافه بالمدرکات. أقول: فروح کل أحد ما هو حقیقته الأولیة، التی خلقها الله تعالی، و هی منشأ و مأوی للکمالات، و حینئذ نقول: المراد من أرواحهم (و الله و رسوله و الأئمة علیهم السّلام أعلم) هو الروح القدسی أو هو مع سایر أرواحهم.

ففی بصائر الدرجات (2)بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال: «یا جابر إن فی الأنبیاء و الأوصیاء خمسة أرواح: روح القدس و روح الإیمان و روح الحیوة و روح القوّة و روح الشهوة، فبروح القدس یا جابر علمنا (عرفوا) ما تحت العرش إلی ما تحت الثری، ثم قال: یا جابر إن هذه الأرواح یصیبه الحدثان إلاّ أن روح القدس لا یلهو و لا یلعب» .

و فیه (3)بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله تبارک و تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا اَلْکِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِیمٰانُ؟ (4)قال: «خلق من خلق الله أعظم من جبرئیل و میکائیل، کان مع

1- 1) الإسراء:85.

2- 2) بصائر الدرجات ص 447.

3- 3) بصائر الدرجات ص 455.

4- 4) الشوری:52.

رسول الله صلّى الله عليه و آله يخبره و يسدده و هو مع الأئمة عليهم السّلام من بعده» . أقول: فلهم عليهم السّلام روح القدس كالأنبياء، بل لهم بنحو الأتم الأكمل. ثم إن المراد من نوركم هو الروح و يكون تفسيرا له، كما سيجىء من أنه تعالى خلقهم من نوره، أو النور الذى يكون لهم كالعمود، فيرون به جميع الأمور، و يعلمون به جميع الأشياء.

ففيه (1)بإسناده عن إسحاق الحريرى قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام فسمعته و هو يقول: «إن لله عمودا من نور، حجبه الله عن جميع الخلائق، طرفه عند الله و طرفه الآخر فى أذن الإمام، فإذا أراد الله شيئا أوحاه فى أذن الإمام» .

و فيه بإسناده عن أبى حمزة الثمالى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن الإمام منا يسمع الكلام فى بطن أمه حتى إذا سقط على الأرض، أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ ، حتى إذا شبّ رفع الله له عمودا من نور يرى فيه الدنيا و ما فيها، لا يستر عنه منها شىء» . و مثله كثير بألسنة مختلفة. فالمستفاد منها أن المراد من أرواحهم أى حقيقتهم، التى بها حياتهم فى عوالمهم واحدة و من نورهم هو إما عالم عقلهم حيث يراد من العقل فى الأحاديث كما فسّر

قوله صلّى الله عليه و آله: «أول ما خلق الله نورى» ،

بقوله صلّى الله عليه و آله: «أول ما خلق الله العقل» ، أو يراد من نورهم ذلك العمود النورانى المذكور فى الأحاديث، و هو الموهوب لهم منه تعالى، فتكون حينئذ الإضافة فى أرواحكم بيانية، و فى أنواركم لامية كما لا يخفى.

و أما قوله: «طينتكم»

، ففى المجمع: و الطينة: الخلقة، و طانه الله على الخير جبله عليه.

و فيه (2)بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السّلام قال: «إن الله خلق محمدا من

1- 1) بصائر الدرجات ص 439.
2- 2) بصائر الدرجات ص 14.

طینة من جوهرة تحت العرش، و إنه کان لطینته نضج، فجبّل طینة أمیر المؤمنین علیه السّلام من نضج طینة رسول الله صلّی الله علیه و آله و کان لطینة أمیر المؤمنین علیه السّلام نضج، فجبل طینتنا من فضل طینة أمیر المؤمنین علیه السّلام و کانت لطینتنا نضج، فجبل طینة شیعتنا من نضج طینتنا، فقلوبهم تحن إلینا، و قلوبنا تعطف علیهم تعطف الوالد، علی الولد و نحن خیر لهم، و هم خیر لنا، و رسول الله صلّی الله علیه و آله لنا خیر، و نحن له خیر» . أقول: فی المجمع: و الجبّل (بکسر الجیم و تشدید الباء) الخلق. قیل: و المراد من النضج: الجزء کالفضل المستعمل فی الجزء فی

قولهم علیهم السّلام: «خلقوا من فاضل طینتنا» . و کیف کان فهذه الجمل تشیر إلی حقیقة الروحیة و النوریة، و إلی عالم مثالهم المعبر عنه بالطینة، أو إلی عالم أجسامهم، و تشیر إلی أن عالمهم المثالی هو العالم الذی منه خلق أرواح شیعتهم.

ففی بصائر الدرجات (1)عن جابر الجعفی قال: کنت مع محمد بن علی علیه السّلام فقال علیه السّلام: «یا جابر خلقنا نحن و محبینا (محبونا ظ) من طینة واحدة، بیضاء نقیة من أعلی علیین، فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبونا من دونها، فإذا کان یوم القیامة التفّت العلیا بالسفلی، و إذا کان یوم القیامة ضربنا بأیدینا إلی حجزة نبینا، و ضرب أشیاعنا بأیدیهم إلی حجزتنا، فأین تری یصیّر الله نبیه و ذریته، و أین تری یصیر ذریته محبیها؟ فضرب جابر یده علی یده فقال: دخلناها و ربّ الکعبة ثلاثا» .

و فیه (2)عن محمد بن مروان، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سمعته یقول: «خلقنا من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طینة مخزونة مکنونة من تحت العرش، فأسکن ذلک النور فیه، فکنا نحن خلقنا (خلقنا و بشرا) نورانیین، لم یجعل لأحد فی مثل الذی خلقنا منه نصیبا، و خلق أرواح شیعتنا من أبداننا (من طینتنا خ) و أبدانهم من طینة

1- 1) بصائر الدرجات ص 16.

2- 2) بصائر الدرجات ص 20.

مخزونة مکنونة أسفل من تلک الطینة، و لم یجعل الله لأحد فی مثل ذلک الذی خلقهم منه نصیبا إلاّ للأنبیاء و المرسلین، فلذلک صرنا نحن و هم الناس، و صار سائر الناس همجا فی النار و إلی النار» . أقول: فهذا الحدیث الشریف بیّن أنّ حقیقتهم النورانیة و أرواحهم، إنما هی من نور عظمته تعالی، و أما طینتهم التی هی عبارة عن عالمهم المثالی، فهی من طینة مخزونة من تحت العرش، ثم إنه تعالی جعل ذلک النور فی الصورة المخلوقة من تلک الطینة العرشیة، و لم یشارکهم فی هذه الخلقة أحد، ثم إنه تعالی خلق أرواح الشیعة من أبدانهم أی من تلک الطینة المخلوقة منها أمثالهم الشریفة. ثم إن المستفاد من

قوله علیه السّلام: «إلاّ الأنبیاء» ، أنهم (أی الأنبیاء) لم یکونوا فی مرتبتهم الروحیة و النوریة، بل هم فی مرتبة خلق شیعتهم کما لا یخفی، و کفی بهذا شرفا لهم علیهم السّلام و لشیعتهم، ثم إن

قوله علیه السّلام: «واحدة» ، تشیر إلی أن أرواحهم فی عالم الأرواح واحدة، و أنوارهم فی عالم النورانیة و أمثالهم و أجسامهم فی عالمها واحدة. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام فی کل مرتبة من مراتب الخلقة متحدون فی تلک المرتبة، لا یتفاضل بعضهم علی بعض، یدل علی هذا عدة من الأحادیث نحن نذکر بعضها تیمنا و تبرکا.

ففی البحار (1)عن کنز الفوائد: روی الصدوق رحمه الله فی کتاب المعراج عن رجاله إلی ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله و هو یخاطب علیا علیه السّلام و یقول : «یا علی إن الله تبارک و تعالی کان و لا شیء معه، فخلقنی و خلقک روحین من نور جلاله، فکنّا أمام عرش ربّ العالمین نسبح الله و نقدسه و نحمده و نهلله، و ذلک قبل أن یخلق السموات و الأرضین، فلما أراد أن یخلق آدم خلقنی و إیاک من طینة واحدة من طینة علیین، و عجننا بذلک النور، و غمسنا فی جمیع الأنوار و أنهار الجنة.

1- 1) البحار ج 25 ص 3.

ثم خلق آدم و استودع صلبه تلک الطینة و النور، فلما خلقه استخرج ذریته من ظهره، فاستنطقهم و قررهم بالربوبیة، فأول خلق إقرارا بالربوبیة أنا و أنت و النبیون علی قدر منازلهم و قربهم من الله عز و جل، فقال الله تبارک و تعالی: صدقتما و أقررتما یا محمد و یا علی و ستقیما خلقی إلی طاعتی، و کذلک کنتما فی سابق علمی فیکما، فأنتما صفوتی من خلقی و الأئمة من ذریتکما و شیعتکما، و کذلک خلقتکم. ثم قال النبی صلّی الله علیه و آله: یا علی فکانت الطینة فی صلب آدم، و نوری و نورک بین عینیه، فما زال ذلک النور ینتقل بین أعین النبیین و المنتجبین حتی وصل النور و الطینة إلی صلب عبد المطلب، فافترق نصفین، فخلقنی الله من نصفه، و اتخذنی نبیّا و رسولا، و خلقک من النصف الآخر فاتخذک خلیفة (علی خلقه) و وصیا و ولیا، فلما کنت من عظمة ربی کقاب قوسین أو أدنی قال لی: یا محمد من أطوع خلقی لک؟ فقلت: علی بن أبی طالب علیه السّلام فقال عز و جل: فاتخذه خلیفة و وصیا، فقد اتخذته صفیا و ولیا، یا محمد کتب اسمک و اسمه علی عرشی من قبل أن أخلق الجنة محبة منی لکما، و لمن أحبّکما و تولاّکما و أطاعکما. فمن أحبکما و أطاعکما و تولاّکما کان عندی من المقربین، و من جحد ولایتکما، و عدل عنکما کان عندی من الکافرین الضالین، ثم قال النبی صلّی الله علیه و آله: یا علی فمن ذا یلج بینی و بینک، و أنا و أنت من نور واحد و طینة واحدة، فأنت أحق الناس بی فی الدنیا و الآخرة، و ولدک ولدی، و شیعتکم شیعتی، و أولیاؤکم أولیائی، و أنتم معی غدا فی الجنة» .

و فیه البحار (1)و مما رواه من کتاب منهج التحقیق بإسناده عن محمد بن الحسین، رفعه عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال: «إن الله تعالی خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام

1- 1) البحار ج 25 ص 4.

فهی أرواحنا، فقیل له: یا بن رسول الله عدّهم بأسمائهم، فمن هؤلاء الأربعة عشر نورا؟ فقال: محمد و علی و فاطمة و الحسن و الحسین و تسعة من ولد الحسین علیهم السّلام و تاسعهم قائمهم، ثم عدّهم بأسمائهم، ثم قال: نحن و الله الأوصیاء الخلفاء من رسول الله صلّی الله علیه و آله و نحن المثانی التی أعطاها الله نبیّنا، و نحن شجرة النبوة، و منبت الرحمة، و معدن الحکمة، و مصابیح العلم، و موضع الرسالة، و مختلف الملائکة، و موضع سرّ الله، و ودیعة الله جلّ اسمه فی عباده، و حرم الله الأکبر و عهده المسئول عنه. فمن وفی بعهدنا، فقد وفی بعهد الله، و من خفره (1)فقد خفر ذمة الله و عهده، عرفنا من عرفنا، و جهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنی، التی لا یقبل الله من العباد عملا- إلاّ- بمعرفتنا، و نحن و الله الکلمات التی تلقاها آدم من ربه فتاب علیه، إن الله تعالی خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا عینه علی عباده، و لسانه الناطق فی خلقه، و یده المبسوطة علیهم بالرأفة و الرحمة، و وجهه الذی یؤتی منه، و بابه الذی یدل علیه، و خزان علمه، و تراجمة وحیه، و أعلام دینه، و العروة الوثقی، و الدلیل الواضح لمن اهتدی. و بنا أثمرت الأشجار و أینعت الثمار، و جرت الأنهار، و نزل الغیث من السماء، و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد الله، و لولانا ما عرف الله، و أیم الله لو لا وصیّة سبقت، و عهد أخذ علینا، لقلت قولا یعجب منه أو یذهل منه الأولون و الآخرون» . أقول: هذا ظاهر فی خلق الطینة المتعلقة بعالم المثال لهم، أو خلق أبدانهم علیهم السّلام کما لا یخفی.

و فیه (2)عن کمال الدین، عن أبی حمزة الثمالی، قال: سمعت علی بن الحسین علیه السّلام یقول: «إن الله عز و جل خلق محمدا و علیا و الأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحا فی ضیاء نوره، یعبدونه قبل خلق الخلق، یسبّحون الله عز و جل،

1- 1) قوله علیه السّلام: خفره، أی نقضه.
2- 2) البحار ج 25 ص 15.

و يقدسونه، و هم الأئمة الهادية من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) .

و أما قوله علیه السّلام: «طابت و طهرت بعضها من بعض» .

أقول: هذه الجملة لعلها تشير إلى أمرين: الأول: تشير إلى أن تناسلهم عن آبائهم كان طيبا طاهرا، بأن كان عن نكاح صحيح دون السفاح، أو وقوع النكاح بدون الشرط اللازم، و أيضا كان التناسل من آباء و أمهات مؤمنين و مؤمنات لا غيرهم، كما دلّت عليه أخبار كثيرة من أنهم علیهم السّلام كان تناسلهم من أصلاب النبيين علیهم السّلام.

ففی تفسیر البرهان (1)علی بن جعفر بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

اَلَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ. وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّٰاجِدِینَ ، قال: فی أصلاب النبيين علیهم السّلام» .

و فيه عن أبی ذر رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله. . . إلی أن قال صلّی الله علیه و آله: «فلم يزل ينقلنا الله عز و جل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى إلى عبد المطلب، فقسّمنا نصفين، فجعلنی فی صلب عبد الله، و جعل عليا علیه السّلام فی صلب أبی طالب، و جعل فیّ النبوة و البركة، و جعل فی علی الفصاحة و الفروسية، و شقّ لنا اسمين من أسمائه فذو العرش محمود و أنا محمد صلّی الله علیه و آله و الله الأعلى و هذا علی علیه السّلام» .

و فيه (2)عن محمد بن العباس بإسناده عن أبی الجارود قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول الله عز و جل: وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّٰاجِدِینَ (3)قال: «يرى تقلّبه فی أصلاب النبيين من نبی إلى نبی، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم علیه السّلام» .

و فيه عنه، عن الشيخ أبی محمد الفضل بن شاذان بإسناده، عن جابر بن يزيد الجعفی، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم علیه السّلام قال: «إن الله تبارك و تعالى

1- 1) تفسير البرهان ج 3 ص 192.

2- 2) تفسير البرهان ج 3 ص 193.

3- 3) الشعراء:219.

خلق نور محمـد صـلّى اللّه عليه و آله من نور اخترعه من نور عظمته و جلاله، و هو نور لاهوتيـة الـذى بـدا منه، و تجلّى لموسـى بن عمران لطلب رؤيته، فما ثبت و لا استقر، و لا طاقة له لرؤيته حتى خرّ صعقا مغشيا عليه، و كان ذلك النور نور محمد صلّى اللّه عليه و آله فلما أراد أن يخلق محمدا صـلّى اللّه عليه و آله منه، قسّم ذلك النور شـطرين، فخلق من الشطر الأول محمدا صلّى اللّه عليه و آله و من الشطر الآخر على بن أبى طـالب عليه السّـلام و لـم يخلق من ذلـك النور غيرهما. خلقهما بيـده، و نفـخ فيهما بنفسه لنفسه، و صوّرهما على صورتهما، و جعلهما أمناء له، و شـهداء على خلقه، و خليفته على خليقته، و عينا له عليهم، و لسانا له إليهم، قد اسـتودع فيهما علمه، و علّمهما البيان، و اسـتطلعهما على غيبه، و جعل أحدهما نفسه و الآخر روحه، و لا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشرية، و باطنهما لاهوتية، ظهر للخلق على هياكل الناسوتية حتى يطيقوا رؤيتهما، و هو قوله تعالى وَ لَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ (1)فهما مقاما ربّ العالمين، و حجابا خالق الخلائق أجمعين، بهما فتح بدء الخلق، و بهما يختم الملك و المقادير. ثم اقتبس من نور محمد فاطمة ابنته عليها السّلام كما اقتبس نوره من نوره، و اقتبس من نور فاطمة و على و الحسن و الحسـين عليهم السّلام كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار، و انتقلوا من ظهر إلى ظهر، و من صلب إلى صلب، و من رحم إلى رحم فى الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلا بعد نقل، لا أنه من ماء مهين، و لا نطفة جشرة كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصـلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لأنهم صفوة الصفوة، اصطفاهم لنفسهم، و جعلهم خزّان علمه، و بلّغا عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه، لا يرى و لا يـدرك، و لا تعرف كيفية انيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه، المتصـرفون فى أمره و نهيه، فبهم يظهر قدرته، و منهم ترى آياته و معجزاته، فبهم و منهم عرف عبادة نفسه (2)، و بهم يطاع أمره، و لولاهم ما عرف اللّه، و لا يدرى

1- 1) الأنعام:9.

2- 2) أقول: الظاهر عباده نفسه.

کیف یعبد الرحمن، فالله یجری أمره کیف یشاء فیما یشاء لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ (1)» . أقول: هذا الحدیث الشریف من غرر أحادیثهم المتضمنة لغوامض معارفهم و علومهم علیهم السّلام و له شرح کثیر لا یسع المقام ذکره، مضافا إلی غموضه، و إنی لست من أهل التحقیق فیه، صرفنا عنه النظر، و کیف کان فبیّن هذا کیفیة خلقتهم النورانیة، و کیفیة خلقتهم الجسمانیة و المادیة، و إن لها شأنا یخصّهم علیهم السّلام و لا یشارکهم فیها أحد. و الحاصل: أن

قوله:

«بعضها من بعض»

إشارة إلی أن تناسلهم کان بعضها من بعض فی حال الطیب و الطهارة فی الأصلاب و الأرحام، و بالنسبة إلی سایر ما یجب مراعاته فی التناسل، لحصول طیب الولادة و طهارتها من الإیمان، و الأعمال الصالحة، و الصفات الحمیدة و التوحید، کلها بالنسبة إلی الوالدین، و هذه کلها کانت بالنسبة إلی آبائهم و أمهاتهم علیهم السّلام موجودة کما أشار إلیه

قوله فی زیارة الوارث

«أشهد أنک کنت نورا فی الأصلاب الشامخة و الأرحام المطهرة، لم تنجسک الجاهلیة بأنجاسها، و لم تلبسک من مدلهمات ثیابها»

. فظهر أن أرواحهم و نورهم و طینتهم فی الطیب و الطهر مما ذکر من النقائص واحدة، لا تفاضل فیها بوجه من الوجوه، و هذا یستفاد من

قوله:

«بعضها من بعض»

الظاهر فی الاتحاد. و بعبارة أخری: أن

قوله علیه السّلام:

«بعضها من بعض»

، و إن کان ظاهره الفصل بینهم، و إلاّ لما کان هذا «بعض» و هذا «بعض» إلاّ أن قوله: من بعض، یعطی الاتحاد فی الواقع یعنی أن هذا الفصل یکون فی ظاهر الخلقة و فی عالم القلب و الفؤاد الظاهری، و أما فی النور و الواقع فهم واحد، و لذا کان بعضهم من بعض، فالمغایرة فی

1- 1) الأنبیاء:23.

الظاهرة، و فی الفؤاد و القلب و الصورة الظاهریة، و أما فی عالم النور فهم واحد، و إلیه یشیر ما تقدم من

قوله علیه السّلام: «کلنا محمد صلّی اللّه علیه و آله» . و الحاصل: أن کل ما فرض بعضها منها فی الظاهر، فهو من البعض الآخر فی الواقع، و ذلک البعض الآخر فی الظاهر أیضا من هذا البعض فی الواقع، فالفصل فی الظاهر و الاتحاد فی الواقع، و إن شئت قلت: فالفصل فی عالم المثال و القلب و الفؤاد، و التشخصات الخلقیة و الاتحاد فی الواقع و عالم العقل و النور، الذی خلق من نور عظمته تعالی، و من هذا البیان تنحل مسألة عویصة، و هی أنه قد دلّت أحادیث و جمل منهم علیهم السّلام علی أنهم واحد فی الرتبة و الفضل و العلم، و دلّت أحادیث أخر علی تفاضلهم علیهم السّلام فی بعض الأمور، و حاصل الحل: أن ما دلّ علی اتحادهم فی العلم، فهو محمول و ظاهر فی الواقع و الجهة النورانیة، و ما دلّ علی اختلاف درجاتهم، فهو محمول و ظاهر فی الظاهر و الجهات الشخصیة. ثم إن التحقیق فی المسألة یتوقف علی بیان الأقوال فیهم علیهم السّلام ثم بیان ما یساعده الدلیل منهم علیهم السّلام فی ذلک فنقول: ذهب بعضهم إلی أن الأربعة عشر علیهم السّلام کلهم فی جمیع الأمور الظاهریة و الباطنیة سواء، و بعضهم ذهب إلی أن محمدا و علیا (صلی اللّه علیهما و آلهما) سواء دون غیرهما منهم، و منهم من یفضل علیّا علیه السّلام علی محمد صلّی اللّه علیه و آله و هذا قول الغرابیة الکفرة القائلین بأن محمدا بعلی أشبه من الغراب بالغراب و الذباب بالذباب و قالوا: بعث جبرئیل علیه السّلام إلی علی علیه السّلام فغلط و ذهب إلی محمد صلّی اللّه علیه و آله و هم یلعنون (لعنهم اللّه) صاحب الریش، یعنون جبرئیل علیهم السّلام. و بعضهم من یستثنی محمدا صلّی اللّه علیه و آله و علیا علیه السّلام و یسوی بین الباقین علیهم السّلام، و هذه الأقوال لا یعبأ بها. ثم إنه لا ریب من العلماء و الأدلة فی أن محمدا صلّی اللّه علیه و آله أفضل من الکل، ثم فضل علی بعده علی الباقین، ثم إنهم اختلفوا فی الباقین، فمنهم من قدم فاطمة علیها السّلام علی الباقین کما هو فی الذکر، فإنهم یذکرونها بعد علی علیه السّلام المذکور بعد النبی صلّی اللّه علیه و آله ثم

يذكرون سائر الأئمة عليهم السّلام، و منهم من فضّل الحسنين عليهما السّلام عليها و على التسعة من ذرية الحسين عليه السّلام و هم (أى التسعة) سواء إلاّ على عليه السّلام فإنه أفضل، و منهم من جعل محمدا صلّى اللّه عليه و آله أفضل الخلق أجمعين، ثم على ثم الحسن ثم الحسين ثم القائم (عج) ثم الأئمة الثمانية ثم فاطمة عليها السّلام ثم إنهم اختلفوا فى أن التفاضل على القول به فى موارده هل هو لزيادة العلم أو له و للعمل، أو هو محض عناية اللّه تعالى لهم، أو لزيادة سائر الصفات فى بعضهم على البعض كالقوة و الشجاعة و الكرم و غير ذلك. إذا علمت هذا فنقول: ينبغى أن يجعل موضوع النزاع فى موردين: الأول: فى عالم الظاهر و عالم المادة و الجسمانيات. الثانى: فى عالم الواقع و الأنوار، و المظهرية للولاية الكلية الإلهية، فنقول: أما الأول: فلا ريب فى أن عالم الجسم و المادة يكون فى غاية الضيق بالنسبة إلى عالم الأنوار و الواقعيات، كما لا يخفى هذا على أهله، و لا ريب فى أن الحقائق و الواقعيات تظهر فى عالم الظاهر و الجسمانيات فى مواردها محدودة مرعيا فيها الحكم و المصالح الموجبة لتحديدها كما و كيفا، فلو أن أشخاصا متعددة كانوا فى الإمكانات الأولية على حدّ سواء و مرتبة واحدة، و لكن لا ريب فى أن كل واحد منهم يظهر إمكاناته على حسب ما تقتضيه الظروف و الشرائط كما و كيفا، فلو أن أحدا منهم أعطى من إمكاناته لواحد عشرة و الآخر مائة فإنه و إن كان فى الظاهر من أعطى المائة يحسب أسخى من الذى أعطى عشرة، إلاّ أن هذا التفاضل صورى اقتضته الحكمة و الظروف و الشرائط فى العالم الإمكانية، و إلاّ فالمعطى عشرة له أن يعطى مائة، و المعطى مائة له أن يعطى العشرة إذا اقتضت الحكمة ذلك. و كيف كان فالتفاضل صورى بلحاظ عالم الملك و المادة، و أما بلحاظ الواقع فجميعهم سواء، و لا ريب فى أن التفاضل الصورى لا يوجب مفضولية المعطى عشرة فى المثال بالنسبة إلى المعطى مائة، فالتفاضل الصورى تفاضل فى الظاهر، إلاّ أنه ليس مما يوجب نقصا فى المفضل عليه صورة كما لا يخفى، فما دلّ من الأحاديث

على تفضيل بعضهم على بعض فى الصورة يكون هكذا، و هذا ليس نقصا للمفضّل عليه واقعا كما لا يخفى، و لما ذكرنا شواهد كثيرة فى الشرع و الأحاديث، و فى العرف كما لا يخفى على المتتبع. و أما الثانى: (أعنى عالم الواقع و الأنوار المظهرية لجماله و جلاله) فنقول:

ففى البحار (1)عن كتاب المختصر، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «إن الله تعالى خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فهى أرواحنا، فقيل له: يا بن رسول الله عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نورا؟ فقال: محمد و على و فاطمة و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين و تاسعهم قائمهم، ثم عدهم بأسمائهم ثم قال: نحن و الله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله» الحديث بطوله.

و فيه عن كتاب المقتضب مسندا عن سلمان الفارسى (رحمة الله تعالى عليه) قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه و آله فلما نظر إلىّ قال: «يا سلمان إن الله عز و جل لم يبعث نبيا و لا رسولا إلاّ جعل له اثنى عشر نقيبا، قال: قلت: يا رسول الله عرفت هذا من الكتابين؟ قال: يا سلمان فهل علمت نقبائى الاثنى عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدى؟ فقلت: الله و رسوله أعلم، قال: يا سلمان خلقنى الله من صفاء نوره، فدعانى فأطعته، و خلق من نورى عليا فدعاه إلى طاعته فأطاعه، و خلق من نورى و نور على عليه السّلام فاطمة فدعاها فأطاعته، و خلق منى و من على و من فاطمة الحسن و الحسين فدعاهما فأطاعاه. فسمانا الله عز و جل بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود و أنا محمد، و الله العلى و هذا على، و الله فاطر و هذه فاطمة، و الله الإحسان و هذا الحسن، و الله المحسن و هذا الحسين، ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق الله سماء مبنية، أو أرضا مدحية، أو هواء أو ماء أو ملكا أو بشرا، و كنّا بعلمه أنوارا

1- 1) البحار ج 25 ص 4.

نسبحه و نسمع له و نطيع» الحديث بطوله. أقول: و مثله أحاديث كثيرة، و قد تقدم بعضها أيضا. و كيف كان فالمستفاد منها أن نورهم و علومهم سواء بالنسبة إلى علم الدين و الحلال و الحرام، و أما من حيث الذات، فربما يقال: إن المستفاد

من حديث بصائر الدرجات كما فى البحار (1)بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام أو عمّن رواه، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلنا: الأئمة بعضهم أعلم من بعض؟ قال: «نعم، و علمهم بالحلال و الحرام و تفسير القرآن واحد» .

و فيه، عنه، عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام «يا أبا محمد كلّنا نجرى فى الطاعة و الأمر مجرى واحدا و بعضنا أعلم من بعض» .

و فيه، عنه، عن بعض رجاله، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «ليس شىء يخرج من عند الله إلاّ بدأ برسول الله، ثم أمير المؤمنين، ثم بمن بعده، ليكون علم آخرهم من عند أولهم، و لا يكون آخرهم أعلم من أولهم» .

و فيه، عنه، عن أبى الصباح مولى آل سام قال: كنّا عند أبى عبد الله عليه السّلام أنا و أبو المغرى إذ دخل علينا رجل من أهل السواد فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته، قال له أبو عبد الله عليه السّلام: «عليك السّلام و رحمة الله و بركاته، ثم اجتذبه و أجلسه إلى جنبه، فقلت لأبى المغرى، أو قال لى أبو المغرى: إن هذا الاسم ما كنت أرى أحدا يسلم به إلاّ على أمير المؤمنين على (صلوات الله عليه) فقال لى أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا الصباح أنه لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن لآخرنا ما لأولنا» .

و فيه، عنه، عن مالك بن عطية، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: الأئمة يتفاضلون قال: «أما فى الحلال و الحرام فعلمهم فيه سواء، و هم يتفاضلون فيما سوى ذلك» .

1- 1) البحار ج 25 ص 358.

فالمستفاد من هـذه الأحاديث أنهم علیهم السّلام فی العلم الظاهر واحـد، و أما من حیث الواقع و الذات فهم متفاوتون، فحینئذ نقول: لا ریب فی أنهم علیهم السّلام فی العلم بالأحکـام و الحلال و الحرام، و ما یحتاجون إلیه الناس واحـد، کما أنه لا ریب فی أنهم فی وجوب طاعتهم أیضا واحد، هذا و لکن هل لهم تفاضل فیما سوی ذلک مما یختص کل واحد منهم به؟ فربما یقال: نعم، نظرا إلی

قوله علیه السّلام فیما تقدم، قلنا: الأئمة بعضهم أعلم من بعض؟ فقال: نعم، و علمهم بالحلال و الحرام و تفسیر القرآن واحد، فإن قوله علیه السّلام: نعم، یدل علی أعلمیة بعضـهم علیهم السّلام من بعض بعد تسویتهم فی علم الحلال و الحرام و تفسیر القرآن، فحینئذ نقول: ربما یقال: معنی أعلمیة بعضـهم من بعض هو أن حقیقة الأئمة علیهم السّلام هو التجلی الإلهی فی سرّه، بل الإمام علیه السّلام لیس إلاّ ذلک التجلی، و کنه هذا التجلی هو ما ظهر هو تعالی للإمام علیه السّلام فهو إمام به و حقیقته، التی هی آیة ربه الکبری، هو ذلک التجلی الإلهی، و لا ریب فی أن هـذا التجلی کان أولا فی عالم السرمد و الغیب الخارج عن الزمان و المکان لمحمـد صلّی الله علیه و آله قبل أن یکون لعلی علیه السّلام، و کان أیضا ظهور هذا التجلی لعلی علیه السّلام قبل الحسن علیه السّلام و له علیه السّلام قبل الحسین علیه السّلام و للحسین علیه السّلام قبل القائم (عج) و له (عج) قبل الثمانیة علیهم السّلام و لهم علیهم السّلام قبل فاطمة علیهم السّلام. هذا بحسب بعض الأحادیث و إن کان یظهر من بعضـها أنه کان التجلی لمحمـد صلّی الله علیه و آله و علی علیه السّلام فی مرتبـة واحدة، ثم لفاطمة علیها السّلام ثم للحسن و الحسین علیهما السّلام ثم لسائر الأئمـة علیهم السّلام، و قد تقدمت بعض الأحادیث الدالة علی ترتیب هذا الخلق و التجلی فیهم علیهم السّلام، ثم إن التجلی فیهم علیهم السّلام کیف ما کان یختلف کیفا، و لعله بلحاظ اختلافه کیفا قالوا: بعضنا أعلم، أی أعرف، أی أشدّ تجلیا من بعض و الله العالم بهم. و إنی أستغفر الله تعالی من هذا البیان، و إنما قلته بحسب الظاهر، و إلاّ فإنّا آمنّا بالله، و بما أنزله علی نبیه صلّی الله علیه و آله و علیهم علیه السّلام و آمنا بنبیه صلّی الله علیه و آله و بهم علیهم السّلام لا نفرق بین

أحد منهم و نحن له مسلمون و بما منحهم الله تعالی و رتبهم فیه مقرون مذعنون، و الحمد لله رب العالمین.

[44]قوله علیه السّلام: خلقکم الله أنوارا، فجعلکم بعرشه محدقین.

اشارة

أقول: شرح هذه الجملة من المشکلات، و محل اختلاف الأنظار، و نحن نذکر مما فضل الله تعالی علینا من فهمنا فنقول: یقع الکلام فی جهات ثلاث:

الأولی: فی معنی إنه تعالی خلقهم أنوارا.

الثانیة: فی معنی العرش. الثالثة: فی معنی کونهم علیهم السّلام محدقین بالعرش أما الأولی فنقول: المستفاد من الأخبار الکثیرة أن للنبی صلّی الله علیه و آله و الأئمة علیهم السّلام بل و لغیرهم من سایر الناس نحوین من الخلقة، أحدهما الخلقة الروحیة و النوریة، و ثانیهما الخلقة المادیة و الصوریة و الجسمیة. [@@]

فقوله علیه السّلام:

«خلقکم الله أنوارا»

، یشیر إلی الخلق الأول، و

قوله علیه السّلام:

«حتی منّ علینا فجعلکم فی بیوت أذن الله. . . إلخ»

، یشیر إلی القسم الثانی من الخلق، و هذان مما دلّ کثیر من الأخبار علیهما، و أما الثانی فظاهر معناه من الأخبار، و ستعلم بعضها فیما یأتی، و أما الأول (أعنی ما دلّ علی خلقهم علیهم السّلام النوری) فاختلف فی معناه، و نحن نذکر بعض الأحادیث فی الباب، ثم نعقبه بما یستتبع من الکلام، فنقول و علیه التکلان.

ففی البحار (1)، روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «کان الله و لا شیء معه، فأول ما خلق نور حبیبه محمد صلّی الله علیه و آله قبل خلق الماء و العرش و الکرسی، و السموات و الأرض، و اللوح و القلم، و الجنة و النار، و الملائکة، و آدم و حواء بأربعة و عشرین

1- 1) البحار ج 15 ص 27.

و أربعمائـة ألف عام، فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد صـلّى الله عليه و آله بقى ألف عام بين يدى الله عز و جل واقفا يسـبح و يحمده، و الحـق تبـارک و تعـالى ينظر إليه و يقول: يـا عبـدى أنت المراد و المريـد، و أنت خيرتى من خلقى، و عزتى و جلالى لولاک مـا خلقت، الأفلاک، من أحبّک أحببته، و من أبغضک أبغضـته، فتلألأ نوره، و ارتفع شـعاعه، فخلق منه اثنى عشـر حجابا» الحـديث. أقول: و لعلّ هذا الحديث هو المروى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى معانى الأخبار، و قد ذكره فى البحار، فى هذا المجلد فى الصـفحة الرابعة باختلاف يسير، فراجع.

و فيه البحار (1)، عن بصائر الـدرجات بإسـناده عن على بن معمّر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله تبارک و تعالى: هٰذٰا نَذِيرٌ مِنَ اَلنُّذُرِ اَلْأُولىٰ (2)قال: «يعنى به محمدا صلّى الله عليه و آله حيث دعاهم إلى الإقرار بالله فى الذّر الأول» . أقول:

قوله عليه السّلام: «فى الذر الأول» ، سيجىء معناه قريبا إن شاء الله.

و فيه (3)عن تفسير الفرات بإسـناده عن قبيصة بن يزيد الجعفى قال: دخلت على الصادق عليه السّلام و عنده ابن ظبيان و القاسم الصيرفى فسـلّمت و جلست و قلت: يا بن رسول الله أين كنتم قبل أن يخلق الله سـماء مبنيّـة، و أرضا مدحية، أو ظلمة، أو نورا؟ قال: «كنا أشـباح نور حول العرش، نسـبح الله قبل أن يخلق آدم عليه السّلام بخمسة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم عليه السّلام فرغنا فى صلبه، فلم يزل ينقلنا من صـلب طاهر إلى رحم مطهّر حتى بعث الله محمدا صـلّى الله عليه و آله» ، الخبر. أقول: قوله: أين كنتم، يسـتفاد منه أنهم كانوا مخلوقين قبل خلق السماء و الأرض و غيرهما، و كان هذا أمرا مسلما عند الشيعة، و إنما سؤاله عنه عليه السّلام من حيث إنهم أين كانوا،

فقوله عليه السّلام: «كنا أشباح نور حول العرش» ، يشير إلى الخلق

ص: 254

1- 1) البحار ج 15 ص 3.
2- 2) النجم:56.
3- 3) البحار ج 15 ص 7.

الأول،

و قوله: «فلما خلق آدم عليه السّلام فرغنا فى صلبه» ، يشير إلى الخلق الثانى.

و فيه، عنه بإسناده، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «خلقنى نورا تحت العرش قبل أن يخلق آدم عليه السّلام باثنى عشر ألف سنة، فلما أن خلق الله آدم عليه السّلام فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلى صلب، حتى افترقنا فى صلب عبد الله بن عبد المطلب و أبى طالب، فخلقنى ربّى من ذلك النور، لكنه لا نبى بعدى» .

و فيه، عنه، عن أبى ذر الغفارى، عن النبى صلّى الله عليه و آله فى خبر طويل فى وصف المعراج ساقه. . . إلى أن قال: قلت: «يا ملائكة ربى هل تعرفونا حق معرفتنا؟ فقالوا: يا نبى الله و كيف لا نعرفكم و أنتم أول ما خلق الله خلقكم أشباح نور من نوره فى نور من سناء عزّه، و من سناء ملكه، و من نور وجهه الكريم، و جعل لكم مقاعد فى ملكوت سلطانه و عرشه على الماء، قبل أن تكون السماء مبنيّة، و الأرض مدحية، ثم خلق السموات و الأرض فى ستة أيام، ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه، و أنتم أمام عرشه تسبحون و تقدسون و تكبرون؟ ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتّى، و كنا نمرّ بكم و أنتم تسبحون و تحمدون، و تهللون و تكبرون، و تمجدون و تقدسون، فنسبّح و نقدّس، و نمجّد و نكبّر، و نهلل بتسبيحكم و تحميدكم، و تهليلكم و تكبيركم، و تقديسكم و تمجيدكم، فما أنزل من الله فإليكم، و ما صعد إلى الله فمن عندكم فلم لا نعرفكم، اقرأ عليا منّا السّلام» .

فقوله: «و أنتم أول ما خلق الله» ، يشير إلى الخلق الأول يوضحه

قولهم : «قبل أن تكون السماء مبنية. . . إلخ» ،

و قولهم: «و أنتم أمام عرشه تسبحون. . . إلخ» ، يدلّ على أنهم عليهم السّلام كانوا أنوارا ذاكرين لله تعالى بالتسبيح و التحميد و التهليل و غيرهما، لا أنهم كانوا أشباح صور بلا شعور و درك، كما ذهب الصدوق و السيد المرتضى (رحمة الله عليهما) و سيجىء بيان رد قولهما و أنه مخالف لما ثبت بتواتر الأخبار و ضرورة الدين،

و قولهم: «ثم خلق الملائكة» ، يشير إلى سبق خلقهم خلقها، كما دلت عليه

أخبار أخر، و سيجىء بعضها، بل الأحاديث دلت على أن خلقها من خلقهم عليهم السّلام كما سنشير إليه.

و قولهم: فما نزل من الله فإليكم، و ما صعد إلى الله فمن عندكم، يستفاد من كمال قربهم عليهم السّلام منه تعالى، بحيث لا أقرب منهم إليهم تعالى، كما دلّت عليه أحاديث كثيرة، و ساعده الوجدان العرفانى كما حقق فى محله و حاصله: أن ما نزل من ذاته المقدسة، فأول ما يتلقاه هو أنفسكم الشريفة لقربها إليه تعالى، و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى الزيارة:

«إرادة الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم» الزيارة.

و قولهم: «و ما صعد إلى الله فمن عندكم» ، ما صعد من الخلق من حقيقة العبودية، و الحمد و الثناء و الدعاء من الخلق، فيمر بكم و أنتم تتلقونه ثم منكم يصعد إليه تعالى، إذ لا طريق إليه تعالى إلاّ منكم، لأنكم أقرب الخلق إليه تعالى، و هو تعالى قد احتجب بكم،

كما فى الحديث: «احتجب ربنا بنا» . و كيف كان فحيث إن أنوارهم و خلقهم النورانى، قد أمكنها الله فى مقام بين الوجوب و الإمكان، و بين الحق و الخلق، فلا محالة لا ينزل من الخلق إلاّ إليهم، و ما يصعد إليه إلاّ منهم و من عندهم، و هذا المقام هو المشار إليه

بقولهم: «و جعل لكم مقاعد فى ملكوت سلطانه» فتدبر تعرف إن شاء الله.

و فيه، عن منتخب البصائر بإسناده عن سلمان الفارسى (رضوان الله عليه) فى حديث طويل قال: قال النبى صلّى الله عليه و آله: «يا سلمان، فهل علمت من نقبائى و من الاثنى عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدى؟ فقلت: الله و رسوله أعلم، قال: يا سلمان خلقنى الله من صفوة نوره و دعانى فأطعت، و خلق من نورى عليا فدعاه فأطاعه، و خلق من نورى و نور على فاطمة فدعاها فأطاعته، و خلق منى و من على و فاطمة الحسن و الحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائه. الله المحمود و أنا محمد، و الله العلى و هذا على، و الله الفاطر و هذه فاطمة، و الله ذو الإحسان و هذا الحسن، و الله المحسن و هذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين

تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق اللّه سماء مبنية، و أرضا مدحية، أو هواء أو ملكا أو بشرا، و كنا بعلمه نورا نسبحه و نسمع و نطيع» الخبر. أقول:

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «قبل أن يخلق اللّه» ، ظرف

لقوله: «يا سلمان خلقنى اللّه من صفوة نوره» ، فدل على تقدم خلق أرواحهم على خلق السماء و الأرض و المذكورات بعدهما،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فأطعت» ،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله «فأطاعه» ، و هكذا ما ذكره صلّى اللّه عليه و آله من إطاعتهم عليهم السّلام يدل على أنهم عليهم السّلام كانوا مطيعين له حين كونهم أنوارا، و أصرح منها

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و كنا بعلمه نورا نسبحه و نسمع و نطيع» ، فإن التسبيح و السمع و الإطاعة لا تكون إلاّ من العاقل الشاعر، لا من الصورة و الشبح، و خلق التقدير و التصوير، كما ذهب إليه بعض من لا خبرة له بالمعارف الإلهية. فإن قلت:

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و كنا بعلمه» ، ظاهر فى الوجود العلمى، لا المخلوق الخارجى، و لو فى ظرف الأظلة، و عالم المشية المعبر عنه بالفيض الأقدس. قلت: لا بد من صرف النظر عن الظهور البدوى، فإن

قوله عليه السّلام: «كنّا» ، يراد منه كان التامة المشار به إلى الوجود فى مرتبة الواحدية و عالم المشية، و هو الكون المجرد عن الصورة و المادة، بل هو صرف الوجود بمفاد كان التامة المعبر عنه بالفيض الأقدس.

فقوله: «بعلمه» ، لا يراد منه فى علمه، أى إنه تعالى عالم بأنه يخلق هذا النور هكذا، بل الباء سببية، أى كنا موجودين بسبب علمه، نظير ما تقدم من

قوله عليه السّلام فى الزيارة:

«و اختاركم بعلمه»

، أى اختاركم بالعلم بأن أعمل فيكم علمه، بحيث جعلكم محلا لأسمائه الحسنى، لا أنه خلقكم مجملة مهملة من غير علم و رويّة على أن

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «نسبح و نسمع و نطيع» ، ظاهر فيما قلنا من أنهم عليهم السّلام كانوا عاقلين شاعرين مكلفين، فهو قرينة على صرف الظهور المذكور المدعى إلى ما ذكرناه، كما لا يخفى.

و فيه، عن كنز جامع الفوائد بإسناده، عن الثمالى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال

أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن الله تبارک و تعالى أحد واحد توحّد فى وحدانيته، ثم تكلّم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلک النور محمدا صلّى الله عليه و آله و خلقنى و ذريتى، ثم تكلّم بكلمة فصارت روحا، فأسكنه الله فى ذلک النور و أسكنه فى أبداننا، فنحن روح الله و كلماته، و بنا احتجب عن خلقه، فما زلنا فى ظلة خضراء حيث لا شمس و لا قمر، و لا ليل و لا نهار، و لا عين تطرف، نعبده و نقدسه و نسبحه قبل أن يخلق الخلق» ، الخبر. أقول:

قوله عليه السّلام: «ثم تكلم بكلمة فصارت نورا» ، هذا النور هو الحقيقة المحمدية و العلوية،

قوله: «ثم تكلم» ، إلى قوله: «فأسكنه الله فى ذلک النور» ، هذا الروح هو القوة الفعالية العقلية التى بها تتحقق الفعل و الانفعال من ذلک النور، فالنور حقيقة محضة للأشياء المعبر عنها بعالم المشية و الفيض الأقدس، و الروح هو الحيوة، التى بها الفعل و الانفعال، و هو المعبر عنه بالعقل الفعّال، ثم إنه لما كان هذا الخلق قبل خلق الزمان و منشئه فلا محالة لا يكون المراد من قوله عليه السّلام: «ثم» ، التراخى الزمانى بل الرتبى، فعليه فلا منافاة أن يكون أول الخلق نوره صلّى الله عليه و آله أو روحه كما صرح بهما فى الأحاديث الأخر، فكلاهما فى رتبة تكون أولا بالنسبة إلى ساير الخلق و مراتبه كما لا يخفى.

قوله: «و بنا احتجب عن خلقه» ، إشارة إلى قربهم بالنسبة إليه تعالى، بحيث لا حجاب أقرب منهم إليه تعالى، و كثيرا أطلق الحجب عليهم،

ففى الزيارة:

«و على أوصيائه الحجب»

،

و فى الحديث فى شأن النبى صلّى الله عليه و آله: «هو الحجاب الأكبر» ، و التعبير عنهم بالحجب، إنما هو بالنسبة إلى غيرهم، و معنى كونهم حجابا له تعالى هو أنهم عليهم السّلام بحقيقتهم النورية فى مرحلة قابلة للاتصال به تعالى و الأخذ منه الخير ثم الإفاضة إلى الخلق، و سيجىء

قوله عليه السّلام: «يفصل نورنا عن نور ربنا، كما يفصل نور الشمس عنها» ، و هذا معنى اتصالهم روحا به تعالى، فالله تعالى لا يعرفه حق المعرفة إلاّ هم، لقربهم دون غيرهم، فهم عليهم السّلام حجاب له تعالى عن الخلق، و لذا لا سبيل إلى معرفته إلاّ بهم عليهم السّلام كما تقدم، و ذلک لأنهم الحجب له تعالى لا غيرهم فتأمل تعرف،

و قوله عليه السّلام: «فما زلنا. . . إلخ» ، إشارة إلى تقدم هذا الخلق لهم عليهم السّلام بالنسبة إلى غيرهم، كما يشير إليه أيضا

قوله عليه السّلام: «قبل خلق الخلق» .

و فيه، عن كنز جامع الفوائد، عن محمد بن الحسن الطوسى رحمه الله فى كتابه مصباح الأنوار بإسناده، عن أنس، عن النبى صلّى الله عليه و آله قال: «إن الله خلقنى و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين قبل أن يخلق آدم عليه السّلام حين لا سماء مبنية، و لا أرض مدحية، و لا ظلمة و لا نور، و لا شمس و لا قمر، و لا جنة و لا نار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نورا، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا، ثم مزج النور بالروح فخلقنى و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، و نقدسه حين لا تقديس. فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نورى فخلق منه العرش، و العرش من نورى، و نورى من نور الله، و نورى أفضل من العرش، ثم فتق نور أخى على فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور على، و نور على من نور الله، و على أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتى فخلق منه السموات و الأرض، فالسموات و الأرض من نور ابنتى فاطمة، و نور ابنتى فاطمة من نور الله، و ابنتى فاطمة أفضل من السموات و الأرض، ثم فتق نور ولدى الحسن فخلق منه الشمس القمر، فالشمس و القمر من نور ولدى الحسن، و نور الحسن من نور الله، و الحسن أفضل من الشمس و القمر، ثم فتق نور ولدى الحسين فخلق منه الجنة و الحور العين فالجنة و الحور العين من نور ولدى الحسين و نور ولدى الحسين من نور الله و ولدى الحسين أفضل من الجنة و الحور العين» ، الخبر. أقول:

قوله صلّى الله عليه و آله: «إن الله خلقنى و خلق عليا» ، إشارة إلى الخلق الأول،

و قوله صلّى الله عليه و آله: «لما أراد الله أن يخلقنا» ، إشارة إلى كيفية هذا الخلق الأول لهم عليهم السّلام،

و قوله صلّى الله عليه و آله: «فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه» ، إشارة إلى كيفية خلقه تعالى سائر خلقه من المذكورين فى الحديث، فمن جملتها يستفاد أن نورهم عليهم السّلام منشأ

لخلق تلک الأمور المذکورة، فیستلزم تقدم خلقهم النوری علیها کما لا یخفی، ثم إن کون نورهم علیهم السّلام منشأ لخلق تلک الأمور، إنما یصحّ إذا کان نورهم شیئا مثبتا حقیقیا موجودا، قابلا لأن یخلق منه تلک الأمور، فلو کان نورهم صرف الشبح أو صورة محضة أو صورا علمیة محضة کما زعمه بعض من لا معرفة له بالأئمة علیهم السّلام لما صح انتشاء تلک الأمور من تلک الأنوار المقدسة کما لا یخفی.

و أما قوله صلّی اللّه علیه و آله: «فتق نوری فخلق منه العرش» ، فالمراد من العرش (و اللّه العالم) هو جمیع ما سوی اللّه تعالی فإنه کما سیجیء قریبا أن العرش یطلق علی أمور، منها جمیع ما سوی اللّه تعالی کما یستفاد من تفسیر قوله تعالی: اَلرَّحْمٰنُ عَلَی اَلْعَرْشِ اِسْتَویٰ (1)بقوله علیه السّلام کما سیجیء أی استوی علی ما دقّ و جلّ و إن قربه بالنسبة إلی الأشیاء سواء، و سیجیء متن حدیثه،

فقوله: «فخلق منه العرش» ، أی جمیع ما سوی اللّه، ضرورة أن نوره کما تقدمت الإشارة إلیه هو عالم المشیة و الفیض الأقدس، الذی فیه حقیقة جمیع الأشیاء بلا صورة و لا مادة، و حینئذ فمعنی خلق العرش منه هو انتشاؤه منه تفصیلا فی لباس الصورة و المادة، کل بحسب ما تقتضیه الحکمة الإلهیة و المشیة الأزلیة.

و فیه، عن معانی الأخبار بإسناده، عن أبی ذر (رحمة اللّه علیه) قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «خلقت أنا و علی بن أبی طالب من نور واحد نسبح اللّه یمنة العرش قبل أن خلق آدم بألفی عام، فلما أن خلق آدم علیه السّلام جعل ذلک النور فی صلبه» ، الحدیث. أقول: قد ظهر لک مما تقدم دلالة هذا الحدیث علی ما ذکرنا.

و فیه، عنه، عن الصادق علیه السّلام قال: «إن محمدا صلّی اللّه علیه و آله و علیا علیه السّلام کانا نورا بین یدی اللّه جلّ جلاله، قبل خلق الخلق بألفی عام، و إن الملائکة لما رأت ذلک النور رأت له

1- 1) طه:5.

أصـلا، و قد انشعب منه شعاع لا مع، فقالت: إلا هنا و سيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله عز و جل إليهم: هذا نور من نورى أصله نبوّة، و فرعه إمامة، فأما النبوة فلمحمد عبدى و رسولى، و أما الإمامة فلعلى حجتى و ولى، و لولاهما ما خلقت خلقى» ، الخبر. أقول:

قوله عليه السّلام: «و إن الملائكة لما رأت» ، أى بعد أن خلقها الله تعالى،

قوله عليه السّـ لام: «رأت له أصـلا، و قـد انشـعب منه شـعاع لاـمع» . أقول: أى رأت الملائكـة أن ذلـک النور كأنه حامل لحقائق الأمور، و مشـتمل على حقائق الأشـياء بنحو الأصـليه، أى بـدون صورة و مادة، بل بنحو الحقيقـة المحضة، و هذا ظاهر فى أن هذا النور و هو نورهم عليهم السّـ لام شىء مخلوق فى عالمه، و كان أصلا مثبتا موجودا لا صورة و شبحا و تقديرا فإن المرئى صورة لا يكون له أصالة و حقيقة كما لا يخفى. نعم إذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه فهم ذلک النور كما أعطاه للملائكة.

و فيه، عن علل الشـرايع بإسـناده، عن المفضل قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام «يا مفضل أ ما علمت أن الله تبارک و تعالى بعث رسول الله صـلّى الله عليه و آله و هو روح إلى الأنبياء عليهم السّلام و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟ قلت: بلى، قال: أ ما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله و طاعته و اتباع أمره، و وعدهم الجنة على ذلک، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النار؟ فقلت: بلى» ، الخبر. أقول:

قوله عليه السّـ لام: «أ ما علمت» ، يشـعر بأن بعثة النبى صـلّى الله عليه و آله و هو روح المستلزم لتقدم خلقه على عالم الأجسام و الأجساد كان أمرا مسـلما معلوما، و كيف لا يكون كـذلک و قـد تواترت الأحاديث بـذلک عنهم عليهم السّـ لام كما علمت؟ و يسـتفاد منه أيضا أنه تعالى قـد بعث محمـدا صـلّى الله عليه و آله و هو روح على الأنبياء و هم أرواح فدعاهم إلى آخر ما ذكر، فهذا ينادى بالصـراحة على تقدم خلق روحه صـلّى الله عليه و آله و أرواحهم عليهم السّـ لام بالملازمة المعلومة من سائر الأحاديث على خلق أرواح السائرين، و على خلق الأبدان

و الأجساد. ثم أنه كيف يمكن بعثة النبى صلّى الله عليه و آله عليهم عليهم السّلام فى عالم الأرواح و دعاهم إلى التوحيد مع أنه صلّى الله عليه و آله يكون شبحا و صورة محضة و هل هذا إلاّ جهالة بحقيقة ما خلقهم الله تعالى؟ ثم أنه لا يمكن عقلا حمل هذا الحديث على تحقق هذه الدعوة بعد خلق الثانى و خلق الأبدان، و ذلک لأن النبى صلّى الله عليه و آله صار موجودا فى الأبدان بعد انقضاء الأنبياء و موتهم، فكيف يمكن دعوته صلّى الله عليه و آله لهم إلى التوحيد بعد الخلق المادى؟ فلا محالة يدل بالعقل و الصراحة على تقدم خلقه صلّى الله عليه و آله لخلق الأول النورى على خلق الأبدان كما لا يخفى، و لعمرى هذا دليل قاطع على ردّ من أنكر تقدم خلق أنوارهم عليهم السّلام.

و فيه، عن أمالى الشيخ بإسناده، عن أبى خالد الكابلى، عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ألا إنى عبد الله و أخو رسوله و صديقه الأول قد صدّقته و آدم بين الروح و الجسد، ثم إنى صديقه الأول فى أمتكم حقّا، فنحن الأولون و نحن الآخرون» .

و فيه عن تفسير القمى بإسناده، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «أوّل من سبق من الرسل إلى (بلى) رسول الله صلّى الله عليه و آله و ذلک أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارک و تعالى» ، الخبر. أقول: صراحة هذا الخبر على ما ذكرناه أوضح من الشمس.

و فيه، عن علل الشرايع بإسناده، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن بعض قريش قال لرسول الله صلّى الله عليه و آله: بأى شىء سبقت الأنبياء و فضّلت عليهم، و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم؟ قال: إنى كنت أول من أقرّ بربى جلّ جلاله، و أول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين على أنفسهم: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ (1)، فكنت أول نبى قال بلى، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عز و جل» .

1- 1) الأعراف:172.

أقول:

قوله صلّى الله علیه و آله: «فكنت أول نبی قال بلی» ، لا یستقیم معناه، إلاّ بالتقدم المذكور، و إلاّ فلا ریب فی أنه صلّى الله علیه و آله كان آخرهم موجودا خارجیا، و قد سبق الأنبیاء بما لهم من الإقرار قبله، و القول بأنه بلحاظ عالم الذر الصلبی، و أن المعنى أن فیه صلّى الله علیه و آله قابلیة الإقرار أزید من غیره و أمثاله شطط من الكلام.

و فیه، عن العلل بإسناده، عن داود الرقی، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «لما أراد الله عز و جل أن یخلق الخلق خلقهم و نشرهم بین یدیه، ثم قال لهم: من ربّكم؟ فأول من نطق رسول الله صلّى الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمة (صلوات الله علیهم أجمعین) فقالوا: أنت ربّنا، فحملهم العلم و الدین، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة دینی و علمی و أمنائی فی خلقی، و هم المسئولون، ثم قال لبنی آدم: أقرّوا الله بالربوبیة و لهؤلاء النفر بالطاعة و الولایة، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا تقولوا غدا: إِنّٰا كُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ (1)، أو یقولوا: إِنَّمٰا أَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ كُنّٰا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ اَلْمُبْطِلُونَ ، یا داود الأنبیاء مؤكدة علیهم فی المیثاق» . أقول: إن الخلق بمعنى الإیجاد أو بمعنى التقدیر یطلق على موارد فأولا بالقرائن، لا بد من أن یعلم أن المراد منه خلق الإیجاد، كما فی هذه الأحادیث بقرینة ترتیب آثار الإیجاد و الوجود علیه من الإقرار و الطاعة و الدعوة و تحمیل العلم، فإنها قرینة على أن المراد من الخلق فیها هو الإیجاد لا التقدیر، ثم إن خلق الإیجاد حیث كان ذا مراتب، فالأحادیث قد وردت لبیانه فی مراتبه المختلفة المتعاقبة، فهذا الحدیث الشریف یراد من الخلق فیه

فی قوله علیه السّلام: «لما أراد الله عز و جل أن یخلق الخلق» ، هو خلق الأرواح أعم من أرواحهم و من أرواح الملائكة و الآدمیین. و لا ریب فی أن هذا الخلق و إن كان خلق الأرواح و هی قبل الأبدان، إلاّ أنه

ص: 263

1- 1) الأعراف:172.

يراد منه الخلق بلحاظ خلق الملائكة و الأرواح الأخرى، و قد علمت أن خلق أرواحهم متأخرة عن خلق أرواحهم و أنوارهم عليهم السّلام و سيجىء فى بيان الوجه لاختلاف السنة الأحاديث فى بيان قبلية خلق الأرواح تارة بألفين و أخرى بأربعة عشر ألفا، و ثالثة بغيرها مما تقدم من الاختلاف أنّه محمول على اختلاف تقدم خلق الأرواح و تأخرها بالنسبة إليهم عليهم السّلام و بالنسبة إلى غيرهم من الملائكة و الآدميين، فتدبّر تعرف

قوله عليه السّلام: «فأول من نطق رسول الله صلّى الله عليه و آله» إلى قوله: «فقالوا: أنت ربنا» ، ظاهر فيما قلنا من أن المراد من الخلق الأول النورى الذين كانوا موجودين فى عالم المشية و الفيض الأقدس. و لذا

قال عليه السّلام: «فحملهم العلم و الدين» ، فإن هذا قرينة قاطعة على أن المراد منه الخلق الحقيقى لا الصورى و الأشباحى كما ذهب إليه بعض، ضرورة أنه لا معنى لتحميل العلم و الدين الصورة و الشبح على أن

قوله تعالى للملائكة: «هؤلاء حملة دينى» ، إلى قوله: «و هم المسئولون» ، لا يصح حسن تعبيره إلاّ إذا كان بنحو الوجود الحقيقى، و لا معنى لارتكاب المجاز باعتبار ما يؤول و فيما يأتى، فإنه مضافا إلى أنه ينافى

قوله: «حملهم العلم و الدين» ، كما علمت خلاف الظاهر من

قوله صلّى الله عليه و آله: «أنت ربنا» ، كما لا يخفى. و يدل على ما قلنا صريحا

قوله عليه السّلام: «يا داود الأنبياء مؤكدة عليهم فى الميثاق» فإن قوله عليه السّلام: «فى الميثاق» ، إشارة إلى عالم الأرواح و ظرف لقوله: «مؤكدة عليهم» فهو ظرف لغو و لا معنى للتأكيد بالنسبة إلى الصور و الأشباح فى الميثاق كما لا يخفى. و لعمرى إن ارتكاب المجاز فى جميع هذه الأحاديث و صرفها عن ظاهرها جرأة على الله تعالى، أعاذنا الله تعالى منه.

و فيه (1)، عن الكافى بإسناده، عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبى جعفر الثانى عليه السّلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «يا محمد إن الله تبارك و تعالى لم يزل

1- 1) البحار ج 15 ص 19.

متفردا بوحـدانيته، ثم خلق محمـدا و عليا و فاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشـياء، فأشـهدهم خلقها، و أجرى طاعتهم عليها، و فوض أمورها إليهم، فهم يحللون ما يشاءون و يحرمون ما يشاءون و لن يشاءوا إلاّ أن يشاء الله تبارک و تعالى، ثم قال: يا محمـد هذه الديانة التى من تقـدمها مرق، و من تخلف عنها محق، و من لزمها لحق، خـذها إليک يا محمـد» . أقول: دلالـة هـذا الحـديث على المـدعى من جهات، و عمدتها

قوله عليه السّلام: «فأشهدهم خلقها» ، إذ من المعلوم أن إشهاده تعالى خلقه إياهم لا معنى له، إلاّ إذا كانوا عليهم السّلام موجودين عاقلين شاعرين فى صقع عبّر عنه بألف دهر، و لعلک تقدر على الاستشهاد بساير جمل الحديث بنحو تقدم فى أمثاله فلا نعيد.

و فيه، عن كتاب فضائل الشـيعة، عن أبى سعيد الخدرى، و فى تفسير البرهان عن ابن بابويه بإسناده، عن أبى سعيد الخدرى، و اللفظ للثانى: قال: كنّا جلوسا عند رسول الله صـلّى الله عليه و آله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز و جل لإبليس: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ (1)، من هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أنا و على و فاطمة و الحسن و الحسين، كنا فى سرادق العرش، نسبّح الله فسبّحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم عليه السّلام بألفى عام. فلما خلق الله عز و جل آدم عليه السّلام أمر الملائكة أن يسـجدوا له، و لم يؤمروا بالسـجود إلاّ لأجلنا، فسـجدت الملائكة كلهم أجمعون إلاّ إبليس أبى أن يسجد فقال الله تبارک و تعالى: يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ ، قال: من هؤلاء الخمسة المكتوب أسـماؤهم فى سـرادق العرش؟ فنحن باب الله الذى يؤتى منه، بنا يهتدى المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله و أسـكنه جنته، و من أبغضنا أبغضه الله و أسكنه ناره، و لا يحبنا إلاّ من طاب مولده» .

1- 1) ص:75.

أقول: المستفاد من هذا الحديث الشريف أن النبى و الأئمة و فاطمة الزهراء (عليه و عليهم السّلام) خلقهم فى قبال خلق آدم و الملائكة، فهم قسم ثالث للخلق آدم و الملائكة و العالين، فالتفصيل المستفاد من الآية المباركة قاطع للشركة فهم أى (العالين) منفصلون ذاتا خلقا عن آدم و الملائكة، فقوله تعالى: أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ (1)، يعنى أنك لم تسجد إمّا للاستكبار أو لكونك من العالين الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم. و من المعلوم أن جعل العالين قسيما للملائكة، و خارجا عنهم تخصّصا فى الأمر بالسجود، إنما يصح إذا كان العالون موجودين عاقلين شاعرين، و إلاّ فجعل الصورة و الشبح قسيما للملائكة، ثم توبيخ الشيطان فى ترك السجود، و بيان وجه العذر له فى تركه بأنه أ كان من العالين أى من الصور و الشبح مما لا يستقيم من عاقل، فضلا عن الرب الجليل العالم،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «كنا فى سرادق العرش» ، إلى قوله صلّى اللّه عليه و آله: «بألفى عام» ، صريح أيضا فى المدعى، ثم إن السرادق هو كل ما أحاط بشىء كما فى المجمع، فإضافة السرادق إلى العرش بيانية، فالعرش هو الذى محيط بكل شىء، فهو سرادق لكل شىء، فحينئذ معنى كنا فى سرادق العرش يعنى فى عالم هو محيط بجميع الأشياء، و كونهم فيها هو وجودهم فيها و إحاطتهم بها. و أما كيفية هذا الكون فسيجىء توضيحه فى الجهة الآتية فى بيان كيفية كونهم عليهم السّلام محدقين بالعرش، و حيث إن العرش موجود كما علمت فهو بمعنى عالم المشية، التى فيها حقائق الأشياء بدون صورة و مادة كما تقدم و يأتى، فلا محالة يراد من قوله عليه السّلام: «كنّا» ، أى وجدنا. و بعبارة أخرى: يراد من الكون فيه ما هو مفاد كان التامة، فحينئذ فما يلوح عن بعض من أنه فرق بين قولهم: كنا، أو خلقنا، فإن الثانى ظاهر فى الخلق

1- 1) ص:75.

الخارجی دون الأول، فإنه ظاهر فی الکون العلمی خصوصا إذا حمل العرش علی معنی العلم فمدفوع جدا، ضرورة أن العرش لا یراد منه العلم فی الحدیث، بل المراد عالم المشیة المطلقة المعبر عنه بالفیض الأقدس و هو مخلوق جدا، و أنه یستفاد من ترتیب آثار الموجود الخارجی علیهم علیهم السّلام إن المراد من قوله علیه السّلام: «کنّا» ، هو الوجود بمفاد کان التامة، لا الوجود العلمی کما لا یخفی.

و فیه، عن کمال الدین بإسناده، عن أبی حمزة قال: سمعت علی بن الحسین علیه السّلام یقول: «إن الله عز و جل خلق محمدا و علیا و الأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحا فی ضیاء نوره (من نور عظمته فأقامهم أشباحا فی ضیاء نوره خ ل) یعبدونه قبل خلق الخلق، یسبحون الله عز و جل، و یقدسونه و هم الأئمة الهادیة من آل محمد (صلوات الله علیهم أجمعین)» .

و فیه، عنه بإسناده، عن المفضّل قال: قال الصادق علیه السّلام: «إن الله تبارک و تعالی خلق أربعة عشر نورا قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهی أرواحنا، فقیل له: یا بن رسول الله و من الأربعة عشر؟ فقال: محمد و علی و فاطمة و الحسن و الحسین و الأئمة من ولد الحسین آخرهم القائم، الذی یقوم بعد غیبته فیقتل الدجال، و یطهر الأرض من کل جور و ظلم» .

و فیه، عن ریاض الجنان بإسناده إلی جابر الجعفی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «یا جابر کان الله و لا شیء غیره لا معلوم و لا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمدا صلّی الله علیه و آله و خلقنا أهل البیت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بین یدیه حیث لا سماء و لا أرض و لا مکان، و لا لیل و لا نهار و لا شمس و لا قمر» ، الخبر.

و فیه (1)و عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلّی الله علیه و آله: أول شیء خلق الله ما هو؟ فقال: «نور نبیّک یا جابر خلقه الله ثم خلق منه کل خیر» .

1- 1) البحار ج 15 ص 24.

و فيه، عن جابر أيضا قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أول ما خلق الله نورى، ابتدعه من نوره، و اشتقه من جلال عظمته» .

و فيه، عن الكافى، عن المفضّل قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: كيف كنتم حيث كنتم فى الأظلة؟ فقال: «يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا فى ظلة خضراء، نسبحه و نقدسه، و نهلله و نمجده و ما من ملك مقرب و لا ذى روح غيرنا حتى بدا له فى خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة و غيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا» . أقول: هذا الحديث ناصّ فى كونهم عليهم السّلام مخلوقين مسبّحين و مقدسين له تعالى مع العقل و الشعور قبل خلق الملائكة أو ذى روح، و دلّ على أنه تعالى أنهى (أى جعل و أعطى) علم كيفية الخلق بأصنافها و أحوالها إليهم عليهم السّلام.

و فيه، عنه، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان و المكان، و خلق نور الأنوار، الذى نوّرت منه الأنوار، و أجرى فيه من نور الذى نوّرت منه الأنوار، و هو النور الذى خلق منه محمدا و عليا، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شىء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين فى الأصلاب الطاهرة حتى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد الله و فى أبى طالب عليه السّلام» .

قوله عليه السّلام: «فلم يزالا نورين» ، إشارة إلى الخلق الأول، و لذا وصفهما بأولين و أوضحه، أى تقدم خلقهما على غيرهما

بقوله عليه السّلام: «إذ لا شىء كون قبلهما» ،

و قوله عليه السّلام: «فلم يزالا يجريان فى أطهر طاهرين. . . إلخ» ، إشارة إلى الخلق الثانى أى المثالى و الجسمانى كما لا يخفى.

و فيه، عنه عن جابر بن يزيد قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمدا و عترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدى الله قلت: و ما الأشباح؟ قال: ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح، و كان مؤيدا بروح واحد، و هى روح القدس، فبه كان يعبد الله و عترته، و لذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء

يعبدون الله بالصلوة و الصوم و السجود، و التسبيح و التهليل، و يصلون الصلوات و يحجّون و يصومون» . أقول:

قوله عليه السّلام: «أول ما خلق» ، إلى قوله: «و لذلک خلقهم حلماء» ، إشارة إلى الخلق الأول،

قوله عليه السّلام: «أشباح نور» ، الإضافة بيانية، أبدان نورانية بلا أرواح يدل على كون الإضافة بيانية، و المراد من

قوله: «بلا أرواح» ، أى بلا روح حيوانية لا مطلقا، و ذلک لما تقدم و تقرر فى محله أن لهم فى الدنيا أرواحا خمسة إحداها روح القدس، فالمنفى هنا هو الأرواح الحيوانية، و أما القدسية فلا، بل هى فيهم فى ذلک الصقع الربوبى، و لذا

قال عليه السّلام: «و كان مؤيدا بروح واحد و هى روح القدس» . فكل واحد منهم عليهم السّلام فى تلک الحالات كان ذا روح قدسية بها كان يعبد الله تعالى كما

قال عليه السّلام: «فبه كان يعبد الله» ، و تذكير الضمير إما بلحاظ ما ذكر، أو أن المؤنث المجاز بعد ما كان معلوم المراد لا ضير فى إرجاع ضمير المذكور إليه، إذ علامة التأنيث و التذكير معرفات، فإذا علم المراد فالمشى على خلاف القاعدة لا بأس به، مضافا إلى أنه قد اشتهر أن الأمر فى التذكير و التأنيث سهل فتدبر،

قوله عليه السّلام: «و لذلک خلقهم حلماء» ، إشارة إلى الخلق الثانى الجسمى، و قوله: «و لذلک: بيان لعلّة خلقهم فى الدنيا حلماء. . . إلخ» ، و الوجه فيه أنهم عليهم السّلام بعد ما كانوا عليهم السّلام فى الخلق الأول مؤيدين بروح القدس، و كانت هذه الروح حقيقتهم فى جميع عوالمهم اللاحقة بهم، فلا محالة كانوا فى الخلق الثانى حلماء. . . إلخ.

و فى تفسير البرهان (1)بإسناده عن داود بن كثير الرقى، قال: قلت لأبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السّلام: جعلت فداک أخبرنى عن قول الله عز و جل: وَ اَلسّابِقُونَ اَلسّابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ (2)قال: «نطق الله بهذا يوم ذرأ الخلق فى الميثاق، قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة، فقلت: فسّر لى ذلک فقال: إن الله عز و جل لما أراد أن

1- 1) تفسير البرهان ج 4 ص 275.
2- 2) الواقعة:10 و 11.

یخلق الخلق من طین، رفع لهم نـارا و قـال لهم: ادخلوهـا، فکان أول من دخلها محمـد و أمیر المؤمنین و الحسن و الحسـین و تسـعة من الأئمة إماما بعد إمام، ثم اتبعهم شیعتهم فهم و الله السابقون» .

و فی البحار (1)عن کمال الدین و عیون الأخبار و علل الشـرایع بإسنادهـم، عن الهروی، عن الرضا، عن آبائه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول الله صـلّی الله علیه و آله: «ما خلق الله عز و جل خلقا أفضل منّی و لا أکرم علیه منّی، قال علی علیه السّلام: فقلت: یا رسول الله أنت أفضل أو جبرئیل: فقال صـلّی الله علیه و آله: یا علی إن الله: تبارک و تعالی فضّل أنبیاءه المرسلین علی ملائکته المقربین، و فضلنی علی جمیع النبیین و المرسـلین، و الفضل بعـدی لک یا علی و للأئمـة من بعـدک، و إن الملائکـة لخـدّامنا و خـدّام محبینا، یا علی الذین یحملون العرش و من حوله یسـبحون بحمد ربهم و یسـتغفرون للذین آمنوا بولایتنا. یا علی لو لا نحن ما خلق آدم و لا حوّا، و لا الجنة و لا النار، و لا السـماء و لا الأرض، فکیف لا نکون أفضل من الملائکـة و قـد سـبقناهم إلی معرفة ربنا و تسبیحه و تهلیله و تقدیسه، لأن أول ما خلق الله عز و جل خلق أرواحنا، فأنطقنا بتوحیـده و تحمیـده، ثم خلق الملائکـة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا، اسـتعظموا أمرنا فسـبّحنا لتعلم الملائکـة، إنا خلق مخلوقون و إنه منزّه عن صـفاتنا، فسـبّحت الملائکـة بتسبیحنا، و نزّهته عن صـفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائکـة أن لا إله إلاّ الله، و إنّا عبیـد و لسـنا بآلهة یجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا: لا إله إلاّ الله. فلما شاهدوا کبر محلنا کبّرنا لتعلم الملائکـة أن الله أکبر من أن ینال عظم المحل إلاّ به (من أن ینال و إنه عظیم خ ل) فلما شاهـدوا ما جعله لنا من العزّ و القوة قلنا: لا حول و لا قوة إلاّ بالله، لتعلم الملائکة أن لا حول لنا و لا قوة إلاّ بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علینا، و أوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائکة ما

1- 1) البحار ج 26 ص 335.

تحقق لله تعالی ذکره علینا من الحمد علی نعمه، فقالت الملائکة الحمد لله، فبنا اهتدوا إلی معرفة توحید الله و تسبیحه و تهلیله و تحمیده و تمجیده» ، الحدیث أقول: هذا الحدیث الشریف صریح فی تقدم خلقهم قبل الملائکة و أنهم علیهم السّلام کانوا عالمین و مهللین، و مقدسین و مسبّحین و ممجدین، و هذه آثار المخلوق الذی یکون ذا عقل و شعور و کمال، لا من کان صرف الصورة و الظل بمنزلة الفیء، کما لا یخفی، بل المستنبط منه لأهل التحقیق أنهم علیهم السّلام إذ کانوا هناک کانوا مظاهر لجلال الله و جماله و قدرته و کماله بما لها من المعانی الحقیقیة، التی هی الأسماء الحسنی لله تعالی، فلأجل ظهورهم کذلک فی نظر الملائکة استعظموهم علیهم السّلام فسبّحوا و هللوا و کبّروا. و حوقلوا و حمدوا الله تعالی، لئلا تقع الملائکة فی الشرک، أو فی عبادة غیر الله تعالی، و لا ریب فی أنهم علیهم السّلام لو کانوا مجرد الصورة و الشبح لما توهمت الملائکة ذلک، و لما احتیج إلی التسبیح و التهلیل و غیر ذلک لدفع الشرک عنهم، کما لا یخفی.

و فی مرآة العقول (1)بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن الله عز و جل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب، و کان ما أحب أن خلقه من طینة الجنة، و خلق من أبغض مما أبغض، و کان ما أبغض أن خلقه من طینة النار، ثم بعثهم فی الظلال، فقلت: و أی شیء الظلال؟ فقال: أ لم تر إلی ظلّک فی الشمس شیئا و لیس بشیء، ثم بعث منهم النبیین فدعوهم إلی الإقرار بالله عز و جل و هو قوله عز و جل: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ (2)ثم دعوهم إلی الإقرار بالنبیین، فأقرّ بعضهم و أنکر بعض، ثم دعوهم إلی ولایتنا فأقرّ بها و الله من أحبّ، و أنکرها من أبغض، و هو قوله: فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ (3)ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: کان التکذیب ثمة» .

1- 1) مرآة العقول ج 7 ص 3.

2- 2) الزخرف:87.

3- 3) یونس:74.

أقول:

قوله: «ثم بعثهم فی الظلال» ، إشارة إلی الخلق الأول، و هو خلق الأرواح قبل الأبدان، إلاّ أنه ربما یقال بل قد قیل: بأن المراد من الظلال المفسّر

بقوله علیه السّلام: «شیئا و لیس بشیء» ، هو أن الحیوة و التکلیف فی ذلک الوقت لا یصیران سببا للثواب و العقاب کأفعال النائم، و لا یبقی إذ لیس له وجود بل مثال و حکایة عن الحیوة و التکلیف فی الأبدان، و هذا نظیر ما یسمی الوجود الذهنی بالوجود الظلّی لعدم کونه منشأ للآثار و مبدأ للأحکام، فإذا المراد من الحیوة فی ذلک الوقت هو الصورة و الشبح. و لکن فیه أن المراد بالظل هو عالم الأرواح، أو المثال علی اختلاف بینهما کما سیأتی، و إنما شبه الروح بالظل للطافته و عدم کثافته، أو علی قول مردود من کونه تابعا لعالم الأجساد الأصلیة. و کیف کان فالمراد به عالم الأرواح أو الذرّ المبائن لعالم الأجسام الکثیفة، و هو للطافته یحکی عن هذا العالم المادی، کما حقق فی محله، فهو ظل (أی عالم الأرواح ظل) بالنسبة إلی عالم المادة، و إلیه یشیر

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی بعض خطبه کما فی مرآة العقول (1): «إلاّ أن الذریة أفنان أنا شجرتها، و دوحة أنا ساقیها، و إنی من أحمد صلّی الله علیه و آله بمنزلة الضوء من الضوء، کنا أضلالا تحت العرش قبل البشر، و قبل خلق الطینة التی کان منها البشر أشباحا حالیة لا أجساما نامیة» . فأطلق علیه السّلام علی أرواحهم أضلالا، ثم إن

قوله علیه السّلام: «بعثهم فی الضلال» ، یشیر إلی ما قلنا، ضرورة أن البعث یطلق علی من بعث من ذوی الأرواح لا مجرد الصورة، و یؤکده

قوله علیه السّلام: «ثم بعث منهم النبیین» ، أی فی ذلک العالم، کما لا یخفی فحینئذ قوله: «شیئا» ، أی روحا، و لیس بشیء أی شیء جسمی کما لا یخفی.

و فیه (2)عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: کیف أجابوا و هم ذرّ؟ قال:

1- 1) مرآة العقول ج 7 ص 31.

2- 2) مرآة العقول ج 7 ص 36.

«جعل فیهم ما إذا سألهم أجابوه یعنی فی المیثاق» . أقول:

قوله: «یعنی فی المیثاق» ، ظرف

لقوله: «جعل فیهم» ، أی فی عالم المیثاق و الذر.

و فیه (1)، عن العیاشی عن تفسیر بإسناده، عن الأصبغ بن نباتة، عن علی علیه السّلام قال: أتاه ابن الکواء فقال: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن الله تعالی هل کلّم أحدا من ولد آدم قبل موسی علیه السّلام؟ فقال علیه السّلام: «قد کلّم الله جمیع خلقه برّهم و فاجرهم، و ردّوا علیه الجواب، فثقل ذلک علی ابن الکواء، و لم یعرفه، فقال له: کیف کان ذلک یا أمیر المؤمنین؟ فقال له: أ و ما تقرأ کتاب الله إذ یقول لنبیّه: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ (2)فأسمعهم کلامه و ردّوا علیه الجواب، کما تسمع فی قول الله یا بن الکواء قالوا بلی. فقال لهم: «إنی أنا الله لا إله إلاّ أنا و أنا الرحمن» ، فأقرّوا له بالطاعة و الربوبیة، و میّزا الرسل و الأنبیاء و الأوصیاء، و أمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلک فی المیثاق، فقالت الملائکة: شهدنا علیکم یا بنی آدم أن تقولوا یوم القیامة: إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ (3)» ثم قال العیاشی: قال أبو بصیر: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام أخبرنی عن الذر حیث أشهدهم علی أنفسهم أ لست بربکم قالوا بلی، و أسرّ بعضهم خلاف ما أظهر، کیف علموا القول حیث قیل لهم: أ لست بربکم؟ قال: «إن الله جعل فیهم ما إذا سألهم أجابوه» .

و روی أیضا عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ (4)، قلت: قالوا بألسنتهم؟ قال: «نعم، و قالوا بقلوبهم، قلت: و أیّ شیء

ص: 273

1- 1) مرآة العقول ج 7 ص 37.

2- 2) الأعراف:172.

3- 3) الأعراف:172.

4- 4) الأعراف:172.

كانوا يومئذ قال: صنع فيهم ما اكتفى به» . أقول:

قوله عليه السّلام فى حديث ابن الكواء: «فأسمعهم كلامه و ردّوا عليه الجواب» ، ظاهر فيما قلناه، على أنه لو كان خلقهم فى الذر و عالم الأرواح خلق صورة و شبح لما كان ما ذكره عليه السّلام جوابا لابن الكواء، فإنّ سؤاله هل كلم أحدا من ولد آدم سؤال عن تحقق المكالمة مع من يصح معه المكالمة، لا مع الصور و الشبح و الجواب أيضا كذلک، و أصرح من هذا

قوله عليه السّلام فى حديث أبى بصير: «صنع فيهم ما اكتفى به» أو

قوله: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه» ، أى من العقل و الشعور و هو دليل الحيوة لا الشبح و الصورة.

و فى تفسير البرهان (1)و غيره فى ذيل الآية المباركة وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ الآية، عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السّلام. إلى أن قال عليه السّلام: «فخرجوا كالذر، فعرفهم و أراهم نفسه، و لو لا ذلک لم يعرف أحد ربّه» ، الحديث.

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام. . إلى أن قال عليه السّلام: «فخرجوا كالذر، فعرفهم و أراهم صنعه، و لو لا ذلک لم يعرف أحد ربّه» ، الحديث.

و فيه تفسير البرهان (2)عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلیٰ (3)، قلت: معاينة كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفة و نسوا الموقف و سيذكرونه، و لو لا ذلک لم يدر أحد من خالقه و رازقه، فمنهم أقرّ بلسانه فى الذر و لم يؤمن بقلبه فقال الله: فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ » .

و فيه، عنه عليه السّلام. . . إلى أن قال: «فثبتت المعرفة فى قلوبهم و نسوا الموقف و سيذكرونه يوما، و لو لا ذلک لم يدر أحد من خالقه و من رازقه» .

1- 1) تفسير البرهان ج 2 ص 47.

2- 2) تفسير البرهان ج 2 ص 48.

3- 3) الأعراف:172.

و فيه (1)عن طريق العامة يرفعه إلى حذيفة اليمانى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «لو يعلم الناس متى سمى على أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمى أمير المؤمنين و آدم بين الروح و الجسد» ، الحديث. أقول: و مثلها كثير بهذه المضامين، و هذه كما ترى صريحة فيما نحن بصدده

فقوله: «فعرفهم نفسه أو أراهم صنعه»

و قوله عليه السّلام: «و لو لا ذلک لم يدر. . . إلخ» ،

و قوله عليه السّلام: «نعم» ، بعد السؤال بقوله: «قلت: معاينة كان هذا؟» صريح فيما قلناه. أقول: الأخبار الدالة على ما ذكرنا كثيرة جدا، و قد ذكرها المجلسى رحمه الله فى البحار فى كتاب السماء و العالم ج 61 و ذكر الأقوال فيها، و ما اختلف فيها من أقوال العلماء، و ذكرها أيضا فى مرآة العقول ج 7 كذلک، و العجب من المفيد (رضوان الله تعالى عليه) كيف أنكر ظواهر هذه الأحاديث و مداليلها المقطوعة، مستدلا تارة بأنها أحاديث آحاد، و قد علمت أنها فوق حدّ التواتر، و أخرى بأنها مما قد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، و صنّفوا فيها كتبا لغوا فيها و هزوا فيما أثبتوه منه فى معانيها، و ذكر أيضا أن ما نسبوه من كتاب الأشباح و الأظلة إلى محمد بن سنان لم يعلم صحة النسبة، مضافا إلى أنه قد طعن عليه بالغلو. و ثالثة بأن الأخبار التى جاءت بأن ذرية آدم عليه السّلام استنطقوا فى الذّر فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقرّوا، فهى من أخبار التناسخية، و قد خلطوا فيها و مزجوا الحق بالباطل، و رابعة بأن الأرواح لو كانت مخلوقة قبل الأجساد للزم أن تقوم الأرواح بأنفسها، و لا تحتاج إلى آلات تعلّقها، و لكنّا نعرف ما سلف لنا من الأرواح قبل خلق الأجساد، كما نعرف أحوالنا بعد خلق الأجساد، و هذا محال لا خفاء بفساده، هذا و لنعم ما قاله المجلسى رحمه الله قال فى مرآة العقول (2): و أقول: طرح ظواهر الآيات و الأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة و الوجوه السخيفة جرأة

1- 1) تفسير البرهان ج 2 ص 48.
2- 2) مرآة العقول ج 7 ص 44.

على الله و على أئمة الدين، و لو تأملت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم، و ما يرد عليها من الاعتراضات الواردة، لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجتزاء على طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها و بأمثالها. أقول: و مما يهون الخطب أن العصمة مختصة بأهلها. و قال رحمه الله فى البحار (1)فى كتاب السماء و العالم: و أقول: قيام الأرواح بأنفسها، أو تعلقها بالأجساد المثالية، ثم تعلقها بالأجساد العنصرية مما لا دليل على امتناعه. أقول: فقوله (أى المفيد رحمه الله) فيما تقدم: إن الأرواح لو كانت مخلوقة للزم. . . إلخ، ليس إيرادا واردا على القول بأن الأرواح خلقت قبل الأبدان، لعدم الدليل على امتناع ما قاله. ثم قال المجلسى رحمه الله: و أما عدم تذكر الأحوال السابقة، فلعلّه لتقلبها فى الأطوار المختلفة أو لعدم القوى البدنية، أو كون تلك القوى قائمة بما فارقته من الأجساد المثالية أو لإذهاب الله تعالى تذكر هذه الأمور عنها لنوع من المصلحة

كما ورد: إن الذكر و النسيان من صنعه تعالى، مع أن الإنسان لا يتذكر كثيرا من أحواله الطفولية و الولادة، و التأويل الذى ذكره (أى المفيد) للحديث فى غاية البعد، و لا سيما مع الإضافات الواردة فى الأخبار المتقدمة. أقول: فإن المفيد رحمه الله قد أول تلك الأحاديث بكثرتها على فرض صحتها على خلق الأشباح و الصورة، و قد علمت فيما تقدم أن كثيرا من أخبار الباب يأبى ذلك التأويل فراجع، و أيضا قد علمت

قوله عليه السّلام فيما تقدم: «و نسوا الموقف فسيذكرونه» ، فإنه صريح فى أن الأرواح قد نست تلك الحالات الكائنة لها فى الذر، لأنها قد صارت فى أسفل سافلين، و محجوبا بالحجب النورية و الظلمانية، كما صرحت به

1- 1) البحار ج 61 ص 144.

الأحاديث،

و قوله عليه السّلام: «فسيذكرونه» ، ظاهر فى أنه إذا رفعت الحجب، تتذكر الأرواح حالاتها السابقة، كما لا يخفى، و الله الموفق للصواب. هذا بعض الكلام فى شرح

قوله عليه السّلام:

«خلقكم الله أنوارا»

،

و أما الكلام فى الجهة الثانية و هى معنى العرش

فنقول و عليه التوكل: نذكر أولا معنى العرش لغة و ما ذكره الأكابر فى معناه، ثم نذكر الأحاديث الواردة فى شرحه، ثم نعقبه بما ألهمنا الله تعالى فى شرحه فنقول: فى المنجد: العرش مصدر جمعه أعراش و عروش و عرشه و عرش، سرير الملك إلى أن قال: المظلة الخيمة، البيت الذى يستظل فيه، القصر. . . إلى أن قال: ركن الشىء و قوامه، يقال: ثل عرشه، أى ذهب عزه و هى أمره، و من البيت سقفه، و من القوم رئيسهم، عرش الطائر: عشّه. و فى البحار (1)قال الشيخ المفيد رحمه الله: العرش فى اللغة الملك. . إلى أن قال: و قال تعالى مخبرا عن واصف ملك ملكة سبإ: وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهٰا عَرْشٌ عَظِيمٌ (2)يريد بها ملك عظيم، فعرش الله ملكه، إلى. . . أن قال: و أما العرش الذى تحمله الملائكة فهو بعض الملك، و هو عرش خلقه الله تعالى فى السماء السابعة و تعبد الملائكة بحمله و تظيمه، كما خلق سبحانه بيتا فى الأرض، و أمر البشر بقصده و زيارته و الحج إليه و تعظيمه. . . إلخ. و قال السبزوارى رحمه الله فى شرح

قوله عليه السّلام: «يا من له العرش و الثرى» : العرش قد يطلق و يراد به علمه المحيط، و قد يطلق و يراد به الفيض المقدس، و قد يطلق و يراد به عالم العقل، و قد يطلق و يراد به الفلك الأطلس. و أما الروايات الواردة فى الباب فكثيرة جدا، و نحن نذكر بعضها، و منه يظهر أيضا معنى العرش بنظر الشرع فنقول:

1- 1) البحار ج 58 ص 7.

2- 2) النمل:23.

ففی البحار (1)عن الخصـال و المعـانی و العیاشـی و الـدر المنثور فی حـدیث أبی ذر، عن النبی صـلّی الله علیه و آله قـال: «یـا أبـا ذر ما السموات السبع فی الکرسی إلاّ کحلقة ملقاة فی أرض فلاة و فضل العرش علی الکرسی کفضل الفلاة علی تلک الحلقة» . أقول:

قوله صـلّی الله علیه و آله: «ما السـموات» ، إلی قوله صـلّی الله علیه و آله: «فی أرض فلاة» ، بیان لعظمة الکرسـی من حیث الکبر الصوری علی السـموات، لما سیأتی من أن الکرسی یطلق علی الموجود الفعلی فی عالم ما سوی، و هذا بخلاف العرش فإنه یطلق علیه و علی العلم الذی لا نهایة له.

و قوله صـلّی الله علیه و آله : «فضل العرش. . . إلخ» ، بیان لعظمة العرش من حیث المعنی و الصورة علی الکرسی، و ذلک لأن العرش قد یراد منه العلم (أی علمه تعـالی) و لعله هو المراد منه هنـا، و حینئـذ فالعظمـة للعرش بلحـاظ العلم هو العظمـة المعنوی و لـذا عـبر عنها بالفضل. و بعبارة أخری: عظمة العرش علی الکرسی من جمیع الجهات من الصوری و المعنوی کما لا یخفی.

و فیه (2)الفقیه و العلل و المجالس للصدوق، روی عن الصادق علیه السّلام أنه سئل لم سمیت الکعبة کعبة؟ قال: «لأنها مربعة، فقیل له: و لم صارت مربعة؟ قال: لأنها بحذاء البیت المعمور و هو مربع فقیل له: و لـم صار البیت المعمور مربعا؟ قال: لأنه بحذاء العرش و هو مربع، فقیل له: و لم صار العرش مربعا؟ قال: لأن الکلمات التی بنی علیها الإسـلام أربع، سـبحان الله، و الحمـد لله و لا إله إلاّ الله، و الله أکبر» . أقول: فی المنجـد فی معنی المکعب: المجسم الـذی له سـتة سـطوح مربعـة متساویـة، . . . إلی أن قـال فی معنی الکعبـة: کـل بیت مربع (الغرفة) البیت الحرام بمکة، سمیت بذلک لتربیعها، و قیل: لنتوئها، أی خروجها من موضعه من غیر أن ینفصل،

ص: 278

1- 1) البحار ج 58 ص 5.
2- 2) البحار ج 58 ص 5.

فهو ناتی أی مرتفع کالبیت و نحوه، کذا یستفاد من اللغة. أقول: فالبناء المعروف فی مسجد الحرام إنما سمی کعبة، لأنه الجسم الذی له ستة سطوح مربعة، و إن لم تکن متساویة، و لتربیعها و خروجها عن سطح الأرض سمیت کعبة، فمنه یعلم وجه تسمیة الکعبة بکعبة

و لذا قال علیه السّلام فی وجهه: لأنها مربعة، فإن کل مربع هکذا، فهو کعبة بالمعنی العام، و أما وجه تربیع سایر ما ذکره علیه السّلام فهو یرجع إلی أن الکلمات التی بنی علیها الإسلام أربع، فحینئذ فالمستفاد منه أن العرش الذی معناه العلم، کما هو الظاهر منه فی هذا الحدیث هو مفاد تلک الکلمات الأربع، التی هی حقایق العلم و أصوله، و حیث إن العلم بلحاظ المعنی ینقسم إلی أربعة و هو التنزیه و التحمید و التهلیل و التکبیر و یرجع إلیها جمیع العلوم و المعارف. و حیث إن هذه الأربع کلمات أمور معنویة، فلا محالة لا بد من أن تکون مظاهره فی عالم الملک، الذی هو بعض مصادیق العرش أیضا أربعة بالنحو الذی ذکره علیه السّلام و أما کون حقائق العلم هی تلک الأربع کلمات، لأن التوحید الحقیقی الذی هو نتیجة الشرع و الخلق، و المقصود الأعلی منها إذا ظهر فی قلب الولی بعد مشیه علی طبق الشرع و مرضاته تعالی، فأول ما یتلقی منه تعالی فی القلب هو تنزیهه تعالی عما لا یلیق بجنابه المقدس، ثم بعد ما یری العبد ما یری من وحدانیته المقدسة المنزهة فیقدح فی قلبه تحمیده تعالی، فیکون شراشر وجوده حامدا له، ثم بعد ما وجد ما وجد یهلله تبارک و تعالی، و ینفی عنه کل ضد و ند. فهو بشراشر وجوده مصداق لقوله: لا إله إلاّ الله ، و یتحقق فیه مفاده، ثم بعد ذلک یری عظمته تعالی فی قلبه، کل بحسب قربه إلیه تعالی، فلا محالة یکبره بقلبه بحقیقة التکبیر، فیکون بحقیقته مکبرا له تعالی من أن یوصف، فإذا تحقق قلب العبد و الولی بالکلمات الأربع تلک فهو حائز بالعلم و المعرفة الحقیقیة، و یستلزمه أنه یعلم سائر العلوم الدخیلة لحصول تلک الکلمات الأربع فحینئذ صحّ أن یقال: قلب المؤمن عرش الرحمن، و لعله بهذا اللحاظ یطلق العرش علیه کما سیأتی، فتدبر.

و فیه (1)، الکافی، عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد البرقی رفعه قال: سأل الجاثلیق أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له: أخبرنی عن الله عز و جل یحمل العرش أو العرش یحمله؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «الله عز و جل حامل العرش و السموات و الأرض، و ما فیهما و ما بینهما، و ذلک قول الله عز و جل: إِنَّ اَللّٰهَ یُمْسِکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ أَنْ تَزُولاٰ وَ لَئِنْ زٰالَتٰا إِنْ أَمْسَکَهُمٰا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ کٰانَ حَلِیماً غَفُوراً (2)، قال: فأخبرنی عن قوله: وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمٰانِیَةٌ (3)فکیف ذاک؟ و قلت: إنه یحمل العرش و السموات و الأرض. فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: إن العرش خلقه الله تبارک و تعالی من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرت الحمرة، و نور أخضر منه اخضرت الخضرة، و نور أصفر منه اصفرت الصفرة، و نور أبیض منه ابیض البیاض، و هو العلم الذی حمله الله الحملة، و ذلک نور من نور عظمته، فبعظمته و نوره أبصر قلوب المؤمنین، و بعظمته و نوره عاداه الجاهلون، و بعظمته و نوره ابتغی من فی السموات و الأرض من جمیع خلائقه إلیه الوسیلة بالأعمال المختلفة و الأدیان المشتبه (المشتتة خ ل) فکل شیء محمول یحمله الله بنوره و عظمته و قدرته، لا یستطیع لنفسه ضرّا و لا نفعا، و لا موتا و لا حیوة و لا نشورا، فکل شیء محمول، و الله تبارک و تعالی الممسک لهما أن تزولا، و المحیط بهما من شیء، و هو حیاة کل شیء، و نور کل شیء، سبحانه و تعالی عمّا یقولون علوا کبیرا. قال له: فأخبرنی عن الله عز و جل أین هو؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: هو هیهنا و هیهنا و فوق و تحت، و محیط بنا و معنا و هو قوله: مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْویٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنیٰ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ مٰا

1- 1) البحار ج 58 ص 9.

2- 2) فاطر:41.

3- 3) الحاقة:17.

كٰانُوا

(1)

، فالكرسى محيط بالسموات و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ اَلسِّرَّ وَ أَخْفىٰ و ذلك قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ لاٰ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا وَ هُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْعَظِيمُ (2)، فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، و ليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلق الله فى ملكوته، و هو الملكوت الذى أراه الله أصفياءه و أراه خليله عليه السّلام فقال: وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ اَلْمُوقِنِينَ (3)، و كيف يحمل حملة العرش (الله) و بحياته حييت قلوبهم و بنوره اهتدوا إلى معرفته» . أقول: هذا الحديث من غوامض علومهم عليهم السّلام فلا يصل إلى معناه إلاّ من شملته العناية الإلهية، فنقول:

قوله عليه السّلام: «و ليس يخرج ممن هذه الأربعة» ، أى الأربعة أنوار التى هى معنى العرش فى

قوله عليه السّلام: «إن العرش خلقه الله تبارک و تعالى من أنوار أربعة» ، فيستفاد منه أن العرش أعظم مصداقا من الكرسى، فإن الكرسى محيط بالسموات و الأرض، و العرش محيط بالكرسى. و إليه يشير

قوله عليه السّلام ما فيه ص 17 عن الدر المنثور، عن أبى ذر قال: سئل النبى صلّى الله عليه و آله عن الكرسى؟ فقال: «يا أبا ذر ما السموات السبع و الأرضون السبع عند الكرسى، إلاّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة، و إن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلک الحلقة» . أقول: قد تقدم معنى الحديث. فإن قلت:

ففى البحار (4)عن تفسير على بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ

1- 1) المجادلة:7.

2- 2) البقرة:255.

3- 3) الأنعام:75.

4- 4) البحار ص 22.

وَ اَلْأَرْضَ ، السموات و الأرض وسعن الكرسی، أم الکرسی وسع السموات و الأرض؟ قال: «بل الکرسی وسع السموات و الأرض و العرش، و کل شیء خلق الله فی الکرسی» فالمستفاد منه علی الظاهر أن الکرسی أعظم من العرش. قلت: إن قرئ و العرش (منصوبا) عطفا علی الأرض، أو مرفوعا بالابتداء، و یکون کل شیء معطوفا علیه، فحینئذ فالمراد بالکرسی العلم، لیرادف معناه مع العرش، کما أن

ما ورد من أن العرش محیط بالکرسی محمول علی العلم، و قد یقال: إن العرش فی هذا الحدیث معطوف علی الکرسی أی و العرش أیضا وسع السموات و الأرض، فالمعنی أن الکرسی و العرش کلا منهما وسع السموات و الأرض، و حینئذ فالمراد بکل شیء خلق الله (کل ما خلق الله فیهما) . و کیف کان فالعرش کما یستفاد من کثیر من أخبار الباب أوسع من الکرسی، و کیف کان و هو بمعنی العلم و العلم أوسع ما یکون فی عالم ما سوی الله تعالی، و ما ورد من کونه فی الکرسی أو ما یساویه محمول علی سایر معانیه کما لا یخفی، و أما تلک المعانی الأربعة التی هی معنی العرش من الأنوار الأربعة فقد یقال: بأن المراد منها هی الجواهر القدسیة، التی هی وسائط جوده تعالی، و ألوانها کنایة عن اختلاف أنواعها، الذی هو سبب اختلاف الأنواع الرباعیة فی هذا العالم الحسی کالعناصر و الأخلاط و أجناس الحیوانات، أعنی الإنسان و البهائم و السباع و الصور و مراتب الإنسان أعنی الطبع و النفس الحساسة و النفس المتخیلة و العقل، و أجناس المولدات کالمعدن و النبات و الحیوان و الإنسان. و قیل: إنه تمثیل لبیان تفاوت تلک الأنوار بحسب القرب و البعد من نور الأنوار، فالنور الأبیض هو الأقرب، و الأخضر هو الأبعد، فکأنه ممتزج بضرب من الظلمة، و الأحمر هو المتوسط بینهما ثم ما کان بین کل اثنین ألوان أخری کألوان الصبح و الشفق المختلفة الألوان، لقربها و بعدها من نور الشمس. و قیل: المراد بها صفاته تعالی، فالأخضر قدرته علی إیجاد الممکنات و إفاضة

الأرواح، التی هی عیون الحیاة و منابع الخضـرة، و الأحمر غضـبه و قهره علی الجمیع بالإعـدام و التعـذیب، و الأبیض رحمته و لطفه علی عبـاده قـال تعالی: أَمَّا اَلَّذِینَ اِبْیَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِی رَحْمَتِ اَللّٰهِ (1). و قیـل: إن المراد من النور الأصـفر العبادة و صورة لها و هـذا کما أن الصـفرة هی المشاهدة فی وجوه العابدین المتهجدین، و لأنه إذا رأی العارف فی المنام صفرة یعبر بأنه یوفق للعبادة، و قد ورد فی الخبر أیضا أنه ألبسـهم الله من نوره لمـا خلوا به فتأمـل، و من النور الأبیض العلم، و لـذا عبر اللبن المرئی فی المنـام بالعلم الخالص عن الشـکوک و الشبـهات، و النور الأحمر المحبـة و هو المشاهـد فی وجوه المحبین عنـد طغیانها، و من النور الأخضـر المعرفة و هو العلم المتعلق بذاته تعالی و صفاته سبحانه. کما هو المستفاد

مما روی عن الرضا علیه السّلام أنه سـئل عما یروی أن محمدا صـلّی الله علیه و آله رأی ربّه فی صورة الشاب الموفق فی صورة أبناء ثلاثین سنة رجلاه فی خضـرة؟ فقال علیه السّلام: «إن رسول الله صلّی الله علیه و آله حین نظر إلی عظمة ربه کان فی هیئة الشاب الموفق و سن أبناء ثلاثین سـنة، فقال الراوی: جعلت فداک من کانت رجلاه فی خضـرة؟ قال: ذاک محمد صـلّی الله علیه و آله کان إذا نظر إلی ربه بقلبه جعله فی نور مثل نور الحجب حتی یسـتبین له ما فی الحجب، إن نور الله منه أخضـر و منه أحمر و منه أبیض و منه غیر ذلک. . . إلـخ» . فالظاهر من الحدیث الشـریف أنه صـلّی الله علیه و آله کان حینئذ فی کمال العرفان و خائضا فی بحار معرفة الرحیم المنان، و کانت رجلاه فی النور الأخضر، و قائما فی مقام من المعرفة لا یطیقها أحد من الملائکة و البشر.

و فیه (2)عن تفسیر علی بن إبراهیم ، وَ اَلْمَلَکُ عَلیٰ أَرْجٰائِهٰا وَ یَحْمِلُ عَرْشَ

1- 1) آل عمران:107.

2- 2) البحار ج 52 ص 27.

رَبِّکَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمٰانِيَةٌ. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ

(1)

، قال: «حملة العرش ثمانية، لكل واحد ثمانى أعين كل عين طباق الدنيا» .

و فى حديث آخر: «حملة العرش ثمانية: أربعة من الأولين، و أربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السّلام و أما الأربعة من الآخرين فمحمد و على و الحسن و الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) و معنى يحملون العرش يعنى العلم» .

و فيه، عن الخصال بإسناده، عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إن حملة العرش ثمانية لكل واحد منهم ثمانى أعين، كل عين طباق الدنيا» .

و منه، عن ابن الوليد، عن الصفار مرسلا قال: قال الصادق عليه السّلام: «إن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم، و الثانى على صورة الديک، يسترزق الله للطير، و الثالث على صورة الأسد، يسترزق الله للسباع، و الرابع على صورة الثور، يسترزق الله للبهائم، و نكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية» .

و فيه (2)عن معانى الأخبار بإسناده، عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن العرش و الكرسى ما هما؟ فقال: «العرش فى وجه هو جملة الخلق و الكرسى وعاؤه، و فى وجه آخر هو العلم الذى أطلع الله عليه أنبيائه و رسله و حججه، و الكرسى هو العلم الذى لم يطلع عليه أحدا من أنبيائه و رسله و حججه» .

و فيه (3)عن كتاب تأويل الآيات الظاهرة نقلا عن كتاب محمد بن العباس بن ماهيار بإسناده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول فى قوله تعالى:

1- 1) الحاقة:17 و 18.

2- 2) البحار ج 52 ص 58.

3- 3) البحار ج 52 ص 35.

اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ ، قال: «یعنی محمدا و علیّا و الحسن و الحسین و نوحا و إبراهیم و موسی و عیسی علیهم السّلام» .

و فیه (1)فی بعض الکتب عن علی بن الحسین علیه السّلام: «إن فی العرش تمثال جمیع ما خلق الله» . أقول: هذا بعض الأحادیث فی الباب. قال المجلسی رحمه الله فی البحار (2): تحقیق و توفیق، اعلم: ان ملوک الدنیا لما کان ظهورهم و إجراء أحکامهم علی رعیتهم إنما یکون عند صعودهم علی کرسی الملک، و عروجهم علی عرش السلطنة، و منهما تظهر آثارهم، و تتبین أسرارهم، و الله سبحانه لتقدسه عن المکان لا یوصف بمحل و لا مقرّ، و لیس له عرش، و لا کرسی یستقر علیهما بل یطلقان علی أشیاء من مخلوقاته، أو صفاته الکمالیة علی وجه المناسبة، فالکرسی و العرش یطلقان علی معان: أحدها: جسمان عظیمان خلقهما الله تعالی فوق سبع سموات، و ظاهر أکثر الأخبار أن العرش أرفع و أعظم من الکرسی و یلوح من بعضها العکس. أقول: قد علمت أن العرش أعظم، و ما یلوح منه العکس قد علمت تأویله مما لا ینافی کون العرش أعظم. قال رحمه الله: و الحکماء یزعمون أن الکرسی هو الفلک الثامن، و العرش هو الفلک التاسع، و ظواهر الأخبار تدل علی خلاف ذلک من کونهما مربعین ذاتی قوائم و أرکان. أقول: قد علمت أن العرش قد یطلق علی العلم، فهو بهذا المعنی ینافی قول الحکماء، و أما سایر استعمالاته فیمکن حملها علی ما قاله الحکماء بضرب من التأویل.

1- 1) البحار ج 52 ص 36.

2- 2) البحار ج 58 ص 37.

قال رحمه الله: و ربما يؤوّلان بالجهات و الحدود و الصفات، التى بها استحقا التعظيم و التكريم، و لا حاجة لنا إلى هذه التكلفات، و إنما سميا بالاسمين لبروز أحكامه، و تقديراته من عندهما، و إحاطة الكروبيين و المقربين و أرواح النبيين و الأوصياء بهما و عروج من قربه من جنابه إليهما، كما أن أوامر الملوک و أحكامهم و آثار سلطنتهم و عظمتهم تبدو منهما و يطيف مقربو جنابهم و خواص ملكهم بهما، و أيضا لما كانا أعظم مخلوقاته الجسمانية، و فيهما من الأنوار العجيبة، و الآثار الغريبة ما ليس فى غيرهما من الأجسام، فدلالتها على وجوده و علمه و قدرته و حكمته سبحانه أكثر من ساير الأجسام، فلذا خصّا بهذين الاسمين من بينهما، و حملتهما فى الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت، و فى الآخرة إما الملائكة أو أولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السّلام كما عرفت. و يمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازا، لقيام العرش بهم فى القيمة، و كونهم الحكام عنده و المقربين له به. و ثانيها: العلم كما عرفت إطلاقهما فى كثير من الأخبار، و قد مرّ الفرق بينهما فى معانى الأخبار و غيره، و ذلک أيضا لأن منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم و المعرفة، و به يتجلى على العباد، فكأنه عرشه و كرسيه سبحانه و حملتهما نبينا و أئمتنا عليهم السّلام لأنهم خزان علم الله فى سمائه و أرضه، لا سيّما ما يتعلق بمعرفته سبحانه. و ثالثها: الملک و قد مرّ إطلاقهما عليه فى خبر (حنان) و الوجه ما مرّ أيضا. و رابعها: الجسم المحيط و جميع ما فى جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق رحمه الله و يستفاد من بعض الأخبار، إذ ما من شىء فى الأرض و لا فى السماء و ما فوقها إلاّ و هى من آيات وجوده، و علامات قدرته، و آثار وجوده و فيضه و حكمته، فجميع المخلوقات عرش عظمته و جلاله و بها تجلى على العارفين بصفات كماله، و هذا أحد المعانى التى خطرت ببالى الفاتر فى قولهم عليهم السّلام و ارتفع فوق كل منظر، فتدبر.

و خامسـها: إطلاق العرش على كل صـفة من صـفاته الكمالية و الجلالية، إذ كل منها مسـتقر لعظمته و جلاله، و بها يظهر لعباده على قدر قابليتهم و معرفتهم، فله عرش العلم و عرش القـدرة، و عرش الرحمانية، و عرش الرحيمية، و عرش الوحدانية، و عرش التنزه كما مرّ فى خبر حنان و غيره. و قد أوّل الوالد رحمه الله الخبر الذى ورد فى تفسير قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ (1)، إن المعنى استوى من كل شىء، فليس شـىء أقرب إليه من شـىء، إن المراد بـالعرش هنـا عرش الرحمانيـة و الظرف حـال أى الرب سـبحانه حـال كـونه على عرش الرحمانيـة اسـتوى من كل شـىء، إذ بالنظر إلى الرحيميـة التى هى عبارة عن الهـدايات و الرحمات الخاصـة بالمؤمنين أقرب، أو المراد أنه تعالى بسـبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك و العظمة و الجلال استوى نسبته إلى كل شىء، و حينئذ فائدة التقييد بالحال نفى توهم أن هذا الاسـتواء مما ينقص من عظمته و جلاله شـيئا. و سادسـها: إطلاق العرش على قلب الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام و كمّل المؤمنين، فإن قلوبهم مستقر محبته و معرفته سبحانه

كما روى: «إن قلب المؤمن عرش الرحمن»

و روى أيضا فى الحـديث القدسـى: «لم تسـعنى سـمائى و لا أرضـى، و وسـعنى قلب عبـدى المؤمن» ، ثم اعلم أن إطلاقهما على بعض المعانى عنـد التصـريح به، أو إقامـة القرائن عليه لا ينافى وجوب الإذعان بالمعنى الأول الـذى هو الظاهر من أكثر الآيات و الأخبار، و الله المطلع على الأسـرار. أقول: لا ريب فى أن المسـتفاد من اللغة و موارد استعمال لفظ العرش أنه موضوع لما به ظهور العظمة و العلو لمن له العظمة و العلو، و قد يكون هو (أى المستعمل فيه العرش) مظهر للعلو للشىء كما فى استعماله فى السقف و أشباهه.

1- 1) طه:5.

و كيف كان لا ريب أيضا فى أن ظهور العظمة و العلو حسب مظاهرهما من العرش مختلف كما و كيفا و موضوعا، فقد يكون شىء مظهرا لبروز العظمة و العلو من حيث العلم، و قد يكون من حيث القدرة، و قد يكون من حيث السطوة، و قد يكون من حيث العظمة، و هكذا ففى أىّ مورد من الموارد المعنوية أو الخارجية يكون فيه ظهور لكمال و جلال و جمال منه تعالى فهو عرشه. و لا ريب فى أن مظاهره مختلفة، فكون العلم عرشا له تعالى باعتبار ظهوره علمه، الذى لا يشذّ عنه شىء من السعة و الإحاطة الحاكية عن عظمته العلمية تبارك و تعالى، و كذا الجسم المحيط كما تقدم بما فيه من الموجودات، فإنما صار عرشا لظهور مظاهر قدرته و خلقه و آياته عليه تعالى، و كذا كون قلوب الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام عرشا له تعالى باعتبار ظهور كمالاته تعالى فيها، و كذا قلب المؤمنين كل على حسب كمال إيمانه، و ظهور آثاره تعالى فيه، و قس عليه ساير موارد الإطلاقات، فإن الألفاظ كما حقق فى محله موضوعة للمعانى العامة، و ما ذكر من موارد الاستعمال إنما هو ببيان مصاديقه. فاستعمال العرش فى جميع الموارد بنظر العرف و الشرع يكون بنحو الحقيقة إذ إنها مصاديق لذلك المعنى العام الذى عرفته، ثم إن التمييز بين موارد استعماله فى العظمة و العلو شدة و ضعفا إنما هو ببيان النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام فبه تظهر عظمة موارد استعماله، و ليس لغيرهم هذه القدرة كما لا يخفى، و منه يعلم أن أعظم موارد استعمال العرش فى العظمة و العلو بحيث لا ـ ثانى له هو قلب النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام ثم الأنبياء ثم الأولياء الأمثل فالأمثل كما لا يخفى، فتدبّر تعرف بعونه تعالى، و الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على النبى و آله.

و أما الكلام فى الجهة الثالثة أعنى معنى كونهم عليهم السّلام محدقين بالعرش،

نذكر أولا أحاديث فمنها يظهر معنى كونهم عليهم السّلام محدقين، فنقول:

فی تفسیر البرهان (1)و روی صاحب کتاب المقتضب فی إمامة الاثنی عشر بإسناده، عن أبی سلیمان (سلمی) راعی رسول الله صلّی الله علیه و آله قال: «سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: «لیلة أسری بی إلی السماء قال لی الجلیل جلّ جلاله: آمَنَ اَلرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ ، فقلت: وَ اَلْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ ، فقال تعالی: صدقت یا محمد، من خلّفت فی أمتک؟ قلت: خیرها، قال الله تعالی: علی بن أبی طالب علیه السّلام؟ قلت: نعم، قال: یا محمد إنی اطلعت علی الأرض اطلاعة فاخترتک منها، فشققت لک اسما من أسمائی، فلا أذکر فی موضع إلاّ ذکرت معی، فأنا المحمود و أنت محمد، ثم اطلعت الثانیة فاخترت منها علیا و شققت له اسما من أسمائی فأنا الأعلی و هو علی. یا محمد إنی خلقتک و خلقت علیا و فاطمة و الحسن و الحسین و الأئمة من ولده من نوری، و عرضت ولایتکم علی أهل السموات و الأرض، فمن قبلها کان عندی من المؤمنین، و من جحدها کان عندی من الکافرین، یا محمد لو أن عبدا من عبادی عبدنی حتی ینقطع أو یصیر کالشن البالی، ثم آتانی جاحدا لولایتکم ما غفرت له حتی یقرّ بولایتکم، یا محمد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم، فقال لی: التفت عن یمین العرش، فالتفت فإذا بعلی و فاطمة و الحسن و الحسین و علی بن الحسین و محمد بن علی و جعفر بن محمد و موسی بن جعفر و علی بن موسی و محمد بن علی و علی بن محمد و الحسن بن علی و المهدی فی ضحضاح من نور قیام یصلون، و هو فی وسطهم (یعنی المهدی) کأنه کوکب درّی، فقال: یا محمد هؤلاء الحجج، و هو الثائر من عترتک، و عزتی و جلالی إنه للحجة الواجبة لأولیائی و المنتقم من أعدائی» .

و فی المحکی عن الاحتجاج، عن القاسم بن معاویة بن عمار قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: هؤلاء یروون حدیثا فی معراجهم أنه لما أسری برسول الله صلّی الله علیه و آله رأی علی العرش: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله صلّی الله علیه و آله أبو بکر الصدیق، فقال: (سبحان الله غیّروا کل شیء حتی هذا؟ ! قلت: نعم، قال: إن الله عز و جل لما خلق العرش کتب

1- 1) تفسیر البرهان ج 3 ص 266.

على قوائمه: «لا ـ إله إلاّ ـ الله محمـد رسول الله على أمير المؤمنين» و لمـا خلق الله عز و جـل الماء كتب على مجراه: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله على ولى الله» و لما خلق الله عز و جل الكرسـى كتب على قوائمه: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله على ولى الله أمير المؤمنين» و لمـا خلق الله عز و جل اللوح كتب فيه: «لا إله إلاّ الله محمـد رسول الله على أمير المؤمنين» . و لما خلق الله عز و جل أسـرافيل كتب على جبهته: «لا ـ إله إلاّ ـ الله محمـد رسول الله على ولى الله أمير المؤمنين» و لمـا خلق الله عز و جـل جبرئيل كتب على جناحيه: «لا إله إلاّ الله محمـد رسول الله على ولى الله أمير المؤمنين» و لما خلق الله عز و جل السـموات كتب على أكنافها: «لا إله إلاّ الله محمـد رسول الله على أمير المؤمنين» و لما خلق الله عز و جل الأرضين كتب فى أطباقها: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله على أمير المؤمنين» و لما خلق الله عز و جل الجبال كتب فى رءوسها: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله على أمير المؤمنين» و لما خلق الله عز و جل الشمس كتب عليها: «لا إله إلاّ الله محمـد رسول الله على أمير المؤمنين» و لما خلق الله عز و جل القمر كتب عليه: «لا إله إلاّ الله محمـد رسول الله على أمير المؤمنين» و هو السواد الـذى ترونه فى القمر، فإذا قال أحـدكم: «لا إله إلاّ الله محمـد رسول الله، فليقل: على أمير المؤمنين» . أقول: قد علمت سابقا أن العرش يطلق على وجه على جملـة الخلق، و على العلم الـذى اطلع الله عليه أنبيـاءه كما عن الصادق عليه السّـلام و علمت أن فى العرش تمثال جميع ما خلق الله كما عن السـجاد عليه السّـلام و ما ذكره بعضـهم من أن العرش يراد منه الجواهر القدسـية، التى هى وسائط جوده تعـالى بأنحائهـا، أى أنحـاء الجواهر من العناصـر و الأخلاـط، و أجناس الحيوانات من الإنسان و غيره، و أقسامها و أجناس المولـدات من المعـادن و النبـات و غيرهـا، بل يشـمل العرش الملائكـة بأقسامها. و الحاصل أنه يراد جميع ما سواه تعالى، فإنما يرجع إلى قول الصادق و السجاد عليهما السّلام كما لا يخفى.

فحينئذ معنى أنهم عليهم السّلام محدقون بعرشه أى أنهم مطيفون و محيطون بهذه الأمور كلها إحاطة علما و قدرة كما تقدم من

قول النبى صلّى الله عليه و آله: «و كان نورى محيطا بالعلم و نور على محيطا بالقدرة» ، و اختصاص كل منهما بأحدهما بلحاظ المظهرية و أن الإحاطة العلمية التى كانت له صلّى الله عليه و آله أعظم و أشمل من غيره كما لا يخفى كما يقتضيه مقام النبوة، و إليه يشير ما

فى حديث أبى سلمان راعى رسول الله صلّى الله عليه و آله من قوله تعالى: «فلا أذكر فى موضع إلاّ ذكرت معى» ، فإنه تعالى يذكر علما أو صفة و هم عليهم السّلام مظهر لهما، فحقيقتهم هو العلم و الصفات الإلهية،

كما قال على عليه السّلام: «و الله نحن الأسماء الحسنى» . فالوقوف به تعالى وقوف بهم عليهم السّلام لأنه لا طريق إلى الوقوف به تعالى إلاّ بالوقوف بهم، كما يشير إليه

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم»

، و سيأتى بيانه. و كيف كان فكونهم محدقين بعرشه أى عالمين و محيطين و مطيفين بجميع ما سواه تعالى حتى الملائكة إحاطة علمية و قدرتية، و إلى هذه الإحاطة و شمول القدرة يشير ما ذكر آنفا عن الاحتجاج من كتابته لا إله إلاّ الله محمد رسول الله على ولى الله و أمير المؤمنين على جميع الأشياء المذكورة فى الحديث، الشاملة لجميع ما سواه تعالى، و معنى كتابتها عليها أنه لما كان جميع الأشياء موجودة بأسمائه الحسنى، فكل موجود مما فيه من تلك الأسماء كما و كيفا، كما أشير إليه

فى دعاء كميل:

«و بأسمائك التى ملأت أركان كل شىء» .

و حقيقة تلك الأسماء بأنواعها و مصاديقها الخارجية، إنما هى حقيقتهم كما علمت من

قوله عليه السّلام: «و نحن الأسماء الحسنى» ، و هذه الأسماء هى الجهة الربوبية فى الأشياء، التى بها تستفيض الأشياء الفيض منه تعالى لا نفسها، و من هذه الجهة قيامها به تعالى، و هى جهة الربط بينها و بينه تعالى، و بهذا اللحاظ لا يكاد يخفى شىء من الموجودات عنهم عليهم السّلام، كيف و هم سبب الخلق كما تقدم، أى سبب قيامها به تعالى و سبب وجودها منه تعالى، و سبب أرزاقها منه تعالى، فحقيقتهم فى

الأشياء موجودة بنحو يشابه وجوده تعالى فيها بلا كيفية، كيف و هم فى الوجود أشبه به تعالى من وجود غيرهم، لأنهم وجه الله الذى لا يبيد و لا يهلک، كما دلت عليه الأخبار الكثيرة.

و فى المحكى عن الاختصاص، عن سماعة قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام فأرعدت السماء فأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: «أما أنه ما كان من أمر هذا الرعد و من هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، فقلنا: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السّلام» . أقول: يدل هذا على أن ما يقع فى الخارج فإنما هو بأمرهم، كيف لا و هم سببها، كما علمت أن هذا جار فى جميعهم عليهم السّلام و لا يختص بأمير المؤمنين عليه السّلام إلاّ فى إمرة المؤمنين، فإنها مختصة به (صلوات الله عليه) نعم له عليه السّلام الفضل الذى يخصّه، و هذا ثابت بدليل الاشتراک كما لا يخفى و قد تقدمت أحاديثه. أقول: و إلى هذه الدقيقة و الحقيقة المحمدية و العلوية يشير ما ورد فى الأخبار من أنهم عليهم السّلام يظهرون فى الصور كيف ما شاءوا بل هذا الظهور منهم فى كل شىء لكل شىء، فحينئذ كونهم محدقين بالعرش بالفعل، معناه أنهم بأشباههم النورية ظاهرون فيها و بإيجاداتهم و تأثيراتهم بالله تعالى و بإذنه تعالى و بإيجاده تعالى و صنعه لما صنع بهم، يظهر الموجودات بأسرها من وجودهم و أرزاقهم و حياتهم و مماتهم، فافهم و تأمل. و الحاصل: أن معنى كونهم محدقين بالعرش أنهم محيطون و عالمون بها و مطيفون بها، يدل عليه كتابة أسمائهم و حقيقتهم عليها، و أن العرش (أى ما سواه) مستند إليهم فى الوجود و فى الاستفاضة منه تعالى، و أنهم عليهم السّلام المظهرون لما أودع الله تعالى فى العرش و فى الأشياء من حكمه و مصالحه و علومه، و آثار قدرته و وجوده تعالى، لأنهم عليهم السّلام خزان علمه و حفظة سره، و هم مفاتيح تلک الأمور، فهم الخازنون لها و المظهرون لها كلا منها بإذنه تعالى، كيف و هم عليهم السّلام حقيقتها الأصلية

التی بها وجودهم، فالموجودات فی الحقیقة آثار وجودهم، و هم و هی من آثار وجوده تعالی، یدل علی هذا

قولهم علیهم السّلام فیما تقدم: «لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها» . و بعبارة أخری: أنه تعالی خلق الخلق بملاک رحمته الرحیمیة و الرحمانیة للمؤمنین و غیرهم، بل لسایر الموجودات و هم علیهم السّلام حقیقة الرحمة الإلهیة قال تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِینَ (1)، و قال تعالی: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ (2)الآیة، و قد فسر الرحمة و الفضل بمحمد و علی (علیهما و آلهما السّلام) فی کثیر من الأخبار الواردة فی تفسیر تلک الآیات کما لا یخفی، و من عندهم آثار کل شیء، الذی بها وجوده و أصل وجوده، کل ذلک لأنهم علیهم السّلام مستفیضون منه تعالی العلم و الحقائق، ثم یفیضونها للموجودات لکل بحسبه و لسان استعداده و طلبه الذاتی، کما تقدم فی بیان الولایة الکلیة الإلهیة التکوینیة الثابتة لهم علیهم السّلام، هذا بعض الکلام فی المقام، و له الحمد أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: حتّی منّ علینا بکم، فجعلکم فی بیوت أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه.

اشارة

أقول: شرح هذه الجمل من جهات:

الجهة الأولی: فی بیان منن اللّه تعالی بأن جعلهم فی بیوت. . . إلخ

، فنقول: لا ریب فی أن المقصود من الخلق هو معرفة الخالق، کما تقدم

من قول الحسین علیه السّلام: «أیها الناس إن اللّه ما خلق الخلق إلاّ لیعرفوه» الحدیث،

و من الحدیث المشهور من قوله تعالی: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لکی أعرف» ، و أیضا ثبت فی محله أن الخلق بما هم جاهلون و عاجزون، لا یقدرون علی

1- 1) الأنبیاء:107.

2- 2) البقرة:83.

تحصيل معرفته تعالى،

كما قال السجاد عليه السّلام: «و إنه لا طريق إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك» ، أى لا بد للخلق من الإقرار بالعجز، فحينئذ يتفضل البارى عليهم بالمعرفة، و فى الكافى باب منعقد لخصوص أن المعرفة من صنع الله تعالى. فحينئذ ينحصر حصول المعرفة به تعالى فى أن يعرفهم الله تعالى نفسه، و هو تعالى أحب أن يعرف، و أن يعرفوه بما عرفهم من نفسه بلسان نبيه و الأئمة عليهم السّلام. و بعبارة أخرى: أن يعرفوه بسبيل معرفتهم، و قد تقدم فى موارد من الشرح أنه لا سبيل إلى معرفته إلاّ بسبيل معرفتهم، فراجع، فحينئذ اقتضت الحكمة الإلهية على أن خلق ما شاء من خلقه على حقيقة معرفته، و على كونهم محالا لمعرفته، ليتوسل الخلق بسبيل معرفتهم إلى معرفته تعالى، و تقدم أيضا

قول الباقر عليه السّلام: «فنحن أول خلق ابتدأ الله، و أول خلق عبد الله و سبحه، و نحن سبب خلق الخلق، و سبب تسبيحهم و عبادتهم من الملائكة و الآدميين فبنا عرف الله، و بنا وحد الله، و بنا عبد الله، و بنا أكرم الله من جميع خلقه» ، الحديث ذكره السيد البحرانى رحمه الله فى غاية المرام ص 104. و مثله كثير كما لا يخفى، فسبحان من جعل الأئمة عليهم السّلام فى أول الخلق النعمة الكبرى، و الآلاء العظمى على من سواهم، فما لله تعالى نعمة أعظم منها علينا، حيث إنه تعالى خلقهم، و أنهى إليهم علمه، و أشهدهم أمر خلقه، و جعلهم الهداة إليه، فمن اهتدى بهم نجا، و من تخلف عنهم هلك، و جعلهم أعضاد الخلق إلى كل خير من سعادة الدنيا و الآخرة فلا يسعد من سعد إلاّ بهم، و لا يشقى من شقى إلاّ بمخالفتهم و ترك متابعتهم، بل علمت أنه تعالى بفضل وجودهم أوجد من سواهم و ما سواهم، فرزق الخلق و نجاتهم و هدايتهم فى الدارين، و قبول عبادتهم، و دفع البلاء عنهم، و وصولهم إلى كل خير، إنما هو بهم و بمتابعتهم و بقبول ولايتهم عليهم السّلام فلا منّة حينئذ أعظم من مننه تعالى علينا من هذه النعمة، و نحن نذكر حديثا جامعا قد ذكر فيه هذه النعماء.

ففی تفسیر نور الثقلین (1): قـال علی بن إبراهیم رحمه الله فی قول الله عز و جـل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ ، إلی قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ فإنه حـدثنی أبی، عن عبـد الله بن جندب قال: کتبت إلی أبی الحسن الرضا علیه السّـلام أسأله عن تفسیر هذه الآیة؟ فکتب إلیّ الجواب: أما بعد: «فإن محمدا صـلّی الله علیه و آله کان أمین الله فی خلقه، فلما قبض النبی کنّا أهل البیت ورثته، فنحن أمناء الله فی أرضه، عنـدنا علم المنایا و البلایا و أنساب العرب و مولـد الإسـلام، و ما من فئـة تضل مائـة و تهدی مائة إلاّ و نحن سائقها و قائدها و ناعقها، و إنا لنعرف الرجل إذا رأیناه بحقیقة الإیمان و حقیقة النفاق. و إن شـیعتنا لمکتوبون بأسـمائهم و أسـماء آبائهم، أخذ الله عز و جل علینا و علیهم المیثاق، یردون موردنا، و یدخلون مدخلنا، لیس علی ملة الإسـلام غیرنا و غیرهم إلی یوم القیامة، نحن الآخذون بحجزة نبینا، و نبینا الآخذ بحجزة ربنا، الحجزة النور و شـیعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلک، و من تبعنا نجا، و المفارق لنا و الجاحد لولایتنا کافر، و متبعنا و تابع أولیائنـا مؤمن، لاـ یحبنـا کـافر و لا یبغضـنا مؤمن، فمن مات و هو یحبنا کان حقا علی الله أن یبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، و هـدی لمن اهتدی بنا، و من لم یکن منا فلیس من الإسـلام فی شیء، بنا فتح الله الدین و بنا یختمه، و بنا أطعمکم الله عشب الأرض، و بنا أنزل الله قطر السماء، و بنا أمنکم الله عز و جل من الغرق فی بحرکم، و من الخسف فی برّکم. و بنا نفعکم الله فی حیاتکم و فی قبورکم و فی محشرکم، و عند الصـراط، و عند المیزان، و عند دخولکم الجنان، مثلنا فی کتاب الله عز و جل کمثل مشـکوة المشـکوة فی القندیل فنحن المشکوة فِیهٰا مِصْبٰاحٌ المصباح محمد صلّی الله علیه و آله اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَةٍ من عنصره اَلزُّجٰاجَةُ کَأَنَّهٰا کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَکَةٍ

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 606.

زَيْتُونَةٍ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ

(1)

لا دعيـة و لا منكرة يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِـيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ القرآن نُورٌ عَلىٰ نُورٍ إمام بعـد إمام يَهْدِی اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ فـالنور علی (صـلوات الله عليه) يهـدی لولايتنـا من أحب، و حق علی الله أن يبعث ولينا مشـرقا وجهه، منيرا برهانه، ظاهرة عند الله حجته» ، الحديث. أقول: قد دل هذا الحديث علی أنه تعالی منّ علينا بهم فی الدارين، بما ذكر فيه من النعماء و الآلاء و الألطاف و نحن نشكر الله تعالی كما ينبغی، لكرم وجهه و عزّ جلاله علی هذه النعمة العظمی و المنّة الجسمية، و له الحمد و الشكر أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

الجهة الثانية: فی بيان معنی البيوت التی أذن الله أن ترفع، . . . إلخ.

اشارة

أقول: قـال الشارح المجلسـی رحمه الله: إشارة إلی أن هـذه الآيات التی بعـد آيـة النور وردت فيهم، كما أن الآيات التی بعـدها وردت فی أعـداءهم كما ورد فی الأخبار المتكثرة، و المراد بالبيوت البيوت المعنوية التی هی بيوت العلم و الحكمة و غيرهما من الكمالات، و الذكر فيها كناية عن الاستفاضة منهم، و الصورية التی هی بيوت النبی و الأئمة عليهم السّلام فی الحيوة و فی مشاهدهم بعد الوفاة. أقول: لا بد من ذكر الأحاديث الواردة فی الباب ثم بيان المستفاد منها، فنقول:

ففی تفسير نور الثقلين (2)بإسناده، عن جابر، عن أبی جعفر عليه السّلام فی قوله عز و جل: فِی بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ (3)، قال: «هی بيوت الأنبياء و بيت علی منها» .

و فيه، عن المناقب لابن شهرآشوب، أبو حمزة الثمالی فی خبر: لما كانت السنة

1- 1) النور:35.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 3 ص 607.

3- 3) النور:36.

التی حج فیها أبو جعفر محمد بن علی و لقیه هشام بن عبد الملک، أقبل الناس یتساءلون علیه، فقال عکرمة: من هذا؟ علیه سیماء زهرة العلم لأخزینه، فلما مثل بین یدیه ارتعدت فرائصه و أسقط فی أیدی أبی جعفر علیه السّلام و قال: یا بن رسول الله لقد جلست مجالس کثیرة بین یدی ابن عباس و غیره، فما أدرکنی ما أدرکنی آنفا، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: «ویلک یا عبید أهل الشام إنک بین یدی بیوت أذن الله أن ترفع و یذکر فیها اسمه» .

و فیه عن کتاب کمال الدین و تمام النعمة، عن أبی حمزة الثمالی، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر علیه السّلام حدیث طویل و فیه یقول علیه السّلام: «إنما الحجة فی آل إبراهیم لقول الله عز و جل: فَقَدْ آتَیْنٰا آلَ إِبْرٰاهِیمَ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَةَ وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً (1)و الحجة الأنبیاء و أهل بیوتات الأنبیاء حتی تقوم الساعة، لأن کتاب الله ینطق بذلک و وصیة الله جرت بذلک فی العقب، من البیوت التی رفعها الله تبارک و تعالی علی الناس فقال: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اِسْمُهُ ، و هی بیوتات الأنبیاء و الرسل و الحکماء و أئمة الهدی» .

و فیه عن روضة الکافی، أبان، عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله عز و جل: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ قال: «هی بیوت النبی صلّی الله علیه و آله» .

و فیه، عن روضة الکافی، عن أبی عبد الله علیه السّلام أنه قال: «وصل الله طاعة ولی أمره بطاعة رسوله و طاعة رسوله، بطاعته، فمن ترک طاعة ولاة الأمر لم یطع الله و لا رسوله، و هو الإقرار بما أنزل من عند الله عز و جل: خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ (2)و التمسوا البیوت التی أذن الله أن ترفع و یذکر فیها اسمه فإنه أخبرکم أنهم: رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰةِ وَ إِیتٰاءِ اَلزَّکٰاةِ یَخٰافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصٰارُ ، الحدیث.

1- 1) النساء:54.

2- 2) الأعراف:31.

و فیه (1)عن أبی حمزة الثمالی قال: قال أبو جعفر علیه السّلام لقتادة: «من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصری، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: أنت فقیه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: ویحک یا قتادة إن اللّه خلق خلقا من خلقه، فجعلهم حججا علی خلقه، فهم أوتاد فی أرضه، قوّام بأمره، نجباء فی علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن یمین عرشه، قال: فسکت قتادة طویلا، ثم قال: أصلحک اللّه، و اللّه لقد جلست بین یدی الفقهاء و قدام (الظاهر قدامهم) فما اضطرب قلبی قدام واحد منهم ما اضطرب قدّامک. فقال له أبو جعفر علیه السّلام: أ تدری أین أنت بین یدی فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اِسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهٰا بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ. رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰةِ وَ إِیتٰاءِ اَلزَّکٰاةِ (2)فأنت ثم و نحن أولئک، فقال له قتادة: صدقت و اللّه جعلنی اللّه فداک، و اللّه ما هی بیوت حجارة و لا طین» ، الحدیث.

و فیه، عن أصول الکافی بإسناده، عن صالح بن سهل الهمدانی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (3)، إلی قوله: قلت: أَوْ کَظُلُمٰاتٍ قال: «الأول و صاحبه، یَغْشٰاهُ مَوْجٌ الثالث، مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ . . . ظُلُمٰاتٌ الثانی بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ معاویة لعنه اللّه و فتن بنی أمیة إِذٰا أَخْرَجَ یَدَهُ المؤمن فی ظلمة فتنتهم لَمْ یَکَدْ یَرٰاهٰا وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اَللّٰهُ لَهُ نُوراً إماما من ولد فاطمة علیها السّلام فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ إمام یوم القیامة» . أقول: معنی جعلهم فی البیوت تنزّلهم علیهم السّلام عن عالم إطلاق الحقائق و الأسماء الربوبیة إلی عالم حدود الخلقیة، لتربیة الخلق و تهذیبه، فلا محالة تکون بیوتهم بیوت العلم و الحکمة و التوحید و المعارف، فهی بذاتها الطاهرة الإلهیة، تقتضی أن

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 609.
2- 2) النور:36 و 37.
3- 3) النور:35.

ترفع ذاتا لرفعة العلم و الحكمة، و يذكر فيها اسمه تعالى، لأنها مظاهره تعالى و مظاهر صفاته و جلاله و جماله، فلا محالة لا يذكر اسمه إلاّ فيها كما لا يخفى. و إلى هذا يشير

قوله عليه السّلام فى حديث الكافى عن أبى عبد الله عليه السّلام: «فإنه أخبركم أنهم رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ الآية، أى أخبركم أنهم (يعنى أن البيوت) إنما هى رجال» . و من المعلوم أن الرجال المعبر عنها بالبيوت لا يراد منها إلاّ بلحاظ كونها مظهرا للعلم و التوحيد و الكمالات كما لا يخفى، و بهذا المعنى يفسّر

قوله عليه السّلام: بيوت النبى و بيت على و الأئمة عليهم السّلام، و يفسر بها

قوله عليه السّلام: و التمسوا البيوت التى إذن الله أن ترفع. . . إلخ، فالتماس البيوت أى التماس أولئک الرجال بما هم مظاهر العلم و الحكمة و الكمال كما لا يخفى. ثم إن كون المراد من البيوت بيوت العلم و المعارف لا ينافى إرادة البيت الظاهرى أيضا كما هو ظاهر

قوله: «هى بيوت النبى» ،

و قوله عليه السّلام: «و بيت على منها أو من أفاضلها» ، كما فى بعض الأحاديث، لأن تلك البيوت الصورية قد تشرفت باولئک الرجال، الذين هم بيوت العلم و الحكمة، فاكتسبت منهم رفعة، فبهذا اللحاظ قد أذن الله تعالى أن ترفع و يذكر فيها اسمه، و يلحق بها مشاهدهم المشرفة بعد وفاتهم بالملاک المذكور كما لا يخفى.

و أما قوله عليه السّلام: «أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه»

اشارة

، فالكلام فيها فى أمرين:

الأول: بيان المراد من أذن الله أن ترفع.

الثانى: بيان المراد من أذن أن يذكر فيها اسمه، و فيه بيان معنى الذكر فنقول: أما الأول: المراد من الإذن إما الإذن الشرعى التكليفى بأن أذن الله، أى أمر الله تعالى عباده أمرا تكليفيا بتعظيم تلک البيوت و رفع شأنها، سواء أريد منها البيوت الظاهرية من مساكنهم عليهم السّلام و كذا مشاهدهم الشريفة، أو أريد منها البيوت المعنوية من العلم و الحكمة و المعارف و من أنوارهم المقدسة، نعم إذا أريد منها المساكن و المشاهد الظاهرية فرفعها بتعظيمها و احترامها بما يليق بها، لا رفع بنائها و تزيينها،

إلاّ إذا كان فی ترکها إهانة لها، فحینئذ ترفیع بنائها و تزیینها بما یناسب رفع شأنها، و منه یعلم حرمة تخریبها، و إزالة ما به احترامها مما یوجب زینتها کما لا یخفی. و إن أرید منها البیوت المعنویة فرفعها واجب بالطریق الأولی إذ علمت أنها کذلک المقصود الأصلی منها، فاحترامها حینئذ بالاهتمام بها بمعارفها، و المتابعة لها و الاعتقاد بها و العمل علی مقتضاها کما لا یخفی. و إما یکون المراد من الإذن الإذن التکوینی الإلهی، بمعنی أنه تعالی قدّر و قضی، و حکم فی اللوح المحفوظ برفعها، و قد أظهر الله تعالی هذه الرفعة فی مظاهر الأکوان و الأعیان الوجودیة، فهم علیهم السّلام بلحاظ حقائقهم النوریة و ظواهرهم البشریة فی منتهی الرفعة من العلم و المعارف و الحکمة و الظهور بها و تمکنهم بتلک الأمور فی القلوب مطلقا بحیث لا یمکن إنکار فضلهم حتی من أعادیهم، کما سیجیء بیانه أیضا فی

قوله علیه السّلام:

«فبلغ الله بکم أشرف محل المکرمین. . . إلخ»

، و لعله إلیه یشیر قوله تعالی: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکٰافِرُونَ (1)، و قوله تعالی: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ (2).

ففی تفسیر نور الثقلین (3)فی تفسیر العیاشی، عن أحمد بن محمد قال: وقف علیّ أبو الحسن الثانی علیه السّلام فی بنی زریق فقال لی و هو رافع صوته: «یا أحمد، قلت: لبیک، قال: إنه لما قبض رسول الله صلّی الله علیه و آله جهد الناس علی إطفاء نور الله، فأبی الله إلاّ أن یتم نوره بأمیر المؤمنین» .

و فیه، عن قرب الإسناد للحمیری، معاویة بن حکیم، عن أحمد بن محمد بن أبی نصر قال: وعدنا أبو الحسن علیه السّلام لیلة إلی مسجد دار معاویة فجاء فسلّم فقال:

1- 1) الصف:8.

2- 2) التوبة:33.

3- 3) تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 211.

«إن الناس قـد جهـدوا على إطفاء نور الله حين قبض الله تبارک و تعالی رسول الله صـلّی الله علیه و آله و أبی الله إلاّ أن يتم نوره، و قد جهد علی بن أبی حمزة على إطفاء نور الله حين قبض أبو الحسن فأبی الله إلاّ أن يتم نوره، و قـد هـداکم الله لأمر جهله الناس فأحمدوا الله على ما منّ عليكم به» .

و فيه (1)، عن أصول الکافی بإسـناده عن أبی الحسن الماضـی علیه السّلام قال: قلت: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ قال: «هو الذی أمر رسوله بالولایة لوصيه، و الولایة هی دين الحق، قلت: لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ ؟ قال: يظهر على جميع الأديان عند قيام القائم (عج) قال: يقول الله: وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولایـة القائم (عـج) وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکٰافِرُونَ بولایـة علی، قلت: هـذا تنزيل؟ قال: نعم، أما هذا الحرف فتنزيل و أما غيره فتأويل» ، الحديث. أقول:

قوله علیه السّـلام: «جهد الناس على إطفاء نور الله، فأبی الله إلاّ أن يتم نوره بأمير المؤمنين» ، المراد من نور الله هو مقام ولايتهم و حقائقهم النورانية بما هی مظاهر للعلم و المعارف و الأسماء الإلهية كما لا يخفی، و قد أبی الله إلاّ أن يتم بأمير المؤمنين أی بحقيقته و بيانه و أحواله و أفعاله، و إظهار مقامه فی الخلق، و منه يعلم معنی الحديث الثانی كما لا يخفی. ثم إن إذنه التكوينی برفعها بالنسـبة إلی البيوت المعنوية، فظـاهر ممـا ذکرنـا، و أمـا إذا أريـد منهـا البيوت الظاهريـة فمشاهـدهـم علیهم السّـلام فأيضا هو تعالی قـد قـدّر ترفيعها بظهور الكرامات و المعجزات و الاسـتضاء بها، و إنها مورد لاحترام الناس خصوصا لأهل الولایـة کما لا يخفی فإنها مظاهر للكرامات و موارد للاحترام، و إن أزال المعانـدين عن بعضـها صورة الحرم و القبـة و الضـريح لها کما فی أئمـة البقيع علیهم السّـلام إلاّ أنها مع ذلک آثار العظمة تظهر منها خصوصا لأهلها کما لا يخفی و سيجیء.

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 212.

و أما الثانی: أعنی بیان إذنه تعالی أن یذکر فیها اسمه،

اشارة

و فیه أیضا بیان المراد من الـذکر فنقول: إذنه تعالی أن یذکر فی تلک البیوت اسـمه الذی فیه ذکره تعالی، إذ هو تعالی یذکر و یدعی بأسـمائه فهو یکون علی قسمین:

الأول: أن یذکر فی تلک البیوت أسماؤه تعالی من الأذکار الواردة عنهم علیهم السّلام أو القرآن الکریم

حیث إنهم علیهم السّـلام یقرأونها حق قراءته. و الحاصل: أن المراد من ذکر أسـمائه فی تلک البیوت أنه تعالی لا یذکر إلاّ بأسـمائه کما قال تعالی: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا (1)، و هذه الأسـماء لا تتحقق فی الخارج بحیث توجب ذکره تعالی بها کما ینبغی، إلاّ إذا ذکرت فی بیوتهم إما بذکرهم علیهم السّـلام تلک الأسـماء، أو بتعلیمهم العباد تلک الأسماء لکی یذکروا بها ربّهم. و بعبارة أخری: أنه تعالی أذن أن یذکر اسمه فی تلک البیوت لا فی غیرها، لأجل أنهم علیهم السّلام یبیّنون تلک الأسماء کما و کیفا، و أنه کیف یجب أن یذکر الله بها لما علمهم الله تعالی ذلک، فیسـتفاد منه الحصـر أی إنما أذن الله تعالی أن یـذکر اسـمه فیها لا فی غیرها، لأن غیرهم لا یعرفونها، و لا یعلمون بیان ذکر تلک الأسـماء، التی بها ذکر الله تعالی، و هذا المعنی یستفاد من کثیر من الأخبار کما لا یخفی، فجمیع الأسماء التی فیها ذکر الله من الأسـماء اللفظیة أو المعنویة. و بعبارة أخری: کل صفة تستحقّه ذاته المقدسة الجلیلة مما یوجب تسبیحه تعالی أو تقدیسه أو تحمیده أو تهلیله أو تکبیره أو غیرها مما تدل علی صفة له تعالی، أو اسم له، التی بها یکون ذکره تعالی ذکرا لفظیا أو عملیا أو حالیا أو قلبیا أو اعتقادا، أو سائر الوظائف التی تجب علی العباد الإتیان بها، لتعظیمه تعالی من الشـعائر الدینیة، فإنما هی بتمامها تذکر فی تلک البیوت، و یصدر بیانها منها لا من

1- 1) الأعراف:180.

غيرها، لما تقرر من أن العبادات و الأسماء الإلهية توفيقية كما تقدمت الإشارة إليه سابقا.

الثانی: أن يكون المراد من إذنه تعالى أن يذكر فيها اسمه هو أن حقيقة ذكره تعالى بأسمائه الحسنى،

التی يـدعی بهـا لا يتحقق تكوينا إلاّ فی تلك البيوت، أی بيوت العلم و الحكمـة و المعارف، أی تلك الأنوار المقدسـة، التی هی حقائقهم النفيسة الشـريفة، فهم عليهم السّـلام الذين يذكرون الله تعالى بتلك الأسـماء كما ينبغی لكرم وجهه و عزّ جلاله، فيكون مفاد هذه الجملة على هذا المعنى مفاد قوله تعالى: سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ. إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِينَ (1)، و مفاد

قوله تعالى فی حديث المعراج: «و يعظموننی حق عظمتی» . و ذلك مقتضى كونهم عليهم السّلام حقيقة الأسماء الحسنى الإلهية،

كما روی عن أمير المؤمنين و عن الصادق عليهما السّـلام من قولهما: «و الله نحن الأسـماء الحسـنى» ، و مقتضـى كونهم محال معرفة الله بالبيان المتقدم، و مقتضـى كونهم عند الله، و أن لهم مقام العندية المشار إليها فی قوله تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ الآية و قد تقدم بيانها و بيان ما ورد من الأحاديث فی شـرحها، و على هذا ففی الحقيقة أن ذكره تعالى بأسمائه لا يتحقق إلاّ منهم عليهم السّلام، و أما من غيرهم فلا يتحقق ذكره تعالى بأسمائه كما هو حقه. و توضيح هذا يتوقف على بيان الذكر له تعالى فنقول: قال السبزواری عند

قوله:

«يا خير الذاكرين»

: حقيقـة الـذكر حضور المـذكور لـدى الذاكر إما بذاته أو بوجهه. . إلى أن قال: و هو تعالى خير الذاكرين بحسب ذاكريته لنفسه، لأن علمه بنفسه أتم من علمنا به، لكون الأول (أی علمه بنفسه) بالكنه، و الثانی (أی علمنا به) بالوجه.

1- 1) الصافات:159 و 160.

أقول: و المستفاد منه أن حقيقة الذكر التى هى حضور المذكور فرع العلم و المعرفة بالمذكور، و حيث إنه تعالى أعلم و أعرف بنفسه من غيره فذكره تعالى خير الذاكرين أى أتم من ذكر الذاكرين، و أما ذكر غيره تعالى من عباده فبالوجه الذى به أى بذلك الوجه يذكر المذكور (أى الله تعالى) فذكر غيره تعالى له تعالى لا يكون إلاّ بالوجه، و هذا الوجه هو حقيقة الأسماء الحسنى الإلهية، و حيث إنه ثبت فى محله أنهم عليهم السّلام وجه الله الذى لا يهلك و لا يبيد، كما وردت به أحاديث فى ذيل قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ (1)، و سيأتى بيانها فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم» . فلا محالة هم الذين يذكرون الله بالوجه الأتم، لأنهم عليهم السّلام حقيقة تلك الأسماء، و المشاهدون لأنوار جماله و جلاله بحيث لا يساويهم فى هذه الرتبة أحد، و أما من سواهم، فمن كان أعرف به تعالى و أعلم به تعالى تحقق فى قلبه من أسمائه الحسنى بنحو أوجب معرفته به تعالى من سنخ معرفتهم عليهم السّلام به تعالى، فهو بتلك المرتبة الموجبة لتحقق الوجه الإلهى لهذا العبد، فهو ذاكر له تعالى بتلك المرتبة. و من المعلوم أن تحصيل الذكر بالوجه، و بتلك الأسماء الحسنى الإلهية لا يكون إلاّ ببيانهم، بل و إلاّ بإعطائهم و تسديدهم و تنويرهم عليهم السّلام القلوب، و لا يكاد يحصل هذا إلاّ بالتوسل بهم و بالسلوك الصحيح الشرعى. و بعبارة أخرى: أن ذكره تعالى بالوجه بالأسماء و الأدعية المأثورة عنهم، و خصوصا بالقرآن الكريم، و إن كان بيانا لذكره تعالى إلاّ أن الحقيقة منها، و السير فى مراتبها، لا يكون إلاّ لمن كان مهذّبا و سالكا سبيل الشرع، و متخلقا بأخلاق الله تعالى، و منزها نفسه من الصفات الرذيلة و العلائق المادية، فهذا يمكنه ذكره تعالى بتلك الأسماء و الأذكار حسب تصفية باطنه و أنسه به تعالى كما لا يخفى، و الناس فى هذه الحالات متفاوتون جدا كما لا يخفى.

1- 1) القصص:88.

[45]قوله عليه السّلام: و جعل صلواتنا عليكم، و ما خصّنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا، و طهارة لأنفسنا، و تزكية لنا، و كفّارة لذنوبنا

قال الشارح المجلسی رحمه الله: و جعل عطف على أذن بالخبرية أو الإنشائية الدعائية، و لا بأس به لكونه بصورتها كما فی قوله تعالى: حَسْبُنَا اَللّٰهُ وَ نِعْمَ اَلْوَكِيلُ (1)، صلواتنا عليكم، و ما خصنا به من ولايتكم طيبا مفعول ثان لجعل، لخلقنا (بالضم) أی جعلكم الله فی بيوت تصير الصلوة فيها، و إظهار الولاية سببا لكرامة الله علينا بالأخلاق الحسنة، أو يكون عطفا على من و هو أظهر، و طهارة لأنفسنا من الرذائل كما حلاّنا بالفضائل، و تزكية لنا من الأعمال القبيحة، أو فی القيامة. و قد يقال: قوله: «لخلقنا» (بالفتح) ، إشارة إلى ما استفاض فی الروايات من أنّ ولايتهم و حبهم عليهم السّلام علامة طيب الولادة، أو بالضم أی جعل صلواتنا عليكم و ولايتنا بكم سببا لتزكية أخلاقنا، و طهارة لأنفسنا من الرذائل، و سببا لتحليتها بالفضائل و تزكية لنا من الاعتقادات الفاسدة و المذاهب الباطلة الكاسدة. أقول: لا بد من ذكر الأخبار الواردة الدالة على أن الصلوة عليهم، و قبول ولايتهم توجب طيب الخلق و الخلق، و تزكية الباطن، و كفارة الذنوب، ثم نعقبه بما يناسب المقام من الكلام فنقول:

ففی البحار (2)عن أمالی الصدوق و العيون بإسناده، عن علی بن الحسين بن فضّال، عن أبيه قال: قال الرضا عليه السّلام: «من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه، فليكثر من الصلوة على محمد و آله، فإنها تهدم الذنوب هدما،

و قال عليه السّلام: الصلوة على محمد و آله تعدل عند الله عز و جل التسبيح و التهليل و التكبير» .

1- 1) آل عمران:173.

2- 2) البحار ج 94 ص 47.

و فیه (1)، عن أمالی الطوسی بإسناده، عن الصادق علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: علیّ إجابة لدعائکم و زکوة لأعمالکم» .

و فیه عن جامع الأخبار، و قال النبی صلّی الله علیه و آله: «یا علی من صلّی علیّ کل یوم أو کل لیلة وجبت له شفاعتی، و لو کان من أهل الکبائر» .

و فیه، عنه و قال النبی صلّی الله علیه و آله: «من صلی علیّ مرة، خلق الله تعالی یوم القیامة علی رأسه نورا، و علی یمینه نورا، و علی شماله نورا، و علی فوقه نورا، و علی تحته نورا، و فی جمیع أعضائه نورا» .

و فیه قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «صلاتکم علیّ جواز دعائکم، و مرضاة لربکم، و زکوة لأعمالکم» .

و فیه (2)، عن جمال الأسبوع بإسناده عن عبد الرحمن بن کثیر قال: سألته عن قول الله تبارک و تعالی: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً (3)، فقال: «صلوة الله تزکیة له فی السماء، قلت: ما معنی تزکیة الله إیاه؟ قال: زکاة بأن برأه من کل نقص و آفة یلزم مخلوقا، قلت: فصلوة المؤمنین؟ قال: یبرّؤنه و یعرّفونه بأن الله قد برأه من کل نقص هو فی المخلوقین من الآفات التی تصیبهم فی بنیة خلقهم، فمن عرفه و وصفه بغیر ذلک فما صلّی علیه. قلت: فکیف نقول و نحن إذا صلّینا علیهم؟ قال: تقولون: اللهم إنا نصلّی علی محمد نبیّک و علی آل محمد کما أمرتنا، به و کما صلّیت أنت علیه، فکذلک صلاتنا علیه» . أقول: المستفاد من هذه الروایات الکثیرة و قد ذکرنا بعضها أن الصلوة علیهم توجب غفران الذنوب حتی الکبائر، بل فی بعضها کان کیوم ولدته أمّه، و توجب

1- 1) البحار ج 94 ص 54.
2- 2) البحار ج 94 ص 71.
3- 3) الأحزاب:56.

زکوة الأعمال و إن يبرأه الله تعالی من کل نقص و آفة، و أنها مرضاة للرب، و سبب لاستجابة الدعاء.

و فی البحار (1)، عن المحاسن بإسناده، عن أبی عبد الله المدائنی قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «إذا يرد علی قلب أحدکم حبّنا فليحمد الله علی أولی النعم، قلت: علی فطرة الإسلام؟ قال: لا، و لکن علی طيب المولد، إنه لا يحبنا إلاّ من طابت ولادته، و لا يبغضنا إلاّ الملزق الذی تأتی به أمه من رجل آخر فتلزمه زوجها، فيطلع علی عوراتهم و يرثهم أموالهم، فلا يحبّنا ذلک أبدا، و لا يحبنا إلاّ من کان صفوة من أی الجيل کان» .

و فيه (2)، عن الإرشاد بإسناده، عن جابر بن عبد الله الأنصاری قال: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله يقول لعلی بن أبی طالب علیه السّلام: «أ لا أسرک أ لا أمنحک أ لا أبشّرک؟ فقال: بلی يا رسول الله بشرنی، قال: خلقت أنا و أنت من طينة واحدة، ففضلت منها فضلة فخلق الله منها شيعتنا، فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم، فإذا کان يوم القيامة دعی الناس بأسماء أمهاتهم سوی شيعتنا» .

و فيه (3)، عن الکنز روی شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده، عن زيد بن يونس الشحام قال: قلت لأبی الحسن موسی علیه السّلام: «الرجل من مواليکم عاص يشرب الخمر، و يرتکب الموبق من الذنب نتبرأ منه؟ فقال: تبرّأوا من عمله و لا تتبرّءوا من خيره، و أبغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الکافر الجاحد لنا و لأوليائنا، أبی الله أن يکون ولينا فاسقا فاجرا، و إن عمل ما عمل، و لکنّکم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس خبيث الفعل طيب الروح و البدن، لا، و الله لا يخرج ولينا من الدنيا إلاّ و الله و رسوله و نحن عنه راضون

1- 1) البحار ج 27 ص 152.
2- 2) البحار ج 27 ص 155.
3- 3) البحار ج 27 ص 27.

یحشره الله علی ما فیه من الذنوب مبیضا وجهه، مستورة عورته، آمنة روعته، لا خوف علیه و لا حزن. و ذلک أنه لا یخرج من الدنیا حتی یصفی من الذنوب إما بمصیبة فی مال أو نفس أو ولد أو مرض، و أدنی ما یصنع بولینا أن یریه الله رؤیا مهولة، فیصبح حزینا لما رآه، فیکون ذلک کفارة له أو خوفا یرد علیه من أهل دولة الباطل، أو یشدّد علیه عند الموت، فیلقی الله عز و جل طاهرا من الذنوب آمنة روعته بمحمد و أمیر المؤمنین (صلوات الله علیهما و آلهما) ثم یکون أمامه أحد الأمرین رحمة الله الواسعة، التی هی أوسع من أهل الأرض جمیعا، أو شفاعة محمد و أمیر المؤمنین (صلوات الله علیهما و آلهما) فعندها تصیبه رحمة الله الواسعة، التی کان أحق بها و أهلها و له إحسانها و فضلها» . أقول:

قوله علیه السّلام: «طیب الروح و البدن» ، یدل علی أن الشیعة و المحب لهم و ولیّهم یکون بسبب قبول ولایتهم طیب الروح و البدن و هو طهارة النفس

کما قال علیه السّلام: «و طهارة لأنفسنا» ، و إما کونه سببا لکفارة الذنوب فظاهر، و تدلّ علیه أخبار کثیرة جدا.

و فیه (1)، عن کتاب المحتضر، و منه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «یا علی إن جبرئیل أخبرنی عنک بأمر قرّت به عینی و فرح به قلبی، قال: یا محمد، قال الله عز و جل: اقرأ محمدا منی السّلام و اعلمه أنّ علیا إمام الهدی و مصباح الدجی و الحجة علی أهل الدنیا و أنه الصدیق الأکبر و الفاروق الأعظم و إنّی آلیت و عزتی و جلالی أن لا أدخل النار أحدا تولاّه و سلّم له و للأوصیاء من بعده، حق القول منی لأملأن جهنم و أطباقها من أعدائه و لأملأن الجنة من أولیائه و شیعته» .

و فیه (2)، عن کتاب فضائل الشیعة للصدوق رحمه الله بإسناده، عن ابن عباس قال:

1- 1) البحار ج 27 ص 132.

2- 2) البحار ج 27 ص 136.

قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «حبّ علی بن أبی طالب علیه السّلام یأکل السیئات، کما تأکل النار الحطب» .

و فی البحار (1)، عن تفسیر القمی بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول الله: وَ إِنِّی لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدیٰ (2)، قال: «أ لا ترى کیف اشترط و لم تنفعه التوبة أو الإیمان و العمل الصالح حتى اهتدى؟ و الله لو جهد أن یعمل ما قبل منه حتى یهتدی، قال: قلت: إلى من جعلنی الله فداک؟ قال: إلینا» .

و فیه (3)، عن بصائر الدرجات، محمد بن عیسى، عن صفوان، عن یعقوب بن شعیب قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله تبارک و تعالى: وَ إِنِّی لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدیٰ (4)قال: «و من تاب من ظلم، و آمن من کفر، و عمل صالحا، ثم اهتدى إلى ولایتنا، و أومأ بیده إلى صدره» .

و فی الشموس الطالعة (5)للاردوبادی رحمه الله عن الرضا علیه السّلام، عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «حبنا أهل البیت یکفّر الذنوب، و یضاعف الحسنات، و إن الله لیتحمل من محبینا أهل البیت ما علیهم من مظالم العباد، إلاّ ما کان منهم على إصرار و ظلم المؤمنین فیقول للسیئات: کونی حسنات» .

و فیه، عن القمی، عن الصادق علیه السّلام إنه سئل عن قوله تعالى: لِیَغْفِرَ لَکَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ (6)فقال: «ما کان له ذنب و لا هم بذنب، و لکنّ الله حمله ذنوب شیعته ثم غفرها له» .

و فیه، عن العیون، عن الرضا، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول

1- 1) البحار ج 27 ص 168.

2- 2) طه:82.

3- 3) البحار ج 27 ص 176.

4- 4) طه:82.

5- 5) الشموس الطالعة ص 372.

6- 6) الفتح:2.

الله صلّى الله علیه و آله: «إذا کان یوم القیامة و لینا حساب شیعتنا، فمن کانت مظلمته فیما بینه و بین الناس استوهبناها فوهبت لنا، و من کانت مظلمته فیما بینه و بیننا کنا أحق من عفا و صفح.» أقول: و الأخبار فی هذا الباب کثیرة کما علمت. ثم إن المراد من الصلوة هو قول:

«اللهم صلّ علی محمد و آل محمد»

، و نحوه مما ورد فی المأثور، و قد یقال: إن المراد منها هو الصلوات الیومیة، إما بلحاظ اشتمالها علی الصلوة علیهم، و إما بلحاظ ما تقدم من أنهم علیهم السّلام أصل الصلوة بلحاظ حقائقها الحاکیة عن عبودیة العبد و ربوبیة الرب بأنحائها و شئونها، و الصلوة المأتی بها منا إنما هی التلبس بتلک الحالات، التی أصلها یکون لهم علیهم السّلام، و حینئذ کان صلواتنا تکون علیهم، أی لهم بلحاظ التشبّه بهم، و أخذ تلک الحالات الصلواتیة منهم، فتأمل. و کیف کان فالصلوة و الولایة أوجبتا طیب الخلق و الخلق و طهارة النفس و کفارة الذنوب، و السرّ فی ذلک هو أنه قد ثبت من أخبار کثیرة قد مضی شطر منها فی طی الشرح، و یأتی أیضا أن الشیعة و محبیهم خلقوا من فاضل طینتهم، و ثبت فی محله فی المعارف الإلهیة أن الإنسان الکامل هو حجة الله و هم محمد و آله الطاهرون، بما لهم من الشئون فی التوحید و آثاره المعبر عنها بالرسالة و الولایة، و ما لها من الآثار، فهم علیهم السّلام مظاهره تعالی و حقائق الأسماء الحسنی الإلهیة. و الشیعة حیث إنهم خلقوا من فاضل طینتهم، فلا محالة یکون أصلهم منهم علیهم السّلام فهم بالذات و الأصل کما صرحت به الروایة المتقدمة طیب الروح و البدن، لکونهم من فرع تلک الطینة العلیة، التی خلقت منها أبدان و عالم المثال لمحمد و آله الطاهرین، ثم إنهم (أی الشیعة) بعد الاختلاط فی بعض العوالم بأرواح الأعداء الذین خلق طینتهم من الطینة السجّین، قد اکتسبوا منهم آثارهم من المعاصی، فإذا کان أحد من الشیعة محبا لهم علیهم السّلام و مقرا بولایتهم، فقد استمسک قلبا بالعروة

الوثقى (أعنى حقيقتهم) التى هى مظهر التوحيد و الولاية. و لا ريب فى أن هذا الارتباط أقوى من الحال الذى حصل لهم من ذلك الاختلاط الموجب للمعاصى فلا محالة يؤثر هذا الارتباط الواقعى المعنوى أثره فيوجب طيب الخلق و الخلق و النفس و كفارة الذنوب، و إنما كانت الصلوة عليهم عليهم السّلام سببا لتلك الأمور، لأن الصلوة عليهم ترجع حقيقة العبد إلى أصله، بأن يجدد الارتباط، و يستمد من أنوارهم، فيغلب تلك الأنوار حينئذ على قلبه، فيطهر ما صدر منه من المعصية فيكون غاسلا لها. و لعله إليه يشير

ما رواه فى البحار (1)عن معانى الأخبار بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السّلام قال: «من صلّى على النبى صلّى الله عليه و آله فمعناه أنى أنا على الميثاق و الوفاء الذى قبلت حين قوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ (2)» .

و فيه (3)و قال النبى صلّى الله عليه و آله: «من صلى عليّ مرة خلق الله تعالى يوم القيامة على رأسه نورا، و على يمينه نورا، و على شماله نورا، و على فوقه نورا، و على تحته نورا، و فى جميع أعضائه نورا» . و من المعلوم أن خلق النور لتلك المواضع إنما هو ظهور أنوار ولايتهم فيها، فالأنوار حينئذ تغسل آثار المعاصى، فيكون من أهل الجنة، و إليه يشير ما فيه أيضا

قال صلّى الله عليه و آله: «لن يلج النار من صلّى عليّ» ،

و قال عليه السّلام: «الصلوة على نور الصراط، و من كان له على الصراط من النور، لم يكن من أهل النار» .

و فى رواية عبد الرحمن بن عوف، أنه صلّى الله عليه و آله قال: «جاءنى جبرئيل و قال: إنه لا يصلى عليك أحد، إلاّ و يصلى عليه سبعون ألف ملك، و من صلى عليه سبعون ألف ملك كان من أهل الجنة» .

1- 1) البحار ج 94 ص 54.

2- 2) الأعراف:172.

3- 3) البحار ج 94 ص 64.

أقول: نقله عن جامع الأخبار. و قد صرّح بما ذكرنا كثير من الأخبار، كما لا يخفى على المتتبع لها. و بعبارة أخرى: السرّ فى ذلک كله ما ذكره بعض الشارحين من أن حبّهم عليهم السّلام و ولايتهم نور من كل ظلمة، و حياة من كل موت، و طهر من كل دنس و رجس، و شفاء لما فى الصدور، و هدى و رحمة للمؤمنين، فإذا تفضل الله بهما على عبد كان منيرا ظاهرا ببعض الأعمال الصالحات و باطنه بحسن الاعتقاد و الاقتصاد و السداد، فإذا وقعت منه سيئة فلم تصدر من قلبه، بل وقعت منه و قلبه منكر عليه، فتكون مجتثة ليست متأصّلة فيه مع تأصّل النور فيه، لأنهم خلقوا من طينة أئمتهم عليهم السّلام و هى نور و من ماء ولايتهم و هو نور، و حين خاطبهم فى الذر أجابوه فغمسهم فى رحمته و هى نور، فالأنوار متأصّلة فيه و لا نفاذ لها. و ظلمة السيئة مجتثة نافذة، لعدم تأصّلها و قلّتها، فإذا وقعت منه و ندم عليها استولت عليها تلک الأنوار فمحقها بواسطة الندم، لأن الندم على فعل السيّئة من نور ولايتهم، إذ معناه تجديد العهد المأخوذ عليه، و كذا عدم الإصرار، و منه عدم العزم على البقاء على المعصية، فإن تلک الأنوار تحولها، كما نقول فى النهر الجارى إذا تنجس موضع منه فتغير بالنجاسة فزال التغيير بتدافعه، فإنه يطهر و لا يحتاج إلى نزح ما فيه النجاسة، الذى هو مثل البلاء للمؤمن، الذى يكون مكفّرا للسيئة، بل تلک الأنوار التى أشرنا إليها هى أنهار تجرى من الكوثر، و هى بكثرة جريانها و تدافعها تزيل التغيير، الذى حدث من المعصية المجتثة، فيطهر صاحبها، و لا يحتاج إلى البلاء الذى هو نزع المتنجس و إزالة النجاسة، لأن حبّهم يستهلک الذنوب كما أن الماء الذى له مادة تجرى يستهلک النجاسة فلا يحمل خبثا، كما هو حكم الكرّ إذا لم يتغير منه ما يبقى بعده كرّ لم يتغير، و كالجارى إذا لم تتغير المادة، فالتغيير فى المؤمن الذى لا يبقى معه كرّ غير متغير، و هو ولاية أعدائهم، فإن من كان كذلک و العياذ بالله كان نجسا، لا يطهر أولئک الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، و أما الذى يبقى معه

حال المعصیة أصل الإیمان، الذی هو بمنزلة بقاء کرّ طاهر یطهر بزوال النجاسة کما مثّلنا، لأن المحب خلقه الله من النور و غمسه فی الرحمة یعود إلی الرحمة.

و فی الکافی بسنده إلی أبی عبیدة الحذاء قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن الاستطاعة و قول الناس بها و تلا هذه الآیة: وَ لاٰ یَزٰالُونَ مُخْتَلِفِینَ (1)، قال: «یا أبا عبیدة الناس مختلفون فی إصابة القول و کلهم هالک، قال: قلت: قوله: إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ (2)قال: هم شیعتنا و لرحمته خلقهم و هو قوله، و لذلک خلقهم، یقول: لطاعة الإمام، الرحمة التی یقول: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ (3)، یقول: علم الإمام، وسع علمه الذی هو من علمه کل شیء» ، الحدیث. أقول: هذا البیان أحسن بیان للمقصود، و هو مطابق و مأخوذ من الأحادیث الواردة من الأئمة علیهم السّلام و نحن نسأل الله تعالی أن یثبّتنا علی ولایتهم فی الدنیا و الآخرة بمحمد و آله الطاهرین.

[46]قوله علیه السّلام: «فکنّا عنده مسلّمین بفضلکم، و معروفین بتصدیقنا إیّاکم.

اشارة

أقول: الفاء سببیة، أی أنه تعالی لما جعل صلاتنا علیکم و موالاتنا لکم سببا لطیب خلقنا. . . إلخ، فعلم منه إنا کنا فی علمه تعالی مسلّمین، أی لکوننا فی علمه مسلّمین بفضلکم صار سببا لجعله تعالی صلاتنا و موالاتنا لکم طیبا لخلقنا. . . إلخ. و کیف کان فالکلام یقع فی أمرین:

الأول: فی بیان أنا کنا مسلّمین بفضلهم علیهم السّلام.

الثانی: فی بیان کوننا معروفین بتصدیقنا إیّاهم، فنقول: أما الأول: فقد دلت أحادیث کثیرة علی أن شیعتهم و محبیهم هم الذین قبلوا ولایتهم، و سلّموا بفضلهم فی عالم الأرواح و عالم الذر.

1- 1) هود:118.

2- 2) هود:119.

3- 3) الأعراف:156.

ففی بصائر الدرجات ص 8 بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اللّه خلق الخلق، فخلق من أحبّ مما أحبّ، و کان ما أحبّ أن یخلقه (خلقه) من طینة الجنة، و خلق من أبغض مما أبغض، و کان ما أبغض أن یخلقه من طینة النار، ثم بعثهم فی الضلال، قال: قلت: أی شیء الضلال؟ قال: أ لم تر إذا ضلّل فی الشمس شیء و لیس بشیء، ثم بعث فیهم النبیین یدعونهم إلی الإقرار باللّه و هو قوله: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ (1)، ثم دعاهم إلی الإقرار بالنبیین، فأقرّ بعضهم، و أنکر بعضهم، ثم دعاهم إلی ولایتنا فأقرّ بها و اللّه من أحبّ، و أنکرها من أبغض و هو قوله: فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: کان التکذیب ثمّة» .

و فی البحار (2)، عن الکنز بإسناده، عن محمد بن حمران قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام فقوله: عز و جل: فَأَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (3)، قال: ذاک من کانت له منزلة عند الإمام، قلت: وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْيَمِينِ (4)، قال: ذاک من وصف هذا الأمر، قلت: وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ اَلْمُكَذِّبِينَ اَلضّٰالِّينَ (5)، قال: الجاحدین للإمام» .

و فیه (6)، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن عبد اللّه بن جندب عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام أنه کتب إلیه فی رسالة: «إن شیعتنا مکتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه علینا و علیهم المیثاق، یردون موردنا، و یدخلون مدخلنا، لیس علی ملة الإسلام غیرنا و غیرهم» .

و فیه (7)، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن أصبغ بن نباتة، أن أمیر

1- 1) الزخرف:87.
2- 2) البحار ج 24 ص 4.
3- 3) الواقعة:88.
4- 4) الواقعة:90.
5- 5) الواقعة:92.
6- 6) البحار ج 26 ص 123.
7- 7) البحار ج 26 ص 130.

المؤمنين علیه السّلام صعد المنبر، فحمد الله و أثنی علیه، ثم قال: «یا أیها الناس إن شیعتنا خلقوا من طینة مخزونة قبل أن یخلق آدم بألفی سنة، لا یشذّ فیها (منها خ) شاذ، و لا یدخل منها داخل، و إنی لأعرفهم حین ما أنظر إلیهم، لأن رسول الله صلّی الله علیه و آله لما تفل فی عینی و أنا أرمد قال: اللهم أذهب عنه الحرّ و القرّ و البرد، و بصّره صدیقه من عدوه، فلم یصبنی رمد بعد و لا حرّ و لا برد، و إنی لأعرف صدیقی من عدوی» ، الحدیث.

و فیه، عن الاختصاص بإسناده، عن عبد الله بن الفضل الهاشمی قال: قال لی أبو عبد الله علیه السّلام: «یا عبد الله بن الفضل إن الله تبارک و تعالی، خلقنا من نور عظمته، و صنعنا برحمته، و خلق أرواحکم منّا، فنحن نحنّ إلیکم، و أنتم تحنّون إلینا، و الله لو جهد أهل المشرق و المغرب أن یزیدوا فی شیعتنا رجلاً أو لینقصوا منهم رجلاً ما قدروا علی ذلک، و إنهم لمکتوبون عندنا بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم و أنسابهم، یا عبد الله بن الفضل و لو شئت لرأیتک اسمک فی صحیفتنا قال: ثم دعا بصحیفة فنشرها، فوجدتها بیضاء لیس فیها أثر الکتابة، فقلت: یا بن رسول الله ما أری فیها أثر الکتابة، فمسح یده علیها، فوجدتها مکتوبة، و وجدت فی أسفلها اسمی، فسجدت لله شکرا» . أقول: قد دلّت هذه الأحادیث و غیرها (و هی کثیرة جدّا) علی أن شیعتهم و محبیهم قد سلّموا بفضلهم علیهم السّلام عند الله و ذلک بقبول ولایتهم فی عالم الأرواح و الذّر، کما تقدم کثیر من أخبار هذا الباب، و نقل فی بعض النسخ مسمّین بدل مسلّمین، و علی هذا یناسب ما ذکرنا من أن أسماءهم عندهم علیهم السّلام. و کیف کان فالشیعة و المحبّ لهم من بدو خلقهم کانوا مسلّمین بفضلهم، و مذکورین فی جملة محبیهم و أهل ولایتهم. و بعبارة أخری: أنهم کانوا فی علمه تعالی، و فی اللوح المحفوظ مکتوبین بأسمائهم، أی کانت حقائقهم و أنفسهم النورانیة مسلّمین أی منقادین لطاعة الأئمة علیهم السّلام و الاقتداء بهم و الولایة لهم و البراءة من أعدائهم، و قد یقرأ بتخفیف

اللام، أى كنا مسلمين بفضلكم، أى كنا سلما لكم، أى سلما بفضلكم، و مشينا فى ذلک طريق العدل و الإنصاف، و عدم التعدى بالنسبة إليكم و إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و إلى مواليكم أيضا، و هذا السلم هو حقيقة الإيمان لما ورد من أن من لم يسلم لهم و لفضلهم و ولايتهم كان ناقصا فى الإسلام الحقيقى، بل كان كافرا واقعا، و إن جرى عليه حكم الإسلام ظاهرا، كما هو المستفاد من كثير من الأخبار.

ففى البحار (1)، عن أمالى الصدوق بإسناده، عن شريف المكى قال: حدثنى محمد بن على الباقر عليه السّلام «و ما رأيت محمديا قطّ يعدله، قال: حدّثنا جابر بن عبد الله الأنصارى قال: خطبنا رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت، بعثه الله يوم القيامة يهوديّا، قال: قلت: يا رسول الله و إن صام و صلّى و زعم أنه مسلم؟ فقال: و إن صام و صلّى و زعم أنه مسلم» .

و فيه، عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام ص 232 بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى، و على من قاتلهم، و على المعين عليهم، و على من سبّهم أُولٰئِکَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَةِ وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ .

و فى تفسير البرهان (2)، عن جابر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى قول الله عز و جل: رُبَمٰا يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كٰانُوا مُسْلِمِينَ (3)، قال: «هو إذا خرجت أنا و شيعتى، و خرج عثمان و شيعته و ثقل بنى أمية فعندها يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين» . أقول: قد طبّق الذين كفروا على عثمان و شيعته كما لا يخفى.

و فيه، عن الإمام العسكرى عليه السّلام فى حديث شفاعة الأئمة للشيعة، و أنه يفدى

1- 1) البحار ج 27 ص 218.

2- 2) تفسير البرهان ج 2 ص 325.

3- 3) الحجر:2.

للشیعة من النصاب. . إلی أن قال علیه السّلام: «و ذلک ما قال الله عز و جل: رُبَمٰا یَوَدُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا ، یعنی بالولایة لو کانوا مسلمین (بفتح السین و تشدید اللام) فی الدین، منقادین للإمامة لیجعل مخالفوهم فداءهم» . فالمستفاد من هذه الأخبار و نظائرها: أن المخالفین لهم ملحقون بالیهود و الکفار یوم القیامة.

و أما الثانی: أعنی بیان کوننا معروفین بتصدیقنا إیّاهم،

فإما یراد منه کوننا معروفین عند عامة الناس بأنّا من شیعتکم و أتباعکم و المصدقین بکم و بولایتکم و بما قلتم و عملتم، سواء أرید بالناس هذه الأمة أو الأمم السابقة، فإن الکتب السماویة السابقة قد أخبرت بوصف محبیهم و وصف أعدائهم، و أما إنّا معروفون عند أهل السماء من الملائکة المستغفرین للشیعة، و کیف کان فالشیعة معروفون بکونهم مصدّقین بهم علیهم السّلام عند هؤلاء، و تدل علیه عدة من الأحادیث.

ففی البحار (1)، عن کنز الفوائد بإسناده، عن أبی بصیر قال: قال لی أبو عبد الله علیه السّلام: «یا أبا محمد إن لله ملائکة تسقط الذنوب عن ظهر شیعتنا، کما تسقط الریح الورق من الشجر أوان سقوطه، و ذلک قوله عز و جل: وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا (2)، و استغفارهم و الله لکم دون هذا الخلق، یا أبا محمد فهل سررتک؟ قال: فقلت: نعم» .

و فیه (3)، عن تفسیر القمی بإسناده، عن حمّاد، عن أبی عبد الله علیه السّلام أنه سئل: هل الملائکة أکثر أم بنو آدم؟ فقال: «و الذی نفسی بیده لملائکة الله فی السموات أکثر من عدد التراب فی الأرض، و ما فی السماء موضع قدم إلاّ و فیها ملک یسبّحه و یقدّسه، و لا فی الأرض شجرة و لا مدر إلاّ و فیها ملک موکل بها، یأتی الله کل یوم

1- 1) البحار ج 24 ص 209.

2- 2) غافر:7.

3- 3) البحار ج 24 ص 210.

بعملها (بعلمها خ) و الله أعلم بها، و ما منهم أحد إلاّ و يتقرب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، و يستغفر لمحبينا، و يلعن أعداءنا و يسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالا. أقول: و الأخبار بهذا المضمون كثيرة، و هى تدل على معروفية شيعتهم و محبيهم عندهم كما لا يخفى.

و فيه، عن تفسير القمى بإسناده، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: وَ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ يعنى بنى أمية اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ «يعنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و الأوصياء من بعده عليهم السّلام يحملون علم الله وَ مَنْ حَوْلَهُ يعنى الملائكة يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أى شيعة آل محمد رَبَّنٰا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تٰابُوا من ولاية فلان و فلان و بنى أمية وَ اِتَّبَعُوا سَبِيلَكَ أى ولاية على ولى الله وَ قِهِمْ عَذٰابَ اَلْجَحِيمِ . رَبَّنٰا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّٰاتِ عَدْنٍ اَلَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ أَزْوٰاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ يعنى من تولّى عليا عليه السّلام فذلك صلاحهم وَ قِهِمُ اَلسَّيِّئٰاتِ وَ مَنْ تَقِ اَلسَّيِّئٰاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ يعنى يوم القيامة وَ ذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ لمن نجّاه الله من هؤلاء يعنى من ولاية فلان و فلان، ثم قال: إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يعنى بنى أمية يُنٰادَوْنَ لَمَقْتُ اَللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اَلْإِيمٰانِ (1)يعنى إلى ولاية على عليه السّلام فَتَكْفُرُونَ » . أقول فدلّت هذه الرواية على كفر بنى أمية. و كيف كان فالمستفاد من هذه و أمثالها أن الشيعة يوم القيامة أيضا معروفون

1- 1) غافر:6-10.

عنـد أهل المحشـر بسـبب تلك الكرامات التى تشـملهم من الله تعالى، فجميع هـذه المعروفية لهم فى تلك الأماكن و المواطن فإنما هى بسبب تصديقهم ولاية الأئمة و الائتمام بهم عليهم السّلام فى جميع أمور الدين كما لا يخفى.

[48 و 47]قوله عليه السّلام: فبلغ الله بكم أشرف محل المكرّمين، و أعلى منازل المقرّبين، و أرفع درجات المرسلين

اشارة

الكلام يقع فى مقامين:

الأول: فى معنى الباء فى بكم،

فهل هى للتعدية كما هى الظاهر، فإن بلغ لا يتعدى إلاّ بالتضـعيف، أو الباء بالنسبة إلى المفعول الثانى، فيقال: بلّغه منه (بالتشديد) أو بلغ به الأمر الكذائى، أى بلّغه ذلك الأمر الكذائى، فعلى كونه للتعدية، فمعناه أنه تعالى بلّغهم أى الأئمة عليهم السّلام أشرف محل المكرمين. . . إلخ، و هو ظاهر، و يؤيده أيضا قوله فيما بعد حتى لا يبقى ملك مقرب، إلى

قوله:

«إلاّ عرّفهم جلالة أمركم» . فإن هذا السـياق يعطى أن المبلغ (بالفتح) هم الأئمة عليهم السّـلام بحيث عرف جميع الخلق مقامهم العالى، فتكون الجمل مفادها مفاد

قوله عليه السّلام فيما بعد:

«آتاكم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين»

، و سيأتى شرحه، على أن جعل الباء سببية لا يلائم

قوله:

«حيث لا يلحقه لاحق، و لا يفوقه فائق، و لا يطمع فى إدراكه طامع»

، إذ معناه حينئذ أنه تعالى بلغ بكم غيركم من النبيين و المؤمنين من الشيعة إلى مقام لا يفوقهم فائق. . . إلخ حتى الأئمة عليهم السّلام فيلزم منه أفضـلية الشيعة و الأنبياء منهم عليهم السّلام مع أنه كما سنذكره قريبا الأمر بالعكس. و القول: بأن المراد من أشرف محل المكرمين. . . إلـخ إنمـا هو بحسب إمكان ذاتهم و قابلياتهم، و هـذا لا ينافى أفضـلية الأئمـة عليهم السّـلام منهم لأكملية قابلياتهم من غيرهم مجاز فى الكلام، فـإنه تأويل و إلزام بلا ملزم، على أن سـياق الكلام يأباه، فإن الكلام مسوق لبيان أن المبلغين (بالفتـح) قـد بلغوا إلى ما لا يمكن أن يلحقه لاحق، أو يفوقه

فائق، أو لا يطمع فى إدراكه طامع، و حينئذ فحمل هذه على حسب القابلية الذاتية بحيث تكون فوقهم درجات بلا نهاية لغيرهم حمل مستهجن، كما لا يخفى. و الحاصل: أن المبلغين (بالفتح) هم الأئمة عليهم السّلام على أن يكون الباء للتعدية و زايدة، كما لا يخفى، و إما كونه سببية و إن المبلغين (بالفتح) غيرهم، فيحتاج تصحيحه إلى تكلّف بارد خارج عن سياق الكلام و فهم العرف السالم، كما لا يخفى، ثم إن هذه الجمل الثلاث من المكرمين و المقربين و المرسلين حيث إنها ذات مراتب كما يستفاد من الآيات، كما لا يخفى.

فقوله عليه السّلام:

«فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، و أعلى منازل المقربين، و أرفع درجات المرسلين»

، يبين أنه تعالى جعلهم فى أكمل و أعلى و أرفع و أشرف تلك المراتب، و هى مرتبة ولايتهم المطلقة التكوينية و التشريعية، التى هى دون مرتبة الربوبية المطلقة، و فوق مرتبة الكمالات المتصورة لأحد، كيف و قد عرفت أن حقيقتهم النورانية منفصلة من نور ذاته تعالى، و أنه تعالى احتجب بهم، و سيأتى بعض الأخبار الموضحة لهذا إن شاء الله.

المقام الثانى: فى أفضليتهم عليهم السّلام على الجميع.

قال الشارح المجلسى رحمه الله:

«فبلغ الله بكم»

، أى بلغكم أشرف محل المكرمين، و أفضل مراتبهم، و أعلى منازل المقربين (من المرسلين) و أرفع درجات المرسلين، و هى درجات نبينا صلّى الله عليه و آله فيلزم منه أفضليتهم عليهم السّلام على الأنبياء كما ذكره العلامة النيسابورى فى تفسير قوله تعالى: وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَكُمْ (1)، بأنه لا تزال الشيعة قديما و حديثا يستدلّون بهذه الآية على أفضلية على عليه السّلام على جميع الأنبياء، بأنه نفس النبى صلّى الله عليه و آله و هو أفضل منهم.

و قال: و يؤيده ما روى عنه صلّى الله عليه و آله أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه،

1- 1) آل عمران:61.

و إلى نوح فى عبادته، و إلى إبراهيم فى خلّته، و إلى موسى فى هيبته، و إلى عيسى فى زهده، و إلى يحيى فى ورعه، فلينظر إلى على بن أبى طالب عليه السّلام فإن فيه سبعين خصلة من الأنبياء بأنّ كل واحد منهم امتاز عن سائرهم بخصلة واحدة من هذه الخصال، فمن اجتمع فيه جميعها يكون أفضل» . و الأخبار عندنا متواترة بذلک فى جميع الأئمة عليهم السّلام. أقول: نذكر بعضها ثم نعقبها بالكلام فنقول: منها: ما تقدم آنفا عن حماد بن عيسى، و منها:

ما فى بصائر الدرجات (1)، عن أبى الصباح الكنانى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال سمعته يقول: «و الله إن فى السماء لسبعين صفا من الملائكة، لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم، يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، و إنهم ليدينون بولايتنا» .

و فيه عن سدير الصيرفى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن أمركم هذا عرض على الملائكة فلم يقرّبه إلاّ المقربون» .

و فيه (2)، بإسناده، عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله عز و جل: وَ لَقَدْ عَهِدْنٰا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (3)، قال: «عهد الله فى محمد صلّى الله عليه و آله و الأئمة من بعده عليهم السّلام فترک، و لم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، و إنما سمّى أولو العزم أولو العزم، لأنه عهد الله فى محمد و الأوصياء من بعده و المهدى و سيرته، فأجمع عزمهم أن ذلک كذلک و للإقرار به» .

و فيه (4)، بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «ما تكاملت النبوة لنبى فى الأظلة حتى عرضت عليه ولايتى و ولاية أهل بيتى، و مثّلوا

1- 1) بصائر الدرجات ص 67.

2- 2) بصائر الدرجات ص 70.

3- 3) طه:115.

4- 4) بصائر الدرجات ص 73.

له فأقروا بطاعتهم و ولايتهم» .

و فيه (1)، بإسناده عن عبد الأعلى قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «ما نبئ نبى قط إلاّ بمعرفة حقنا و بفضلنا عمّن سوانا» . و مثله كثير فى بابه.

و فيه بصائر الدرجات (2)، بإسناده عن أبى الحسن الأول عليه السّلام و ساق الحديث. . . إلى أن قال عليه السّلام: «إن الله يقول فى كتابه: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتىٰ (3)، فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال، و يقطّع به البلدان، و يحيى بن الموتى بإذن الله، و نحن نعرف ما تحت الهواء، و إن كان فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التى أعطاه الله الماضين النبيين و المرسلين، إلاّ و قد جعله الله ذلك كلّه لنا فى أمّ الكتاب، إن الله تبارك و تعالى يقول: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِى اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِى كِتٰابٍ مُبِينٍ (4)، ثم قال جلّ و عزّ ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتٰابَ اَلَّذِينَ اِصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا (5)، فنحن الذين اصطفانا الله، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذى فيه تبيان كل شيء» .

و فيه بصائر الدرجات (6)، عن بعض الصادقين يرفعه إلى جعفر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «يمصون الثماد، و يدعون النهر العظيم، قيل له: و من النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلّى الله عليه و آله و إنه و العلم الذى أتاه الله، إن الله جمع لمحمد صلّى الله عليه و آله سنن النبيين من آدم هلّم جرّا إلى محمد صلّى الله عليه و آله، قيل له: و ما تلك السنن؟ قال: علم النبيين، و إن رسول الله صلّى الله عليه و آله صير ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له الرجل: يا بن رسول الله فأمير

ص: 322

1- 1) بصائر الدرجات ص 74.

2- 2) بصائر الدرجات ص 114.

3- 3) الرعد:31.

4- 4) النمل:75.

5- 5) فاطر:32.

6- 6) بصائر الدرجات ص 117.

المؤمنين أعلم أو بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: اسمعوا ما يقول: إن الله، يفتح مسامع من يشاء إنى حدثت أن الله جمع لمحمد صلّى الله عليه و آله علم النبيين و أنه جعل ذلك كله عند أمير المؤمنين، و هو يسألنى هو أعلم أم بعض النبيين» .

و فيه (1)، بإسناده، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا، و إنما كان عند آصف منها حرف فتكلم به، فخسف به الأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفا، و حرفا عند الله استأثر به فى علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوة إلاّ بالله العلى العظيم» . و غيره كثير

و فى بعضها: «و احتجب حرفا لئلا يعلم ما فى نفسه، و يعلم ما فى نفس العباد» .

و فيه (2)بإسناده، عن سلمان الفارسى رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى قول الله تبارک و تعالى: قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْكِتٰابِ (3)فقال: «أنا هو الذى عنده علم الكتاب، و قد صدقه الله و أعطاه الوسيلة فى الوصية، و لا تخلى أمته من وسيلة الله و إلى الله فقال: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِبْتَغُوا إِلَيْهِ اَلْوَسِيلَةَ (4).

و فى البحار (5)، عن تفسير القمى قال الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ الآية، «كان الميثاق مأخوذا عليهم لله بالربوبية، و لرسوله بالنبوة، و لأمير المؤمنين و الأئمة بالإمامة، فقال: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ و محمد نبيكم و على إمامكم، و الأئمة الهادون أئمتكم؟ ف قٰالُوا بَلىٰ ، فقال الله: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ

1- 1) بصائر الدرجات ص 207.

2- 2) بصائر الدرجات ص 217.

3- 3) الرعد:43.

4- 4) المائدة:35.

5- 5) البحار ج 26 ص 268.

اَلْقِيامَةِ (أى لئلا تقولوا يوم القيمة) إِنّا كُنّا عَنْ هٰذا غافِلِينَ ، فأوّل ما أخذ الله عز و جل الميثاق على الأنبياء بالربوبية، و هو قوله: وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِيثٰاقَهُمْ (1)، فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامى فقال: وَ مِنْکَ يا محمد، فقدم رسول الله صلّى الله عليه و آله لأنه أفضلهم وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ ، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء و رسول الله أفضلهم» ، الحديث.

و فيه، عن عيون أخبار الرضا بهذا الإسناد قال: قال على عليه السّلام: «نحن أهل البيت، لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، و فينا معدن الرسالة» .

و فيه، عن التفسير للعسكرى عليه السّلام و ساق الحديث. . . إلى أن قال تعالى: «يا موسى أ ما علمت أن محمدا صلّى الله عليه و آله أفضل عندى من جميع ملائكتى و جميع خلقى» . أقول: هذه جملة من الأحاديث دلّت على أفضليتهم على جميع الخلق حتى الأنبياء السابقين، و قد وردت أحاديث كثيرة دالة على هذا فى متفرقات الأبواب، خصوصا باب استشفاع الأنبياء بهم فى موارد اضطرارهم و هى كثيرة جدا فمنها:

ما فى البحار (2)عن الاختصاص، ابن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام: «إن الله تبارک و تعالى توحّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض إليهم أمره، و أباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يطهّر قلبه من الجن و الإنس عرّفه ولايتنا، و من أراد أن يطمس على قلبه أمسک عنه معرفتنا، ثم قال: يا مفضل و الله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده، و ينفخ فيه من روحه إلاّ بولاية على عليه السّلام و ما كلّم الله موسى تكليما إلاّ بولاية على عليه السّلام و لا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين إلاّ بالخضوع لعلى عليه السّلام، ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلاّ بالعبودية لنا» . و قد عقد المجلسى رحمه الله فى البحار ج 26 بابا فيه أن دعاء الأنبياء استجيب

1- 1) الأحزاب:7.

2- 2) البحار ج 26 ص 294.

بالتوسل بهم عليهم السّلام و فيه أحاديث كثيرة.

و ذكر السيد الشبّر (رضوان اللّه تعالى عليه) فى شرحه و عن الزيّات قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أى شىء تقول الشيعة فى موسى و عيسى و أمير المؤمنين عليه السّلام قلت: يزعمون أن موسى و عيسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السّلام قال: أ يزعمون أن أمير المؤمنين عليه السّلام علم ما علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قلت: نعم، لكن لا يقدمون على أولى العزم من الرسل أحدا، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: فخاصمهم بكتاب اللّه، قلت: فى أى موضع منه؟ قال: قال اللّه لموسى: وَ كَتَبْنٰا لَهُ فِى اَلْأَلْوٰاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (1)، و قال لعيسى وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ اَلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ (2)، و قال تبارك و تعالى لمحمد صلّى اللّه عليه و آله: وَ جِئْنٰا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِيداً (3)، وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ (4)» . أقول: وجه المخاصمة: أنه تعالى أعطى لموسى من كل شىء، أى من الأشياء بعضها، فإن كلمة من للتبعيض (لا كلها) ، و قال فى حق عيسى: وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ اَلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ (لا كله) فالمعطى لهم بعض الأمور، و أما فى حق محمد صلّى اللّه عليه و آله قال: وَ جِئْنٰا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِيداً ، أى على هؤلاء الأنبياء، و لا ريب فى أن الشاهد مهيمن على المشهود عليه و فائق عليه بالعلم و القدرة، فهو أفضل منه، و قال فى حقه صلّى اللّه عليه و آله أيضا: وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ (5)، فأعطاه اللّه تعالى ما فيه تبيان لكل شىء. و من المعلوم أن هذا أفضل من المعطى له البعض، إذ الأفضلية إنما هو بالعلم و المعارف كما لا يخفى، يدل عليه ما فيه أيضا

عن الصادق عليه السّلام قال: «إن اللّه خلق أولى العزم من الرسل، و فضلهم بالعلم، و أورثنا علمهم، و فضلنا عليهم فى علمهم،

1- 1) الأعراف:145.

2- 2) الزخرف:63.

3- 3) النساء:41.

4- 4) النمل:89.

5- 5) الزخرف:63.

و علّم رسول الله صلّى الله عليه و آله ما لم يعلموا، و علمنا علم الرسول و علمهم» ، الحديث. أقول: فهم عليهم السّلام علموا جميع العلوم دونهم كما لا يخفى، فهم أفضل منهم، ثم إنهم عليهم السّلام فى الفضل و العلم كرسول الله صلّى الله عليه و آله و له صلّى الله عليه و آله خصائص امتاز بها عنه عليهم السّلام ذكرت فى محله. أقول: و السرّ فى كونهم (أى النبى و الزهراء و الأئمة عليه و عليهم السّلام) أفضل من الأنبياء فضلا عن غيرهم هو أن هؤلاء عليهم السّلام مظاهر الجلال و الجمال لله تعالى، كما دلّت عليه آيات و أحاديث كثيرة، قد ذكرناها فى مطاوى الشرح. و لنعم ما قاله السبزوارى رحمه الله فى شرحه ص 28، قال: اعلم: أيّدنا الله و إياک أن جميع الأنبياء و الرسل من آدم إلى عيسى عليه السّلام مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلّى الله عليه و آله و جميع الأوصياء و الأولياء مظهر من مظاهر سيد الأولياء على عليه السّلام

لقوله صلّى الله عليه و آله: «بعث على مع كل نبى سرّا، و بعث معى جهرا» ، و كما أن كل الأنبياء كالأقمار المقتبسين من شمس نبوة خاتم الأنبياء، أو كالفروع و الأغصان و الأوراق المتفرعة من أصل شجرة طوبى النبوة الختمية المحمدية، كذلک كل الأولياء كالأقمار المكتسبين من نور شمس ولاية سيد الأولياء، أو كالفروع و الأغصان و الأوراق المتوزعة من أصل شجرة طوبى الولاية الختمية العلوية. و لنعم ما قيل بالفارسية: گر تو را آئينهٔ ديده جليست در هر آينه معاينه عليست و لقائل أخر: جز اسد الله درين بيشه نيست غير على هيچ در انديشه نيست و أحسن ذينک ما قيل: اسد الله در وجود آمد غير على هيچ در انديشه نيست

أقول: إذا تأمّلت فی

قوله (عج) فی دعاء رجب:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلاّ أنت»

، و تأمّلت فیما مضی من معنی کتابة أسمائهم علیهم السّلام علی جمیع الموجودات علمت أن حقائقهم، التی هی حقائق الأسماء الحسنی الإلهیة، التی ملأت أرکان کل شیء، هی التی لا یشذ عنها شاذ، فالأنبیاء و أوصیاؤهم و الأولیاء و من دونهم، إنما أخذوا الحقائق و المعارف منهم علیهم السّلام،

و قد تقدم حدیث المفضل عن الصادق علیه السّلام: «إنه تعالی بعث النبی صلّی الله علیه و آله و هو روح علی الأنبیاء و هم أرواح فدعاهم إلی توحیده» ، فإنه یدل علی أنه صلّی الله علیه و آله بعث علیهم علیه السّلام فهم أخذوا أعباء الرسالة منه صلّی الله علیه و آله کما لا یخفی. فهم علیهم السّلام بمثابة من الفضل و العلو من الدرجة. . .

إلی أن قال علیه السّلام:

«حیث لا یلحقه لاحق، و لا یفوقه فائق، و لا یسبقه سابق، و لا یطمع فی إدراکه طامع»

. قال الشارح المجلسی (رضوان الله تعالی علیه) : (حیث لا یلحقه لاحق) ممن هو دونکم (و لا یفوقه فائق) منهم علی الأنبیاء کأولی العزم، و إن فاقوا علی غیرهم لا یفوقون علیکم. أقول: أی لو کان هناک فائق علی الأنبیاء کأولی العزم، فإنهم فاقوا علی غیرهم من غیر أولی العزم، إلاّ أنهم لا یفوقون علیکم. قال: و النبی صلّی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام مستثنیان بالأخبار. أقول: لا وجه لهذا الاستثناء فإنه فی غیر محله، لأن سیاق الکلام فی علوّ مقامهم أجمع علیه السّلام علی غیرهم مطلقا لا فی بیان تفضیل بعضهم علی بعض، فإن هذا المقام قد تقدم أنهم علیهم السّلام بلحاظ الظاهر کانوا سواء فی العلم و الکمال، و أما بلحاظ الواقع فالفضل لرسول الله صلّی الله علیه و آله ثم لعلی علیه السّلام ثم للزهراء علیها السّلام ثم لغیرهم من سائر المعصومین، أو إن القائم (عج) أفضل التسعة إلی غیر ذلک من الأقوال المستفادة من الأخبار، و قد تقدم بیانه فی الجملة فراجع. و کیف کان و السرّ فی عدم لحوق غیرهم بهم، و عدم تفوق فائق علیهم، بل

و عـدم طمع أحـد فی إدراک مقـامهم، لأـن غیرهـم یعلمون أن تلک المقامات، التی لهم هی مواهب خاصـة من الله تعالی لهم، فلا یمکن الوصول إلیها بالسعی و الاجتهاد،

کما تقدم عن الرضا علیه السّ لام فی بیان أوصاف الإمام. . . إلی أن قال علیه السّلام: «کله من غیر طلب منه له و لا اکتساب، بل اختصاص من المتفضل الوهاب» الحدیث فی البحار

(1)

علی أن المنصف من أی صـنف کـان حتی من أولی العزم أو من حملـة العرش من الملائکـة المقربین إذا راجع حقیقته، و ما أعطاه الله من المعرفة به تعالی، و قایسه بالنسـبة إلی معارفهم و إلی حقائق أنفسهم بما لها من الآثار العجیبة، یری نفسه فی مقام دون مقامهم، و فی منزلة لا یمکنه أن یطمع فی إدراک مقامهم، لعدم صلاحیته لذلک، و

لهذا قال جبرئیل علیه السّلام للنبی صلّی الله علیه و آله لیلة الإسراء: «لو دنوت خطوة لاحترقت» ، لما علم أنه لا یمکنه السیر معه صلّی الله علیه و آله فیما زاد علی مقدوره مما أتاه الله تعالی، و کیف کان فقد طأطأ کل شـریف لشـرفکم، کما سیجیء بیانه، و هناک أحادیث تومئ و تشعر و تصرّح بعلوّ مقامهم الرفیع بحیث لا یکاد یمکن تعقّله فضلا عن الوصول، إلیه و نحن نذکر قلیلا منها: ما

فی البحار (2)، المختصـر من نوادر الحکمـة، یرفعه إلی أبی بصـیر قال: کنت عنـد أبی عبد الله علیه السّ لام فدخل علیه المفضل بن عمر، فقال: مسألة یا بن رسول الله، قال: سل یا مفضّل، قال: ما منتهی علم العالم؟ قال: «قد سألت جسـیما، و لقد سألت عظیما، ما السماء الدنیا فی السـماء الثانیة إلاّ کحلقة درع ملقاة فی أرض فلات، و کذلک کل سماء عند سماء أخری، و کذا السماء السابعة عند الظلمة، و لا الظلمة عنـد النور، و لاـ ذلک کلّه فی الهواء، و لا الأرضون بعضـها فی بعض، و لا مثل ذلک کله فی علم العالـم (یعنی الإمام) مثل مـدّ من خردل دققته دقّا، ثم ضربته بالماء حتی إذا اختلط ورغا، أخذت منه لعقة باصبعک، و لا علم العالم فی علم الله تعالی إلاّ مثل مدّ

1- 1) البحار ج 25 ص 124.

2- 2) البحار ج 25 ص 385.

من خردل دققته دقّا، ثم ضربته بالماء حتى إذا اختلط ورغا، انتهزت منه برأس إبرة نهزة، ثم قال عليه السّلام: فيكفيک من هذا البيان قليله و أنت بأخبار الأمور تصيب

و فی بصائر الدرجات مسندا، عن أبی الصامت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملک مقرب، و لا نبی مرسل، و لا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله» . و فی بعضها قلت: «فمن يحتمله جعلت فداک؟ قال: من شئنا» . أقول: قد دلّ حديث أبی بصير على أن علومهم عليهم السّلام لا تكاد تعقل، فإنه إذا كان ما ذكره عليه السّلام من السموات بما هی وسيعة و كبيرة بالنحو المذكور، و الهواء و الظلمة و الأرض بعضها فی بعض بالنسبة إلی علم الإمام عليه السّلام كمثل لعقة تؤخذ بالصبع من المدّ المدقوق المضروب بالماء فهذا ما أقله، فالمقيس بما هو كثير من السموات و غيرها، قد قيس على هذا المقيس عليه لبيان القلّة، فكيف حينئذ يمكن تصور علم الإمام عليه السّلام بما هو هو فی واقعه، فضلا عن علمه تعالی الذی كان علم الإمام بالنسبة إليه كنسبة اللعقة المذكورة بالنسبة إلی السموات و غيرها؟ ! ثم إن ما فی حديث أبی الصامت من أنه لا يحتمل علمهم غيرهم، قد دلّ على أن لهم علما يختص بهم عليهم السّلام و هو مقام ولايتهم الكلية الإلهية، الذی لا يحدّ كما فی بعض الأحاديث، و كيف كان فقد دلّت هذه الأحاديث على أنّ لهم مقاما من العلم، الذی هو أصل كل كمال و شرف لا يكون لغيرهم و لا يشاركهم فيه أحد.

و فی البحار (1)ما رواه فی أن معرفته بالنورانية معرفة الله، إلی أن قال عليه السّلام: «اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عز و جل خليفته على عباده، لا تجعلونا أربابا، و قولوا فی فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا و لا نهايته، فإن الله عز و جل قد أعطانا أكبر

1- 1) البحار ج 25 ص 385.

و أعظم ممـا يصـفه و أصـفكم، أو يخطر على قلب أحـدكم، فإذا عرفتمونا هكـذا فأنتم المؤمنون» . و مما يـدل على أنه لا يطمع فى إدراک مقامهم طامع، و إن فعل ردّ عليه ما تمنى و لم يعط

مـا رواه فى البحار (1)، عن عيون أخبـار الرضا عليه السّلام مسـندا عن الهروى قال: قلت للرضا عليه السّلام: يا بن رسول الله أخبرنى عن الشجرة، التى أكل منها آدم و حوّاء ما كانت فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروى أنها الحنطة، و منهم من يروى إنها العنب، و منهم من يروى أنها شـجرة الحسـد؟ فقال: «كل ذلک حق، قلت: فما معنى هـذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصـلب إن شـجرة الجنة تحمل أنواعا، فكانت شـجرة الحنطة و فيها عنب و ليست كشجرة الدنيا، و إن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له و بإدخاله الجنة. قال فى نفسه: هل خلق الله بشـرا أفضل منى؟ فعلم الله عز و جل ما وقع فى نفسه فناداه: ارفع رأسک يا آدم فانظر إلى ساق عرشى، فرفع آدم رأسه فنظر إلى سـاق العرش، فوجـد عليه مكتوبـا: لاـ إله إلاـّ الله محمـد رسول الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمـة سـيدة نساء العالمين، و الحسن و الحسـين سـيّدا شـباب أهل الجنـة، فقال آدم عليه السّلام: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عز و جل: من ذريتک، و هم خير منک و من جميع خلقى، و لولاـهم مـا خلقتـک و لاـ خلقت الجنـة و النـار، و لاـ السـماء و الأرض، فإيّاک أن تنظر إليهم بعين الحسـد، فأخرجک من جوارى، فنظر إليهم بعين الحسد و تمنّى منزلتهم، فتسـلط الشـيطان عليه حتى أكل من الشجرة، التى نهى عنها، و تسلّط على حواء لنظرها إلى فاطمة عليها السّلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عز و جل عن جنته، و أهبطهما عن جواره إلى الأرض» . فدلّت هذه الرواية على أن تمنى مقامهم لا يكون لأحد حتى من الأنبياء.

1- 1) البحار ج 26 ص 273.

فهذه الجمل أعنى

قوله: «حيث لا يلحقه لاحق. . . إلخ» ، جمل خبرية لا إنشائية، لوقوعها بعد لفظ (حيث) فإنها ظاهرة فى أنها من آثار بلوغهم عليهم السّلام إلى أشرف محل المكرمين. . . إلخ، فالمناسب لها حينئذ هو كونها خبرية لا إنشائية كما لا يخفى.

و فى بصائر الدرجات (1)مسندا، عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّٰاسَ عَلىٰ مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (2)، ما ذلك الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة و من ذلك طاعة، جهنم لهم يوم القيامة يا هشام» . أقول: المستفاد من هذه الرواية بقرينة

قوله عليه السّلام: و من ذلك طاعة جهنم. . . إلخ أن المراد من الطاعة هو طاعة جميع الأشياء لهم، بمعنى أنه إذا أمروا شيئا من الموجودات بشىء لا يمكنه المخالفة، بل لا بد له من الطاعة، هذا إذا أمروا بالأمر الولائى التكوينى، فلا يمكن حينئذ لشىء مخالفتهم، و أما إذا أمروا بالأمر التشريعى، فقد يقع فيه المخالفة كما لا يخفى. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فيما رواه أبو بصير عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّٰاسَ عَلىٰ مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ، قال: «الطاعة المفروضة، فإنها ظاهرة فى الطاعة التشريعية» . و كيف كان فلهم عليهم السّلام قسمان من الطاعة التشريعية كما هو المسلم لهم من الكتاب و السنة، و الطاعة التكوينية، و ذلك إذا أمروا واحدا أو شيئا بالأمر الولائى، فحينئذ لا يمكن للمأمور المخالفة، و الملك العظيم هو هذان الطاعتان، خصوصا الطاعة التكوينية الحاكية عن تصرفهم فى الموجودات بالولاية التكوينية.

1- 1) بصائر الدرجات ص 35.

2- 2) النساء:54.

و فيه (1)مسندا عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن رسول الله صلّى الله عليه و آله دعا عليّا عليه السّلام فى المرض الذى توفّى فيه، فقال: يا على ادن منى حتى أسرّ إليک ما أسرّ الله إلىّ، و ائتمنک على ما ائتمننى الله عليه، ففعل ذلک رسول الله صلّى الله عليه و آله بعلى عليه السّلام و فعله على عليه السّلام بالحسن عليه السّلام و فعله الحسن عليه السّلام بالحسين عليه السّلام و فعله الحسين عليه السّلام بأبى، و فعله أبى بى (صلوات الله عليهم أجمعين)» .

و فيه (2)مسندا عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، قال: «خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلّى الله عليه و آله و هو مع الأئمة عليهم السّلام يوفقهم و يسددهم، و ليس كلما طلب وجد» . أقول: دلّت هذه الأحاديث على أن لهم من طاعة الأشياء لهم ما ليس لغيرهم، و إن فيهم الروح، الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل، مع أنهما من حملة العرش، و إن هذا الروح، ما كان فى غيرهم من الأنبياء السابقين، فكل هذا يدلّ على اختصاصهم عليهم السّلام بالقرب و المحل اللذين لا يلحقهم إليها لاحق و لا يفوقهم فائق و لا يطمع فى إدراكهم طامع، و أما بيان ذلک السّر الذى هو فيهم، و بيان آثار ذلک الروح الذى يكون معهم فهو غامض لا يحدّ بأفكارنا و لعله كما تقدم هو مقام الولاية الكبرى الإلهية التى تكون مختصة بهم عليهم السّلام لا غيرهم.

و أما قوله عليه السّلام: «و ليس كلما طلب وجد» ، فإما يراد منه أنه لا يمكن لأحد يطلبه أن يجد هذا الروح، فمفاده حينئذ مفاد

قوله : «لا يلحقهم لاحق. . . إلخ» ، على أن تكون الجمل خبرية كما قلنا، أو يراد منه أن هذا الروح و إن كان فينا، و ما صعد منذ نزل كما فى بعض الأخبار، إلاّ أنه قد يغيب عنا، فظهوره فينا بما هو هو باختياره تعالى، فتأمل.

ص :332

1- 1) بصائر الدرجات ص 377.

2- 2) بصائر الدرجات ص 460.

قولنا: فتأمل، إشارة إلى ما قد يقال: إنه كيف الجمع بين

قوله عليه السّلام: «و ما صعد منذ نزل» ، و بين

قوله عليه السّلام: «و ليس كلّما طلب وجد» ، فإنه يقال فى الجواب: إن هذا الروح الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل لا يفارقهم، إلاّ أنه حيث كان ذلک الروح من شأن الرب تعالى، و هو نور لاهوتى، فلا محالة له السلطنة عليهم عليهم السّلام و لازمه أن ظهوره فيهم باختياره تعالى لا باختيارهم عليهم السّلام فهو مسيطر عليهم عليهم السّلام و لهم عليهم السّلام أن يستضيئوا منه إذا شاءوا، و لا ريب فى أن قلوبهم عليهم السّلام أوعية لمشيته تعالى، فمشيتهم عليهم السّلام ترجع إلى مشيته تعالى، فيرجع الأمر إلى ما قلنا من أن ظهوره فيهم باختياره تعالى لا ـ باختيارهم، كيف لا ـ و هم عليهم السّلام فانون فيه تعالى، ليس لهم و لا فيهم إلاّ ظهوره تعالى كما حقق فى محله؟ ! و بعبارة أخرى: فكما أنه ورد فى أحاديث علم الغيب أنهم عليهم السّلام إذا شاءوا علموا، فكذلک هنا إذا شاءوا أن يستضيئوا منه استضاءوا، فحينئذ معنى

قوله: «و ليس كلما طلب وجد» ، أى باختيارهم خصوصا حين اشتغالهم عليهم السّلام بالأمور المادية من المأكل و المشرب و المنكح و أمثالها، و الله و رسول و أوصياؤه عليهم السّلام أعلم بما قالوا (صلوات الله عليهم أجمعين) و الحمد لله ربّ العالمين.

[49]قوله عليه السّلام: حتى لا يبقى ملک مقرب، و لا نبىّ مرسل، و لا صديق، و لا شهيد،

اشارة

... و لا عالم، و لا جاهل، و لا دنىّ، و لا فاضل، و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح، و لا جبار عنيد، و لا شيطان مريد، و لا خلق فيما بين ذلک شهيد، إلاّ عرّفهم جلالة أمركم، و عظم خطركم، و كبر شأنكم، و تمام نوركم، و صدق مقاعدكم، و ثبات مقامكم، و شرف محلّكم و منزلتكم عنده، و كرامتكم عليه، و خاصّتكم لديه، و قرب منزلتكم منه.

قال المجلسى رحمه الله: «حتى لا يبقى» أى لم يبق أحد (فى عالم الأرواح و الأجساد) إلاّ عرّفهم (فى الكتب المنزلة أو على ألسنة الأنبياء و المرسلين) و صدق

مقاعدکم، أی أنکم صادقون فی هذه المرتبة، و أنها حقکم کما قال تعالی: فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ (1). أقول: لعل المراد من تلک المرتبة بیان آثار مقام ولایتهم المطلقة الإلهیة التکوینیة و التشریعیة، التی مرّت مرارا و التی من آثارها إطاعة جمیع الخلق لهم، کما تقدم آنفا. و إلیه یشیر

ما فی محکی حدیث حمران بن أعین فی ذکر عبد الله بن شداد اللیثی حین مرض و عاده الحسین علیه السّلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمّی عن الرجل، فقال: قد رضیت مما أوتیتم حقا حقا، و الحمّی لتهرب منکم، فقال له: «و الله ما خلق الله شیئا إلاّ و قد أمره بالطاعة لنا، یا کبّاسة، قال: فإذا نحن نسمع الصوت، و لا نری الشخص یقول: لبیک، قال: أ لیس أمرک أمیر المؤمنین علیه السّلام ألا تقربی إلاّ عدوا أو مذنبا، لکی یکون کفّارة لذنوبه» . و سیجیء توضیحه، و کیف کان

یقع الکلام فی أمور:

الأول: فی معنی عرّفهم،

و إنه ما المراد من معرفتهم. الثانی: أنها (أی تعریفه تعالی) یشمل الکل حتی غیر ذوی العقول أم یختص بهم. الثالث: أنه کیف عرّف مع ما یری من إنکار بعضهم فضائلهم. أما الأول فنقول: حقیقة التعریف تمییز الشیء بما لا یشتبه بغیره، و من المعلوم أن المعروف لهم من أصناف الخلق مختلفون من الملائکة و الجن و الإنس، بل و سائر الموجودات من غیر هذه الأصناف الثلاثة، فلکل منها معرفة تختص بهم، فالذی عرفه تعالی للملائکة من مقامهم، هو مقام ولایتهم التکوینیة علی جمیع ما فی الوجود، و التشریعیة علی جمیع من یصحّ التکلیف علیه، و أنهم علیهم السّلام أقرب الخلق إلیه تعالی، و أنهم مظاهر لأسمائه الحسنی و الأسماء العظمی و الاسم الأعظم، التی بها

1- 1) القمر:55.

صاروا معلم الملائکة کما تقدم من من أنهم علیهم السّلام سبّحوا فسبّحت الملائکة، و هلّلوا فهلّلت الملائکة، و هکذا. و الذی عرفه للإنس بما لهم من الأصناف من الأنبیاء و الأولیاء، و سایر طبقات المؤمنین مختلف أیضا، أما الأنبیاء فقد عرفهم أفضلیتهم علیهم السّلام علیهم بما منحهم من المقام المحمود، الذی تقدم بیان بعضه فی ذکر تفضیلهم علیهم السّلام علی الأنبیاء، فإن تفضیله تعالی إیاهم علیهم لیس بالاعتبار بل بملاک الفضیلة، و هو أنه تعالی أعطاهم ما لم یعط للأنبیاء کما تقدم، و یأتی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«آتاکم الله ما لم یؤت أحدا من العالمین»

، و أما سائر الناس من المؤمنین، فمعلوم أن کلا من المؤمنین إنما تکون درجته ملحوظة بقدر معرفته بهم علیهم السّلام، فمن عرّفهم الله له من فضائلهم و قبلها، فهو بذلک المقدار له المقام و المنزلة. و کیف کان فالله تعالی عرّفهم علیهم السّلام لهم کلا بحسبه، و أما سائر الموجودات فسیأتی بیان تعریفه تعالی لهم فیما بعد، و أنها کیف کانت، و کیف کان فهو تعالی عرفهم فهؤلاء فی مقامین: الأول: فی مقام الأرواح حین قال لهم: أ لست بربکم و محمد نبیّکم و علی إمامکم، کما تقدمت الأحادیث فی ذلک، و فی ذیل قوله تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ (1)الآیة، و کان تعریفه تعالی فی ذلک العالم بأن أظهر حقیقتهم علیهم السّلام النورانیة، التی هی مظاهر لشئونه تعالی من الأسماء و الصفات و الأفعال، و الحکم و الجمال و الجلال و المشیة، و الولایة التکوینیة و التشریعیة، فرآها جمیع الخلائق ففی ذلک العالم، رأوا أن تلک الحقائق بمثابة من العلو و الرفعة بحیث کانت مراتبهم أی الخلق بالنسبة إلیها کنسبة القطرة إلی البحر المحیط، فحین ذاک أقرّ من أقرّ و أنکر من أنکر، فأقرّت الملائکة، و من سبقت له من الله الحسنی من الإنس، و أنکرت الشیاطین و بعض الناس ممن أشار إلیه قوله تعالی: فَمٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمٰا کَذَّبُوا بِهِ

ص:335

1- 1) الأعراف:173.

مِنْ قَبْلُ

(1)

. و الثـانى: فى الـدنيا و مقـام التكليف، و فى هـذا العـالم أيضـا أقرّ من أقرّ و أنكر من أنكر، و سـيأتى، إن من أنكر هنا يكون إنكاره كما قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ (2)الآية. أقول: و لعله كان الإنكار فى عالم الأرواح أيضا كذلك

الأمر الثانى فى أن تعريفه تعالى يشمل الكل حتى غير ذوى العقول أم لا

فنقول: معنى تعريفه تعالى إياهم للكل هو عرض ولايتهم عليهم السّلام لهم و تعريفها لهم، أما بالنسبة إلى الطوائف الثلاث من الملائكة و الإنس و الجن فقد عرفت أمرها، و أما بالنسـبة إلى غيرهم من سائر الموجودات، فقد يقال: إنه كيف يعقل من العدل الحكيم عرض ولايتهم عليهم السّـلام عليها فضلا عن تعريفها إيّاهم؟ و لكن يدفعه أن مقتضى الآيات و الأخبار بل و الاعتبار أن كل موجود هو مكلف بحسب ما له من المرتبة، فله إيمان و كفر و طاعة و معصية. أما الآيات: فقوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلطَّيْرُ صَافّٰاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَفْعَلُونَ (3)، و قوله تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ اَلسَّمٰاوٰاتُ اَلسَّبْعُ وَ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (4)الآية، فهذه الآيات تدلّ على أن الموجودات من الطيور و غيرها، بل كل شـيء له تسبيح، و لا تسبيح إلاّ ممن له القابلية لأن يعرض عليه التكليف، و سـيأتى توضـيحه. و أما الأخبار: فهى على طوائف، منها: ما ورد فى تفسير تلك الآيات:

1- 1) يونس:74.

2- 2) النمل:14.

3- 3) النور:41.

4- 4) الإسراء:44.

ففی تفسیر نور الثقلین (1)، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول الله: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فقال: «ما ترى أن تنقض الحیطان تسبیحها» .

و فیه، عن الحسن النوفلی، عن السکونی، عن جعفر بن محمد، عن أبیه علیه السّلام قال: «نهی رسول الله صلّى الله علیه و آله عن أن توسم البهائم فی وجوهها، لأنها تسبّح بحمد ربّها» .

و فیه، عن إسحاق بن عمار، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «ما من طیر یصاد فی برّ و لا بحر، و لا شیء یصاد من الوحش إلاّ بتضییعه التسبیح» .

و فی البحار (2)، عن کتاب جعفر بن محمد بن شریح الحضرمی، عن حمید بن شعیب، عن جابر الجعفی قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إنّ لله دیکا رجلاه فی الأرض و رأسه تحت العرش، جناح له فی المشرق، و جناح له فی المغرب یقول: سبحان الملک القدوس، فإذا قال ذلک صاحت الدیوک و أجابته، فإذا سمع صوت الدیک فلیقل أحدکم: سبحان ربی الملک القدوس» . أقول: و مثله أخبار أخر. و منها: ما ورد فی بیان نطق الحمام.

ففی البحار (3)، عن العیون و العلل بالإسناد المتقدم، سأل الشامی أمیر المؤمنین علیه السّلام عن معنى هدیر الحمام الراعبیة؟ فقال: «تدعو على أهل المعازف و القیان و المزامیر و العیدان» .

و فیه، عن البصائر مسندا، عن شعیب بن الحسن قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام جالسا فسمع صوتا من الفاختة، فقال: «تدرون ما تقول؟ قال: قلت لا، قال: تقول: فقدتکم، فافقدوها قبل أن تفقدکم» .

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 168.
2- 2) البحار ج 65 ص 3.
3- 3) البحار ج 65 ص 13.

و فیه، عن کامل الزیارة، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «اتخذوا الحمام الراعبیة فی بیوتکم، فإنها تلعن قتلة الحسین علیه السّلام» .

و فیه، عن مشارق الأنوار، عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السّلام: «عادانا من کل شیء حتی من الطیور الفاختة، و من الأیام الأربعاء» .

و فیه، عنه أیضا، عن محمد بن مسلم قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام إذ وقع علیه ورشانان ثم هدلا فردّ علیهما فطارا، فقلت: جعلت فداک ما هذا؟ فقال: «هذا طائر ظنّ فی زوجته سوءا فحلفت له، فقال لها: لا أرضی إلاّ بمولای محمد بن علی فجاءت فحلفت له بالولایة أنها لم تخنه فصدّقها، و ما من أحد یحلف بالولایة إلاّ صدق إلاّ الإنسان فإنه حلاّف مهین» .

و فیه، عن دلائل الطبری مسندا، عن الفضیل بن یسار، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «کنت عنده إذ نظرت إلی زوج حمام عنده یهدر الذکر علی الأنثی، فقال: أ تدری ما تقول؟ قلت: لا، قال: یقول: یا سکنی و عرسی، ما خلق الله خلقا أحبّ إلیّ منک، إلاّ أن یکون جعفر بن محمد علیهما السّلام» . منها: ورد فی بیان دعاء بعض الطیور.

ففی البحار (1)، عن الخصال، عن داود الرقّی، قال: بینا نحن قعود عند أبی عبد الله علیه السّلام إذ مرّ بنا رجل بیده خطاف مذبوح، فوثب إلیه أبو عبد الله علیه السّلام حتی أخذه من یده، ثم دحا به الأرض ثم قال: «أ عالمکم أمرکم بهذا أم فقیهکم؟ لقد أخبرنی أبی عن جدی علیهما السّلام أنّ رسول الله صلّی الله علیه و آله نهی عن قتل ستة: النحلة و النملة و الضفدع و الصّرد و الهدهد و الخطاف» . . . و ساق الحدیث. . إلی أن قال: «و أما الخطاف فإنّ دورانه فی السماء أسفا لما فعل بأهل بیت محمد (صلوات الله علیهم) و تسبیحه قراءة اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ ، أ لا ترونه و هو یقول: وَ لاَ اَلضّٰالِّینَ » .

1- 1) البحار ج 37 ص 269.

و فیه (1)، عن الخرائج روی عن الحسن علیه السّلام: «إن علیّا علیه السّلام کان یوما بأرض قفر فرأی دراجا فقال: یا درّاج منذ کم أنت فی هذه البریة، و من أین مطعمک و مشربک؟ فقال: یا أمیر المؤمنین أنا فی هذه البریة منذ مائة سنة إذا جعت أصلی علیکم فأشبع، و إذا عطشت أدعو علی ظالمیکم فأروی» . و مثله أحادیث أخر. و منها: ما ورد فی بیان کلام الحیوانات.

و فیه عن الاختصاص مسندا، عن سلیمان بن خالد، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: بینا أبو عبد الله البلخی و نحن معه إذا هو بظبی یثغو و یحرّک ذنبه، فقال أبو عبد الله علیه السّلام: «أفعل إن شاء الله، قال: ثم أقبل علینا، فقال: علمتم ما قال الظبی؟ قلنا: الله و رسوله و ابن رسوله أعلم، فقال: إنه أتانی فأخبرنی أن بعض أهل المدینة نصب شبکة لأنثاه، فأخذها و لها خشفان لم ینهضا و لم یقویا للرعی، فسألنی أن أسألهم أن یطلقوها، و ضمن لی أن إذا أرضعت حشفیها حتی یقویا للنهوض و الرعی أن یردّها علیهم، قال: فاستحلفته فقال: برئت من ولایتکم أهل البیت إن لم أف، و أنا فاعل ذلک إن شاء الله، فقال البلخی: سنّة فیکم کسنّة سلیمان علیه السّلام» .

و فیه عن بصائر الدرجات مسندا، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «کان رسول الله صلّی الله علیه و آله یوما قاعدا فی أصحابه، إذ مرّ به بعیر حتی ضرب بجرّانه الأرض و رغا، فقال رجل من القوم: یا رسول الله أ سجد لک هذا البعیر، فنحن أحق أن نفعل؟ فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله: لا بل اسجدوا لله إن هذا الجمل جاء یشکو أربابه و زعم أنهم أنتجوه صغیرا فلما کبر و قد اعتملوا علیه، و صار عودا کبیرا، أرادوا نحره، فشکا ذلک، فدخل رجلا من القوم ما شاء الله أن یدخله من الإنکار لقول النبی صلّی الله علیه و آله فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله: لو أمرت شیئا یسجد لآخر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ثم أنشأ أبو عبد الله علیه السّلام یحدّث فقال: ثلاثة من البهائم تکلموا علی عهد رسول الله صلّی الله علیه و آله:

1- 1) البحار ج 37 ص 268.

الجمل و الذئب و البقرة» ، الحديث. و منها: ما ورد فی بیان قوله تعالی: عُلِّمْنٰا مَنْطِقَ اَلطَّیْرِ (1).

ففیه (2)، عن البصائر مسندا، عن زرارة، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام لابن عباس: «إن الله علّمنا منطق الطیر، کما علّمه سلیمان بن داود منطق کل دابة فی برّ أو بحر» .

و فیه، عن الاختصاص و البصائر مسندا، عن الفیض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إن سلیمان بن داود قال: عُلِّمْنٰا مَنْطِقَ اَلطَّیْرِ وَ أُوتِینٰا مِنْ کُلِّ شَیْءٍ ، و قد و الله علمنا منطق الطیر و علم کل شیء» . و مثله غیره. و منها: ما ورد فی بیان إقرار الجمادات و النباتات بولایتهم علیهم السّلام و فیه بیان عرض ولایتهم علیهم السّلام علی جمیع الأشیاء.

ففی البحار، عن العلل مسندا، عن سلمان الفارسی (رضوان الله علیه) قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله لعلی علیه السّلام: «یا علی تختم بالیمین تکن من المقربین، قال: یا رسول الله و من المقربون؟ قال: جبرئیل و میکائیل، قال: بما أتختم یا رسول الله؟ قال: بالعقیق الأحمر، فإنه أقرّ لله عز و جل بالوحدانیة و لی بالنبوة و لک یا علی بالوصیة و لولدک بالإمامة، و لمحبیک، بالجنة و لشیعة ولدک بالفردوس» .

و فیه، عن العلل مسندا، عن الرضا علیه السّلام قال: أخبرنی أبی عن أبیه، عن جده علیهم السّلام: «إن أمیر المؤمنین علیه السّلام أخذ بطیخة لیأکلها، فوجدها مرّة فرمی بها و قال: بعدا و سحقا، فقیل: یا أمیر المؤمنین و ما هذه البطیخة؟ فقال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: إن الله تبارک و تعالی أخذ عقد مودتنا علی کل حیوان و نبت، فما قبل المیثاق کان عذبا طیّبا، و ما لم یقبل کان مالحا زعاقا» .

1- 1) النمل:16.

2- 2) البحار ج 37 ص 264.

و فيه، عن فرحة الغرى مسندا عن ابن عباس: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لعلى عليه السّلام: «يا على إن الله عز و جل عرض مودتنا أهل البيت على السموات و الأرض، فأوّل من أجاب منها السماء السابعة، فزيّنها بالعرش و الكرسى، ثم السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثم السماء الدنيا فزيّنها بالنجوم، ثم أرض الحجاز فشرّفها بالبيت الحرام، ثم أرض شام فزيّنها ببيت المقدس، ثم أرض طيبة فزينها بقبرى، ثم أرض كوفان فشرّفها بقبرك يا على، فقال له: يا رسول الله أ قبرى بكوفان العراق؟ فقال: نعم يا على تقبر بظاهرها قتلا بين الغريين و الذكوات البيض يقتلك شقى هذه الأمة عبد الرحمن بن ملجم، فو الذى بعثنى بالحق نبيّا، ما عاقر ناقة صالح عند الله بأعظم عقابا منه يا على، ينصرك من العراق مائة ألف سيف» .

و فيه، عن بشارة المصطفى مسندا، عن أبى هريرة قال: كنت أنا و أبو ذر و بلال نسير ذات يوم مع على بن أبى طالب عليه السّلام فنظر على إلى بطيخ. . . إلى أن قال: فقال: «يا بلال أبعد هذا البطيخ عنى، و أقبل علىّ حتى أحدّثك بحديث حدّثنى به رسول الله صلّى الله عليه و آله و يده على منكبى: إن الله تبارك و تعالى طرح حبّى على الحجر و المدر، و البحار و الجبال و الشجر، فما أجاب إلى حبّى عذب، و ما لم يجب إلى حبّى خبث و مرّ، و إنى لأظن أن هذا البطيخ مما لم يجب إلى حبّى» .

و فيه، عن الاختصاص، عن قنبر مولى أمير المؤمنين قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السّلام إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا أشتهى بطيخا. . . إلى أن قال: فالتفت إلىّ أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: «يا قنبر إن الله تبارك و تعالى عرض ولايتنا على أهل السموات و أهل الأرض من الجن و الإنس و الثمر و غير ذلك، فما قبل منه ولايتنا طاب و طهر و عذب، و ما لم يقبل منه خبث و ردى و نتن» .

و فيه ص 284، عن جابر الأنصارى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إن الله تعالى لما خلق السموات و الأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهنّ نبوتى و ولاية على بن أبى طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق، و فوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا،

و الشقى من شقى بنا، نحن المحلّلون لحلاله و المحرّمون لحرامه» .

و فيه (1)، عن الإقبال من كتاب النشر و الطىّ، عن الرضا عليه السّلام فى خبر طويل فى فضل يوم الغدير: «عرض اللّه الولاية على أهل السموات السبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة، فزيّن بها العرش، ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة، فزيّنها بالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا، فزيّنها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين، فسبقت إليها مكّة، فزيّنها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفى محمد صلّى اللّه عليه و آله، ثم سبقت إليها الكوفة، فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السّلام. و عرضها على الجبال فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثة جبال: العقيق و جبل الفيروزج و جبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جبالهن و أفضل الجواهر، و سبقت إليها جبال أخر، فصارت معادن الذهب و الفضّة، و ما لم يقرّ بذلك و لم يقبل صارت لا تنبت شيئا، و عرضت فى ذلك اليوم على المياه، فما قبل منها صار عذبا و ما أنكر صار ملحا أجاجا، و عرضها فى ذلك اليوم على النبات، فما قبله صار حلوا طيّبا، و ما لم يقبل صار مرّا، ثم عرضها فى ذلك اليوم على الطير، فما قبلها صار فصيحا مصوّتا، و ما أنكرها صار أحرّ الكن» ، إلى آخر الخبر.

و فيه (2)، عن البرسى رحمه اللّه فى مشارق الأنوار، عن زيد الشحّام بإسناده عن نباتة قال: إن أمير المؤمنين عليه السّلام جاءه نفر من المنافقين فقالوا له: أنت الذى تقول: إن هذا الجرّى مسخ حرام؟ فقال: «نعم، فقالوا: أرنا برهانه، فجاء بهم إلى الفرات، و نادى هناس هناس (مناش مناش) فأجابه الجرّى: لبيك، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: من أنت؟ فقال: ممن عرضت عليه ولايتك فأبى و مسخ، و إن فيمن معك لمن يمسخ كما مسخنا، و يصير كما صرنا، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: بيّن قصّتك ليسمع من حضر فيعلم، فقال: نعم، كنّا أربعا و عشرين قبيلة من بنى إسرائيل، و كنّا قد تمردنا

1- 1) البحار ج 27 ص 262.

2- 2) البحار ج 27 ص 271.

و عصـينا، و عرضت ولايتک علينا فأبينا، و فارقنا البلاد و استعملنا الفساد، فجاءنا آت أنت و الله أعلم به منّا فصرخ فينا صرخة فجمعنا جمعا واحدا و كنّا متفرّقين فى البرارى، فجمعنا لصـرخته، ثم صاح صـيحة أخرى و قال: كونوا مسوخا بقدرة الله، فمسخنا أجناسا مختلفة، ثم قال: أيها القفار كونوا أنهارا تسكنک هذه المسوخ، و اتصلى ببحار الأرض حتى لا يبقى ماء إلاّ و فيه من هذه المسوخ، فصرنا مسوخا كما ترى» .

و فيه (1)، عن البصائر مسـندا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة» . أقول: قبولا كاملا، و يدل عليه

قوله عليه السّـلام ما فيه عن البصائر أيضا مسندا، عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إن ولايتنا عرضت على السموات و الأـرض و الجبـال و الأمصـار ما قبلها قبول أهل الكوفـة» . أقول: دلّت هـذه الطوائف من الأخبار على أن للحيوانات من الطيور و غيرها و للجمادات نطقا، و فيها ما يصح بلحاظ التكليف عليها، و أنها تسـجد لله تعالى و تسبّحه، ثم إن هناک أحاديث تبين كيفية تسبيحها، و نحن نذكر بعضها، ثم نعقبه بما ذكره العلماء فى معناها.

ففى البحار (2)، عن المحاسن، عن على بن أسباط، عن داود الرقى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (3)، قال: «نقض الجدار تسبيحها» . و مثله

عن العياشـى، عن مسـعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السّلام أنه دخل عليه رجل فقال له: فداک أبى و أمى إنى أجد الله يقول فى كتابه: وَ إِنْ مِنْ

1- 1) البحار ج 60 ص 209.

2- 2) البحار ج 60 ص 177.

3- 3) الإسراء:44.

شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فقال: «هو كما قال، فقال له: أ تسبح الشجرة اليابسة؟ فقال: نعم، أ ما سمعت خشب البيت تنقض؟ و ذلک تسبيحه، فسبحان الله على كل حال» .

و فيه (1)، تفسير على بن إبراهيم:

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلىٰ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلاٰلُهُ عَنِ اَلْيَمِينِ وَ اَلشَّمٰائِلِ سُجَّداً لِلّٰهِ وَ هُمْ دٰاخِرُونَ

(2)

، قال: «تحويل كل ظلّ خلقه الله هو سجوده لله، لأنه ليس شيء إلاّ له ظل يتحرک بتحريكه و تحويله سجوده» .

و فيه، عن العلل لمحمد بن على إبراهيم قال: «بكاء السماء احمرارها من غير غيم، و بكاء الأرض زلازلها، و تسبيح الشجر حركتها من غير ريح، و تسبيح البحار زيادتها و نقصانها، و تسبيح الشجر نموّه و نشوه» . و قال أيضا: «ظلّه يسبّح الله» . و قال بعضهم فى معنى السجود فى قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلىٰ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلاٰلُهُ عَنِ اَلْيَمِينِ وَ اَلشَّمٰائِلِ سُجَّداً لِلّٰهِ وَ هُمْ دٰاخِرُونَ المراد من السجود الانقياد و الاستسلام، سواء كان بالطبع أو بالاختيار، يقال: سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، و سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب. و المعنى حينئذ أن رجوع الظلال بارتفاع الشمس و انحدارها، أو باختلاف مشارقها و مغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدّر لها من التفيّؤ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها كهيئة الساجد، هو سجودها و الأجرام من حيث هى هى أيضا فى أنفسها داخرة، أى صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى، فالموجودات من حيث هى هى تكون داخرة ساجدة له تعالى بالطبع، كما قيل: أما

1- 1) البحار ج 60 ص 179.
2- 2) النحل:48.

ظلّک فیسجد لربک، و أما أنت فلا تسجد لربک (أی بالاختیار) بئس ما صنعت و قیل: ظل الکافر یصلّی و هو لا یصلّی، و قیل أیضا: ظلّ کل شیء یسجد للّه سواء کان ذلک ساجدا للّه أم لا (أی بالاختیار) ، و کیف کان سجود کل شیء یناسب حاله، کما أن تسبیح کل شیء یلائم لسانه. و قال بعضهم ما حاصله: أن السجود إما سجود عبادة کسجود المسلمین للّه تعالی و إما سجود عبادة عن الانقیاد و الخضوع و هو لکل شیء. و حاصله: أن الممکن فی نفسه قابل الوجود و العدم، و لا یکون أحدهما إلاّ لمرجح، فالموجودات بنفسها فقیرة إلی الغنی، و لسان حالها بلحاظ فقرها، هو انقیادها و تسلیمها لخالقها کما لا یخفی. و بعبارة أخری: أن سجود المکلّف و تسبیحه تارة یکون بالفعل و اللسان بأن یسجد و یقول: سبحان اللّه، و أخری بدلالة أحواله علی الخضوع و الانقیاد و التسلیم و التنزیه لصانعه الحکیم کما لا یخفی. و ذکر بعضهم فی تفسیر سجود الموجودات له تعالی ما حاصله: أن معنی أن الممکن لا یترجح وجوده أو عدمه إلاّ لمرجح أن حقیقته منتهیة إلی الواجب لذاته تعالی کما قال تعالی: وَ أَنَّ إِلیٰ رَبِّکَ اَلْمُنْتَهیٰ (1)، و هذا الانتهاء إلیه تعالی من الممکن أمر ذاتی له حدوثا و بقاء فی الدنیا و الآخرة، لا أن الممکن سیرجع إلی ربه، بل هو راجع إلیه دائما، و هذا معنی ما قیل إن ما بالعرض یرجع إلی ما بالذات یعنی دائما، و هذا الرجوع من لوازم افتقاره الذاتی الذی لا ینفک عنه و لذا قیل: سیه روئی ز ممکن در دو عالم جدا هرگز نشد و اللّه اعلم و قیل أیضا: الفقر سواد الوجهین فی الدارین، و حقیقة هذا الافتقار الذاتی له هو خضوع الممکن و تواضعه لما ینتهی إلیه، و یقوم به دائما و هو ربّه، و هذا الخضوع

1- 1) النجم:42.

هو حقيقة السجود، و هذا الافتقار هو حقيقة التسبيح، و هما روح السجود و التسبيح العملى، بحيث لو تحقق التسبيح و السجود بدونهما لما كان سجودا و تسبيحا كما لا- يخفى، و حيث إن هذا الافتقار الذاتى غير قابل التغيير و التبدل للممكن فلا محالة، يكون جميع الممكنات ساجدة مسبحة لله تعالى، أى خاضعة متذللة معترفة بالفاقة إليه، و الحاجة إلى تخليقه و تكوينه. و بعبارة أخرى: أن تنقض الجدار الدالة على حدوث التغير بها و فنائها نداء بلسان الحال على افتقارها إلى من يوجدها و يبقيها منزها عن صفاتها المحوجة إلى ذلك. و إليه يشير

قوله فى الحديث السابق: أ ما سمعت خشب البيت تنقض، و ذلک تسبيحه، فسبحان الله على كل حال. أقول:

قوله عليه السّلام: «فسبحان الله على كل حال» ، يعنى أن الممكن و إن كان أشرف الموجودات فهو بلحاظ افتقاره الذاتى يسبح الله، فسبحان الله على كل حال منا، أى نحن الآن كذلک مسبّحون له بلسان فقرنا إليه تعالى. و الحاصل: أن جميع الممكنات بصفاتها و لوازمها و آثارها دالة على صانعها و بارئها و مصوّرها، و علمه و حكمته شاهدة بتنزهه عن صفاتها المستلزمة للعجز و النقصان، مطيعة لربها فيما خلقها له و أمرها به من مصالح عالم الكون موجهة إلى ما خلقت له، مثلا سكون الأرض خدمتها و تسبيحها، و صرير الماء و جريه تسبيحه و طاعته، و قيام الأشجار و النبات و نموّها و جرى الريح و أصواتها، و هذه الأبنية و سقوطها و تحريق النار و لهبها، و أصوات الصواعق و إضاءة البروق و جلاجل الرعود، و جرى الطيور فى الجوّ و نغماتها، كلها طاعة لخالقها و سجدة و تسبيح و تنزيه له سبحانه. و إلى هذا النحو من الدلالة أشير فى

قوله عليه السّلام: «بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، و بمضادته بين الأشياء عرف أن

لا ضدّ له، و بمقارقته بين الأشـياء عرف أن لا قرين له» . و حاصل الكلام: أن هذا التسبيح و السـجود تسبيح و سجود فطرى، و سجود ذاتى عن تجـل تجلّى لهم، فأحبّوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف، بل اقتضاء ذاتى، و هـذه هى العبادة الذاتيـة التى أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذى يستحقه، و إليه يشير

قوله عليه السّـلام فى نهج البلاغة: «الحمد لله المتجلّى لخلقه بخلقه» . ثم إنه قد يستفاد من قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّهَ يُسَبِّحُ لَهُ (1)، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّهَ يَسْجُدُ لَهُ ، إلى غيره من نحو هذه الآيات أنه تعالى قد أشـهد لنبيه محمد صـلّى الله عليه و آله سجود هذه الأمور و تسبيحها، بل كل من أشـهده الله ذلك و رآه دخل تحت هذا الخطاب. و نقل عن بعض العارفين ما هذا لفظه: أن عند أهل الكشف و العرفان لكل شـىء من الجماد و النبات روح و حياة و نطق، لكن لا يحسّ منها أحد إلاّ أهل الكشف، فإنهم يسمعون النطق اللسانى لا الحالى بالتسبيح و التحميد من كـل شـىء، و أما من يصل إلى مقام الكشف فإنه (الظاهر، يسـمع) بلسان الحال و الاسـتعداد لا بلسان القال، و إنى اعتقـدت قبل هـذا هكـذا، لكن الآن عاينت و شاهدت أن كل الموجودات تسـبح بلسان النطق تسـمعه إذ إننا منها، و تخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما يدركه كل إنسان. أقول: كما قال الشاعر عن خطابهم: ما سـميعيم و بصـيريم و خوشيم با شما نا محرمان ما خامشيم نطق آب نطق خاك و نطق گل هست محسوس حواس أهل دل أقول: و مما يدل على مخاطبة الأشياء للعارفين

ما ورد عن الزهراء عليها السّلام أنها قالت لأبيها صلّى الله عليه و آله: «إن عليا تكلم مع الأرض ليلة زفافها، فقال صلّى الله عليه و آله لها: إنّ الله تعالى سخّر الأرض لعلى عليه السّلام لتقول له الحوادث و الأخبار» .

1- 1) النور:41.

أقول: و يدلّ عليه قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا (1). أقول: أيضا: ذكر المجلسى رحمه الله فى كتاب تاريخ نبينا صلّى الله عليه و آله فى البحار الأخبار الدالة على مكالمة الضبّ معه صلّى الله عليه و آله و غيره، و قصّة أنين جذع النخلة، التى كانت فى مسجد النبى صلّى الله عليه و آله مشهورة. و قال بعض الأكابر (2)ما حاصله: أنه كما يكون الجهل بسيطا و مركبا، كذلک العلم يكون بسيطا و مركبا، و الأول هو درک الشيء مع الذهول عن ذلک الإدراک، و عن التصديق بأن المدرک ما ذا، و الثانى هو إدراک الشيء مع الشعور و الإدراک و أن المدرک ما هو، و العلم به تعالى على الوجه البسيط حاصل لكل موجود، كيف و قد علمت أن الوجود عين العلم و الظهور، و العلم بشيء عين وجوده سواء تعلق بنفسه أو بغيره، و أيضا العلم بالنفس أو شيء آخر علم بما يقومه و ما هو قيومه. و السّر فى ذلک أن كل إنسان له معيّة مع النفس الحيّة العالمة بالذات، لكونها (أى النفس) من معدن الحيوة و منبع العلم، و هو ذاته المقدسة التى لها معيّة قيّوميّة لها، كما قال تعالى: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ (3)،

و كما قال على عليه السّلام فى خطبة له ذكرها المسعودى- و أنت لا يفقدک شيء -فمنشأ استحقاق صدق الشعور على النفس، بل على كل موجود هو معيتها مع الواجب الوجود معية قيومية، و قد ثبت أن الأشياء كلها قائمة به تعالى، و مظهر لآثاره تعالى من العلم و القدرة و غيرهما كلا على حسب قابليته. فتحصّل مما ذكر أن كل شيء له شعور بوجوده، أو بوجود غيره تركيبا أو بسيطا، لا ينفک عن العلم و الشعور بقيّومه، لأن الوجودات هويات تعلقيّة و معان حرفيّة و روابط محضة، لا استقلال بها أصلا علما و عينا بدون جاعلها، هذا و إن

1- 1) الزلزلة:4.

2- 2) هو العارف الكامل الحاج ملا هادى السبزوارى رحمه الله.

3- 3) الحديد:4.

كـانوا ذاهلين عن أن الشـعور به ما هو، لما علمت من أنهم عالمون به بالعلم البسـيط، نعم قـد يمنـح الله تعالى بفضـله لخواص أوليائه فهم ذلک. و قال هذا العارف: و إنى لأسـمع ذکر الأذکار، و حمد المحامد و أرى من يذکر الله لا عن قلب حاضر بل عن خاطر متشتت، و ذکره يـذکر الله و لا يشـعر الـذاکر به، هـذا کله تفسـير لقوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، على صـيغة الغائب، أى کل شىء يسبح بحمده، و إن کان لا يفهم تسبيحه، لأنه عالم بالتسبيح بالعلم البسيط لا المرکب، فهو مسبح له تعالى غير شاعر بتسبيحه له تعـالى، و إن قرئت بصـيغة الخطـاب کمـا هو الظـاهر المتعـارف، فـالمعنى أنتم لا ـ تفقهون تسبيحهم لانغمـارکم فى الجهل و الحجاب کما تقدم معناه. فتحصّل من الکل: أن الموجودات لها شـعور و درک و لو بالعلم بالبسـيط، و بهذا الاعتبار يسبح بحمد ربّه و کل منهـا قـد علم صـلاته و تسبيحه، فعليه فلا ـ ينکر على الحکيم القـادر المتعال أن تکلّفها بالتکليف الإلهى من قبول الولا يـة و التسبيـح و أن يعرّفهم مقامات محمد و آله الطاهرين المختصة بهم.

و أما المقام الثالث و هو أنه إذا عرف الکل مقامهم المحمود، فکيف يرى فى بعضهم بل فى الکثير إنکار ذلک؟

فنقول: ظـاهر العبارة أنه تعالى بلطفه العميم عرف الکل، أى کل الموجودات جلالـة أمرهم بلسان الأنبياء، و فى الکتب المنزلـة عليهم، أما الملائکـة بأجمعها فقـد علموا و عرفوا مقاماتهم و قبلوها کما مرّ مرارا، و أما البشـر فقـد عرفهم لهم فى عالم الأرواح و فى عالم الدنيا، فمن قبلهـا منهم فقـد فـاز فوزا عظيمـا، و أما من لم يقبل فهم على أقسام منهم من أقيمت عليه الحجـة و ثبتت لهم، و لکن لانغمارهـم فى عالم النفس و الطبيعة، و تعلق قلوبهم بحبّ الدنيا، و تکدّر قلوبهم برين المعاصـى، فقد جحدوها ظاهرا و إن استيقنتها أنفسـهم بها لقيام الحجة عليهم.

ففى تفسير نور الثقلين عن أصول الکافى، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى بيان دعوة الکفر. . إلى أن قال عليه السّلام: «و أما الوجه الآخر من الجحود على معرفة و هو أن يجحد

الجاحد، و هو يعلم أنه حق قد استقرّ عنده، و قد قال الله عز و جل: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا (1). و كيف كان فإنكار هؤلاء لفضلهم عليهم السّلام صورى ظلما و علوا، و إلاّ فضائلهم ظاهرة لديهم أيضا، و قد عرفها الله تعالى لهم، و منهم من لم يقرّ بها قصورا بمعنى أن الحجة و التعريف منه تعالى لهم ثابت، و لكنهم لقصورهم لم يدركوها، و ليس معنى عرفها لهم أنه تعالى عرفها لهم وقوعا بحيث لا يشذّ عنهم شاذ، بل المراد (و الله العالم) عرفها لهم من حيث ما هو مقتضى لطفه، و ما هو مقتضى وظيفة الأنبياء و الرسل، و لازم إقامة الحجة البالغة على أن هذا المعنى أيضا ثابت لهم بالفطرة و حاصله: أنه تعالى قد جعل فى فطرة المكلفين رياستهم، كما فى إذن الدخول العالم للمشاهد المشرفة، بمعنى أن كل أحد إذا راجع فطرته السليمة عن غواش الظلمة و الوساوس الشيطانية، و نظر إلى تلك الذوات المقدسة المطهرة علم بالوجدان السليم أنهم عليهم السّلام لهم المقامات المذكورة بحيث يذعن بها كل عاقل سليم الفطرة، فمقاماتهم معلومة لكل أحد بالفطرة السليمة، و عليه فالقاصرون أيضا إذا رجعوا إلى فطرهم السليمة أقرّوا بمقاماتهم عليهم السّلام كما لا يخفى. و حاصل الكلام فى المقام: أن كل شىء من الموجودات إذا توجه إليهم بما له من الدرك كل بحسبه، يعرف مما يظهر له من ظاهرهم عليهم السّلام جلالا و عظمة لا يحتمله بنفسه، بل يراه شأنا عظيما مختصا بهم عليهم السّلام، و هذا التوجه يختلف بالنسبة إلى الأشياء، فتوجه كل بحسبه، و لذا ترى منهم عليهم السّلام فى وقت إعجازهم أنهم يستنطقون الأشياء من الشجرة أو الضبّ أو الحصى أو غير ذلك ينطقون لهم و يشهدون لهم بهذه الجلالة و المعرفة لهم، فنطقهم مستكن فيهم، فالأئمة عليهم السّلام بإذن الله تعالى يستنطقونهم بإذنه تعالى، و هو معنى قوله تعالى: أَنْطَقَنَا اَللّٰهُ اَلَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

1- 1) النمل:14.

شَیْءٍ

(1)

کما لا یخفی. ثم إن ما یظهر لهم من جلالتهم لیس منتهاها، بل و لا جزء من مائة ألف جزء، و إنما یظهر لهم بقدر ما یحتملون ظهوره و بقدر وسعهم، و فی الحقیقة هذا الشعور فیهم إنما هو مما کتبوه علیهم السّلام فی حقائقهم بإذن اللّه، و هو معنی قبول ولایتهم بذاتهم، و قد یقال: کیف لا یعرف مخلوق ربه أو جلالة أمرهم مثلا و هی المعرفة بهم، مع أن الخلق عبارة عن قبول الأعیان الثابتة الوجود بما هو أثر بهم، و تحقق منه تعالی فی الأشیاء و قبولها له فرع معرفة ما یقبله، فقبوله عین معرفته و هی عین قبوله، و هذا هو السّر المودع فی الأشیاء و الجهة الربوبیة فیها، و إلاّ لم یکن موجودا به تعالی، فکل شیء موجود به تعالی من هذه الجهة، فقبول الأشیاء المعرفة هو وجودها و إلاّ لم توجد، فتدبّر تفهم إن شاء اللّه. و لعمری إنا إذا راجعنا مخالفیهم القائمین بظلمهم قد ثبت عندهم مقاماتهم، فهم یجحدونها مع استیقان أنفسهم بها، کما لا یخفی علی من راجع المخالفین لهم علیهم السّلام، ثم إن تعریفه تعالی مقاماتهم لکل من المذکورات، یختلف باختلاف أحوالهم، و نحن نذکرها فی بیان شرح تلک المفردات، فنقول:

قوله علیه السّلام: «حتی لا یبقی ملک مقرب» ،

التخصیص بالمقرب لبیان أهمیته، لا لخروج غیر المقرب، بل هو أیضا ممن عرفه تعالی جلالة أمرهم. . إلخ أو هو داخل فی قوله: و لا خلق فیما بین ذلک شهید، و کیف کان فقد علمت تعریفه تعالی مقاماتهم للملائکة فیما سبق بما لا مزید علیه فلا نعید.

قوله: «و لا نبی مرسل»

(أقول: و لا غیر مرسل أیضا) و التخصیص به إما لأهمیته، أو لأن غیر المرسل داخل فی بعض مراتب الصدیق.

قوله: «و لا صدیق»

، أی من کان فی ذاته و صفاته و أفعاله و عقائده صدیقا، أی

1- 1) فصلت:21.

منزّها عن الشين فيه و الكذب بالنسبة إليه، و كانت أفعاله مصدقة لأقواله، و هم الأولياء و الأبدال و الأوتاد كما لا يخفى.

قوله: «و لا شهيد»

، المراد منه إما من أشهده الله ذاته و صفاته و أفعاله فهو شاهد للتوحيدات الثلاثة، أو الشهيد الذى استشهد مع النبى صلّى الله عليه و آله أو الإمام عليه السّلام فلأهميته خصّ بالذكر، أو المراد منه المؤمن الكامل المرضى إيمانه عند الله و رسوله كما أشير فى قوله تعالى: وَ كَذٰلِکَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى اَلنّٰاسِ وَ يَكُونَ اَلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (1).

ففى تفسير نور الثقلين، عن الكافى و بإسناده إلى أبى جعفر الباقر عليه السّلام حديث طويل فيه يقول عليه السّلام: «و لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، و لذلک جعلهم شهداء على الناس، ليشهد محمد صلّى الله عليه و آله علينا، و لنشهد على شيعتنا، و ليشهد شيعتنا على الناس» . فالشهيد هنا الشاهد على الناس يوم القيامة، فهو لكمال إيمانه يقبل شهادته فالشهادة للمؤمنين شأن من شئونهم كما لا يخفى.

قوله: «و لا عالم و لا جاهل و لا دنى و لا فاضل»

، المراد من العالم هو الذى علم معالم الدين إن أريد بالجاهل الذى لا يعلم، و إن أريد منه المتصف بالصفات الرذيلة (كما هو أحد مصاديق الجاهل، بل هو المراد غالبا فى الأحاديث) فالمراد من العالم هو العارف الكامل، الذى قد أخلص نفسه لله تعالى و خلع سرابيل الشهوات و خرج، من صفة العمى و مشاركة أهل الهوى، فصار من مفاتيح أبواب الهدى، و مغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه و عرف مناره و قطع غماره. . . إلخ. و المراد من الدنى بقرينة مقابلته مع الفاضل من اتصف بالدناءة و الصفات الرذيلة، و إن حصل له بعض العلم، فإن النفس قد تتصف مع علمها ببعض الصفات

1- 1) البقرة:143.

الدنیـة الموجبـة لخسّـته، و كونه مهانا عنـد الناس و عنـد اللّه، و المراد من الفاضل من اتّصف بالفضائل و إن لم یكن من أهل العلم، بل هو الظاهر منه لمقابلته مع العالم، كما لا یخفی، و كیف كان فالمراد منه غیر العالم الذی اتصف بالفضائل.

قوله علیه السّلام: «و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح»

، لا ریب فی تفاوت درجات الإیمان و المؤمنین كما تقـدم، إلاّ أن المؤمن قـد یرتفع بإیمانه إلی أن یعمل الصالحات، فهو بهذه المرتبة مما یعتنی به و یصـلح لأن یـذكر، فالصـفة لإخراج غیر الصالـح، كما أن الفاجر قـد یكون فجوره قلیلا یمحو بالندامـة، و قد یكون بمثابة الكثرة بحیث یكون طالحا أی خلاف الصلاح، فإن الطالح فی الرجال من هو خلاف الصالح، أی من لا یصدر منه إلاّ الفجور، فهو بهذه الجهة فی الفجور صار مذكورا، فكأنه نوع من الخلق المنكوس.

[50]قوله علیه السّلام: «و لا جبّار عنید، و لا شیطان مرید»

، أقول: «الجبـار المسـلط (بالكسـر) و المتكبر و الـذی یقتل علی الغضب، و لا یطلق هـذا الوصف علی غیره تعالی إلاّ علی وجه الـذم، و العنیـد الجائر عن القصد الباغی الذی یرد الحق مع العلم به، و العنید و العنود و المعاند واحد، و هو المعارض لک بالخلاف علیک، و عند عن الطریق أی عـدل عنه، فعلی هـذا الجبّار من تكبّر و تسـلط علی غیره، و أعمل غضـبه بالقتل، و إذا اتصف بالعنیـد أضـیف إلیه أنه یعمل السوء مع العلم بالحق، و هو العادل عن الطریق المعارض للحق، و له مصادیق كالفراعنة و سـلاطین الجور و خلفاء الباطل كأكابر بنی أمیة و بنی العباس و من حـذا حذوهـم إلی زماننا هذا. فإنهـم مع تبیّن الحق لهـم عاندوه و عارضوه و أهله كما لا یخفی، هذا و قد ظهر من خلفاء الجور الإـقرار منهم بظهور الحق لهم، و أنهم إنمـا عانـدوه و عانـدوا أهـل الحق لحبهم الملـک، و إن الملک عقیم، كما لا یخفی علی من راجع سیرهم فی التاریخ. و أما الشیطان فهو من شطن و هو البعد، فكأنهم تباعدوا عن الخیر، و طال مكثهم فی الشّر، و كل عات متمرد من الجن و الإنس و الدواب شیطان، و المارد هو

العاتی و قوله تعالی: شَیْطٰانٍ مٰارِدٍ ، أی خارج عن الطاعة متمکن من ذلک، و المارد العاند الشدید، و کیف کان فالشیطان قد عرفه الله جلالة أمرهم، و فی ذلک أخبار کثیرة ذکرها المجلسی رحمه الله فی البحار ج 36 فراجع و نذکر خبرا واحدا منها: (1)

فعن العلل و المجالس للصدوق رحمه الله بإسناده، عن المسعودی رفعه إلی سلمان الفارسی رحمه الله قال: مرّ إبلیس (لعنه الله) بنفر یتناولون أمیر المؤمنین علیه السّلام فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذی وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرّة، فقالوا: یا أبا مرّة أ ما تسمع کلامنا؟ فقال: سوأة لکم تسبّون مولاکم علی بن أبی طالب؟ ! قالوا: من أین علمت أنه مولانا؟ قال: من قول نبیکم صلّی الله علیه و آله: «من کنت مولاه فعلی مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و أخذل من خذله» فقالوا له: فأنت من موالیه و شیعته؟ فقال: ما أنا من موالیه، و لا من شیعته، و لکنی أحبّه و لا یبغضه أحد إلاّ شارکته فی المال و الولد. فقالوا له: یا أبا مرّة فتقول فی علی شیئا؟ فقال لهم: اسمعوا منّی معاشر الناکثین و القاسطین و المارقین، عبدت الله عز و جل فی الجان اثنی عشر ألف سنة، فلما أهلک الله الجان، شکوت إلی الله عز و جل الوحدة، فعرج بی إلی السماء الدنیا اثنی عشر ألف سنة أخری فی جملة الملائکة، فبینا نحن کذلک نسبّح الله عز و جل و نقدسه إذ مرّ بنا نور شعشعانی، فخرّت الملائکة لذلک النور سجّدا، فقالوا: سبّوح قدوس، هذا نور ملک مقرّب أو نبی مرسل؟ فإذا بالنداء من قبل الله عز و جل: ما هذا نور ملک مقرّب، و لا نبی مرسل، هذا نور طینة علی بن أبی طالب علیه السّلام» .

قوله علیه السّلام: «و لا خلق فیما بین ذلک شهید»

، قد یقال: المراد منهم من یکون موجودا فی عالم الشهادة من الأصناف، التی دون هذه الأنواع الثلاثة الملائکة و الجن و الإنس من سائر أصناف الموجودات، و قوله: شهید، صفة لخلق و هو بمعنی المشهود، أی ما سواهم من الخلق المشهود من سائر الموجودات.

1- 1) البحار ج 36 ص 237.

أقول: لعـل المراد منهم الموجودات الجماديـة و النباتيـة و الحيوانات بأصـنافها، و قـد عرفت أن لكل منها روحا يخصّه، و هو بلحاظ ذلک الروح مسبّح له تعالى، و له تکليف يخصّه و سـجود مختص به، فهم بتلک المشاعرة صحّ تعريفه تعالى مقامات الأئمة عليهم السّـلام لهم کما لا يخفى. [@@]

قوله عليه السّلام: «إلاّ عرفهم جلالة أمركم» .

أقول: قد عرفت معنى تعريفه تعالى مقامات الأئمة عليهم السّلام لهم.

و أما قوله:

«جلالة أمركم»

، الجلالـة العظمـة و الأـمر الحـادث العظيم، الـذى لاـ يوصف من عظمته، و المعنى أن أمركم عظيم لا يوصف بكنهه، و هو مقام ولايتهم الكلية الإلهية التشريعية و التكوينية، التى لاتحد لأحد و قد تقدم شرحها.

و فى الوافى عن الكـافى فى باب المصافحـة بإسـناده، عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السّـلام قال: سـمعته يقول: «إن الله تعالى لا يوصف و كيف يوصف و قـال فى كتابه: وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ (1)، فلاـ يوصف بقـدر إلاـّ كان أعظم من ذلک، و إن النبى صـلّى الله عليه و آله لا يوصف و كيف يوصف عبـد احتجب الله بسـبع، و جعل طاعته فى الأرض كطاعته فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و من أطاع هـذا فقـد أطاعنى، و من عصاه فقـد عصانى و فوّض إليه، و إنّا لا نوصف، و كيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس و هو الشک، و المؤمن لاـ يوصف و أن المؤمن ليلقى أخـاه فيصـافحه، فلاـ يزال الله ينظر إليهمـا و الـذنوب تتحـات عن وجوههمـا كما يتّحات الورق عن الشجر. أقول:

قوله عليه السّـلام: «كيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس و هو الشک» ، إشارة إلى آية التطهير، التى هى سـند طهارتهم و مقام ولايتهم و قربهم إليه تعالى، فإن نفى الشک عنهم إشارة إلى نفى أىّ حجاب بينهم و بين ربهم كما تقدم قول السجاد عليه السّلام

1- 1) الأنعام:91.

و الـذى حاصـله: ليس بين الله و بين حجته ستر و لاـ دونه حجـاب، و هـذا فى الحقيقـة مقام فنائهم فى الله و بقائهم بالله تعالى، فهم حينئذ مظـاهره فى شـئونه تبارک و تعالى. و بعبارة أخرى: أن تعريفه تعالى جلالـة أمرهم لكل شـىء هو أنه تعالى عرّفهم ولايتهم و سـلطانهم فى الوجود، الـذى لهم لاـ لغيرهم و هو فى الحقيقـة المرتبـة العليـا، التى أقامهم الله تعالى فيها، و مكّنهم فيها بحيث حمّلهم علمه و أعطاهم قدرته و جماله و جلاله، و فوض إليهم أمر دينه، و هذا معنى ولايتهم التكوينية و التشريعية، و هذا معنى أنهم خلقوا له تعالى كما

فى الحديث القدسى مخاطبا للنبى صلّى الله عليه و آله: «خلقت الأشياء لأجلک، و خلقتک لأجلى» ،

و قوله عليه السّـلام: «نحن صـنائع الله و الخلق صنائع لنا» . توضيحه: أن كونهم عليهم السّلام خلقوا لأجله تعالى أنه تعالى جعلهم مظاهر أسـمائه العظمى و الحسـنى التى هى مظـاهره تعالى. و بعبارة أخرى: أنه تعالى يظهر بالأسـماء و الصـفات من العلم و القـدرة و الجلال و الجمال، و حقائق تلک الذوات المقدسة، هى تلک الأسـماء و الصـفات، التى هى معرفات و مظاهر له تعالى، فهم لهم السـلطنة لتمكنهم فى تلـک المراتب و المنـازل الإلهيـة، و حيث إنـا فاقـدون لتلک الحقائق و محتاجون إليها فى الوجود فلا محالـة خلقنا لهم، فهم خلقوا له تعالى أى ليظهر تعالى بهم، و نحن خلقنا لهم لنسـتفيض منهم، فهم عليهم السّـلام بتلک الحقائق يـدبّرون أمر الخلائق بإذنه تعالى، بل فى الحقيقة هو تعالى يدبر الأمور بهم عليهم السّلام أى بتلک الحقائق، فتدبّر تعرف. و لعمرى إن هذا أمر عظيم، و لعل إليه يشير

قول الصادق عليه السّـلام فيما تقدم: «إن أمرنا هو الحق و حق الحق، و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن، و هو السّـر و سـرّ السرّ، و سرّ المستسر و سرّ مقنع بالسرّ» . أقول: فلا يكاد يحتمله غيره، نعم إلاّ من شاءوا أن يعرفوه بعض هذا السّر لا كله كما لا يخفى.

و قوله علیه السّلام: «و عظم خطرکم»

، أقول: العظم (کعنب) خلاف الصغر و مثل الشیء و عدیله، و الخظر (بالتحریک) قدر الشیء و منزلته، أو المراد منه المکیال الضخیم.

و قوله علیه السّلام: «و کبر شأنکم»

، الکبر (کعنب) کبر الشیء علو منزلته، و الشأن الخطب و الأمر و الحال، و کیف کان فالخطر لا یستعمل إلاّ فی الشیء الذی له قدر و منزلة و مزّیة، و الشأن هو الحال العظیم، و المراد منهما عظم قدرهم و کبر حالهم و مقامهم فی علوّ الذات و الذات نفسها، ففی کل موجود بحسب قابلیته خصوصا الإنسان ظهر من علوّ أمرهم ما لا یقدر أحد منهم اکتناهه، و معنی ظهوره فیهم أنه تعالی أوصل إلی کل شیء من ذواتهم المقدسة و من صفاتهم العالیة تعریفا لشأنهم ما لا ینال أحد من معناه إلاّ بقدر احتمال قابلیته من آثار ذلک التعریف، و لاحت آثار تلک الذوات و الصفات المختصة لهم علی هیاکل ما سواهم، و استضاء کل منهما علی قدر قابلیته. و هذا أحد معانی ما یأتی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و آثارکم فی الآثار، و أنفسکم فی النفوس»

، فانتظر، و أیضا هذا أحد معانی

قوله علیه السّلام:

«إلاّ عرفهم»

، فإنه تعالی عرّفهم لکل شیء بقدر ما أوصل إلیهم من صفاتهم و ذواتهم المقدسة، و بقدر ما احتملوها بقدر قابلیتهم. و قد یقال: المراد من عظم خطرکم مرتبة تمیّزهم فی عالم المفاتیح، و عالم تمیّز المعلومات، و عالم ذکرهم و نصیبهم من حقیقة النبوة الإلهیة و من کبر شأنهم مرتبة وجودهم المطلق أعنی الولایة العامة. و بعبارة أخری: أن لهم مراتب من الوجود فی جمیع العوالم الربوبیة و البرزخیة و الجسمانیة، و لکل فی کل مرتبة خطر عظیم و شأن کبیر، ففی العوالم الربوبیة عندهم مفاتیح الغیب کما صرّح به بعض الأحادیث،

و فی خطبة البیان: «أنا مفتاح الغیب» .

و فی تفسیر نور الثقلین (1)و فی کتاب معانی الأخبار بإسناده إلی أبی بصیر قال: سألته عن قول الله عز و جل: وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ یَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّةٍ فِی ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (2)قال: فقال: «الورقة السقط و الحبة الولد و ظلمات الأرض الأرحام، و الرطب ما یحیی و الیابس ما یقبض، و کل ذلک فی کتاب مبین» .

و فی حدیث عن العیاشی ما یقرب من ذلک، و فیه بعد ذلک قال: «فی إمام مبین» . و لهم مرتبة واجدیة العلوم بأجمعها کما وردت أحادیث فی قوله تعالی: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (3)، و قد تقدم بعضه، و لهم أیضا مقام الذکر فی عالم النبوة الإلهیة، أی فی الحقائق التی ظهرت منه تعالی فی النبی صلّی الله علیه و آله ففیها ذکرهم علیهم السّلام أی تحققت الحقائق فیهم أیضا، فحقیقتهم حقیقة النبی صلّی الله علیه و آله (سوی النبوة) کما یومئ إلیه قوله تعالی: وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَکُمْ (4).

قوله علیه السّلام: «و تمام نورکم»

، أی أن ما منحکم الله تعالی من الصفات الحمیدة و العلم و القدرة و الأنوار، التی بها ظهور ولایتکم التشریعیة و التکوینیة، و أنکم نوره کما تقدم و دلّ علیه قوله تعالی: وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا ، المفسّر بعلی بن أبی طالب علیه السّلام کلها تکون بنحو التمام فی کلکم، أو بالنسبة إلی کل واحد منکم یکون تماما و تاما لا نقص فیه بالنسبة إلی من دونهم، فإنه فیه نقص من ذلک النور و إن وجد بعض مراتبه، و تماما من جمیع جهات الوجود المتعلق به، فهم علیهم السّلام فی مقام تمامیة النور المفاض إلیهم منه تعالی.

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 1 ص 598.

2- 2) الأنعام:59.

3- 3) الرعد:43.

4- 4) آل عمران:61.

[51]قوله علیه السّلام: «و صدق مقاعدکم»

، قد علمت أن الصدق هو جدّ الشیء و واقعه، و تقرره فی صقعه أی تطابقه لما فی الواقع. و بعبارة أخری: الصدق اسم لحقیقة الشیء حصولا و وجودا، فکل شیء وجد بالفعل بکل ما أمکن له حتی یکون ذلک الشیء تاما کاملا فهو الصدق، و هذا المعنی من الصدق إذا تحقق فی أی أحد یلزمه أن یکون ذاته و صفاته و أفعاله و جمیع شئونه و قیامه فی الدین علی ما هو حقه و واقعه، و هذه الحقیقة (أعنی الصدق) نور متشعشع فی عالمه کالشمس یستضیء بها کل شیء یغشاها من غیر نقصان علی معناها. کما عن الصادق علیه السّلام و تحصیل هذا فی أحد فی غایة الصعوبة، و لذا

قال علیه السّلام «و الصادق حقّا هو الذی یصدق کل کاذب بحقیقة صدق ما لدیه، و هو المعنی الذی لا یسع معه سواه أو ضده» ، و هذا معنی ما قلنا من أن الصدق جدّ الشیء. . .

إلی أن قال: «و أدنی حدّ الصدق أن لا یخالف اللسان القلب، و لا القلب اللسان، و مثل الصادق الموصوف بما ذکرنا کمثل النازع لروحه إن لم ینزع فما ذا یصنع؟» ، و هذا إشارة إلی صعوبة الثبات علی مقام الصدق فی کل أمر کما لا یخفی، و صفة الصدق فی أحد لا تتحقق إلاّ بعد کمال المعرفة و المحبة الموجبة لإحراق غیر محبوبة، إلی أن لا یصدر منه إلاّ ما هو محبوب محبوبه و ما هو مطلوبه. و علی هذا

فقوله علیه السّلام:

«و صدق مقاعدکم»

، یراد منه ما توضیحه: أن للأئمة علیهم السّلام مراتب شامخة فی الوجود أعنی بها المقامات الإلهیة المشار إلیها

فی دعاء رجب:

و مقاماتک التی لا تعطیل لها فی کل مقام.

و بعبارة أخری: أنهم جالسون مجلس الأسماء الإلهیة فی المقامات الربوبیة، و تلک المقامات صعبة جدا صعب العمل بها، و الأئمة علیهم السّلام صادقون فی تلک المقاعد و المقامات قائمون بشئونها، و ثابتون علیها و علی ما تقتضیه تلک المقامات من العمل و الاستقامة علیها، فهم فی مقعد الصدق فی تلک المقامات، و قد أثبتوا بحسن

أعمالهم و ثباتهم صدق مقاعدهم، و الله تعالى عرّف الكل صدق مقاعدهم، و إن هذا مقام لا يكون لغيرهم كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: «و شرف محلكم»

، أى أنّ محلكم أعنى قيامكم فى الأمور بنحو المرضى له تعالى فى كل مرتبة قد بلغ إلى غاية الشرف، الذى ينبغى لتلك المرتبة، و هى إما مرتبة الولاية التكوينية بما لها من المصاديق، أو التشريعية من التبليغ أو الأعمال من الطاعة لله على طبق مرضاته، أو المعارف التى هم محالها، فهم عليهم السّلام فى جميع تلك الأمور قد بلغوا إلى غاية الشرف فيها، و حازوا الرفعة و العلو و القدر العظيم فى ذلك المحل.

و قوله عليه السّلام: «و ثبات مقامكم»

، إشارة إلى ثبوت هذا المحل الشريف لهم بعنايته تعالى، و أنهم ثابتون فيها بمعنى تقدم توضيحه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و المستقرين فى أمر الله تعالى»

، فراجع، و لعل معناه يرجع إلى

قوله عليه السّلام:

«و صدق مقاعدكم»

فإن الثبات فى مقام من آثار الصدق فى الكون فى ذلك المقام كما لا يخفى.

و قوله: «و منزلتكم»

عطف على المحل فهو بمعنى واحد، إلاّ أن المنزلة عبارة عن الحقيقة، التى اتّصفوا بها من كونهم عليهم السّلام محلا للمعارف و مظاهر للأسماء الحسنى، فهى كالمرتبة التى رتّبهم الله فيها، و المحل اسم لظرف تلك المنزلة كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام: «و كرامتكم عليه»

، أى أنه تعالى جعلكم فى كل رتبة من الوجود، و كل مرتبة من الكمالات و المقامات فى أعلاها بحيث ليس فوقها درجة، و بهذه العطيّة بيّن للكل أنكم فى معرض كرامته بحيث لا يشارككم فيها أحد، و يراد فيه

قوله عليه السّلام:

«و خاصتكم لديه»

، أى أنكم بسبب تلك الكرامات الإلهية و الألطاف الربوبية منه تعالى صرتم بحيث ظهر للكل أنكم من خاصّته و خواص خلقه، بحيث لا يشارككم فى الرتبة أحد غيركم. و بعبارة أخرى: أنه تعالى استخلصكم من بين جميع المخلوقات، و لذا

قال عليه السّلام: و قرب منزلتكم منه، فإن هذا القرب أى قرب المنزلة هو الظاهر لكل أحد هو من

ص:360

لوازم كونهم عليهم السّلام من المستخلصين، و من كونهم من خاصّته تعالى، و هم عليهم السّلام قد صاروا لكمال القرب إليه تعالى بحيث صارت طاعتهم طاعته تعالى، و معصيتهم معصيته تعالى كما تقدم، بل صاروا فى القرب إلى ما هو المراد من

قوله:

«لا فرق بينک و بينها إلاّ أنهم عبادک و خلقک»

، و ذلک لأنه تعالى جعل أنوارهم و أرواحهم فى القرب منه تعالى بحيث

قالوا عليه السّلام: «احتجب ربنا بنا» ،

و قال عليه السّلام: «ليس بين الله و بين حجته حجاب و لا دونه ستر» . فهم عليهم السّلام بهذه الجهة صاروا معانى الله، و أبواب الله و بيوته، و محال معرفته و صاروا مظاهر أسمائه و صفاته و حجبه، و وسائط نعمه على خلقه، و هم أيضا مظاهر أفعاله تعالى. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام بهذا القرب الحقيقى المعبّر عنه بمقام أو أدنى صاروا ظهوره تعالى فى الخلق بالصفات و الأسماء و النعم الإلهية فهو تعالى ظاهر بهم،

و لذا قال صلّى الله عليه و آله: «من رآنى فقد رأى الحق» ، رزقنا الله تعالى معرفتهم و الكون معهم فى الدنيا و الآخرة بمحمد و آله الطاهرين.

[52]قوله عليه السّلام: بأبى أنتم و أمى و أهلى و مالى و أسرتى

أقول: «بأبى» أصله مفعول ثان لأفدى، و أنتم مفعول أول، و المعنى أفديكم بأبى و أمى، و هذا الباء يسمى باء التفدية حذف فعلها فى الغالب، و التقدير نفديک بأبى و أمى، و هذه العبارة تستعمل لبذل الحبيب و العزيز وقاية للأحبّ و الأعزّ بحيث يفنى العزيز و الحبيب عن رعاية نفسه، و المحافظة عليها فى قبال الأحبة و الأعزة، و هذا إذا توهم مجاوزة تغيّر الأحبّ و الأعزّ أو تبدّله عما هو عليه، أو عن خصوص صفة الأحبة و الأعزية. و هذا كله إذا وجدت من ظهر بصفة حسنة جليلة كصفات محمد و آله الطاهرين، بحيث قد هان عند ظهورها لک كل جليل و عزيز عندک، فحينئذ نقول:

بأبى أنت و أمى. . . إلخ، أى أفدى تغيرک عن هذه الصفات الجميلة الجليلة، أو تبدلک بغيرها مثلا-و العياذ بالله-مما لم يستدع ميل قلبى إليها، أى تبدلها إلى ما لا أرتضيه لكم، أو أفديک فناءک أو فقدانک-و العياذ بالله-بأحبّ الأشياء عندى و أعزّها علىّ و هى أبى و أمى و أهلى، عشيرتى و قراباتى، و الزوجات و الأولاد و البنات و الأصهار، و أسرتى (بالضم) و هم رهطى الأدنون أى أفديهم وقاية لكم من كل مكروه و محذور. و كيف كان فهذه الجمل تستعملها العرب عند الخطاب لمن يحترمون مقامه و يعظمون إكرامه، ثم الوجه فى إبراز هذه الجمل أن الزائر لما أراد خطابهم بأن يشهدوا عليهم السّلام على ما انطوى عليه قلبه من الاعتقاد بولايتهم، و أنهم المحبوبون له بحيث ليس محبوب أشدّ حبّا منهم، و أراد أن يشهدوا عليهم السّلام عليه بما يذكره فيما بعد من

قوله: «أشهد الله و أشهدكم. . . إلخ» ، و قد أقر بما أقرّ فى الجمل السابقة أيضا إقرارا حتميا على جهة المعاهدة و الميثاق المؤكد، و هو (أى الزائر) أيضا قد اعتقد علوّ مقامهم بحيث استحيى أن يطلب منهم عليهم السّلام أن يشهدوا عليه بهذه العقائد الحقة، لأنه و إن كان معتقدا بما يقوله بعدا. إلاّ أنه حيث كان فى نفسه بعض الصفات الرذيلة، فكأنه استحيى أن يطلب منهم النظر إلى قلبه، فيرون مع هذه العقائد الحقة تلک الصفات الرذيلة، هذا مع أنه (أى الزائر) يعلم أنهم مطلعون على ما فى القلوب من العقائد الحقة فهو (أى الزائر) لهذه الأمور قال: «بأبى أنتم. . . إلخ» ، أى بذل و فدى أعظم الأشياء عنده من نفسه و ولده و أهله و ماله و أسرته لهم عليهم السّلام و جعلها وقاية لهم عليهم السّلام من كل مكروه و محذور، كل ذلک ليكون قد أشهدهم على ما فى نفسه من الإقرار بما يقرّ لهم، مع أنه يرى نفسه فى غاية الخضوع و الخشوع لهم، و أنه يبذل أعزّ الأشياء لهم، ليقبلوا عليهم السّلام منه هذه الشهادة و لا-يردونه عن بابهم، بل يجعلونه مشمولا لألطافهم الخاصة، رزقنا الله ذلک بمحمد و آله الطاهرين.

ص:362

فقال: «أشهد الله. . إلخ» . فإن قلت: فلم لا يقول لله تعالى: «بأبی أنت و أمی. . . إلخ» ، مع أن ملاک کونه مفدى لما ذکر أعلى، و أکبر مما فیهم علیه السّلام؟ قلت: السرّ فی ذلک أن التفدیة إنما تصحّ لمن کان بذاته معرضا للهلاک، أو زوال ما به من الصحة و النعمة، و إن کان محفوظا بالعصمة و باللطف الإلهی، و من المعلوم أنه تعالى لیس کذلک، فإنه تعالى و إن کان أعز ممن سواه، إلاّ أنه لا یحوّل، و لا یجوز التحول عما هو علیه، لأن ذاته المقدسة و صفاته ذاتیة، فهو بما هو هو أبدی سرمدی و مع ذلک أنا أقول: روحی و نفسی و مالی و أهلی و أسرتی لاسمه الفداء. و ما ذکر فإنما هو بلحاظ العرف، و ما هو دأب العامة من المؤمنین، و أما العاشقون له تعالى فهم لا یحومون إلاّ حومه، و لا یرون لأنفسهم و لما تتعلق بهم قیمة حتى یفدوها له تعالى، و مع ذلک فهم یبذلون أنفسهم و ما لهم لسماع ذکر محبوبهم، أ ما سمعت تفدیة إبراهیم علیه السّلام نفسه و ولده و ماله له تعالى فإنه علیه السّلام هیّأ نفسه لأن تحرق، و فدى ولده إسماعیل، و أعطى ماله لمن ذکر اسم محبوبه کما لا یخفى.

قوله علیه السّلام: أشهد الله و أشهدکم أنی مؤمن بکم و بما آمنتم به، کافر بعدوّکم و بما کفرتم به

اشارة

أقول: أنی مؤمن بکم، أی بإمامتکم، و وجوب طاعتکم و فضلکم. و قال الشارح المجلسی رحمه الله: «بأبی أنتم» ، أی أفدیکم أبی و أمیّ، أشهد الله لما أراد مخاطبتهم بالشهادة فداهم بأبیه و أمه، و أشهد کما هو المتعارف عند العرب، أشهد الله تعالى و إیاهم أنه مؤمن بهم و بجمیع ما آمنوا به مجملا و إن لم یعلم تفاصیله، کافر أی جاحد و عدو لأعدائهم کما قال تعالى: فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطّٰاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اِسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ اَلْوُثْقىٰ (1).

1- 1) البقرة:256.

فانظر إلى كلامه تعالى كيف قدّم الكفر على الإيمان، لبيان أنه ما يمكن الإيمان بدون عداوة أعدائهم

كما وردت الأخبار الصحيحة: إنه من قال: «إنى مؤمن بالأئمة و ليس لى شنان بالمخالفين» ، إنه ليس بمؤمن بل من أعدائنا، فإن المحبّ من يحب أولياء المحبوب و يبغض أعداءه.

أقول: قوله عليه السّلام: «إنى مؤمن بكم»

، أى مؤمن بما أنتم عليه فى المقامات، التى أقامكم الله تعالى فيها، كما تقدم فى أوائل الشرح، «و بما آمنتم به» من المعارف التى أطلعكم الله تعالى عليها من المعرفة به تعالى بنحو الأكمل الأتم، الذى لا يمكن للممكن أعلى منه من معرفة الحق تعالى و صفاته و أفعاله، و ما ينبغى أن يعبد بالعبادة، التى تناسب ذاته المقدسة، و ما أنزله من كتبه و وحيه، و حقائق أنبيائه و صفاتهم و ملائكته، و أوصافهم و أقسامهم و شئونهم على ما هم عليه، و كذلك صفات أوليائه و أصفيائه و اتباعهم من شيعتهم، بل حقائق جميع الموجودات على ما هى عليها، فإنها بحقائقها لا يعلم بها إلاّ من اختصه الله تعالى بعلمه. و لذا ورد كما قيل

فى الدعاء:

«اللهم أرنى الأشياء كما هى»

، و كذلك علمهم عليهم السّلام بقضائه و قدره و سرّه، و ما أراد و ما قدر و ما قضى، و ما هو مخلوق بمقتضى عدله، و ما بيّنه من أحكامه بما لها من المصالح. و الحاصل: أن الإيمان بهم و بمقاماتهم الظاهرة لنا بما يمكن الإيمان بها تفصيلا، و أما الإيمان بما آمنوا به من تلك المعارف فلا ريب فى أنها كما هى هى، لا يمكن لغيرهم الإيمان بها بما هى هى، فلا محالة يكون الإيمان بها مجملا على نحو ما آمنوا به، إذ لا سبيل إلى معرفتها كما هى هى، فإنها أمور لا يمكن لغيرهم المعرفة بها تفصيلا، كما لا يخفى، و إنما أشهدهم الزائر بهذه الأمور التى هى من حقائق الإيمان ليشهدوا عليهم السّلام له عند السؤال فى القبر و يوم القيامة فى مواقف السؤال. بل ربما تكون شهادته هذه سببا لأن ينظروا إليه بنظر اللطف فى الدنيا و الآخرة بأن يكتبوا عليهم السّلام فى قلبه الإيمان بنور الولاية، و يقبل الله أعمالهم، و يتجاوز عن

سیّئاتهم، و یضاعف حسناتهم، و یدفع عنه سوء القضاء و القدر، و یکتب له خیرهما و خیر سائر الأمور، و إن یکتبوه من شیعتهم و حزبهم، و أنه موصول بهم، و أخذ بحجزتهم فی الدنیا و الآخرة، و بالجملة أن یجعلوه فی کل خیر جعلهم الله فیه، و یخرجوه من کل شرّ أخرجهم الله منه.

[53]قوله علیه السّلام: «کافر بعدوکم و بما کفرتم به»

، أما الکفر بعدوهم فمعناه أنی جاحد لما تدعیه أعداؤکم من الأولین و الآخرین مما لیس لهم، أو یدعیه مدع من أتباعهم مما اغتصبوه من مقامات غیرهم أو من أموالهم، کما اغتصبوا فدکا من فاطمة الزهراء (سلام الله علیها و روحی لها الفداء) و من الأعمال التی فعلوها مع أنها لیست بمرضاة الله تعالی، و أما الکفر بما کفروا به، الکفر بوجود الشریک للباری تعالی، و بما لا یرتضیه من المعاصی و أهلها، و ما لا یجوز استنادها إلیه تعالی من الصفات السلبیة و الأفعال القبیحة، و بالجملة بکل ما لا یعلمه و لا یقول به الباری تعالی. ثم إن هذه الجملة أعنی

قوله:

«کافر بعدوکم و بما کفرتم»

، مؤکد و محقق

لقوله:

«مؤمن بکم و بما آمنتم به»

، بمعنی أن الإیمان بهم و بما آمنوا لا یکون إلاّ بالکفر بعدوهم و بما کفروا به، و هو المشار به فی کلام المجلسی رحمه الله کما تقدم آنفا، و تدل علی هذا عدة من الأخبار نذکر بعضها تیمنا فنقول:

ففی البحار (1)، عن تفسیر العیاشی، عن أبی حمزة الثمالی، قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «یا أبا حمزة إنما یعبد الله من عرف الله، و أما من لا یعرف الله کأنما یعبد غیره هکذا ضالاّ، قلت: أصلحک الله و ما معرفة الله؟ قال: یصدّق الله و یصدق محمدا رسول الله صلّی الله علیه و آله فی مولاة علی و الائتمام به و بأئمة الهدی من بعده، و البراءة إلی الله من عدوهم، و کذلک عرفان الله، قال: قلت: أصلحک الله أی شیء إذا عملته أنا استکملت حقیقة الإیمان؟ قال: توالی أولیاء الله و تعادی أعداء الله، و تکون مع

1- 1) البحار ج 27 ص 58.

الصادقين كما أمرک الله، قال: قلت: و من أولياء الله؟ فقال: أولياء الله محمد رسول الله و على و الحسن و الحسين و على بن الحسين. . . ثم انتهى الأمر إلينا، ثم ابنى جعفر و أومأ إلى جعفر و هو جالس، فمن و إلى هؤلاء فقد و إلى أولياء الله، و كان مع الصادقين كما أمره الله، قلت: و من أعداء الله أصلحک الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل و رمع و نعثل و معاوية و من دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله» . أقول: المراد من أبو الفصيل أبو بكر و من رمع عمر و من نعثل عثمان.

و فيه عن السرائر من كتاب انس العالم للصفوانى قال: روى أن رجلا قدم على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى أحبک و أحب فلانا، و سمّى بعض أعدائه فقال عليه السّلام: «أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمى و إما أن تبصر» .

و قيل للصادق عليه السّلام: «إن فلانا يواليكم، إلاّ أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: «هيهات كذب من ادعى محبتنا، و لم يتبرّأ من عدونا» .

و روى عن الرضا عليه السّلام أنه قال: «كمال الدين ولايتنا و البراءة من عدونا» . ثم قال الصفوانى: و اعلم أنه لا تتم الولاية، و لا تخلص المحبة، و لا تثبت المودة لآل محمد إلاّ بالبراءة من عدوهم قريبا كان أو بعيدا، فلا تأخذک به رأفة، فإن الله عز و جل يقول: لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (1)» .

و فيه (2)عن تفسير العياشى، عن سعدان، عن رجل، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ (3)، قال: «حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبّة

1- 1) المجادلة:22.

2- 2) البحار ج 27 ص 57.

3- 3) البقرة:284.

من خردل من حبّهما» . أقول: أى الشيخين.

و فيه (1)، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «من لم يعرف سوء ما أتى إلينا من ظلمنا و ذهاب حقنا و ما ركبنا به، فهو شريک من أتى إلينا فيما ولينا به» .

و فيه (2)و قال الصادق عليه السّلام: «من شکّ فى کفر أعدائنا و الظالمين لنا فهو کافر» . أقول: لعل المراد على الظاهر فهو کافر بولايتنا المستلزم للکفر بالله و بالرسول صلّى الله عليه و آله أيضا.

و فيه عن کنز الفوائد للکراجکى بإسناده، عن سليمان الأعمش، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال لى رسول الله صلّى الله عليه و آله: «يا على أنت أمير المؤمنين و إمام المتقين، يا على أنت سيد الوصيين و وارث علم النبيين، و خير الصديقين و أفضل السابقين، يا على أنت زوج سيدة نساء العالمين، و خليفة خير المرسلين، يا على أنت مولى المؤمنين و الحجة بعدى على الناس أجمعين، استوجب الجنة من تولاّک، و استوجب دخول النار من عاداک، يا على و الذى بعثنى بالنبوة و اصطفانى على جميع البرية لو أن عبدا عبد الله ألف عام ما قبل ذلک منه إلاّ بولايتک و ولاية الأئمة من ولدک، و إن ولايتک لا تقبل إلاّ بالبراءة من أعدائک و أعداء الأئمة من ولدک، بذلک أخبرنى جبرئيل عليه السّلام فمن شاء فليؤمن و من شاء فليکفر» . ثم إن المستفاد منها ما مرّ من أن الإيمان بهم و الولاية لهم و المحبة الخالصة لهم لا يکون إلاّ بالبراءة من أعدائهم، و الوجه فيه ما ذکره بعضهم من أن الإيمان حق، و هو لا يجامع الباطل الذى هو ولاية أعدائهم و عدم البراءة منهم، أما کون الإيمان

1- 1) البحار ج 27 ص 55.
2- 2) البحار ج 27 ص 62.

بهم حق، فهو ثابت بالأدلة القطعية كما لا يخفى، و أما كون ولاية أعدائهم هو الباطل فلأنّ المحكى عن القمى فى تفسير قوله تعالى: ذٰلِكَ بِأَنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اِتَّبَعُوا اَلْبٰاطِلَ وَ أَنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّبَعُوا اَلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ (1)، أنه قال: ذلک بأن الذين اتبعوا أعداء رسول الله صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السّلام و قال أيضا فى قوله: و آمنوا بما نزل على محمد صلّى الله عليه و آله، أى ثبتوا على الولاية التى أنزلها الله (و هو الحق) يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام. و كيف كان فلما كان عدم البراءة من أعدائهم و ولايتهم باطلا، كانت البراءة من أعدائهم حقا كما أن ولايتهم عليهم السّلام حقّ، و هى (أى البراءة من أعدائهم) جزء الولاية الحقة الثابتة لهم. و بعبارة أخرى: أن الولاية لهم حق، و إذا لم تنضمّ إليها البراءة من أعدائهم لزمها عدم البراءة منهم، و قد علمت أنها الباطل، و لا يجتمع الحق مع الباطل، و لا يكون جزءا له و لا لازما له، فثبت أن الإيمان الحقيقى مركب منهما، أى من ولايتهم، و من البراءة من أعدائهم و هو المطلوب. ثم إن المؤمن الذى يؤمن بهم و يتبرّأ من أعدائهم، إما يؤمن مع العلم التفصيلى بمتعلق إيمانه، و إما مع العلم الإجمالى به، و الثانى أيضا كاف فى الإيمان، كما هو المتراءى من كثير من العلوم، و يدل عليه ما روى فيما تقدم من

قوله عليه السّلام: «من أراد أن يستكمل الإيمان فليقل القول منى ما قال آل محمد عليهم السّلام فيما بلغنى، و فيما لم يبلغنى، و فيما أعلنوا، و فيما أسرّوا» .

و فى بصائر الدرجات (2)بإسناده، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: بأى شىء علمت الرسل أنها رسل؟ قال: «قد كشف لها عن الغطاء، قال: قلت: بأى شىء علم المؤمن أنه مؤمن؟ قال: بالتسليم فى كل ما ورد عليه» .

1- 1) محمد:3.

2- 2) بصائر الدرجات ص 522.

و فیه (1)بإسناده، عن زید، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «تدری بما أمروا؟ أمروا بمعرفتنا و الرد إلینا و التسلیم لنا» . فهذا الحدیث و أمثاله یدل علی أن الإیمان بهم و بما قالوا علیهم السّلام مع العلم الإجمالی کاف فی صحة الإیمان، و تحقیقه موکول إلی کتب الکلام.

قوله علیه السّلام: مستبصر بشأنکم و بضلالة من خالفکم

أقول: عارف بدلیل الحکمة و البیان، و بخطبکم الخیر الجلیل، و بمعرفتکم بالنورانیة، و أنکم المقامات الإلهیة، التی لا تعطیل لها فی کل مکان و أنکم معادن کلمات الله، و أرکان توحیده و آیاته، و بیوت علمه و حکمه و غیبه، و أمره و جنبه و یده، و لسانه و عینه، و أذنه و قلبه، و وجه الکریم، و ظاهره و سرّه، و أنکم بابه و خزائنه، و مفاتیح علمه و حجبه و أولیاؤه و الدعاة إلیه و إلی دینه، و خلفاءه فی أرضه، و النذر منه إلی الخلق، و أنه فرض طاعتکم. و الحاصل: و بالجملة عارف بکل ما جعله الله تعالی لکم من شئون الولایة الإلهیة، التی تقدم بعضها فی الشرح. و أیضا عارف کذلک بضلالة مخالفیکم و أنهم الضالون المضلون، لأنهم باستکبارهم علی الحق الظاهر لهم، صاروا حقیقة الحسد و العلوّ الموجب للإنکار و الجحود، و صاروا بذلک منشأ لکل شر. و بعبارة أخری: أن المخالفین و إن ظهرت لهم بحسب الفطرة الإلهیة حقانیة الأئمة علیهم السّلام إلاّ أنهم باستکبارهم جحدوا مقامهم، فصاروا بذلک ضالّین مضلّین، فالمخالفون بداعی الضلالة العارضة لهم من استکبارهم جحدوا مقام الأئمة علیهم السّلام و بداعی الفطرة الإلهیة و الهدایة التکوینیة استیقنتها (أی مقامات الأئمة علیهم السّلام)

1- 1) بصائر الدرجات ص 526.

أنفسهم، كما قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ (1)، و تقدّم بعض الكلام فى بيان هذا الأمر. و قد يقال: أن قوله: «مستبصر» ، أى طالب للبصيرة بمعرفة أمركم و حالكم. أقول: كما تقدم من أنه عارف بالحكمة و البيان لا عن تقليد و تخمين، بل عن علم و يقين. قيل: و فيه إشارة إلى الاعتراف بالعجز عن ادعاء البصيرة فى معرفة مرتبتهم، فإن القوة البشرية لا تطيق الإحاطة بمعرفتها إذ هم أنوار الله جلّ جلاله و مظاهر صفاته، و تمتنع الإحاطة بمعرفة كنه صفاته تعالى. أقول: يعنى أن الإقرار بأنى مستبصر بشأنكم. . . إلخ ظاهر فى الإقرار الإجمالى بعلوّ مقامهم دون التفصيلى، لعدم إمكان الإحاطة بها، و إلاّ لصرّح بها واحدا واحدا، و يدل عليه ما تقدم من

قولهم عليهم السّلام: «نزلونا عن الربوبية، و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا» .

[54]قوله عليه السّلام: موال لكم و لأوليائكم، مبغض لأعدائكم و معاد لهم

أقول: قيل: «موال لكم» أى واليتكم، و قلدت رقبتى بقلادة عبوديتكم و عبودية من وليتموه علىّ. أقول: يعنى خاضع و خاشع لكم و لأوليائكم. و قيل: أى محبّ و صديق و ناصر، و متابع بالقلب و اللسان و الأركان. و بالجملة: مظهر محبتى و ولايتى لكم و لأوليائكم بجميع مصاديقها.

قوله عليه السّلام:

«مبغض لأعدائكم»

، أى مجاوز لمن جاوزكم، أى غير محبّ لأعدائكم، فإن البغض ضد الحبّ، أى معرض قلبا عمّن أعرض عنكم، أو اتخذ

1- 1) النمل:14.

وليا دونكم من الشيطان، و مظاهره من طواغيت كل زمان.

و قوله عليه السّلام:

«معاد لهم»

، أى أنكرهم و متبرّئ منهم بالقلب و اللسان و اليد. و بالجملة مظهر بأنى عليهم لا لهم فى جميع الأمور.

قوله عليه السّلام: سلم لمن سالمكم، و حرب لمن حاربكم

أقول: قد يقال: إن الإيمان يتحقق بموالاة أولياء الله، و معاداة أعدائهم، فإنه إن لم يوالهم فهو ضال، و إن والاهم مع أعدائهم فهو مشرك، و إن والى أعداءهم دونهم فهو كافر جاحد، و كيف كان فالإيمان بهذا من صفات القلب و عقد القلب، و يتحقق أيضا بالفعل، و هو بترتيب آثار تلك العقائد فى الخارج و منها

قوله عليه السّلام:

«سلم لمن سالمكم»

، أى مسالم و مؤاخ لهم، و حرب أى عدوّ و محارب لمن حاربكم. و قال الشارح المجلسى رحمه الله: إنى صلح لمن صالحتم إيّاه بترك الجهاد معهم، كما فى زمان الغيبة، أى لا اجاهد حتى تجاهدوهم، أو أنا محب لشيعتكم و عدوّ لأعدائكم. . . إلخ. أقول: السلم هو الصلح و الطاعة و الاستسلام و المحبة و الولاية و الإسلام و المسالم. و على هذا فمعنى أنى سلم أى مصالح و مطيع و مستسلم، و محبّ و موال و مسلّم، و مسالم لمن سالمكم أى لمن كان هكذا عمله معكم، و هذه الجملة ناظرة إلى الإيمان العملى كما تقدم، و يرجع معناه إلى أنى تارك الجهاد ضد من سالمكم المستلزم لمسالمتكم معه، و تارك للمحاجة معه ما دام سلما لكم، أو مستعملا التقية فى مواردها الموجبة للسلم، و تاركا المخاصمة لدفع الضرر عن شيعتكم، مادام راضيا عمّن رضى عنكم، أو مطيعا لمن أطاعكم فى موالاتكم و إن عصانى فى غيرها، و ما دام منقادا لمن انقاد لكم فى موالاته لكم، كونه محبّا لمن أحبكم، كل ذلک و غيره -عملا-الناشئ من الإيمان القلبى بكم، فتكون المسالمة فى جميع تلک الأمور على ما

يقتضيه الإيمان القلبى، لا على ما تقتضيه المعاشرة العرفية فقط. و على هذا

فقوله:

«حرب لمن حاربكم»

، معناه أنى بالنسبة إلى من حاربكم أعمل بما يقتضيه الإيمان بكم، و تفصيله ظاهر على المستبصر.

[55]قوله عليه السّلام: «محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم

اشارة

أقول: أى أعتقد أن ما حققتموه هو الحق و أنا أحققه، أى أسعى فى بيان أنه حق، و أن ما أبطلتموه هو الباطل و أنا أبطله، أى أسعى فى بيان إبطاله، و أن هذا ثابت لدىّ بالأدلة القطعية النقلية و العقلية.

أما الأول:

فلما ثبت أنكم عالمون بالأمور و بحقائقها بتعليم الله تعالى لكم، فلا تجهلون شيئا من حقائق الأشياء، و هو العلم بالأسماء الإلهية، كما سيأتى حديثه، و أنكم معصومون لا تكذبون، كما تقدم مفصّلا فى شرح

قوله عليه السّلام: «المعصومون» ، و أنهم مسدّدون مؤيدون و ناصحون و حكماء، كما قال تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً (1)، و هم أحسن مصداق لها، إلى غير ذلک مما تقدم من الصفات الإلهية الثابتة لهم، الموجبة لكونهم أهل الحق و معدنه و مأواه إلى آخر ما يأتى شرحه

لقوله عليه السّلام:

«إن ذكر الخير. . . إلخ» . و يدل على هذا أحاديث كثيرة نذكر بعضها فمنها: ما

فى البحار (2)، عن أمالى المفيد بإسناده، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «أما أنه ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب، إلاّ شيء أخذوه منّا أهل البيت، و لا أحد من الناس يقضى بحق و عدل، إلاّ و مفتاح ذلک القضاء و بابه و أوله و سننه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، و الصواب من قبل على بن أبى طالب عليه السّلام» .

1- 1) البقرة:269.

2- 2) البحار ج 26 ص 157.

و فيه عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلا، عن كتاب حسن بن كبش بإسناده، عن يونس بن ظبيان، عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه قال له: «يا يونس إذا أردت العلم الصحيح، فخذ عن أهل البيت فإنّا رويناه، و أوتينا بشرح الحكمة و فصل الخطاب، إن الله اصطفانا و آتانا ما لم يؤت أحدا من العالمين» . ثم إن الأخبار

قد تواترت من العامة و الخاصة على أن «على مع الحقّ و الحقّ مع على» ، و قد عقد له بابا فى غاية المرام و حجة الخصام السيد البحرانى (رضوان الله تعالى عليه) و ذكر أحاديث الباب من الفريقين.

فمن العامة ما رواه عن كتاب فضائل الصحابة بالإسناد، عن الأصبغ بن نباتة، عن محمد بن أبى بكر، عن عايشة قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «على مع الحق و الحق مع على، لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» .

و من الخاصة ما رواه عن أمالى الشيخ بإسناده، عن أمّ سلمة (رضوان الله عليها) قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول و هو آخذ بكف على عليه السّلام: «الحق بعدى مع على عليه السّلام يدور معه حيث دار» . أقول: فيستفاد منها أن الحق مع على عليه السّلام و الأئمة عليهم السّلام فيلزم على المعتقد بإمامتهم عليهم السّلام أن يحقق ما حققوا، و يلازمه أيضا أن يبطل ما أبطلوا،

و فى بعض الأدعية مخاطبا لهم عليهم السّلام:

«الحق ما حققتموه، و الباطل ما أنكرتموه» .

و أما الثانى: أعنى ثبوت حقانيتهم عقلا

، و المراد به أن نورانيتهم تكون ظاهرة فى قلوب شيعتهم، فيتنورون بها من طريق عقلهم، الذى هو الحجّة و السراج الباطن لمشاهدة الأمور الغيبية و المعنوية، و هذه المعرفة النورانية، و هى المعرفة بالنور لحقّهم و حقانيتهم الحاصلة لهم منه تعالى، فإنه تعالى منحهم ذلك النور، و شرح صدرهم لذلك حتى شاهدوا الغيب من شئونهم عليهم السّلام التى تكون غائبة عن غير شيعتهم. و قد علمت أن هذا ملازم للمعرفة ببطلان ما أبطلوه، و ضلالة من خالفوهم،

و هو الذی منحها لهم الأئمة علیه السّلام لمّا قبلوا ولایتهم و صدّقوهم، و أقرّوا بفضائلهم و قبلوا ما قاله النبی صلّی الله علیه و آله فی حقهم، و هو الدلیل القطعی النقلی السابق ذکره، و یدل علیه أحادیث نذکر بعضها.

ففی البحار (1)، عن تفسیر القمی بإسناده، عن أبی خالد الکابلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قوله: فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا فقال: «یا أبا خالد النور و الله الأئمة من آل محمد إلی یوم القیامة، هم و الله نور الله الذی أنزل و هم و الله نور الله فی السموات و الأرض، و الله یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین، أنور من الشمس المضیئة بالنهار، و هم و الله ینورون قلوب المؤمنین و یحجب الله نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم، و الله یا أبا خالد لا یحبنا عبد (و لا یتوالانا) و یتولانا حتی یطهّر الله قلبه، و لا یطهر الله قلب عبد حتی یسلم لنا و یکون سلما لنا، فإذا کان سلما لنا سلّمه الله من شدید الحساب، و آمنه من فزع یوم القیامة الأکبر» .

و فیه عن الخصال بإسناده، عن أبی أیّوب الأنصاری قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله «لما خلق الله عز و جل الجنة خلقها من نور عرشه، ثم أخذ من ذلک النور فغرقه (فغرفه خ) (فقذفه خ) فأصابنی ثلث النور، و أصاب فاطمة علیها السّلام ثلث النور، و أصاب علیا علیه السّلام و أهل بیته ثلث النور، فمن أصابه من ذلک النور اهتدی إلی ولایة آل محمد، و من لم یصبه من ذلک النور ضلّ عن ولایة آل محمد» .

و فیه عن الکافی، علی بن إبراهیم بإسناده، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله عز و جل: وَ اِتَّبَعُوا اَلنُّورَ اَلَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ (2)، قال: «النور فی هذا الموضع أمیر المؤمنین و الأئمة علیهم السّلام» .

و فیه عن مناقب آل أبی طالب، أبو خالد الکابلی، عن الباقر علیه السّلام فی قوله

1- 1) البحار ج 23 ص 308.

2- 2) الأعراف:157.

فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا

(1)

: «یا أبا خالد النور و اللّه الأئمة من آل محمد صلّی اللّه علیه و آله قوله: (أتمم لنا نورنا) الحق بنا شیعتنا» .

و فیه عن کنز جامع الفوائد بإسناده، عن کعب بن عیاض، قال: طعنت علی علی علیه السّلام بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فوکز فی صدری، ثم قال: «یا کعب إن لعلی علیه السّلام نورین: نور فی السماء و نور فی الأرض، فمن تمسّک بنوره أدخله اللّه الجنة، و من أخطأه أدخله النار، فبشّر الناس عنّی بذلک» . أقول: فالمستفاد من هذه الأحادیث أن الشیعة إنما هم الذین محققون لما حققوه، و مبطلون لما أبطلوه بالعقل و النور القلبی، الذی هو من نور الأئمة علیهم السّلام فبالمشاهدة النورانیة القلبیة یحققون ما حققوه، و یبطلون ما أبطلوه، و هذا النور هو المقصود من

قول الصادق علیه السّلام لعنوان البصری علی ما رواه فی الکشکول: «لیس العلم بالتعلم، بل هو نور یقع فی قلب من أراد اللّه أن یهدیه» ، و هو المقصود من

قوله صلّی اللّه علیه و آله لأبی ذر و ابن مسعود کما فی البحار. ففیه (2): «یا أبا ذر إذ دخل النور القلب، انفسخ القلب و استوسع، قلت: فما علامة ذلک بأبی أنت و أمی یا رسول اللّه؟ قال: الإنابة إلی دار الخلود، و التجافی عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل نزوله» .

و فیه (3): «یا بن مسعود فمن شرح اللّه صدره فهو علی نور من ربّه، فإن النور إذا وقع فی القلب انشرح و انفسح، فقیل: یا رسول اللّه فهل لذلک من علامة؟ قال: نعم التجافی عن دار الغرور، و الإنابة إلی دار الخلود، و الاستعداد للموت قبل نزول الفوت، فمن زهد فی الدنیا قصّر أمله فیها و ترکها لأهلها» الحدیث.

و فی المحکی عن الباقر علیه السّلام (کما فی شرح الزیارة فی هذا الموضع) قال الباقر علیه السّلام:

1- 1) التغابن:8.
2- 2) البحار ج 77 ص 81.
3- 3) البحار ج 77 ص 93.

«ما من عبـد أحبنا و زاد فی حبّنا و أخلص فی معرفتنا، و سأل مسألـة إلاّ و نفثنا فی روعه جوابا لتلک المسألة» . ثم إن ما حققوه هو ما يرجع إلی التوحيـد و الرسالـة و الإمامـة و ما يرجع إلی المعاد و ساير المعارف الإلهية و الأحكام و الأخلاق، و غيرها من أمور الدين، و ما أبطلوه هو خلاف ذلک مما نفوه، و أخبروا ببطلانه فی جميع ذلک، كما لا يخفی، و الحمد للّه أولا و آخرا.

قوله عليه السّلام: مطيع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم

اشارة

أقول: فی المجمع: و طاعه طوعا من باب قال، و فی لغة من بابی باع و خاف، أی أذعن و انقاد، و الطاعة اسم منه. أقول: مطيع لكم أی مذعن و منقـاد لكم فی الاعتقـادات و الأقوال و الأعمال، و عامل بها علی ما وافق رضاكم ابتغاء لمرضاتكم، لا لغايـة أخری دنيويـة و نفسانيـة. و كيف كان فهـذه الجملة تشـير إلی قوله تعالی: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اَللّٰهِ وَ اَلرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ ذٰلِکَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (1).

ففی البحار (2)، عن العيون بإسـناده، عن أبی محمد العسـكری عن آبائه، عن الباقر عليه السّـلام قال: «أوصی النبی صلّی اللّه عليه و آله إلی علی و الحسن و الحسـين عليهم السّـلام ثم قـال فی قول اللّه: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ ، قال: الأئمة من ولد علی و فاطمة إلی يوم القيامة» .

و فيه، عن بصائر الدرجات، عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّـلام: أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّٰاسَ عَلیٰ مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ

ص: 376

1- 1) النساء:59.

2- 2) البحار ج 23 ص 286.

وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً

(1)

، ما ذلک الملک العظیم؟ قال: «فرض الطاعة، و من ذلک طاعة جهنم لهم یوم القیامة یا هشام» .

و فیه، عنه، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول الله تبارک و تعالی: فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً : «فجعلنا منهم الرسول و الأنبیاء و الأئمة، فکیف یقرون فی آل إبراهیم، و ینکرون فی آل محمد صلّی الله علیه و آله قلت: فما معنی قوله: وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ؟ قال: الملک العظیم أن جعل فیهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله، و من عصاهم عصی الله فهو الملک العظیم» .

و فیه (2)عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قلت: قوله: فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ قال: «النبوة، قلت: وَ اَلْحِكْمَةَ ؟ قال: الفهم و القضاء، وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ؟ قال: الطاعة المفروضة» .

و فیه عن البصائر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قلت له: فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ؟ قال: قال: «تعلم ملکا عظیما ما هو؟ قال قلت: أنت أعلم جعلنی الله فداک، قال: طاعة و الله مفروضة» .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله: أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ (3)، قال: «هی فی علی و فی الأئمة جعلهم الله مواضع الأنبیاء، غیر أنهم لا یحلون شیئا و لا یحرمونه» .

و فیه عنه، عن حکیم قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: جعلت فداک أخبرنی من أولی الأمر الذین أمر الله بطاعتهم؟ فقال لی: «أولئک علی بن أبی طالب و الحسن و الحسین و علی بن الحسین و محمد بن علی و جعفر أنا علیهم السّلام فأحمدوا الله الذی عرفکم أئمتکم و قادتکم حین جحدهم الناس» .

1- 1) النساء:54.

2- 2) البحار ج 23 ص 287.

3- 3) النساء:59.

و فیه، عنه، عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «ذروة الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأنبیاء، و رضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته. ثم قال: إن الله یقول: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ . . . إلی: حَفِیظاً أما لو أن رجلا قام لیله و صام نهاره، و تصدق بجمیع ماله، و حجّ جمیع دهره، و لم یعرف ولایة ولی الله فیوالیه، و یکون جمیع أعماله بدلالة منه إلیه، ما کان له علی الله حقّ فی ثوابه، و لا کان من أهل الإیمان. ثم قال: أولئک المحسن منهم یدخله الله الجنة بفضله و رحمته» .

و فیه عن تفسیر الفرات: عبید بن کثیر معنعنا، أنه سأل جعفر بن محمد عن قول الله تعالی: أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (1)؟ قال: «أولی الفقه و العلم، قلنا: أ خاص أم عام؟ قال: بل خاص لنا» . أقول:

فقوله:

«مطیع لکم»

، أی أطیعکم امتثالا لقوله تعالی: وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ علی أن طاعتهم طاعة الرسول صلّی الله علیه و آله و طاعة الله تعالی کما تقدم، و إنما وجبت طاعتهم لما ذکر من الآیات و الأحادیث، و لما یأتی من شرح

قوله علیه السّلام:

«عارف بحقکم»

حیث إنه یعلم أن حقهم الثابت لهم منه تعالی یقتضی إطاعتهم، ثم إنه یجب إطاعتهم فی الأصول و الفروع و المعارف، و کل ما أخبروا به و أمروا به، و ذلک لقوله تعالی أیضا: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2)، و حیث إن مقامهم مقام الرسول الأعظم صلّی الله علیه و آله سوی النبوة، فلا محالة ثبت لهم جمیع ما ثبت له صلّی الله علیه و آله کما لا یخفی.

و أما قوله علیه السّلام: «عارف بحقکم» .

اشارة

أقول: المراد من حقهم هو مقام إمامتهم و خلافتهم للرسول الأعظم، و کونهم علیهم السّلام أوصیاء الرسول الأعظم، و کونهم کنفس الرسول صلّی الله علیه و آله فی وجوب

1- 1) النساء:59.

2- 2) الحشر:7.

الطاعة و المتابعة فی جمیع الأمور الدینیة ما سوی النبوة، و یدل علی هذا أحادیث.

ففی البحار (1)، الأصبغ: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: «ویل لمن جهل معرفتی، و لم یعرف حقی، ألا إن حقّی هو حق الله ألا إن حقّ الله هو حقی» .

و فیه (2)، عن کتاب بشارة المصطفی بإسناده، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «ولایة علی بن أبی طالب علیه السّلام ولایة الله عز و جل، و حبّه عبادة الله، و اتباعه فریضة الله، و أولیاؤه أولیاء الله، و أعداؤه أعداء الله، و حربه حرب الله، و سلمه سلم الله عز و جل» .

و فیه عن کشف الغمة، عن أبی أیوب الأنصاری، قال: سمعت النبی صلّی الله علیه و آله یقول: لعمار بن یاسر: «تقتلک الفئة الباغیة، و أنت مع الحق و الحق معک، یا عمار إذا رأیت علیا سلک وادیا، و سلک الناس وادیا غیره، فاسلک مع علی، و دع الناس، إنه لن یدلیک فی ردی، و لن یخرجک من الهدی، یا عمار إنه من تقلّد سیفا أعان به علیا علی عدوّه، قلّده الله تعالی یوم القیامة وشاحا (3)من درّ، و من تقلّد سیفا أعان به عدوّ علی، قلّده الله تعالی یوم القیامة وشاحا من نار» .

و فیه عن کتاب الروضة و الفضائل بالإسناد إلی حسین بن سعید الساعدی قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «إن الله یبغض من عباده المائلین عن الحق، و الحق مع علی و علی مع الحق، فمن استبدل بعلی غیره هلک و فاتته الدنیا و الآخرة» .

و فیه عن کشف الغمة، عن کتاب کفایة الطالب، عن أبی لیلی الغفاری، قال: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: «ستکون بعدی فتنة، فإذا کان ذلک، فالزموا علی بن أبی طالب، فإنه أول من یرانی، و أول من یصافحنی یوم القیامة، و هو معی فی السماء العلیا، و هو الفاروق بین الحق و الباطل» .

1- 1) البحار ج 38 ص 29.

2- 2) البحار ج 38 ص 31.

3- 3) شبه قلادة.

قـال: هـذا حـديث حسن عـال رواه الحافظ فى أماليه. أقول: و نظائر هـذه الروايات كثيرة جـدا، فكون الحق مع على عليه السّلام مما رواه الفريقـان عنه صـلّى الله عليه و آله و دلّ عليه الأحـاديث الكثيرة فى الأبواب الكثيرة من الروايات الواردة فى أبواب الولايـة و شـئونها، كما لا يخفى على المتتبع، ثم إن معنى الحق الـذى له عليه السّلام قـد يتبادر منه مقام الإمامة و الولاية الثابتة له عليه السّلام بعد النبى صـلّى الله عليه و آله و هو كذلك، و هو المقصود الأولى للنبى صـلّى الله عليه و آله فى بيانه صلّى الله عليه و آله فى تلك الأحاديث، فإنه من اعتقد بما قاله صـلّى الله عليه و آله و اعترف به فهو من أهل النجاة، و من هنا يفتـح له باب الهـدايات و المعارف الإلهية بواسـطة متابعته للأئمة عليهم السّلام. و قد يفسّر هذا المقام بما يرجع إلى أمور أربعة:

الأول: معرفة مقاماتهم التى رتبهم الله تعالى فيها،

و هى المقامات، التى لا تعطيل لها فى كل مكان، كما فى دعاء الحجـة (عج) و هى فى نفسـها غامضة لا يعرفها إلاّ من عرفوها له، و معنى معرفتها هو أنه يعرف أنه تعالى لا يعرف إلاّ بهم عليهم السّلام بلحاظ أن لهم تلك المقامات الإلهية. و إلى هذا يشير

قولهم عليهم السّلام: «من عرفهم فقد عرف الله» .

و قولهم عليهم السّلام: «من عرفنا فقد عرف الله» .

و قولهم عليهم السّلام: «من لـم يعرفنا لـم يعرف الله» .

و قول على عليه السّلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا» ، و معرفتهم بأنهم الأنوار الإلهية هى معرفته تعالى، كما

قال على عليه السّلام: معرفتى بالنورانية معرفة الله، و معرفة الله معرفتى بالنورانية» ، و قد تقدم هذا كله، و سيأتى فيما يأتى إن شاء الله.

الثانى: معرفة أنهم عليهم السّلام معانيه،

كما تقدم

عن السجاد عليه السّلام: «نحن معانيه» ،

و قوله: «نحن مظاهره فيكم» . و حاصله: أنه يعرف أنهم عليهم السّلام علمه تعالى و قدرته و حكمه، و أمره و عدله،

و عینه و أذنه و لسانه، و قلبه و وجهه، و نوره و یـده و عضده، و کتابه و خزائنه، و مفاتیح خزائنه، و عیبة علمه، و أسـرار غیبه و محال مشـیته و ألسـنة إرادته و صـفاته العلیا و أسماؤه الحسنی، و نعمه التی لا تحصی و أنهم مظاهر إبداعاته تعالی و اختراعاته، إلی غیر ذلک مما تقدم فی مطاوی الشـرح بیانه و أحادیثه. ثم إنهم علیهم السّـلام إنما یعلم أنهم معانیه هکـذا من المشاهـدة و الملاحظـة فی عباداتهم و دعواتهم، و أذکارهم و أفکارهم، و اعتباراتهم و وجدانیاتهم، و وجدانهم و حقائقهم، التی هم بها موجودون، فإذا عرف أحد حقهم بهذه الأمور، فله آثار و بهجـة و لـذة و معرفـة، توجب أنه إذا أراد أن یتوجه إلیه تعـالی یتوجه إلیه بهم، و یخـاطبهم فی حوائجه و ینـاجیهم، کیف لا و هم مظاهره تعالی بهذه الأمور؟ فالداعی یدعوه تعالی عن طریق مظاهره تعالی، و سیأتی لهذا مزید شرح فی

قوله علیه السّلام:

«و من قصده توجّه بکم» .

الثالث: معرفة أنهم علیهم السّلام أبوابه تعالی التی منها یؤتی فی العبادات و الدعوات و المناجاة،

و هی طریق قبول العبادات و الأعمال الصالحة، کما علمت أن هذا أثر معرفة کونهم علیهم السّلام معانیه، و تقدم فی معنی و أبواب الإیمان أنهم علیهم السّـلام کما هم الأبواب إلیه تعالی للعباد فی الرجوع إلیه تعالی بالعبادات و غیرها، کذلک هم علیهم السّلام الأبواب فیما ینزل منه تعـالی، و یؤتیه لعبـاده من خلق ابتـدائی أو بقـاء و رزق و حیـاة و ممـات فی جمیع شـئونهم (أی شـئون العباد مما یرجع إلی ذواتهم و شهـادتهم و غیبهم، و أفعالهم و أحوالهم و أقوالهم، و ما منه صادرون، و ما إلیه راجعون و صائرون، فإنها کلها تکون منهم علیهم السّـلام و هم أبوابه. و الحاصل أنهم علیهم السّلام الأبواب بمعنی أنه لا یخرج من الخزائن الإلهیة خارج، و لا یصعد إلیها صاعد إلاّ بهم و منهم کما لا یخفی.

الرابع: معرفة ظاهر إمامتهم و ولایتهم،

و معنی معرفتهم لهم فی هذه المرتبة أنه یعرف و یعلم أنه یجب إطاعتهم، و الاقتداء بهم، و الرد إلیهم فی موارد الاختلاف،

و الأخذ عنهم و التسليم لهم، و تفضيلهم على من سواهم، و أن لا يساوى بهم غيرهم لا فى نسبهم و لا حسبهم و لا فى علمهم، و لا شجاعتهم و لا كرمهم، و لا تقواهم و لا زهدهم و لا صلاحهم، و لا ديانتهم و لا عبادتهم، و لا إخلاصهم و لا قرب منزلتهم إليه تعالى، و لا من شيء من محاسن الأحوال و الأفعال و مكارم الأخلاق، و كذلك يساوى بهم غيرهم فى هذه الأمور حتى من نحو نبى مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان. بل يعلم و يعرف أن كل ما نسب إلى غيرهم من هؤلاء، و غيرهم من سائر أولياء الله من المحاسن و المكارم و الصفات الحميدة، فإنما هو ذرّة من تيّار بحر متلاطم ممّا آتاهم الله تعالى من الفضائل، كيف لا و قد تقدم

قول أبى الحسن عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى: مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ (1)، «و نحن كلمات الله التى لا تدرک فضائلنا و لا تستقصى» . و بعبارة أخرى: أن حقهم و المعرفة به هو أن يعتقد أنهم أولياء الله تعالى على جميع خلقه، و أوصياء رسول الله صلّى الله عليه و آله و أوصياؤه على أمته و القوام بدينه بعده، و حفظة شريعته، القائمون مقامه فى كل شيء أقامه الله تعالى فيه لخلقه ما عدا النبوة، و هذا مسلم من عدة أحاديث لا تحصى، كما لا يخفى على أحد.

[@56@]و أما قوله عليه السّلام: «مقرّ بفضلكم»

، فنقول: أى لا أردّ ما ورد فيكم، و إن لم يحتمله عقلى القاصر، و لم يصل إليه فكرى الفاتر، بل أعتقد أنه حق و هكذا

فى قوله:

محتمل لعلمكم

، و قد يقال: إنه كما أنا نعتقد قلبا بفضائلكم، فكذلک نقرّ باللسان بها و ذلک لوجوب إظهار ما يضمره القلب، فالعارف بحقهم يقرّ بلسانه أيضا بها فى قبال المنكرين، و المظهرين إنكارهم بلسانهم، و أما الفضل فهو يشمل جميع ما اختصهم الله تعالى به من المكارم و المعارف الباطنية و الظاهرية، التى هذه الزيارة شارحة لها، و هذا الشرح شرح لها

1- 1) لقمان:27.

بعونه و توفيقه. و قد يقال: حيث إن فضائلهم متفاوتة، فبعضها مما يعرفه عوام الشيعة أيضا كالأمر الرابع السابق فى معنى حقهم، و بعضها لا يعرفها إلاّ الخواص من الشيعة كالمعنى الثالث المتقدم، فإن معرفة كونهم أبوابه بما فسّرناها، لا يتعقّله إلاّ الخواص كما لا يخفى، و بعضها لا يعرفها إلاّ الحواريون و الخواص من شيعتهم، فإن كونهم عليهم السّلام معانى الله، كما فى كلام السجاد عليه السّلام و كما أشرنا إليه لا يكاد يصل إليه إلاّ الكمّل من شيعتهم كما لا يخفى، و بعضها لا يعرفه إلاّ ذواتهم المقدسة أو من شاءوا كما تقدم

فى حديث أبى الصامت من قوله: «فمن يحتمله» ؟ قال عليه السّلام: «نحن» ، و فى حديث قال عليه السّلام: «أو من شئنا» . و ذلك من حقيقتهم النورانية التى هى المظهر الأتم لذاته المقدسة بجميع الشئون الإلهية فى عالم الوجود، التى هى حقيقة ولايتهم الإلهية التكوينية و التشريعية، كما تقدم فى صدر الشرح، فهذه المرتبة التى رتبهم الله فيها ليس لأحد فيها مطمع و لا مدخل، إلاّ من شاءوا أن يذيقوه ببعضها، كما ورد فى حق جبرئيل و بعض حوارييهم. و كيف كان فقول الزائر: «مقرّ بفضلكم» ، معناه أنى و إن لم أكن ممن وصل إلى معرفة تلك المقامات إما للقصور أو التقصير، إلاّ أنى مقرّ بها و لا أنكرها، و هذا منتهى مرحلة الإيمان بهم فما فوقه، إلاّ مرحلة المعرفة و المشاهدة، التى هى فوق مرتبة الإيمان كما لا يخفى، و هنا كلام و حاصله: أن الإقرار باللسان عنوان للإقرار القلبى، أى أنى كما أقرّ باللسان أقرّ بالقلب بفضلكم، و حينئذ معنى الإقرار القلبى بفضائلهم، الذى يدل على أنه لا يمكن الوصول بحقيقة فضائلهم و لو من الكمّلين كما هو ظاهر إطلاق الجملة، ثم إنه لما ذا لا يمكن المعرفة القلبية بفضائلهم للكمّلين؟ فنقول: قد ثبت فى محله أن المعبود الحق جل و علا إنما يدعى و يعبد و يسبّح بما أمر من

أسمائه قال تعالى: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا (1)،

و فى تفسير نور الثقلين (2)نقلا عن أصول الكافى، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قول الله عز و جل: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ، قال: «نحن و الله الأسماء الحسنى، التى لا يقبل الله من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» . فهم عليهم السّلام أسماؤه تعالى و حيث علمت أن المراد منها الأسماء المعنوية، التى تكون الألفاظ اسما لها، فحينئذ معنى أنهم أسماؤه تعالى أنه تعالى ظهر بهم، أى أنه تعالى بفعله الذى هو حقائقهم عليهم السّلام ظهر فى الخلق و قضى قضيّته فيهم بهم عليهم السّلام فمفهوم الألفاظ هو تلك الحقائق، التى هى الأسماء الحسنى، و التى هى حقائقهم عليهم السّلام، و معنى

قوله عليه السّلام: «لا يقبل الله من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» كان تفسيرا لقوله تعالى: فَادْعُوهُ بِهٰا (3)، و إن كان ذاته المقدسة من حيث هى وجوب بحت لا اسم لها و لا رسم، فهى بتلك الحقيقة الحقة تكون مقصودة فى العبادة من الخلق كائنا من كان، إلاّ أنه لا طريق إليها بالتوجه إليها إلاّ من طريق الأسماء، التى عرف نفسها للخلق بها و تلك الأسماء هم عليهم السّلام، فحينئذ فالمعبود هو ذاته المقدسة إلاّ عن طريق أسمائه لا غير، و إنما خلق الأسماء لغيره، و ليعبدوه بها حيث لا طريق إلى الذات إلاّ بها.

ففى توحيد الصدوق (4)عن أبى سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام هل كان الله عارفا بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «نعم، قلت: يراها و يسمعها؟ قال: ما كان الله محتاجا إلى ذلک، لأنه لم يكن يسألها و لا يطلب منها هو نفسه، و نفسه هو قدرته نافذة، و ليس يحتاج أن يسمى نفسه، و لكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه

ص: 384

1- 1) الأعراف:180.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 103.

3- 3) الأعراف:180.

4- 4) توحيد الصدوق ص 191.

بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار لنفسه العلى العظيم، لأنه أعلى الأشياء كلها، فمعناه الله و اسمه العلى العظيم هو أول أسمائه، لأنه على علا كل شیء» .

قوله عليه السّلام: «ما كان محتاجا إلى ذلک» ، كان السائل توهم أن له تعالى نفسا كالإنسان فأزال عليه السّلام وهمه بأنه ليس كذلک، بل هو نفسه و نفسه هو لا تجزئه و لا اختلاف جهات فيه تعالى، فلا يراها و لا يسمعها رؤية و سمعا يوجبان صحة السؤال و الطلب، كما هو شأن الرؤية و السمع بين شيئين، كما فى الإنسان فهو وجود بحت لا تجزئة فيه، فلا يقع فيه بذاته سؤال منه عنه بل قدرته نافذة فيما شاء، و ليس يحتاج أن يسمى نفسه كما فى الإنسان حيث يكون له حديث النفس لمكان التجزية و التركيب، فهو تعالى من حيث ذاته لا يحتاج إلى أسماء يدعو بها نفسه، فإنه لو كان كذلک لاستلزم التركيب فى نفسه و هو باطل بالضرورة كما حقق فى محله. ثم إنه عليه السّلام رتّب على هذا المعنى

قوله عليه السّلام: «و لكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها» . و حاصله: أنه لما لم يكن للذات البحت اسم و لا رسم من حيث هى هى، فلا طريق إليه، فلو خلق الخلق و استعبدهم، و لم يجعل لهم طريقا إلى عبادته، لسقط عنهم التكليف بالعبادة، و حيث إنه تعالى شاء ذلک فاختار لنفسه أسماء لغيره، أى الأسماء الحسنى التى هى حقيقة محمد و آله الطاهرين (لغيره يدعوه بها) أى جعل لهم طريقا إلى عبادته و دعائه للخلق يدعوه بها فقال تعالى: فَادْعُوهُ بِهٰا . ففهم من ذلک كله أنه لا طريق إلى عبادته إلاّ بتلک الأسماء، و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف» ، أى لم يعبد لأن العبادة كما تقدم فرع المعرفة، و هذا معنى

قوله عليه السّلام: «نحن و الله الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله عملا إلاّ بمعرفتنا» . فظهر مما ذكر أنهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى المخلوقة، أى هى أفعاله تعالى ظهرت بظهور حقائقهم عليهم السّلام فهم حينئذ معانى أفعاله تعالى و متعلق أوامره و نواهيه حيث

قال: فَادْعُوهُ بِهٰا ، فقد أمر أن نعبده بهم و ندعوه بهم، فالمعبود هو ذاته المقدسة البحت البسيط حيث إنه لا يعقل و لا يتوهم و لا يحدد.

ففی توحید الصدوق (1)عن عبد الرحمن بن أبی نجران قال: سألت أبا جعفر الثانی علیه السّلام عن التوحید فقلت: أ توهم شیئا؟ فقال: «نعم غیر معقول و لا محدود، فما وقع وهمک علیه من شیء فهو خلافه، و لا یشبهه شیء، و لا تدرکه الأوهام، کیف تدرکه الأوهام و هو خلاف ما یعقل، و خلاف ما یتصور فی الأوهام إنما یتوهم شیء غیر معقول و لا محدود» .

فقوله علیه السّلام: «نعم غیر معقول و لا محدود» ، یشیر إلی أنه لا بد من عبادة الذات المقدسة، لکن لا بما یعقله و یحدده، بل یتوهم أنه موجود بنفسه فی نفسه و بین وجهه

بقوله علیه السّلام: «کیف تدرکه الأوهام. . . إلخ» ، ثم بین أنه و إن لم یعقل بالعقل، و لم یحدد بالتحدید، إلاّ أنه إنما یتوهم غیر معقول و لا محدود، بل إنما یعرف بما وصف به نفسه من تلک الأسماء الحسنی، و جعلها طریقا إلی معرفته، و أنه لیعرف بها. و الحاصل أن الذات البحت لا طریق إلیها أبدا، و إنما یعبد بما هو هو معروف بتلک الأسماء، التی عرف بها نفسه و وصفها بها، و إلی هذا یشیر ما

فی التوحید (2)فی حدیث هشام بن الحکم الطویل فراجعه فإنه نفیس جدا و فی ذیله قال السائل فما هو؟ قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «هو الرب و هو المعبود و هو اللّه، و لیس قولی: اللّه، إثبات هذه الحروف ألف لام هاء، و لکن ارجع إلی معنی، هو شیء خالق الأشیاء و صانعها، وقعت علیه هذه الحروف، و هو المعنی الذی یسمی به اللّه و الرحمن و الرحیم و العزیز و أشباه ذلک من أسمائه، و هو المعبود جلّ و عزّ، الحدیث.

قوله علیه السّلام: «و هو المعنی الذی یسمی به اللّه» ، و فی نسخة: و هو المعنی الذی سمّی به اللّه، معناه أن مدالیل لفظ اللّه و الرحمن و الرحیم و غیرها من المعانی هو المعنی

1- 1) توحید الصدوق ص 106.
2- 2) التوحید ص 243.

الـذی یسـمی به الله أی ذاته البحت المقدسة، و هو من حیث هو سـمی بهذه الأسـماء المعبود جلّ و عزّ. فظهر أن ذاته تعالی یعبد لا غیر، لکن بما هو سـمی بهذه الأسـماء، و هذه الأسماء هی حقائقهم علیهم السّلام، و لا ریب أن الوصول إلی حقیقة هذه المعارف، و هذا الأمر صعب جدا، کما أشیر إلیه فی الأحادیث الکثیرة من

قولهم علیهم السّـ لام: «إن أمرنا صـعب مستصعب و أمرنا لا یحد» ، کما تقدم فی صدر الشرح، فحینئذ معنی مقرّ بفضلکم أی أنی و إن لم أصل إلی فهمها إلاّ أنی مقرّ لسانا و قلبا بها عملا بقوله تعالی: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (1). و مما ذکرنا ظهر أنه لم یکن لأحد الوصول إلی فضائلهم إلاّ بمعرفتهم و أن هذه المعانی من حمولة الرب التی لا یحملها غیرهم، و لهذا الکلام عرض عریض فی محله و الحمد لله.

قوله علیه السّلام: محتمل لعلمکم، محتجب بذمتکم، معترف بکم.

اشارة

أقول: یقع الکلام فی مواقع ثلاثة:

الموقع الأول: فی بیان قوله علیه السّلام: محتمل لعلمکم،

فنقول: احتمـال العلم قـد یراد منه التصـدیق به و إن لم یصـل إلی حقیقته العقل، فالمحتمل یروی أحادیث علومهم و إن لم یفهم معانیها، حینئـذ فمعنی محتمل لعلمکم أی أنی أعلم و أعتقـد أنه حق، و إن لم أعقله بحقیقته، و لا ریب فی أن إنکار ما ورد عنهم شـرک به تعالی. و یدل علی هذا ما

فی الکافی باب التسـلیم، و فضل المسلّمین بإسناده، عن سدیر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: إنی ترکت موالیک متخلفین یتبرأ بعضهم من بعض قال:

1- 1) النساء:65.

فقال: «و ما أنت و ذاک إنما کلف الناس ثلاثة، معرفة الأئمة و التسلیم لهم فیما ورد عنهم، و الردّ إلیهم فیما اختلفوا فیه» .

و فیه بإسناده عن عبد الله الکاهلی قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شریک له، و أقاموا الصلوة، و آتوا الزکوة، و حجوا البیت، و صاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشیء: صنعه الله أو صنعه رسول الله صلّی الله علیه و آله ألا صنع خلاف الذی صنع، أو وجدوا ذلک فی قلوبهم، لکانوا بذلک مشرکین، ثم تلا هذه الآیة: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً ، ثم قال أبو عبد الله علیه السّلام: علیکم بالتسلیم» .

و فیه عن یحیی بن زکریا الأنصاری، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سمعته یقول: «من سرّه أن یستکمل الإیمان کلّه فلیقل القول منی فی جمیع الأشیاء قول آل محمد، فیما أسرّوا و ما أعلنوا و فیما بلغنی عنهم و فیما لم یبلغنی» . أقول: الاحتمال بهذا المعنی و هو التسلیم و التصدیق بعلومهم یشیر إلی ما ورد عنهم علیهم السّلام من أن علمهم صعب مستصعب و هو علی أقسام: منها: ما لا یحتمله إلاّ أنفسهم الشریفة فقط. و منها: ما یحتمله من شاءوا. و منها: ما لا یحتمله إلاّ ملک مقرب أو نبیّ مرسل أو مؤمن امتحن قلبه للإیمان. و یشیر إلی القسم الأول و الثانی

ما روی عن بصائر الدرجات مسندا عن أبی الصامت قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إن من حدیثنا ما لا یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل، و لا عبد مؤمن، قلت: فمن یحتمله؟ قال: نحن نحتمله» . أقول: هذا یشیر إلی القسم الأول، و فی بعضها: قلت: فمن یحتمله جعلت فداک؟ قال: «من شئنا» . أقول: هذا یشار به إلی القسم الثانی.

و فی البصائر أیضا عن المفضل قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن حدیثنا صعب

مستصعب ذكوان أجرد و لا يحتمله ملک مقرب و لا نبیّ مرسل و لا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذی لم يركب بعد، و أما المستصعب فهو الذی يهرب منه إذا رئی، و أما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، و أما الأجرد فهو الذی لا يتعلق به شیء من بين يديه و لا من خلفه و هو قول الله: اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثِ (1)، فأحسن الحديث حديثنا، و لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتی يحدّه، لأنه من حدّ شيئا فهو أكبر، منه و الحمد لله علی التوفيق. و الإنكار هو الكفر.» و قال المجلسی رحمه الله:

و قال فی بصائر الدرجات: قال عمير الكوفی: معنی «حديثنا صعب لا يحتمله ملک مقرب أو نبی مرسل» فهو ما رويتم: أن الله تبارک و تعالی لا يوصف، و رسوله لا يوصف، و المؤمن لا يوصف، فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم، و من حدّهم فقد وصفهم، و من وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم، و هو أعلی منهم، و قال: نقطع عمن دونه فنكتفی بهم، لأنه قال: صعب علی كل أحد حيث قال: صعب فالصعب لا يركب و لا يحمل عليه، لأنه إذا ركب و حمل عليه فليس بصعب. أقول: و حاصله: إنه حيث إنه لا يمكن لأحد حدّهم و وصفهم بكمالهم، لاستلزامه ذلک أن يكون أعلم منهم و هو كما تری، فلا محالة لا يمكن احتمال حديثهم. و بعبارة أخری: كما ذكره بعض الأعاظم أن تحديد الخلائق أحاديثهم إنما هو بما لهم من الظرفية المحدودة الكائنة لهم مهما كانوا، فيصير لا محالة ما يحدّدونه محدودا بحدود ظرفيتهم، مع أنه أمرهم و حديثهم هذا غير محدود بحد كما

قال عليه السّلام و لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتی يحده، لأنه من حدّ شيئا فهو أكبر منه. و بعبارة أخری: أن أمرهم و حديثهم خارج عن حدود الإمكان إذ هو مقامهم من الله سبحانه حيث لا يحده حدّ و هو الولاية المطلقة الإلهية العامة الشاملة

1- 1) الزمر:23.

للولاية التكوينية و التشريعية المفسّرة فى محلها و قد تقدم فى صدر الشرح بيانها إجمالا. و أما ما

فى الكافى مسندا، عن بعض أصحابنا قال: كتبت إلى أبى الحسن صاحب العسكر عليه السّلام: جعلت فداک ما معنى قول الصادق عليه السّلام: «حديثنا لا يحتمله ملک مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان» ؟ فجاء الجواب: «إنما معنى قول الصادق عليه السّلام أى لا يحتمله ملک و لا نبى و لا مؤمن، إن الملک لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملک غيره، و النبى لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبى غيره، و المؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره فهذا معنى قول جدى عليه السّلام» . فمعناه أن أحاديثهم لها سورة الحلاوة الشديدة بحيث يصعب على الملک أو النبى أو المؤمن الصبر عليه فيخرجه إلى غيره، ليستريح و تسكن سورة الحلاوة، ثم إن المخرج إليه إن كان أقوى تحملا من المخرج (بالكسر) صبر عليه، و إلاّ أخرجه إلى غيره أيضا، إلى أن يصل إلى القوى المحتمل، و لا يلزم من ذلک إخراجه إلى غير أهله. أقول: ظاهر الحديث من

قوله عليه السّلام: «لا يحتمله» ، أنه لا يصل إلى كنهه، و لكنه لمكان الإيمان به و الالتذاذ به لا يصبر عليه لمكان إيمانه و الالتذاذ به، فيحبّ أن يخرجه إلى غيره ليلتذّ به أيضا، و هذا لا ينافى عدم معرفته، لكنه معنى الحديث كما لا يخفى و الله العالم، و هذا كله مما يجب على المسلم أن يصدقه و يسلم له و لا ينكره كما

قال عليه السّلام: «و الإنكار هو الكفر» . و أما القسم الثانى: «أى الذى يحتمله من شاءوا عليهم السّلام» : فهذا قسم خاص من معارفهم، التى لا يصل إلى فهمها إلاّ من تلطّفوا عليه و ترحمّوا عليه بتنوير قلبه للقابلية لاحتمال حديثهم، و ذلک مثل سلمان و أبى ذر و الحواريين من أصحابهم.

ففى بصائر الدرجات مسندا، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر، عن أبيه عليه السّلام قال: ذكرت التقية يوما عند على بن الحسين عليه السّلام، فقال عليه السّلام: «و الله لو علم أبو ذر ما

فی قلب سلمان لقتله، و قد آخی بینهما رسول الله صلّی الله علیه و آله فما علّمه سلمان من تلک العلوم التی شاءوا أن یحتمله سلمان» .

و فی الخبر: أن أبا جعفر علیه السّلام حدث جابرا بأحادیث و قال: «لو أذعتها فعلیک لعنة الله و الملائکة و الناس أجمعین» . و مثله

عن المفضل، عن أبی جعفر علیه السّلام «و أمره أن یدلی رأسه فی الحفرة فیحدثها و لا یحدث غیره» .

و فی مرآة العقول عن الکشی بإسناده، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: دخل أبو ذر علی سلمان و هو یطبخ قدرا له، بینا هما یتحدثان إذ انکبت القدر علی وجهها علی الأرض، فلم یسقط من مرقها و لا من ورکها (1)فعجب من ذلک أبو ذر عجبا شدیدا، و أخذ سلمان القدر فوضعها علی حالها الأول علی النار ثانیة، و أقبلا یتحدثان، فبیناهما یتحدثان إذ انکبت القدر علی وجهها، فلم یسقط منها شیء من مرقها و لا ورکها، قال: فخرج أبو ذر و هو مذعور من عند سلمان، فبینا هو متفکر إذ لقی أمیر المؤمنین علیه السّلام علی الباب، فلما أن بصر به أمیر المؤمنین علیه السّلام قال له: «یا أبا ذر ما الذی أخرجک من عند سلمان، و ما الذی ذعرک؟ فقال أبو ذر: یا أمیر المؤمنین رأیت سلمان صنع کذا و کذا فعجبت من ذلک. فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: یا أبا ذر إن سلمان لو حدّثک بما یعلم، لقلت: رحم الله قاتل سلمان، إن سلمان باب الله فی الأرض من عرفه کان مؤمنا، و من أنکره کان کافرا، و إن سلمان منا أهل البیت» .

و روی خطبة لسلمان (رضوان الله علیه) قال فیها: «فقد علمت العلم کثیرا، و لو أخبرتکم بکل ما أعلم، لقالت طائفة: لمجنون، و قالت طائفة أخری: اللهم اغفر لقاتل سلمان» .

ص: 391

1- 1) الورک: الدسم من اللحم و الشحم.

أقول: فهؤلاء من الـذين شاء الأئمـة عليهم السّـ لام أن يحتملوا من معارفهم و علومهم، و قـد تقدم فى شـرح الصدر ما يوضح هذا المعنى، فراجع، و من أحاديثهم من لا يحتمله إلاّ الملک المقرب أو النبى المرسل أو المؤمن الممتحن قلبه للايمان، فقول الزائر: «محتمل لعلمک» ، أى إنى ممن يحتمل معانى أحاديثكم الدالة على فضائلكم التى اختصها الله تعالى بكم.

ففى الكافى باب أن حـديثهم صـعب مستصـعب (1)عن ابن سـنان أو غيره، رفعه إلى أبى عبـد الله عليه السّـ لام قـال: «إن حـديثنا صـعب مستصـعب، لا يحتمله إلاّ صـدور منيرة، أو قلوب سـليمة أو أخلاق حسـنة، إن الله أخـذ من شـيعتنا الميثاق كما أخذ على بنى آدم أ لسـت بربكم، فمن وفى لنا وفى الله له بالجنـة و من أبغضـنا و لـم يؤدّ إلينا حقنا ففى النار خالـدا مخلـدا» . أقول: الظاهر أن المراد من حقنا هو مقام إمـامتهم و ولايتهم، و ما اختصه الله تعالى بهم، و وجوب إطاعتهم و متابعتهم و الحقوق الواجبـة كما لا يخفى، و إن كانت هى أيضا لازمة الأداء.

و فيه (2)بإسـناده عن أبى بصـير قال: قال أبو عبد الله عليه السّـ لام: «يا أبا محمد إن عندنا و الله سرّا من سرّ الله، و علما من علم الله، و الله ما يحتمله ملک مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، و الله ما كلف الله ذلک أحدا غيرنا، و لا استعبد بذلک أحدا غيرنا، و إن عندنا سـرّا من سرّ الله، و علما من علم الله، أمرنا بتبليغه فبلّغنا عن الله عز و جل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعا و لا أهلا، و لا حمّالة يحتملونه حتى خلق الله لذلک أقواما خلقوا من طينة خلق منها محمد و آله و ذريته عليهم السّـ لام و من نور خلق الله منه محمدا و ذريته، و صنعهم بفضل صنع رحمته التى صنع منها محمدا و ذريته.

1- 1) تحت الرقم 3.

2- 2) تحت رقم 5.

فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوا ذلک، فبلغهم ذلک عنا فقبلوه و احتملوه، و بلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حديثنا، فلو لا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلک لا و الله ما احتملوه. ثم قال: إن الله خلق أقواما لجهنم و النار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم، و اشمأزوا من ذلک، و نفرت قلوبهم، و ردّوه علينا و لم يحتملوه و كذّبوا به و قالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله على قلوبهم و أنساهم ذلک، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به و قلوبهم منكرة، ليكون ذلک دفعا عن أوليائه و أهل طاعته، و لو لا ذلک ما عبد الله فى أرضه، فأمرنا بالكف عنهم، و الستر و الكتمان، فاكتموا عن أمر الله بالكفّ عنه و استروا عمن أمر الله بالستر و الكتمان عنه. قال: ثم رفع يده و بكى و قال: اللهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون، فاجعل محيانا محياهم و مماتنا مماتهم، و لا تسلط عليهم عدوّا لک فتفجعنا بهم، فإنک إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبدا فى أرضک، و صلى الله على محمد و آله و سلم تسليما» . أقول: هذا الحديث من غرر أحاديثهم، و فيه من البشارة للشيعة ما ليس لغيرهم، و فيه إشارة إلى القسم الأول من أحاديثهم، الذى لا يحتمله غيرهم أيّا ما كان، و إلى القسم الثانى أى من المحتمل للنبى و الملک و المؤمن، و فيه أيضا أمره عليه السّلام بالستر على غير أهله من الضعفاء و المخالفين لهم، ثم إنه لا بد للمعتقد بولايتهم أن يقبل ما صدر منهم من الأحاديث، فما منها قبلته القلوب فليحمد الله تعالى عليه، و ما لم تقبله فليس له الردّ، بل يجب عليه التسليم ورد علمه إليهم.

ففيه (1)، بإسناده، عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلاّ ملک مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلّى الله عليه و آله فلانت له قلوبكم

1- 1) الكافى تحت الرقم 1.

و عرفتموه فـاقبلوه، و ما اشـمأزت منه قلوبكم و أنكرتموه فردّوه إلى الله و إلى الرسول و إلى العالـم من آل محمـد، و إنما الهالك أن يحـدث أحـدكم بشـىء منه لا يحتمله فيقول: و الله ما كان هـذا و الله ما كان هذا، و الإنكار هو الكفر» . أقول: ما ورد عنهم عليهم السّلام إما يقطع ببطلانه، لكونه مخالفا للقرآن الصريح، أو لضرورة الدين، و إما لا يقطع ببطلانه. أما الأول: فالظاهر أن إنكاره لا يوجب كفرا بأى معنى فسّر، كما سـيأتى، خصوصا إذا علم أن تكذيبه ليس لأجل إنكارهم عليهم السّلام و لأجل إنكار حديثهم، و إن كان حقا بل ينكره بمقتضى ظاهر الأدلة. و يدل على هذين الأمرين حديثان: الأول للأول

ما رواه فى البصائر (1)بإسـناده عن سـفيان بن السمط قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداک إن الرجل ليأتينا من قبلک فيخبرنا عنک بالعظيم من الأمر، فيضـيق بـذلک صـدورنا حتى نكذّبه! فقال أبو عبد الله عليه السّلام: «أ ليس عنّى يحدثكم؟ قال: قلت: بلى، قال: فيقول لليل: إنه نهار و لنهار إنه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: ردّه إلينا فإنک إن كذّبت فإنما تكذبنا» .

فقوله عليه السّلام: «فيقول لليل: «إنه نهار و لنهار إنه ليل» ؟ الـذى نفاه الراوى بقوله لا، يدل على انه لو كان بطلانه بهذه المثابة من الوضوح لا بأس بردّه، و لعل هذا مستفاد من بعض الأخبار المذكورة فى باب التعادل و الترجيح كما لا يخفى. و الثانى للثانى و هو

ما رواه الصفار فى البصائر (2)بإسـناده، عن أبى عبيدة قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «من سمع من رجل أمرا لم يحط به علما فكذب به و من أمره الرضا بنا و التسـليم فإن ذلک لا يكفّره» . فيدل على أن التكذيب إذا كان بمقتضى الظاهر، كما لو كان مما لا يوافق الدين بظاهره لا يوجب كفرا، إذا كان من أمره و بنائه القلبى التسليم لواقع الأمر لما صدر

1- 1) مرآة العقول ج 4 ص 314.

2- 2) مرآة العقول ج 4 ص 315.

عنهم، و مرجعه إلی أنه لم یکذبه مطلقا بل بمقتضی الظاهر، فهو فی حال التکذیب الظاهر مسلم له إذا کان فی الواقع صادرا عنهم علیهم السّلام کما لا یخفی. و کیف کان فالمستفاد من هذین الحدیثین أن طریق النجاة أن الإنسان إذا کذّب حدیثا بمقتضی الظاهر الشرعی، فینبغی أن یکون مسلما له علی تقدیر صدوره واقعا، فلا یحکم ببطلانه فی الواقع و نفس الأمر، و إن حکم ببطلانه و کذّبه فی الظاهر، فتأمل. أما الثانی أی إن کان الذی ورد عنهم مما لا یقطع ببطلانه: فتقدم أنه إن قبله قلبه فهو و إلاّ فلیس له إنکاره بل یجب ردّ علمه إلیهم علیهم السّلام و یدل علیه کثیر من الأخبار قد تقدم بعضها. و یدل علیه

ما رواه الصدوق فی العلل بإسناده الصحیح کما فی المرآة (1)عن أبی بصیر، عن أحدهما علیهما السّلام قال: «لا تکذبوا بحدیث أتاکم به مرجی و لا قدری و لا خارجی نسبه إلینا، فإنکم لا تدرون لعله شیء من الحق، فتکذبوا الله عز و جل فوق عرشه» .

و فیه عن الصدوق فی معانی الأخبار بإسناده، عن إبراهیم قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «ألا هل عسی رجل یکذبنی و هو علی حشایاه متکئ؟ فقالوا: یا رسول الله و من الذی یکذبک؟ قال: الذی یبلغه الحدیث فیقول: ما قال هذا رسول الله قط، فما جاءکم عنّی من حدیث موافق للحق فأنا قلته، و ما أتاکم عنّی من حدیث لا یوافق الحق فلم أقله و لن أقول إلاّ الحق» . أقول: صدر الحدیث یشیر إلی ما قلناه، و ذیله یشیر إلی أن ما جاء عنه صلّی الله علیه و آله و کان موافقا للحق فهو مما قاله صلّی الله علیه و آله و إلاّ فلا، فقد أعطی صلّی الله علیه و آله میزانا للتشخیص، إلاّ أن الکلام فی تشخیص الحق الذی تکون موافقته سببا للتصدیق و لا ریب فی أن

1- 1) المرآة ج 4 ص 314.

تشـخيصه مشكل، فلا يكون إلاّ من العارف المجتهد المستنبط، كما لا يخفى. ثم إنه قد حكم فى هذه الأحاديث بكفر من ردّ أحاديثهم إما فى الموارد المقطوعـة بصدورها، أو فيما لا يعلم ببطلانه، الذى كان حكمه ردّ علمه إليهم، و لا يجوز له إنكاره، و إن لم يجب عليه العمل و العقيـدة به، فحينئذ يقع الكلام فى أنه هل هو كفر ملحق بالشـرك أو لا؟ فنقول: قد يقال: المراد بالكفر ما يقابل كمال الإيمان و هو التسـليم التام، و إليه يشير

ما رواه الصدوق رحمه الله فى معانى الأخبار بإسناده، عن الغفار الجازى قال: حدثنى من سأله: (يعنى الصادق عليه السّلام) هل يكون كفر لا يبلغ الشـرک؟ قال: «إن الكفر هو الشـرک، ثم قام فـدخل المسـجد فالتفت إلىّ و قال: نعم الرجل يحمل الحـديث إلى صاحبه فلا يعرفه فيرده عليه، فهى نعمة كفّرها و لم يبلغ الشرک» .

فقوله عليه السّـلام: «فهى نعمة» ، كفرها يشـمل المقام فيما لم يقطع بصدوره، و أما إذا قطع بصدوره فلا يشمله هذا الحديث، بل ربما يقال: إن الإنكار فى هذه الصورة مستلزم للشرک، كما هو ظاهر الأحاديث و ظاهر كلمات الأعلام، فإنه حينئذ إنكار للضرورى من الدين، كما هو المفروض و الظاهر و الله العالم بأحكامه. هـذا و قـد يراد من احتمال علمهم الكتمان و الحفظ، أى أنى أكتم علمكم و أحفظه عن غير أهله بل و عنه أيضا، و لعله إليه يشـير ما تقدم عن البصائر عن أبى الحسن عليه السّلام عن معنى لا يحتمله أن الملک لا يحتمله حتى يخرجه إلى غيره و هكـذا النبى و المؤمن، و حينئذ معنى محتمل لعلمكم أنى لا أخرجه إلى غيرى، بل أحفظه و أكتمه حتى من مثلى كما فى المحكى عن البصائر، عن المفضل، عن جابر ما ملخصه: إن شكى ضيق نفسه عن تحملها و إخفائها بعد أبى جعفر عليه السّلام إلى أبى عبد الله عليه السّـلام فأمره أن يحفر حفرة و يـدلى رأسه فيها، ثم يحدث بما تحمله، ثم يطمها فإن الأرض تستر عليه. فيرجع معناه حينئذ إلى أن الزائر يقرّ بأنى من أهل كتمان سرّكم و علمكم و لا

أفشيه، و لا ريب فى أن هذا الكتمان له أثر عجيب فى قابلية أن يصير الإنسان محلاّ لمعارفهم الخاصة، و لألطاف توجب خرق العادات من صاحبه بإذن الله تعالى، و الأخبار الدالـة على الحث بالكتمان كثيرة جـدا، و حيث إن أمر الكتمان خطير، و عدمه فيه مفسدة كثيرة، فلا بأس بذكر أحاديث الباب فنقول:

فى الكافى باب الكتمان عن أبى حمزة، عن على بن الحسـين عليه السّـلام قال: «وددت و الله إنى افتديت خصـلتين فى الشيعة ببعض لحم ساعدى النزق و قلة الكتمان» .

و فيه عن عبـد الأعلى قال: سـمعت أبا عبـد الله عليه السّـلام يقول: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصـديق له و القبول فقط، من احتمال أمرنا ستره، و صـيانته من غير أهله فـأقرئهم السّـلام و قل لهم: رحم الله عبـدا اجتر مودة الناس إلى نفسه، حـدثوهم بما يعرفون و استروا عنهم ما ينكرون. ثم قال: و الله ما الناصب لنا حربا بأشـدّ علينا مؤنـة من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبـد إذاعة فامشوه إليه و ردّوه عنها فإن قبل منكم، و إلاّ فتحمّلوا عليه بمن يثقل عليه و يسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجة فليلطف فيها حتى تقضى له، فالطفوا فى حاجتى كما تلطفون فى حوائجكم. فإن هو قبل منكم و إلاّ فادفنوا كلامه تحت أقدامكم و لا تقولوا: إنه يقول، و يقول فإن ذلك يحمل علىّ و عليكم، أما و الله لو كنتم تقولون ما أقول، لأقررت أنكم أصحابى، هذا أبو حنيفة له أصحاب، و هذا الحسن البصرى له أصحاب، و أنا امرؤ من قريش قد ولدنى رسول الله صـلّى الله عليه و آله و علمت كتاب الله و فيه تبيان كل شـىء بدء الخلق و أمر السماء و أمر الأرض، و أمر الأولين و أمر الآخرين و أمر ما كان و أمر ما يكون، كأنى أنظر إلى ذلك نصب عينى» . أقول: يسـتفاد من هـذا الحديث أن احتمال الحديث عنهم عليهم السّلام كما هو بالتصديق و القبول كذلك يكون بالستر و الصيانة و الكتمان.

و فيه عن أبى عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «و الله إن أحبّ

أصحابى إلىّ أورعهم و أفقههم و أكتمهم لحديثنا، و أن أسوأهم عندى حالا و أمقتهم للذى إذا سمع الحديث ينسب و يروى عنا، فلم يقبله، اشمأز منه و جحده و كفّر من دان به، و هو لا يدرى لعل الحديث من عندنا خرج و إلينا أسند، فيكون بذلک خارجا عن ولايتنا» .

و فيه عن عيسى بن أبى منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح، و همّه لأمرنا عبادة، و كتمانه لسرّنا جهاد فى سبيل الله، قال لى محمد بن سعيد: أكتب هذا بالذهب فما كتبت شيئا أحسن منه» .

و فى بصائر الدرجات (1)عن ابن مسكان قال: «سمعت أبا بصير يقول لأبى عبد الله عليه السّلام: من أين أصاب أصحاب على عليه السّلام ما أصابهم من علمهم بمناياهم و بلاياهم؟ قال: «فأجابنى شبه المغضب مم ذلک إلاّ منهم، قال: قلت: فما يمنعک جعلنى الله فداک؟ قال: ذاک باب أغلق، إلاّ أن الحسين بن على عليه السّلام فتح منه شيئا، ثم قال: يا أبا محمد إن أولئک كانت على أفواههم أوكية» . أقول: و مثل هذه الأحاديث كثيرة، و قد ذكر علماء المعارف أن الكتمان أحسن أمر للوصول إلى المعارف الإلهية، فإن فى الإذاعة مضافا إلى تضييع المعارف ببيانها لغير أهلها، و تعريض أهلها للهتک و الأذية ممن لا يحتملها خصوصا من المخالفين تضييعا لوقت العارف السالک، فإنه إذا عرف هجم عليه أهل الحكمة و غير أهلها و ضيّعوا عمره، و لعله إليه يشير ما ذكره

فى إرشاد القلوب عمن رأى أمير المؤمنين عليه السّلام فى المنام، و قال له فيما قال: المرء لنفسه، فإذا عرف كان لغيره، و إليه يشير أيضا ما

فى المحكى عن الكافى من قول الصادق عليه السّلام: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان» ، أى على إنجاحها و الوصول إليها.

الموقع الثانى: فى بيان قوله عليه السّلام: «محتجب بذمتكم» .

1- 1) بصائر الدرجات ص 261.

قیـل: أی مسـتتر من المهالـک بـدخولی فی ذمتکم و أمانکم بأن أجعل الـدخول فی حجابکم و أمانکم مانعا من دخول النار و من وسوسـة الشـیاطین، أو أنی مسـتتر و داخل فی الـداخلین تحت أمانکم. أقول: فی المجمع: و الذمة العبد، و قیل: ما یجب أن یحفظ و یحمی. أقول: فعلیه معنی محتجب بذمتکم: أنی جعلت نفسی عبدا لکم بأن احتجبت عن المهالک بجعل نفسی عبدا، و من المعلوم أن الموالی یحفظون عبیـدهم و یحمونهم عن المهالـک، أو أنی محتجب بمـا یجب حفظه و حمایته من الإقرار بولایتکم و الـدخول فیها، و فی زمرة شـیعتکم و محبیکم، و بحفظی و حمایتی لها، التی کانت واجبـة علیّ احتجبت عن المهالک الدنیویة و الأخرویة. و فیه و عن أبی عبیدة: الذمة: التذمّم ممن لاـعهـد له، و هو أن یلزم الإنسـان نفسه ذمامـا أی حقـا یوجبه علیه، یجری مجری المعاهـدة من غیر معاهـدة، فمعناه أنی و إن کنت بمقتضـی الطبع الأولی لا عهد علیّ بالنسـبة إلیکم، إلا إنی أتذمّم أی أقبل الذمة و الذمام، أی حقا ثابتا علی نفسی، و ألتزم به علیها و أوجبه علیها بنحو الوجوب و اللزوم، کما فی المعاهـدات اللازمـة و الواجبـة، إلاّ أن هـذا العهـد حیث إنه شـرط و عهد ابتدائی لا ملزم له، و لکن جعلت الالتزام به علی نفسـی، فإنی بهذه الذمة بهذا المعنی احتجبت عن المهالک. ثم إنه یسـتفاد من بیانهم علیهم السّلام هذه الجملة فی الزیارة بأن یظهر الزائر هـذا الأمر و العقیـدة أنهم علیهم السّـلام قـد قبلوا هـذا العهـد و الذمة و المعاهدة من شـیعتهم کما لا یخفی، و فیه (یسـعی بـذمتهم أدناهم) أی إذا أعطی أحـد جیش العـدو أمانا جاز ذلک علی جمیع المسـلمین، و لیس لهـم أن ینقضوا عهده و أهل الذمة سمّوا بذلک، لأنهم دخلوا فی ضمان المسلمین و عهدهم و منه سمّی المعاهد ذمیا نسبة إلی الذمة بمعنی العهد. أقول: معنی

قوله:

«محتجب بذمتکم»

، علی أن یکون الذمة هو العهد، و هو لغة بمعنی الوصیة و الأمر یقال: عهد إلیه یعهد من باب تعب إذا أوصاه، فهو متعهد أی

قبل العهد بأن يفی به، ثم إن العهد المفسّر به الذمة هو ما يكون من طرف المتعهد، أی هو الالتزام بما أمر به و ألقی إليه من آخر، فالمعاهدة ليست غالبا من طرفين بأن يعهد كل منهما ما يعهده الآخر، بل العهد هو قبول العهدة من الموصی إليه مثلا من الموصی (بالكسر) بأن يعمل به و التعبير بالمعاهدة من باب التغليب غالبا. نعم قد يستعمل فيما كان المعاهدة من الطرفين، بأن يعهد كل منهما بما يعهده الآخر، كما فی الحديث يدخل فی الأمان ذو عهد و معاهد. قيل: يقرأ بالبناء للفاعل و المفعول، لأن الفعل من اثنين، فكل واحد يفعل بصاحبه مثل ما يفعل صاحبه به، فكل فی المعنی فاعل و مفعول، كذا فی المجمع، إلاّ أن الغالب هو استعماله فی المعنی الأول، و إنما عبّر بالمعاهدة أی المفاعلة مع أن العهدة من طرف القابل، لأن العهدة قد أشرب فيها القبول من الطرف و هو من الطرفين، أو أن العهدة أوصی بها من الموصی و الآمر، فكانت بلحاظ التحقق من الطرفين فتأمل. و كيف كان فمعنی محتجب بذمتكم أی بعهدكم و بالمعاهدة معكم، و لعله يشير إلی ما ورد فی الأحاديث من أنه تعالی أخذ الميثاق من الخلق فی الذّر علی الإقرار بولاية محمد و آله صلّی الله عليه و آله.

ففی بصائر الدرجات (1)، عن أبی عبد الله عليه السّلام فی قول الله تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ الآية، قال: «أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلی يوم القيامة، فخرجوا كالذر فعرّفهم نفسه، و لو لا ذلک لم يعرف أحد ربه، ثم قال: أ لست بربكم قالوا بلی، و إن هذا محمد رسولی و علی أمير المؤمنين خليفتی و أمينی» .

و فيه (2)عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله

1- 1) بصائر الدرجات ص 71.
2- 2) بصائر الدرجات ص 18.

تبـارک و تعالى: فَمِنْكُمْ كٰافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ؟ (1)فقال: «عرف الله و الله إيمانهم بولايتنا و كفرهم بها يوم أخذ الله عليهم الميثاق فى صـلب آدم و هم ذر» . أقول: و معناه أنه تعالى عرفهم حقيقة التوحيد و ما يتعلق به، و حقيقة نبوة نبيه صلّى الله عليه و آله و ما يترتب عليها، و حقيقة إمامـة الأئمـة و ولاـيتهم، و مـا يتفرّع عليهـا من وجوب الطاعـة لهم فيما أمروا به من أمر التشـريع، و ما أخبروا به من أمر التكوين المتعلق بالمبـدإ إلى المعـاد، فمعنى قولهم هنـاک: بلى، هو الاـلتزام بهـذا العهـد الإـلهى، و المعاهـدة معه تعالى على الوفاء به، و هو تعالى أيضـا عاهدهم على حسن الجزاء فقال: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ (2).

ففى تفسير نور الثقلين (3)، عن أصول الكافى، عن سـماعة، عن أبى عبـد الله عليه السّـ لام فى قول الله عز و جل: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى ، قال: قال: «بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام أُوفِ بِعَهْدِكُمْ أوف لكم بالجنة» .

و فيه عن الخشاب قال: حـدثنا بعض أصـحابنا عن خثيمـة قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّـ لام: «يا خثيمة نحن عهد الله، فمن وفى بعهدنا، فقد وفى بعهد الله، و من خفرها (4)فقد خفر ذمة الله و عهده» ، الحديث. أقول: و هذا العهد و الولاية هو أصل الوجود و لب الأسرار، و سرّ الأنوار و نور الاقتدار، و أمر الواحد القهار، الذى يحتاج إليه كل موجود، و لذا عرض هذه الولاية على جميع الأشـياء، فما قبلها صار حسـنا فى نوعه و أثره، و ما أنكرها صار قبيحا فيهما، و هذه الذمة و العهد الولائى هو الذمام المذكور

فى دعاء الصباح و المساء:

«أصبحت اللهم معتصما بذمامک المنيع، الذى لا يطاول و لا يحاول من شرّ

1- 1) التغابن 2.

2- 2) البقرة:40.

3- 3) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 61.

4- 4) أى نقض و غدر بعهده.

كـل غـاشم و طـارق من سـائر من خلقت و ما خلقت من خلقك، الصامت و الناطق فى جنـة من كل مخوف بلباس سابغـة ولاء أهل بيت نبيك، محتجبا من كل قاصـد لى إلى أذية بجدار حصـين الإخلاص فى الاعتراف بحقهم و التمسك بحبلهم، موقنا أن الحق لهم و معهم و فيهم و بهم» ، الـدعاء. و هذا الذمام (أعنى ولايتهم عليهم السّلام) رفيع المكان و المكانة، فلا يطاوله شـىء أى لا يعلو عليه فى القدر غيره من السـلطات الكائنة فى الخلق، بل كلها مقهورة تحت هذه السـلطنة الإلهية، فهى حصن منيع لا يحاوله شىء أى لا يكافحه و لا يضاده و لا يعارضه شـىء و إن بلغ من القوة ما بلغ، فهى الحافظـة للمتمسك بها عن شـر كل خلق ناطق أو صامت، فالمتمسك بها فى جنة من كل مخوف بلباس سابغـة ولاء أهل بيت نبيك، فالولاء بـدل عن اللباس فالولاء هى الجنـة، و قوله: بلباس متعلق بجنة، و قوله: «محتجبا» ، حال بعـد حـال، أى معتصـما و محتجبـا من كـل قاصـد لى إلى أذيـة بجـدار حصـين هو (أى الجـدار الحصـين) الإخلاص فى الاعتراف بهم، فالإخلاص أيضا هو الجدار. فحاصـله: أن الاعتراف عن إخلاص و حقيقة بالاعتراف بولايتهم الذى هو محض الإيمان، هو الجدار الحصين من كـل مخوف و أثر الإخلاص أن يتولاهم و يقتـدى بهم فى كل شـىء و يجعلهم الوسـيلة بينه و بين الله تعالى، و أن يكون هـذا مشـفوعا بالبراءة من أعـدائهم، و متلبّسا باللعن لأعـدائهم، معتقـدا أنه تعالى إنما يقبل عمل من قبل الولاية، و لا يقبل عملا بدونها، و إلى هذه البراءة من أعدائهم يشير

قوله عليه السّلام بعد هذا:

«أولى من والوا و أجانب من جانبوا»

. و كيف كان فمعنى الوفاء بهذا العهد و العمل به، الموجب لوفائه تعالى له بالجنة، هو الاعتقاد بهم و بولايتهم عن إخلاص، و بهذا يحصل الاحتجاب بذمتهم، التى هى عهد الله لهم، و عهد خلقه له بالموافاة، و هى (أى الموافاة له تعالى) تحصل باسـتجابته اسـتجابة قلبية بالنسبة إلى ما طلبه تعالى منه، و استجابة لسانية بما

دعا تعالى إليه، و عمليّة بما أمر به تعالى، و إذا دخل فى عهده بهذا النحو من الاستجابات، فقد احتجب بذمتهم، و أمن من كل مخوف. و إليه يشير ما

فى البحار (1)، عن المحاسن، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «الروح و الراحة و الفلج و الفلاح و النجاح و البركة، و العفو و العافية و المعافاة، و البشرى و النضرة و الرضا و القرب و القرابة، و النصر و الظفر و المكين، و السرور و المحبة من الله تبارك و تعالى على من أحبّ على بن أبى طالب عليه السّلام و والاه و ائتم به و أقرّ بفضله، و تولى الأوصياء من بعده، و حق علىّ أن أدخلهم فى شفاعتى، و حق على ربى أن يستجيب لى فيهم و هم أتباعى، و من تبعنى فإنه منى جرى فىّ مثل إبراهيم عليه السّلام و فى الأوصياء من بعدى، لأنى من إبراهيم و إبراهيم منى، دينه دينى و سنته سنتى، و أنا أفضل منه، و فضلى من فضله، و فضله من فضلى، و يصدق قولى قول ربى ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (2)» . أقول: هذا كله إذا كان المراد من الذمة العهد، و منه يعلم أنه إن كان المراد منها الأمان، فإنه حينئذ معناه أنى محتجب بأمانكم الذى يكون بالإقرار بولايتكم، و كذا الكلام إذا كان بمعنى الضمان فإنه من آثار العهد، فإنه موجب للضمان بالنسبة إلى ما عوهد عليه، و إن كان المراد منها الحرمة فمعناه أنى محتجب باحترامكم لعلو مقامكم و منازلكم، التى رتبكم الله فيها، و قد ملأ الشرح من بيان هذه المقامات و المراتب الإلهية، و هى حقيقة ولايتهم بما لها من الشئون، التى هى ولاية الله تعالى، فإذا احتجب أحد بذمتهم بأن احترمهم و اعتقد حرمتهم، الدالة على الاعتقاد بمقاماتهم، فقد أمن من جميع محذورات الدنيا و الآخرة، ثم إن الاحتجاب بالذمة أى بالحرمة لهم عليهم السّلام هو حفظ مقاماتهم

1- 1) البحار ج 27 ص 92.

2- 2) آل عمران:34.

بالاحترام لهم.

ففی البحار (1)، عن تفسیر الفرات، عن أبی الجارود قال: قال زید بن علی علیه السّلام و قرأ الآیة: وَ کٰانَ أَبُوهُمٰا صٰالِحاً (2)، قال: «حفظهما الله بصلاح أبیهما، و ما ذکر منهما صلاح، فنحن أحق بالمودة، أبونا رسول الله و جدّتنا خدیجة، و أمّنا فاطمة الزهراء، و أبونا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیهم السّلام» . و إن کان المراد منها الحق، فمعناه أنی محتجب بحقکم الذی أنا مقرّ به، و قد تقدم معناه فی شرح

قوله علیه السّلام:

«عارف بحقکم»

، الذی علمت أن حقیقته هو الإقرار بولایتهم و بفضائلهم و بمقاماتهم التی جعلها الله تعالی لهم.

و أما الکلام فی الموقع الثالث و هو قوله علیه السّلام: «معترف بکم» .

فلا ریب فی أن المراد لیس هو الاعتراف بأسمائهم و نسبهم، بل الاعتراف بإمامتهم و ولایتهم، و کونهم خلفاء الله تعالی، و أنه یجب طاعتهم و ولایتهم، و بکونهم أولی بالمخلوقین من أنفسهم و أموالهم و أولادهم. و بالجملة یعترف بجمیع ما منّ به علیهم مما لم یعطه لغیرهم، و هذه المقامات هی التی أنکرها الناصبون لهم و الظالمون من أعدائهم. و لعمری إن هذا الشرح و هذه الزیارة مشحونة بذکر مقاماتهم و شئون ولایتهم، فالزائر یعترف بها أجمع، و هذا هو المستفاد من حذف المتعلق، و جعله أنفسهم الشریفة، فمعنی معترف بکم أنی أعترف بها أجمع، و أنی کما أقرّ بفضلکم و مقاماتکم قلبا، فکذلک أعترف بها لسانا، لأکون ممن یقتصّ آثارکم، کما سیأتی بیانه إن شاء الله تعالی.

1- 1) البحار ج 27 ص 206.
2- 2) الکهف:82.

[57]قوله علیه السّلام: مؤمن بإیابکم، مصدّق برجعتکم، منتظر لأمرکم، مرتقب لدولتکم

اشارة

أقول:

یقع الکلام فی جهات:

الجهة الأولی:

فی البحار (1)، عن الکافی الروضة ص 206، العدّة عن سهل، عن ابن شمّون، عن الأصمّ، عن عبد اللّٰه بن القاسم البطل، عن أبی عبد اللّٰه علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ قَضَیْنٰا إِلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ فِی اَلْکِتٰابِ لَتُفْسِدُنَّ فِی اَلْأَرْضِ مَرَّتَیْنِ ، قال: «قتل علی ابن أبی طالب علیه السّلام و طعن الحسن علیه السّلام، وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا کَبِیراً ، قال: قتل الحسین فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ أُولاٰهُمٰا ، إذا جاء نصر دم الحسین بَعَثْنٰا عَلَیْکُمْ عِبٰاداً لَنٰا أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ فَجٰاسُوا خِلاٰلَ اَلدِّیٰارِ . قوم یبعثهم اللّٰه قبل خروج القائم (عج) فلا یدعون وترا لآل محمد إلاّ قتلوه وَ کٰانَ وَعْداً مَفْعُولاً ، خروج القائم (عج) ثُمَّ رَدَدْنٰا لَکُمُ اَلْکَرَّةَ عَلَیْهِمْ خروج الحسین علیه السّلام فی سبعین من أصحابه علیهم البیض المذهبة، لکل بیضة وجهان المؤدّون إلی الناس إنّ هذا الحسین قد خرج، حتی لا یشکّ المؤمنون فیه، و إنه لیس بدجّال و لا شیطان، و الحجة القائم بین أظهرهم، فإذا استقرّت المعرفة فی قلوب المؤمنین إنه الحسین علیه السّلام جاء الحجة الموت، فیکون الذی یغسّله و یکفّنه و یحنّطه و یلحّده فی حفرته الحسین بن علی علیه السّلام و لا یلی الوصیّ إلاّ الوصی» . أقول: المستفاد من هذه الروایة الشریفة أمور: و هو المقصود الفرق بین قیام الحجة علیه السّلام و ظهوره و بین الرجعة،

فقوله علیه السّلام: «خروج القائم» إشارة إلی قیامه (صلوات اللّٰه علیه و علی آبائه الطاهرین) و قد دلّت علیه آیات و أحادیث خارجة عن حدّ الإحصاء، کما ذکر فی محله،

و قوله علیه السّلام بعد قوله تعالی: ثُمَّ رَدَدْنٰا لَکُمُ اَلْکَرَّةَ عَلَیْهِمْ ، «خروج الحسین علیه السّلام. . . إلخ» ، إشارة إلی الرجعة. و سیأتی فی بیان أحادیث الباب أن الحسین علیه السّلام هو أول من یرجع إلی الدنیا

1- 1) البحار ج 53 ص 93.

حسب كثير منها، فظهر أن الرجعة غير قيام الحجة. و الأئمة عليهم السّلام قد بيّنوا أمرين: الأول: قيام الحجة (عج) . و الثانى: رجعة الأئمة عليهم السّلام. و سيأتى أن المخالفين قد وافقنا كثير منهم فى الأول، و أما الرجعة فقد أنكروها أشدّ الإنكار. و سيجىء التعرّض لشبهاتهم و الردّ عليها، ثم إن هذه الجمل الأربع لها جهة اشتراک، و هى الدلالة على الرجعة و لكنها بيّنت بتغيرات.

فقوله عليه السّلام:

«مؤمن بإيابكم»

، إشارة إلى الإيمان بها قلبا،

«و مصدق برجعتكم»

إشارة بتصديقها بنحو الوجدان، و تحققها فى القلب بنحو الجدّ و الواقع،

«و منتظر لأمركم»

، إشارة إلى الحالة القلبية اللازمة للمؤمن بها المعتقد بأن صلاح الدين و الدنيا و ظهور الكمالات الإنسانية و المعارف الإلهية يكون بها، فلا محالة ينتظرها إذ-الأمر-

فى قوله:

«منتظر لأمركم»

، يراد به إما رجوعهم إلى الدنيا، و إما ظهور ولايتهم و إمامتهم فى الرجعة و-مرتقب لدولتكم-يساوق الجملة السابقة، إلاّ أن الدولة و هى دولتهم الحقه سيأتى بيانها هو ظهور أمرهم. و بعبارة أخرى: أن الأمر الذى ينتظره هو أمر إمامتهم، و الدولة التى ينتظرها و يرتقبها هو فعليّة إمامتهم فى العالم بصورة الدولة الحقة، و نحن نسأل الله تعالى تعجيل الفرج لدرک دولتهم الحقة بمحمد و آله الطاهرين. و قد يقال: إن

قوله عليه السّلام

«مؤمن بايابكم»

يدل على أنه لا بد للمؤمن بإيابهم من التصديق القلبى بها، و القول اللسانى و العمل بالأركان، إذ الإيمان قد فسّر بهذه الأمور حيثما أطلق، فحينئذ معناه فى المقام أنّ المؤمن بالإياب و الرجعة، لا بد له من الاعتقاد القلبى و التصديق بها، و من الإقرار اللسانى بأن يقرّ بالروايات الواردة بالنسبة إلى الرجعة، و يخبر بها غيره بنحو الإقرار بها لا بنحو الإخبار فقط، و يلزمه

الدعاء بالفرج، و من العمل بالأركان بأن يصلح أعماله، و يكتم الأمر، و ينتظر الفرج، و يعدّ السلاح لنصرته عليه السّلام. و الحاصل: أنه يستعد بهذه الأمور للقائه عليه السّلام و لقائهم عليهم السّلام و حينئذ يكون

قوله

«مصدق برجعتكم»

تأكيدا للجملة السابقة لما علمت أنّ الإيمان يلازم التصديق.

الجهة الثانية: فى إمكانها

فنقول

فى البحار (1)، عن مختصر البصائر بإسناده، عن أبى الصباح قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام فقلت: جعلت فداك أكره أن أسميها لک، فقال لى هو: «عن الكرّات تسألنى، فقلت: نعم، فقال: تلک القدرة لا تنكرها أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أتى بقناع من الجنة عليه عذق يقال له سنّة، فتناولها رسول الله صلّى الله عليه و آله سنّة من كان قبلكم» . أقول: فيه

قوله عليه السّلام: «تلک القدرة» ، أى الكرّات و الرجعة من قدرة الله تعالى، و لا ينكرها إلاّ القدريّة من المعتزلة، الذين ينكرون كثيرا من قدرة الله تعالى- و القناع-بالكسر طبق من عسب النخل-و بعث هذا كان لإعلام النبى صلّى الله عليه و آله أن يقع فى أمته ما وقعت فى الأمم السابقة، و قد وقعت الرجعة فى الأمم السابقة مرات شتّى. أقول: إنما يرفع استبعاد وقوع الرجعة بأمرين: أحدهما: وقوعها فى الأمم السابقة كما أشير إليه فى هذا الحديث و صرّح به فى غيرها. و ثانيهما: بيان حقيقة قدرته تعالى و أنها لا تختصّ تحققها بتحقق الأسباب المتداولة و المأنوسة بها للأذهان. أما الأول: فأحسن حديث ذكر فيه وقوعها فى الأمم السابقة

ما فيه ص 72 بإسناده عن الأصبغ بن نباتة أن عبد الله بن أبى بكر اليشكرى، قام إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال يا أمير المؤمنين: إن أبا المعتمر تكلّم آنفا بكلام لا يحتمله قلبى

1- 1) البحار ج 53 ص 72.

فقال: و ما ذاک؟ قال: يزعم أنک حدثته أنک سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «إنّا قد رأينا أو سمعنا برجل أكبر سنّا من أبيه؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: فهذا الذى كبر عليک؟ قال: نعم فهل تؤمن أنت بهذا و تعرفه؟ فقال: نعم، ويلک يا بن الكوّاء» . أقول: هذا كنية عبد الله بن أبى بكر اليشكرى و كان من الخوارج أفقه منى، أخبرک عن ذلک أنّ عزيرا خرج من أهله و امرأته فى شهرها، أى فى شهر ولادة امرأته التى كانت حاملة، و له يومئذ خمسون سنة، فلمّا ابتلاه الله عز و جل بذنبه أماته مائة عام، ثم بعثه فرجع إلى أهله و هو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه و هو ابن مائة سنة، و ردّ الله عزيرا إلى الذى كان به، فقال: ما تزيد؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: سل عمّا بدا لک، قال: نعم إنّ أناسا من أصحابک يزعمون أنهم يردّون بعد الموت، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «نعم تكلّم بما سمعت و لا تزد فى الكلام، فما قلت لهم؟ قال: قلت: لا أؤمن بشىء مما قلتم، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: ويلک إنّ الله عز و جل ابتلى قوما بما كان من ذنوبهم، فأماتهم قبل آجالهم، التى سميت لهم، ثم ردهم إلى الدنيا، ليستوفوا أرزاقهم ثم أماتهم بعد ذلک. قال: فكبر على ابن الكواء و لم يهتد له، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: ويلک تعلم أن الله عز و جل قال فى كتابه: وَ اِخْتٰارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقٰاتِنٰا (1)فانطلق بهم معه، ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملإ من بنى إسرائيل أنّ ربّى قد كلمنى، فلو أنهم سلّموا ذلک له، و صدقوا به، لكان خيرا لهم، و لكنهم قالوا لموسى عليه السّلام لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّٰى نَرَى اَللّٰهَ جَهْرَةً قال الله عز و جل: فَأَخَذَتْكُمُ اَلصّٰاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنٰاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، أ ترى يا بن الكوّاء أنّ هؤلاء قد رجعوا إلى منازلهم بعد ما ماتوا؟ فقال ابن الكواء: و ما ذاک ثم أماتهم فكأنهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: لا، ويلک أ و ليس قد أخبر الله فى كتابه حيث

1- 1) الأعراف:155.

يقول: وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ اَلْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوىٰ (1)فهذا بعد الموت إذ بعثهم. و أيضا مثلهم يا بن الكوّاء، الملأ من بنى إسرائيل حيث يقول الله عز و جل: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقٰالَ لَهُمُ اَللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيٰاهُمْ (2)» . و قوله أيضا فى عزير حيث أخبر الله عز و جل: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلىٰ قَرْيَةٍ وَ هِيَ خٰاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا قٰالَ أَنّٰى يُحْيِي هٰذِهِ اَللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهٰا فَأَمٰاتَهُ اَللّٰهُ (3)و أخذه بذلك الذنب مِائَةَ عٰامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ و رده إلى الدنيا ف قٰالَ كَمْ لَبِثْتَ ف قٰالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ف قٰالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عٰامٍ فلا تشكن يا بن الكواء فى قدرة الله عز و جل. أقول:

قوله عليه السّلام: «أ ترى يا بن الكواء» إلى قوله عليه السّلام: «فهذا بعد الموت إذ بعثهم» فكأنه عليه السّلام سأله عن أنه أ تعلم و تعتقد أنهم بعد ما بعثهم إليه قد رجعوا إلى منازلهم و أكلوا و شربوا، فقال ابن الكواء: و ما ذاك، أى ما كان ذلک؟ ثم أماتهم أى لم يكن أنهم قد رجعوا إلى منازلهم حتى أماتهم. ثم قال ابن الكواء: فكأنّهم، أى أن ما تقوله لعله كان من الرجوع و الأكل فى منازلهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا» ، أى ليس كما تزعم، «ويلک أو ليس قد أخبر الله. . . إلخ» . ثم إنه قد صرّح فى حديث آخر بأنهم بعد ما بعثهم الله تعالى قد أكلوا و شربوا ردّا على ما ربما يتوهمّه بعض الناس كما توهمه ابن الكواء الخارجى.

ففيه، عنه بإسناده عن حمران بن أعين عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: كان فى بنى إسرائيل شىء لا يكون هاهنا مثله، فقال: «لا، فقلت: فحدثنى عن قول الله

1- 1) البقرة:57.

2- 2) البقرة:243.

3- 3) البقرة:259.

عز و جل: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقٰالَ لَهُمُ اَللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيٰاهُمْ حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم من يومهم، أو ردهم إلى الدنيا؟ فقال: ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور، و أكلوا الطعام، و نكحوا النساء، و لبثوا بذلك ما شاء ثم ماتوا بالآجال» . أقول: قوله: ثم أماتهم من يومهم أو ردهم إلى الدنيا، من كلام الراوى و هذا هو الاحتمال الذى توهمه ابن الكواء، و هو أنهم أحياهم الله ثم أماتهم عن يومهم من دون رجوع إلى أهلهم فيأكلون و يشربون حتى تتحقق به الرجعة إلى الدنيا، فإن مجرد الإحياء بعد الإماتة من دون رجوع إلى الدنيا و الانتقال بمشاغلها لا يكون رجعه و لا ينكره أحد، ثم إنه عليه السّلام ردّه و ردّ كلامه هذا، فقال: «بل ردّهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور. . . إلخ» ، بحيث تحقق الرجعة إلى الدنيا كسائر الأحياء. أقول: أيضا: قال الله تعالى لعيسى: وَ إِذْ تُخْرِجُ اَلْمَوْتىٰ بِإِذْنِي (1)و جميع الموتى الذين أحياهم عيسى عليه السّلام بإذن الله تعالى رجعوا إلى الدنيا و بقوا فيها ثم ماتوا. و قال تعالى فى أصحاب الكهف: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اِزْدَادُوا تِسْعاً (2)، ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا.

ففى تفسير نور الثقلين (3)، عن روضة الكافى بإسناده عن أبان بن تغلب و غيره عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه سأل هل كان عيسى بن مريم أحيى أحدا بعد موته حتى كان له أكل رزق و مدة و ولد؟ فقال: «نعم، إنه كان له صديق مؤاخ له فى الله تبارک و تعالى، و كان عيسى (صلى الله عليه) يمرّ به و ينزل عليه، و إنّ عيسى (صلى الله عليه) غاب عنه حينا ثم مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه، فقالت مات يا رسول الله فقال: أفتحبيّن أن تريه؟ فقالت: نعم، فقال لها: فإذا كان غدا

1- 1) المائدة:110.

2- 2) الكهف:25.

3- 3) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 285.

فآتیک حتی أحییه لک بإذن الله تبارک و تعالی، فلما کان من الغد أتاها فقال لها: انطلقی معی إلی قبره فأنطلقا حتی أتیا قبره، فوقف علیه عیسی (صلی الله علیه) ثم دعا الله عز و جل، فانفرج القبر و خرج ابنها حیّا، فلما رأته أمه و رآها بکیا فرحمهما عیسی (صلی الله علیه) فقال له عیسی: أ تحبّ أن تبقی مع أمک فی الدنیا؟ فقال له: یا نبی الله بأکل و رزق و مدة أم بغیر أکل و لا رزق و لا مدة؟ فقال له عیسی (صلی الله علیه) : بأکل و رزق و مدة تعمر عشرین سنة و تزوّج و یولد لک، قال، نعم إذا، قال: فدفعه عیسی إلی أمه فعاش عشرین سنة و ولد له» .

و فیه (1)، عن کتاب الاحتجاج للطبرسی رحمه الله عن أبی عبد الله علیه السّلام حدیث طویل یقول فیه علیه السّلام: «و قد رجع إلی الدنیا ممن مات خلق کثیر، منهم أصحاب الکهف أماتهم الله ثلاثمائة ثم بعثهم فی زمان قوم أنکروا البعث، لیقطع حجتهم و لیریهم قدرته، و لیعلموا أنّ البعث حق» . أقول: و فی تفسیر البرهان (2)، فی ذیل قوله تعالی فی سورة الکهف وَ تَحْسَبُهُمْ أَیْقٰاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ (3)، حدیث طویل عن ابن عباس فیه تصریح بقصة أصحاب الکهف، و أنه تعالی بعثهم بعد ما أماتهم، فراجع. هذه بعض الأحادیث الدالة علی الرجعة فی الأمم السابقة، و قد روی الفریقان أنّ ما وقع فی الإمام السابقة یقع فی هذه الأمه طابق النعل بالنعل.

ففی البحار (4)، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام بإسناده عن الحسن بن الجهم قال: قال المأمون للرضا علیه السّلام: یا أبا الحسن ما تقول فی الرجعة؟ فقال علیه السّلام: «إنها الحق قد کانت فی الأمم السابقة و نطق بها القرآن، و قد قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: یکون فی هذه

ص: 411

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 252.

2- 2) تفسیر البرهان ج 2 ص 460.

3- 3) الکهف:18.

4- 4) البحار ج 53 ص 59.

الأمة كل ما كان فی الأمم السابقة حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة، و قال صلّی الله علیه و آله: إذا خرج المهدی من ولدی نزل عیسی بن مریم علیه السّلام فصلی خلفه، و قال صلّی الله علیه و آله: إن الإسلام بدأ غریبا و سیعود غریبا فطوبی للغرباء! قیل: یا رسول الله ثم یکون ما ذا؟ قال: ثمّ یرجع إلی أهله» الخبر.

و قال المجلسی رحمه الله فیه (1): و قد صحّ عنهم (صلوات الله علیهم) أنّه: «کل ما کان فی بنی إسرائیل یکون فی هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة» . هذا من طریق الشیعة، و أما المخالف:

ففیه (2)، أما المخالف فروی الحمیدی فی الجمع بین الصحیحین عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «لتتبعنّ سنن من قبلکم شبرا بشبر و ذراعا بذراع، حتی لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم، قلنا، یا رسول الله الیهود و النصاری؟ قال: فمن؟» أقول فی الهامش أخرجه فی مشکاة المصابیح ص 458 و قال متّفق علیه.

و فیه و روی الزمخشری فی الکشاف عن حذیفة: «أنتم أشبه الأمم سمتا ببنی إسرائیل، لترکبن طریقهم حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة حتی إنّی لا أدری أ تعبدون العجل أم لا؟» . أقول: هذا بعض ما دلّ علی وقوع الرجعة، و لعمری إن ما یدل علیها کثیر، و قد دون فیها کتب و ذکروا فیها أحادیث و قضایا عجیبة تدل علیها، و کیف کان فمن وقوع هذه الرجعات فی الأمم السابقة یرفع الاستبعاد عنها بالنسبة إلی وقوعها بعد قیام الحجة (عج) . هذا و قد قیل: إن أدل دلیل علی إمکان الشیء وقوعه، فوقوع هذه الرجعات الثابتة بالآیات القرآنیة و الأحادیث المتواترة، بل و فوق التواتر المرویّة عنهم و عن

1- 1) البحار ج 53 ص 108.

2- 2) البحار ج 53 ص 140.

النبى صلّى الله علیه و آله أقوى دلیل و شاهد على إمكان وقوعها فى هذه الأمة. ثم إنه لا یفرق بین وقوع الرجعة بالنسبة إلى شخص أو أزید فى مدة قلیلة أو كثیرة، فإنه إذا أمكن وقوعها لا یفرق بین مصادیقها المختلفة. هذا و قد ثبت فى البیان العقلى أن حكم الأمثال فیما یجوز و ما لا یجوز سواء، و حیث إن المؤمن المصدق بالكتاب و السنة یعول فى أمور دینه علیها إذ هى المعول فى الدین، فلا بد لكل مسلم أن یعتقدها بعد ما ثبتت بالكتاب و السنة المتواترة كما لا یخفى. بقیت هنا شبهات عقلیة نذكرها إجمالا ثمّ نردّها: و لیعلم أولا أن جمیع ما ذكر فى إثبات المعاد فى الكتب الكلامیة یجرى فى إثبات الرجعة و الشبهات، التى ذكروها فى المعاد یجرى فى الرجعة، و الجواب عنها هنا هو الجواب عنها هناك إلاّ أنّا نذكر بعضها مع الجواب عنه فمنها: أن خلقة الإنسان فى الدنیا لها أسباب فمنها إنه لا بد من تكونه من عالم المنویّة كما صرّح به الآیات،

و قد اشتهر الحدیث من أنه أبى الله أن یجرى الأمور إلاّ بأسبابها، فحینئذ كیف یمكن رجوع أقوام من قبورهم بعد ما صاروا رفاتا من دون تناسل من الآباء و الأمهات؟ و الجواب عنها: أولا بالنقض: بخلقة آدم علیه السّلام حیث خلقه الله من غیر أب و أمّ، و بخلقة ناقة صالح من الجبل كما صرح به فى الأخبار، و بوقوع رجعة أقوام قد صرحت بها الآیات و الأحادیث المتقدمة و الآتیة، و قد تقدم أن أقوى أدلة على إمكان الشیء وقوعه. و ثانیا: بالحلّ و حاصله: أن الرجعة مجعولة بقدرة الله تعالى كما صرّح به الأحادیث المتقدمة من

قوله علیه السّلام: «تلك القدرة لا تنكرها» ،

و فى الزیارة الجامعة الصغیرة:

«لا أنكر لله قدرة، و لا أزعم إلاّ ما شاء الله»

، و قدرة الله تعالى و ظهورها فى الخارج و ظهور مقتضاها فیه قد یكون بالأسباب، كما هو الظاهر من كثیر منها،

و قد يكون بلا سبب، و الوجه فيه أن الأصل فى الخلقة مطلقا هو إرادته تعالى كما صرحت به الآية من قوله تعالى: إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فالمستفاد من هذه الآية المباركة إرادته تعالى هى الموجبة و السبب الوحيد لخلق الأشياء. و الأسباب إنما هى مظاهر لظهور القدرة، و ليست بحيث تحدد القدرة بحيث تنفى تأثيرها فى غير الأسباب. فللقدرة الإلهية مراتب فى الظهور منها ما يكون بالأسباب، و منها ما يكون بغيرها، على أنّ تحديد قدرته فى الأسباب نوع من إسناد العجز إليه تعالى، تعالى اللّه عنه و تقدس. و بعبارة أخرى: أنّ ذاته المقدسة بوحدتها سبب و علة للخلق، إلاّ أن مقتضاها لما كانت بحسب الأصل غير محدودة، و إذا أطلقت فى الخلق لاختلّ النظام الخلقى المحدود بالجهات الست، و الجهات الطبيعية و المادية، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يظهر قدرته بالأسباب، و فى الواقع و الحقيقة أن الأسباب المجعولة بقدرته تعالى كالمقيدات لمطلقات القدرة الإلهية حفظا لنظام الوجود، لا أنها علة تامة لخلقه، بل العلة هى القدرة بنفسها فقط، و حينئذ فالأسباب لا تحدد القدرة الإلهية، فلها أى للقدرة الإلهية أن تؤثر فى شىء بدون الأسباب المتداولة فى نوع ذلك الشىء، و هذا إذا اقتضته الحكمة الإلهية، و يستفاد من الآيات و الأحاديث بنحو الوضوح أن الحكمة الإلهية المقتضية لخلق بعض الأشياء كالرجعة مثلا إنما هى دفع ما توهمه المنكرون للبعث و الحشر و النشر. قال تعالى: وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ يُحْيِ اَلْعِظٰامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا اَلَّذِي أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (1)ثم إنه تعالى بيّن بأحسن

1- 1) يس:78 و 79.

بیان فی دفع کون الأسباب علة لوقوع المسببات، کما توهمه المنکرون للبعث، حیث إنهم یرون الأسباب علة للمسببات لما بینهما من السنخیّة، و قد آنس أذهانهم بهذه المناسبات حتی أنکروا قدرة اللّه فی غیرها، فرد اللّه علیهم بقوله تعالی: اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (1)أی انظروا کیف جعل اللّه تعالی من الشجر الأخضر الموجب للبرودة نارا، فالشجر الأخضر بمقتضی توهمهم یکون علة للبرودة لا للنار، مع أنه تعالی حصل منها النار، ردّا علی أن الأسباب لیست علة، بل العلة قدرته تعالی و إرادته، و هذا أدلّ علی أن القدرة تؤثر بغیر سبب، حیث إنه مع وجود سبب البرودة أثر القدرة الإلهیة فی تحقق النار، فهو أقوی فی تأثیر القدرة بدون سبب کما لا یخفی. و لعمری إن وقوع المسببات بدون السبب، و عدم وقوع المسببات مع وجود الأسباب بنحو الکمال فی الدنیا کثیرة، لا نذکره دفعا للإطالة، و لنعم ما قیل بالفارسیة: از سبب سازیش من سودائیم و از سبب سوزیش سوفسطائیم و قیل أیضا: شب تاریک و سنگستان و من مست قدح از دست من افتاد و نشکست نگهدارنده اش نیکو نگهداشت و گر نه صد قدح نفتاده بشکست و قیل: گر نگهدار من آنست که من میدانم شیشه را در بغل سنگ نگه میدارد و کیف کان فهذه الحکمة الإلهیة اقتضت علی أنه تعالی یخلق بعض الأشیاء

1- 1) یس:80.

بقدرته بدون الأسباب، بل فی ظرف تحقق سبب الضد کما علمت.

ففی تفسیر نور الثقلین (1)، عن تفسیر العیاشی عن الحلبی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: جاء أبیّ بن خلف فأخذ عظما بالیا من حائط ففتّه ثم قال: یا محمد إذا کنّا عظاما و رفاتا أ إنّا لمبعوثون خلقا فأنزل اللّه: مَنْ یُحْیِ اَلْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ. قُلْ یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ

(2)

و فی حدیث آخر فیه عن موسی بن جعفر عن أبیه عن آبائه عن الحسین بن علی علیه السّلام، «أن یهودیّا من یهود الشام و أحبارهم قال لأمیر المؤمنین علیه السّلام: فإنّ إبراهیم علیه السّلام قد بهت الذی کفر ببرهان علی نبوته، قال له علی علیه السّلام: لقد کان کذلک و محمد صلّی اللّه علیه و آله آتاه مکذّب بالبعث بعد الموت و هو أبیّ بن خلف الجمحی معه عظم نخر ففرکه ثم قال یا محمد: من یحیی العظام و هو رمیم؟ فأنطق اللّه محمدا بمحکم آیاته و بهته ببرهان نبوته فقال: یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ ، فأنصرف مبهوتا» .

و فیه عن احتجاج الطبرسی قال أبو محمد العسکری علیه السّلام: قال الصادق علیه السّلام: «و أما الجدال بالتی هی أحسن فهو ما أمر اللّه تعالی به نبیه أن یجادل به من جحد البعث بعد الموت و أحیاه له فقال حاکیا عنه: وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ یُحْیِ اَلْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ (3)، فقال اللّه فی الرد علیه: قُلْ یا محمد یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ. اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (4)فأراد من نبیه أن یجادل المبطل الذی قال کیف: یجوز أن یبعث هذه العظام و هی رمیم؟ قال: قُلْ یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ (5)أ فیعجز من ابتدأ به لا من شیء أن یعیده بعد أن یبلی، بل ابتداؤه أصعب عندکم من إعادته.

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 4 ص 394.
2- 2) یس:78.
3- 3) یس:78.
4- 4) یس:80.
5- 5) یس:80.

ثم قال: اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً أی إذا کمن النار الحارة فی الشجر الأخضر الرطب ثم یستخرجها، فعرفکم أنه علی إعادة من بلی أقدر» . أقول:

قوله علیه السّلام: «أصعب عندکم» ، أی عند المنکرین لقدرته علی البعث و إلاّ فهو عند أهل التوحید سواء. قوله علیه السّلام: «أی إذا کمن» ، یشیر إلی ما تقدم من أن قدرته تعالی هی السبب للخلق مطلقا لا الأسباب، فإنه تعالی کمن فی الشجر الأخضر النار بقدرته، فقد أخذ أثر الشجر الأخضر، و استخرج النار من الشجر الأخضر بقدرته، فهذه آیة منه تعالی علی قدرته علی إعادة من بلی، بل هو علیه أقدر بعدم معارضته بالسبب الضد، کما لا یخفی. و کیف کان فهو تعالی یکفی من کل شیء و لا یکفی منه شیء، أی أنّ المسببات لیست غنیّة عنه تعالی بوجود أسبابها، بل هی فی حال وجود أسبابها أیضا محتاجة إلیه تعالی، لیعلم أن العلة هو تعالی بنفسه، فإنه تعالی علم کلّه، قدرة کله، سمع کله، بصر کله، وجود کله، لم یزل و لا یزال کذلک، و لم یکن له ولی من الذل و کبّره تکبیرا، و هو متفرد بخلق ما خلق و صنع ما صنع بلا استعانة من غیره حتی بمثل الأسباب، بل علمت أنها مقیدات لمطلقات قدرته تعالی، فهی فی الحقیقة مانعة عن التأثیر و الخلق المطلق بحدودها لحکمة إلهیة، و هی حفظ النظام لا موجبة و علة لخلق المسبب بل هو مخلوقه تعالی بقدرته، و لا شریک له تعالی فی ذلک و لا ند له، و لا وزیر سبحانه و تعالی عما یشرکون، و بیده ملکوت کلّ شیء و إلیه ترجعون، و إنما خلق الصفات و الأسماء لمصالح اقتضتها الحکمة الإلهیة کما علمت و لا یختل بها تعالیه تعالی فی الفاعلیة التامة المستقلة، و هو فاعل ما یشاء من وراء هذه الحجب الأسمائیة و الأسباب، یفعل ما یشاء کیف یشاء من غیر استعانة بالأسباب، و هو الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنی، أ لا تری إلی خلقة آدم علیه السّلام من غیر أب و أم، و إلی إخراجه و إبدائه الناقة من الجبل لصالح علیه السّلام و إلی جعله عصا موسی

ثعبان و إلى جعله النار بردا و سلاما على إبراهيم، و إلى إنطاقه الحصى و الحبة و الشجر، و أثمار الشجر اليابس لمحمد و آله الطاهرين (صلوات الله عليهم) إلى ما شاء الله من إظهار الأشياء و خلقها بغير الترتيب الذى رتّبها عليه. و قد ظهر مما ذكر-و له الحمد-أنه تعالى هو الفاعل الوحيد بنفسه المقدسة للأمور فيما وراء هذه الحجب و الأسماء و الأسباب، و خلق هذه الحجب لحفظ نظام الوجود حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية، لا أن الأسباب دخيلة فى إيجادها، بل هو الموجد تعالى و لذا قد يوجد بلا هذه الأسباب، بل قد يوجد مع وجود ضدّها كما فى خلق البرودة فى النار. و لعمرى إن هذه الأمور مما يوجب الإذعان و التصديق بأن قدرته تعالى نافذة فى الأمور، و إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، دون غيره و بدون توقّف إلى سبب آخر، ثم إن الحكمة فى خلق بعض الأمور بدون تحقق الأسباب الظاهرية، قد علمت أنها هى الرد على منكرى البعث و ردعهم عن عقيدتهم الفاسدة، و أيضا أنها تكون لأجل الرد على من يزعم أن الأسباب هى التى تؤثر فى المسببات بالاستقلال، أو بحيث لو لم تكن لما أمكنه تعالى أن يخلق مسبب هذا السبب، فإن هذه العقيدة شرك محض به تعالى، كما لا يخفى. فاقتضت الحكمة الإلهية على أن يخلق بعض الأمور بغير سببها دفعا لهذا التوهم الفاسد، كما لا يخفى على العارف بأسمائه تعالى و صفاته الذاتية. ثم إنه لا بد للمؤمن أن يعتبر من هذه الأمور و يحصل له اليقين بالرجعة و بقدرته تعالى، و لا ينكرها كما نهينا عنه فى الأحاديث المتقدمة، فالاعتبار بهذه الأمور يوجب حصول اليقين للإنسان العارف المتنبّه. و لعمرى إن الموجودين فى زمان الرجعة لما رأوها حصل لهم اليقين بقدرته تعالى، و فازوا بالمعرفة الكاملة بالنسبة إليه تعالى. و أما نحن فمن بصره الله تعالى فيحصل له أيضا هذا اليقين من النظر فى هذه الآيات و الأخبار.

هذا

و قد روی عن الرضا علیه السّلام فیما رأیت فی سالف الزمان أن القرآن هو الیقین. أقول: أی موجب للیقین، فمن تیقّن به بالنسبة إلی هذه الأمور فهو من المؤمنین الکاملین. و قد دل القرآن علی أنه برهان و نور و هدی للمتقین و المؤمنین، کما لا یخفی. و هذا هو الذی کان لجابر رحمه الله

ففی البحار (1)، عن رجال الکشی بإسناده عن محمد بن مسلم و زرارة قالا: سألنا أبا جعفر علیه السّلام عن أحادیث نرویها عن جابر، فقلنا: ما لنا و لجابر؟ فقال: «بلغ من إیمان جابر أنه کان یقرأ هذه الآیة إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ (2)» . أقول: أی یعلم معناه.

ففیه (3)، عن زرارة عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «جابر یعلم قول الله عز و جل: إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ » . أقول: و معنی أنه یعلم معناه، أی یعلم أنها تشیر إلی الرجعة و أنه متیقّن بها.

ففیه (4)، عن منتخب البصائر بإسناده، عن أبی مروان قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول الله عز و جل: إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ قال: فقال لی: «لا و الله، لا تنقضی الدنیا و لا تذهب حتی یجتمع رسول الله صلّی الله علیه و آله و علی بالثویة فیلتقیان و یبنیان بالثویة مسجدا له اثنا عشر ألف باب، یعنی موضعا بالکوفة» . أقول: هذا تفسیر للثویّة.

و فی حدیث آخر قبل هذا فی ذیله بعد ذکر الآیة، فقال أبو جعفر علیه السّلام: «ما أحسب نبیکم صلّی الله علیه و آله إلاّ سیطّلع علیکم اطلاعة» .

1- 1) البحار ج 53 ص 121.

2- 2) القصص:85.

3- 3) البحار ج 53 ص 121.

4- 4) البحار ج 53 ص 113.

أقول: فجابر علم هذا المعنى من الآية المباركة من علمهم عليهم السّلام.

ففيه عن كتاب صفات الشيعة للصدوق رحمه الله و روى أيضا عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السّلام قال: «من أقرّ بتوحيد الله، و ساق الكلام. . إلى أن قال: و أقرّ بالرجعة و المتعتين و آمن بالمعراج و المساءلة فى القبر، و الحوض و الشفاعة، و خلق الجنة و النار، و الصراط و الميزان، و البعث و النشور، و الجزاء و الحساب، فهو مؤمن حقا و هو من شيعتنا أهل البيت» .

و فيه (1)، عن الفقيه: قال الصادق عليه السّلام: «ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا، و لم يستحلّ متعتنا» . أقول: قد علمت أن الحكمة فى الرجعة بالنسبة إلى الأمم السالفة و هذه الأمة. و فى خلق الأشياء بلا سبب الأمران المتقدمان من ردّ من أنكر البعث، و ردّ من توهم أن الأسباب هى العلة للمسببات بحيث لا يمكن تأثير قدرته تعالى على المسبّب فى غير وجود سببه، و لكنه قد ذكر أيضا للرجعة حكم أخرى و حاصلها أمور: منها: أن لله تعالى الأسماء الحسنى و مظاهرها النبيون و الأئمة و من تبعهم من المؤمنين و مظاهرها كلها نور، و خلق تعالى فى قبالها الأسماء الظلمانية قال تعالى: جَعَلَ اَلظُّلُمٰاتِ وَ اَلنُّورَ (2). و الأسماء الظلمانية مظاهرها ظلمانية من العلم و اليقين و المعرفة، و مظاهرها الكفار و أئمة الضلال، و لا بد لكل من الطائفتين من ظهور فى الدنيا و دولة. و من المعلوم أن الدنيا إلى قيام الحجة، تكون الأسماء الحسنى بما لها من المظاهر من الأنبياء و النبى الأعظم و الأئمة عليهم السّلام و أشياعهم مغلوبين مقهورين مقتولين، بحيث لا يقدرون على إظهار عقائدهم كما هو حقها، و إجراء أحكام الدين كما أنزلها

1- 1) البحار ج 53 ص 92.

2- 2) الأنعام:1.

الله تعالى، و حينئذ نقول: لو لم تكن رجعة لزم عدم ظهور كمال خلق الأسماء الحسنى، و ما لها من المظاهر من الأنبياء و الأئمة و أشياعهم، فإنهم و إن أظهروا الحق بالبراهين الساطعة إلاّ أنه لم تقع فى الخارج مقاصدهم الكاملة، و لم يظهر دين الله بنحو الشمول، و عدم هذا الظهور الكامل نحو من العبث فى الخلقة، تعالى الله عن ذلک، فلا بد من الرجعة، لكى تتم كمالات الدين و يظهر الحق كما هو حقه. و لعل إليه تشير أحاديث منها ما

فى البحار (1)، بإسناده، عن الحسن بن شاذان الواسطى قال: كتبت إلى أبى الحسن الرضا عليه السّلام أشكو جفاء أهل واسط و حملهم علىّ، و كانت عصابة من العثمانية تؤذينى، فوقّع بخطه: «إن الله جل ذكره أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر فى دولة الباطل، فاصبر لحكم ربّک، فلو قد قام سيد الخلق لقالوا: يٰا وَيْلَنٰا مَنْ بَعَثَنٰا مِنْ مَرْقَدِنٰا هٰذٰا مٰا وَعَدَ اَلرَّحْمٰنُ وَ صَدَقَ اَلْمُرْسَلُونَ (2)» ، فيستفاد منه أن الدولة قبل قيام سيد الخلق تكون دولة الباطل و بعده تكون دولة الحق و يظهر الحق، و يضمحل الباطل و أهله بحيث يقولون يا ويلنا، و لعل فيه إشارة إلى الرجعة أيضا مضافا إلى قيامه، كما لا يخفى. و إلى هذا أيضا يشير ما سيجىء

من رواية جابر عن الصادق عليه السّلام، و فى ذيلها: «و حتى يبعثه الله علانية فتكون، عبادته علانية فى الأرض كما عبد الله سرّا فى الأرض» الحديث. و منها: إنجاز ما وعد الله المؤمنين من الأنبياء و المرسلين خصوصا نبينا صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام و أشياعهم بقوله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا (3)الآية.

ففى تفسير البرهان (4)، المفيد من إرشاده عن عثمان بن أبان، عن أبى الصباح

1- 1) البحار ج 53 ص 89.
2- 2) يس:51.
3- 3) القصص:5.
4- 4) تفسير البرهان ج 3 ص 218.

الکنانی، قال: نظر أبو جعفر إلی أبی عبد الله علیه السّلام فقال: «تری هذا؟ هذا من الذین قال الله عز و جل: وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی اَلَّذِینَ اُسْتُضْعِفُوا فِی اَلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوٰارِثِینَ (1)» .

و فیه: الطبرسی قال: صحّت الروایة عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال: «و الذی فلق الحبة و برئ النسمة لتعطفنّ علینا الدنیا بعد شماسها عطف الضروس علی ولدها، و تلا عقیب ذلک: وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی اَلَّذِینَ اُسْتُضْعِفُوا فِی اَلْأَرْضِ الآیة، و بقوله تعالی: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ (2)الآیة» .

ففیه (3)، محمد بن یعقوب بإسناده عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله جل جلاله: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی اَلْأَرْضِ کَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ (4)قال «هم الأئمة علیهم السّلام» .

و فیه، عن محمد بن إبراهیم النعمانی عن أبی بصیر عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: وَعَدَ اَللّٰهُ الآیة، قال: «القائم و أصحابه» .

و فیه، محمد بن العباس بإسناده إلی عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله عز و جل: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی اَلْأَرْضِ کَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قال: «نزلت فی علی بن أبی طالب و الأئمة من ولده علیهم السّلام، وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ اَلَّذِی اِرْتَضیٰ لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً (5)قال: عنی به ظهور القائم (عج)» .

و فی البحار (6)، عن مجالس المفید بإسناده إلی عبایة الأسدی قال: سمعت

1- 1) القصص:5.

2- 2) النور:55.

3- 3) تفسیر البرهان ج 3 ص 146.

4- 4) النور:55.

5- 5) النور:55.

6- 6) البحار ج 53 ص 76.

عليا عليه السّلام يقول: «أنا سيد الشيب و فىّ سنّة من أيوب، و الله ليجمعنّ الله لى أهلى كما جمعوا ليعقوب» .

و فيه (1)، عن تفسير على بن إبراهيم: أبى، عن ابن أبى عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ (2)قال: «ما بعث الله نبيّا من لدن آدم إلاّ و يرجع إلى الدنيا فينصر أمير المؤمنين» . و قوله: «لتؤمننّ به» ، يعنى رسول الله صلّى الله عليه و آله، «و لتنصرنّه» ، يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فيه (3)، عن منتخب البصائر بإسناده، عن فيض بن أبى شيبة، قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: و تلا هذه الآية: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ (4)الآية، قال: «ليؤمننّ برسول الله صلّى الله عليه و آله، و لينصرنّ عليّا أمير المؤمنين عليه السّلام، قلت: و لينصرنّ أمير المؤمنين عليه السّلام؟ قال عليه السّلام: نعم و الله من لدن آدم فهلمّ جرّا، فلم يبعث الله نبيا و لا رسولا إلاّ ردّ جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدى على بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه السّلام» . فدلّت هذه الآيات و الأحاديث و نظائرها الكثيرة على أنه تعالى سينجز ما وعده لهم من استخلافهم فى الأرض و يمكّننهم من دينهم الذى ارتضى لهم، و لينصرنّهم الأنبياء السابقون. و معلوم أن إنجاز هذا الوعد لا يكون إلاّ فى الرجعة كما لا يخفى، و منه يظهر إنجازه تعالى ما وعده للمؤمنين.

ففيه (5)، عن منتخب البصائر: سعد، عن اليقطينى، عن القاسم، عن جده

1- 1) البحار ج 53 ص 61.

2- 2) آل عمران:81.

3- 3) البحار ج 53 ص 41.

4- 4) آل عمران:81.

5- 5) البحار ج 53 ص 44.

الحسن، عن أبی إبراهیم علیه السّلام قال: «لترجعنّ نفوس ذهبت، و لیقتصنّ یوم یقوم، و من عذّب یقتصّ بعذابه، و من أغیظ أغاظ بغیظه، و من قتل اقتصّ بقتله، و یردّ لهم أعداؤهم معهم، حتی یأخذوا بثأرهم، ثمّ یعمروا بعدهم ثلاثین شهرا ثم یموتوا فی لیلة واحدة قد أدرکوا ثأرهم، و شفوا أنفسهم، و یصیر عدوّهم إلی أشد النار عذابا، ثم یوقفوا بین یدی الجبار عز و جل فیؤخذ لهم بحقوقهم» .

و فیه عنه بهذا الإسناد عن الحسن بن راشد، عن محمد بن عبد الله بن الحسین قال: دخلت مع أبی علی أبی عبد الله علیه السّلام فجری بینهما حدیث، فقال أبی لأبی عبد الله علیه السّلام: ما تقول فی الکرّة؟ قال: «أقول فیها: ما قال الله عز و جل و ذلک أن تفسیرها-أی الکرّة- صار إلی رسول الله قبل أن یأتی هذا الحرف بخمس و عشرین لیلة قول الله عز و جل: تِلْکَ إِذاً کَرَّةٌ خٰاسِرَةٌ (1)، إذا رجعوا إلی الدنیا و لم یقضوا حولهم، فقال له أبی: یقول الله عز و جل: فَإِنَّمٰا هِیَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ. فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَةِ (2)أی شیء أراد بهذا؟ فقال: إذا انتقم منهم و باتت بقیة الأرواح ساهرة لا تنام و لا تموت» . أقول: الذحول جمع الذّحل و هو طلب الثار، و ظاهره أنّ المراد من الکرّة هو الکرّة فی الرجعة، و کونها خاسرة أی ذات خسران أو خاسر أصحابها، و المعنی أنهم حینئذ ذاک خاسرون، لتکذیبهم الأنبیاء و الرسل و الولایة أو الرجعة. قوله تعالی: فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَةِ أی الحالة الساهرة، و هی حالة العذاب الروحی المفسر فی

قوله علیه السّلام: «لا تنام و لا تموت» . و هذه حالة صعبة علی الروح جدا، ثم إن للآیات القرآنیة مصادیق کهذه الآیة فللکرة مصادیق: منها الرجعة و منها القیامة، فإن ألفاظ القرآن بل مطلقا موضوعة للمعانی العامة کما حقق فی محله.

1- 1) النازعات:12.

2- 2) النازعات:13 و 14.

ففی تفسیر البرهان (1)، محمد بن العباس بإسناده إلی جابر بن یزید عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «الکرّة المبارکة النافعة لأهلها یوم الحساب ولایتی و اتّباع أمری، و ولایة علی و الأوصیاء من بعده، و الکرة الخاسرة عداوتی و ترک أمری، و عداوة علی و الأوصیاء من بعده، یدخلهم الله بها النار فی أسفل السافلین» . أقول: هذه الروایة الشریفة تفسّر الکرّة الخاسرة و إن کانت فی الرجعة کما لا یخفی. و کیف کان فهذه الأحادیث دلّت علی أن الله تعالی یبعث المؤمنین فی الکرّة، لیقضوا ثارهم من أعدائهم، بل المستفاد من الأحادیث أنه لا بد لکلّ مؤمن من الموت أو القتل، فمن مات یرجع حتی یقتل، و من قتل یرجع حتی یموت بأجله.

ففی البحار عن منتخب البصائر، سعد عن ابن أبی الخطاب، عن أبی خالد القمّاط، عن عبد الرحمن القصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قرأ هذه الآیة: إِنَّ اَللّٰهَ اِشْتَریٰ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ ، فقال: «هل تدری من یعنی؟ فقلت: یقاتل المؤمنون فیقتلون و یقتلون، فقال: لا، من قتل من المؤمنین ردّ حتی یموت، و من مات ردّ حتی یقتل، و تلک القدرة فلا تنکرها» .

و فیه (2)عنه بإسناده، عن جابر بن یزید، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إنّ لعلی علیه السّلام فی الأرض کرّة مع الحسین ابنه (صلوات الله علیهما) یقبل برایته، حتی ینتقم له من بنی أمیة و معاویة و من شهد حربه، ثم یبعث الله إلیه بأنصاره یومئذ من أهل الکوفة ثلاثین ألفا، و من سایر الناس سبعین ألفا، فیلقاهم بصفّین مثل المرة الأولی حتی یقتلهم، و لا یبقی لهم مخبرا، ثم یبعثهم الله عز و جل فیدخلهم أشد عذابه مع فرعون و آل فرعون، ثم کرّة أخری مع رسول الله صلّی الله علیه و آله حتی یکون خلیفة فی الأرض،

1- 1) تفسیر البرهان ج 4 ص 425.
2- 2) البحار ج 53 ص 74.

و تکون الأئمة علیهم السّلام عمّاله، و حتی یبعثه الله علانیة، فتکون عبادته علانیة فی الأرض کما عبد الله سرّا فی الأرض. ثم قال: أی و الله و أضعاف ذلک، ثم عقد بیده أضعافا، یعطی الله نبیّه صلّی الله علیه و آله ملک جمیع أهل الدنیا منذ یوم خلق الله الدنیا إلی یوم یفنیها، حتی ینجز له موعوده فی کتابه کما قال: لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ . أقول: یستفاد من هذه الأحادیث أن الحکمة فی الرجعة أیضا هو إنجاز ما وعد الله النبی و الأئمة (علیه و علیهم السّلام) و المؤمنین النصرة علی أعدائهم و تمکنهم فی الأرض بحیث لا یبقی إلاّ الدین الحق.

ففی البحار (1)، عن تفسیر فرات بن إبراهیم، معنعنا عن ابن عباس ، فی قوله تعالی: وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا ، قال: «یعنی الأئمة منّا أهل البیت یملکون الأرض فی آخر الزمان فیملئونها عدلا و قسطا» .

و فیه (2)، مما رواه عن علی بن موسی بن طاووس تحت رقم 15 بإسناده عن صالح بن میثم، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قلت له: حدثنی، قال: «أ لیس قد سمعت أباک؟ قلت: هلک أبی و أنا صبی، قال: قلت: فأقول: فإن أصبت سکت، و إن أخطأت رددتنی عن الخطإ قال: هو أهون، قال: قلت: فإنی أزعم أنّ علیّا دابة الأرض، قال: و سکت، قال: و قال أبو جعفر علیه السّلام و أراک و الله ستقول: أنّ علیا راجع إلینا و قرأ: إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ قال: قلت: و الله قد جعلتها فیما أرید أن أسألک عنها فنسیتها، فقال أبو جعفر علیه السّلام: أ فلا أخبرک بما هو أعظم من هذا؟ وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّةً لِلنّٰاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً لا تبقی أرض إلاّ نودی فیها بشهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمدا رسول الله صلّی الله علیه و آله و أشار بیده إلی آفاق الأرض» .

1- 1) البحار ج 53 ص 118.
2- 2) البحار ج 53 ص 113.

هـذا بعض الأحاديث المبيّنـة لحكمـة الرجعـة، و لعلک تسـمع فيما نذكره من أخبار الباب ما يبيّن لک الحكمة فيها إن شاء الله. تتمة: قال بعض الأعلام ما حاصـله: و اعلم أن للمخالفين شبهات ركيكة فی الرجعة. منها: أنها لو كانت حقا، فما الذی يمنع من توبة يزيد و الشمر و ابن ملجم فيهـا و يرجعون عن كفرهم و ضـلالهم، فلا يجوز حينئـذ لعنهم؟ و الجواب عنه تارة بأنه لما ورد عن أئمـة الـدين عليهم السّـلام لعنهم، علمنا أنهم لا يختارون الإيمان، و أنهم ممن قال الله تعالی فيهـم: وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ اَلْمَلائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ اَلْمَوْتیٰ وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ (1)أی إلاّ أن يحثهم الله و يلزمهم بالإيمـان، فـإنه قـادر عليه، و أمـا هـم فبطبيعتهم لا يختارون الإيمان مع مشاهـدة تلک الآيات الإلهيـة. أقول: قـد علمت و تعلم أحاديث كثيرة دلّت علی أن القائم (عـج) و الأئمـة عليهم السّـلام بعد الرجعـة يقاتلون أعداء الله مع ظهور دلائل الحق و آياته لهم، فيكشف منه أنه إنما يرجعون إلی الدنيا لتقتصّ منهم كما علمت، و هذا بعد ما رسخوا فی الضلالة بحيث لا يرجعون إلی قبول الحق، و لذا دلّت أحاديث كثيرة كما نذكرها علی أنه إنما يرجع من محض الإيمان محضا و من محض الكفر محضا. و من المعلوم أن من محض الكفر محضا لا يكاد يتوب و يقبل الإيمان، لرسوخ الكفر و النفاق فی ذاته، كما حقق فی محله فی مسألة خلود أهل النار فيها، كما لا يخفی.

و فی البحار (2): و قال الشيخ أمين الدين الطبرسی: فی قوله تعالی: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أی: وجب العذاب و الوعيد عليهم. و قيل معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم.

ص: 427

1- 1) الأنعام:111.

2- 2) البحار ج 53 ص 124.

و قیل: إذا غضب الله علیهم. و قیل: إذا نزل العـذاب بهم عنـد اقتراب الساعة، أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ (1)، تخرج بین الصفا و المروة، فتخبر المؤمن بأنه مؤمن، و الکافر بأنّه کافر، و عنـد ذلک یرتفع التکلیف، و لا تقبل التوبة و هو علم من أعلام الساعة. و قیل: لا یبقى مؤمن إلاّ مسـحته، و لا یبقى منافق إلاّ خطمته تخرج لیلة جمع، و الناس یسیرون إلى منى، عن ابن عمر. فالمستفاد من هذا الکلام، أن وقوع القول علیهم هو إشارة إلى اسـتحقاقهم العذاب، حیث صاروا لا یفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم، فإن المستفاد من الآیات و الأحادیث، أن سنّة الله تعالى اقتضت أن لا یعذّب أحدا و فیه إمکان من نفسه للتوبة، فإذا علم الله تعالى أنه صار بحیث لا یفلح أبدا، کما علم ذلک من قوم نوح حیث قال فی حقهم: رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَى اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْکٰافِرِینَ دَیّٰاراً (2)، فإنه إقرار منه على أنهم کفّار و لـذا قال: . . وَ لاٰ یَلِدُوا إِلاّٰ فٰاجِراً کَفّٰاراً (3)، فإنه حینئـذ یعـذّبهم، و حال هـذه الأشـخاص فی الرجعـة هکذا، کما هم کذلک فی القیامة، و لله العالم. و أخرى یجاب عنها بأن الله تعالى إذا ردّ الکافرین فی الرجعـة للانتقام منهم، لا یقبل لهم توبة، کما دلّت الأحادیث الواردة فی قوله تعالى: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً (4)، إن هذه عند ظهور القائم (عج) فإنه إذا تاب المخالف لم تقبل توبته. و ستأتی أحادیثه. و أوردوا أیضا بأنه کیف یعود الکفار و المخالفین إلى طغیانهم بعد الرجعة و قد عاینوا عذاب الله؟

1- 1) النمل:82.

2- 2) نوح:26.

3- 3) نوح:27.

4- 4) الأنعام:158.

و الجواب: ما تقدم من أنه لو لا قد أخبر الله عنهم أنهم ما كانوا ليؤمنوا كما تقدم-و ثانيا أنهم إذا رجعوا فرضا لم تقبل توبتهم كما تقدم-و ثالثا أنه تعالى قد أخبر عنهم لا يؤمنون و إن عاينوا العذاب كما قال تعالى تارة فى حقهم فَلَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا قٰالُوا آمَنّٰا (1)و قال أيضا فى حقهم: يٰا لَيْتَنٰا نُرَدُّ وَ لاٰ نُكَذِّبَ بِآيٰاتِ رَبِّنٰا وَ نَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (2)، فقال تعالى فى الردّ عليهم: بَلْ بَدٰا لَهُمْ مٰا كٰانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعٰادُوا لِمٰا نُهُوا عَنْهُ (3)فدلّت هذه الآية على إمكان أنهم لا يؤمنون بل على وقوعه إن ردّوا، و لا يفرق بين أن يردّوا فى الرجعة أو فى القيامة لوحدة الملاك كما لا يخفى. ثمّ إن هناك ردّا و إيرادا على القول بالرجعة على المخالفين، و قد ذكر ما قيل أو ما يمكن أن يقال فى أمر الرجعة فى الكتب المدوّنة فى الرجعة، و منها البحار فإنه رحمه الله ذكر أقوال المخالفين و أدلّتهم و أجاب عنها بما أجاب به القدماء من الأصحاب (رضوان الله تعالى عليهم) فمن أراد الاطلاع إليها فليراجعه و الحمد لله وحده.

الجهة الثالثة: فى الآيات و الأحاديث الواردة فى الرجعة تصريحا أو تأويلا منهم عليهم السّلام بها،

و هى تحت عناوين قد علمت بعضها من الأحاديث المتقدمة و نحن نذكرها إجمالا: فمنها: ما تقدم من الحديث فى قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ (4)الدال على رجوع الأنبياء جميعهم لنصرة أمير المؤمنين عليه السّلام. و منها: ما ورد فى قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً (5).

1- 1) غافر:84.

2- 2) الأنعام:27.

3- 3) الأنعام:28.

4- 4) آل عمران:81.

5- 5) النمل:83.

ففى البحار (1)، عن تفسير على بن إبراهيم، أبى عن ابن أبى عمير عن حمّاد، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما يقول الناس فى هذه الآية وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً ، قلت: يقولون: إنها فى القيامة، قال: «ليس كما يقولون، إن ذلک فى الرجعة، أ يحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجا و يدع الباقين؟ إنما آية القيامة، قوله: وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (2)» و مثله أحاديث أخر و هذه الآية، صريحة فى الرجعة كما لا يخفى. و منها: ما ورد فى قوله تعالى: وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِيلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّٰا يَجْمَعُونَ (3).

ففى البحار (4)، عن منتخب البصائر بإسناده، عن جابر بن يزيد، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سأل عن قول الله عز و جل: وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِيلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ ، فقال: «يا جابر أ تدرى ما سبيل الله؟ قلت: لا و الله إلاّ إذا سمعت منک، فقال: القتل فى سبيل على عليه السّلام و ذريته، فمن قتل فى ولايته قتل فى سبيل الله، و ليس أحد يؤمن بهذه الآية إلاّ و له قتلة و ميتة، إنه من قتل ينشر حتى يموت، و من مات ينشر حتى يقتل» . و منها: ما

فى البحار (5)، عن منتخب البصائر بإسناده، إلى جابر بن يزيد، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله عز و جل: يٰا أَيُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ يعنى بذلک محمدا صلّى الله عليه و آله و قيامه فى الرجعة ينذر فيها، و قوله: إِنَّهٰا لَإِحْدَى اَلْكُبَرِ. نَذِيراً (6)، يعنى محمدا صلّى الله عليه و آله نذيرا للبشر، فى الرجعة، و فى قوله: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ كَافَّةً

1- 1) البحار ج 53 ص 60.
2- 2) الكهف:47.
3- 3) آل عمران:157.
4- 4) البحار ج 53 ص 40.
5- 5) البحار ج 53 ص 42.
6- 6) المدّثّر:36 و 37.

لِلنّٰاسِ

(1)

فى الرجعة.

و فيه عنه بهذا الإسناد، عن أبى جعفر عليه السّلام أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يقول: إن المدّثّر هو كائن عند الرجعة، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أ حياة قبل القيامة ثم موت؟ قال: فقال له عند ذلك: «نعم و الله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشدّ من كفرات قبلها» . أقول: أحد معانى الكفر بمعنى الذلّة و الخضوع كما

فى الحديث: «ما من يوم إلاّ و كلّ عضو من أعضاء الجسد يكفّر للسان» ، أى يذلّ و يخضع له يقول نشدتک الله أن أعذب فيک. و على هذا

فقوله عليه السّلام: «نعم و الله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشدّ من كفرات قبلها» المراد من الكفر، أهل الكفر و من الكفرة و الكفرات هو الذلّة و الخضوع، أى يكون لأهل الكفر ذلّة و خضوع أشدّ مما كان لهم قبل الرجعة و فى صدر الإسلام، (و الله العالم لمراد وليّه روحى له الفداء) ، و يؤيده بل يدل على هذا ما

فيه (2)عن منتخب البصائر بإسناده إلى أبى عبد الله عليه السّلام فى قول الله عز و جل: يَوْمَ هُمْ عَلَى اَلنّٰارِ يُفْتَنُونَ (3). قال: يكسرون فى الكرّة كما يكسر الذهب حتى يرجع كل شىء إلى شبهه يعنى إلى حقيقته. أقول: و سيأتى تحقيق لهذا الحديث الشريف فى تتمة البحث، و تقدم حديث أبى إبراهيم عليه السّلام الدال على هذا.

و فيه (4)بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمى عن أبيه، قال: سألت أبا

1- 1) سبأ:28.
2- 2) البحار ج 53 ص 44.
3- 3) الذاريات:13.
4- 4) البحار ج 53 ص 45.

عبد الله علیه السّلام عن قول الله عز و جل: إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيٰاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً (1)فقال: «الأنبياء رسول الله و إبراهيم و إسماعيل و ذريته، و الملوک الأئمة علیهم السّلام. قال: فقلت: و أیّ ملک أعطیتم؟ فقال: «ملک الجنة، و ملک الکرّة» . أقول: و إلی هذا الملک یشیر

ما رواه فیه عنه بعده، بإسناده عن المعلّی بن خنیس، قال: قال لی أبو عبد الله علیه السّلام: «أول من یرجع إلی الدنیا، الحسین بن علی علیه السّلام فیملک حتی یسقط حاجباه علی عینیه من الکبر، قال: فقال أبو عبد الله علیه السّلام فی قول الله عز و جل: إِنَّ اَلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّكَ إِلىٰ مَعٰادٍ (2)، قال: «نبیّکم راجع إلیکم» .

و فیه (3)، عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده إلی معاویة بن عمّار، قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: قول الله: فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً (4)، قال: «هی و الله للنصاب قال: جعلت فداک قد رأیناهم دهرهم الأطول فی کفایة حتی ماتوا؟ قال: ذاک و الله فی الرجعة، یأکلون العذرة» .

و فیه (5)عن تفسیر علی بن إبراهیم قوله: وَ حَرٰامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَنَّهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (6)فإنه حدثنی أبی، عن ابن أبی عمیر، عن ابن سنان، عن أبی بصیر و محمد بن مسلم، عن أبی عبد الله و أبی جعفر علیه السّلام قال: «کلّ قریة أهلک الله أهله بالعذاب لا یرجعون فی الرجعة» فهذه الآیة من أعظم الدلالة فی الرجعة لأن أحدا من أهل الإسلام لا ینکر أنّ الناس کلّهم یرجعون إلی القیامة، من هلک و من لم یهلک، فقوله: لاٰ يَرْجِعُونَ ، عنی فی الرجعة، فأما إلی القیامة یرجعون حتی

1- 1) المائدة:20.

2- 2) القصص:85.

3- 3) البحار ج 53 ص 51.

4- 4) طه:124.

5- 5) البحار ج 53 ص 52.

6- 6) الأنبياء:95.

يدخلوا النار.

و فيه (1)عنه، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله: وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ اَلْأُولیٰ (2)، قال: «یعنی الکرّة هی الآخرة للنبی صلّی الله علیه و آله، قلت: قوله: وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ (3)قال: یعطیک من الجنة فترضی» .

و فیه (4)عن کنز الفوائد، روی الحسن بن أبی الحسن الدیلمی بإسناده إلی محمد بن علی عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله عز و جل: أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِیهِ (5)، قال: «الموعود علی بن أبی طالب وعده الله أن ینتقم له من أعدائه فی الدنیا، و وعده الجنة له و لأولیائه فی الآخرة» .

و فیه (6)عن کنز جامع الفوائد بإسناده، عن سلیمان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: یَوْمَ تَرْجُفُ اَلرّٰاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا اَلرّٰادِفَةُ (7)قال: «الراجفة حسین بن علی علیه السّلام فی خمسة و سبعین ألفا و هو قوله تعالی: إِنّٰا لَنَنْصُرُ رُسُلَنٰا وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا فِی اَلْحَیٰاةِ اَلدُّنْیٰا وَ یَوْمَ یَقُومُ اَلْأَشْهٰادُ. یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ اَلظّٰالِمِینَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اَللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ اَلدّٰارِ (8)» .

و فیه (9)عن تفسیر علی بن إبراهیم:

رَبَّنٰا أَمَتَّنَا اِثْنَتَیْنِ وَ أَحْیَیْتَنَا اِثْنَتَیْنِ

(10)

إلی قوله من سبیل، قال الصادق علیه السّلام ذلک فی الرجعة.

ص: 433

1- 1) البحار ج 53 ص 59.
2- 2) الضحی:4-5.
3- 3) الضحی:5.
4- 4) البحار ج 53 ص 76.
5- 5) القصص:61.
6- 6) البحار ج 53 ص 106.
7- 7) النازعات:6-7.
8- 8) الغافر:51-52.
9- 9) البحار ج 53 ص 56.
10- 10) غافر:11.

أقول: الأخبار الدالـة على الرجعـة بعناوينها المختلفة كثيرة جدا، و فيما ذكرناه كفاية لمن استبصـر، و لعمرى إنها من الأمور المحتومة التى هى من ضروريات الدين بحيث

قـد سـمعت أنه عليه السّـ لام قال: «ليس منا من لم يؤمن برجعتنا و متعتنا» و فى حديث «بشـفاعتنا» ، و هى ثابتة بالآيات و الأحاديث و قد علمت أن العقـل لاـ يأبـاه و أنّ الشـبهات التى ذكروها لا تنهض دليلا فى قبال قـدرته تعالى على ذلک و علمت جوابها، فهى ثابتـة كثبوت القيامة عند أولى الألباب و المعتقدين بولاية محمد و آله الطاهرين.

و هاهنا فوائد:

الفائدة الأولى: قد تكرر ذكر دابة الأرض فى الأحاديث،

و أنّ المراد منها هو أمير المؤمنين عليه السّلام و قد فسرها بعضهم بغيره، فلا بد من ذكر أحاديث الباب ثم بيان المراد منها، فنقول:

ففى البحار (1)، عن تفسير على بن إبراهيم، أبى، عن ابن أبى عمير عن أبى بصـير، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «انتهى رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى أمير المؤمنين عليه السّـ لام و هو نائم فى المسـجد قـد جمع رملا و وضع رأسه عليه، فحرّكه برجله. ثم قال: قم يا دابة الله، فقال رجل من أصـحابه: يا رسول الله أ نسمّى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟ فقال: لا و الله ما هو إلاّ له خاصّة، و هو الدابة التى ذكر الله فى كتابه: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ (2). ثم قال: يا على إذا كان آخر الزمان أخرجك الله فى أحسن صورة، و معک ميسم تسم به أعداءک. فقال الرجل لأبى عبد الله عليه السّلام: إن العامة يقولون: هذه الآية إنما تكلمهم؟ فقال

1- 1) البحار ج 53 ص 52.

2- 2) النمل:82.

أبو عبد الله: كلمهم الله فى نار جهنم إنما هو تكلّمهم من الكلام، و الدليل على أن هذا فى الرجعة قوله: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُ قٰالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيٰاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهٰا عِلْماً أَمّٰا ذٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (1)قال الآيات أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السّلام. فقال الرجل لأبى عبد الله عليه السّلام: إنّ العامة تزعم أن قوله: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً عنى فى القيامة، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: فيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجا و يدع الباقين، لا و لكنه فى الرجعة، و أما آية القيامة وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (2).

حدثنى أبى قال: حدثنى ابن أبى عمير، عن المفضّل، عن أبى عبد الله عليه السّلام قوله: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً قال: «ليس أحد من المؤمنين قتل إلاّ يرجع حتى يموت، و لا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا. قال أبو عبد الله عليه السّلام: قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان آية فى كتاب الله قد أفسدت قلبى و شككتنى؟ قال عمار: و أيّة آية هى؟ قال: قول الله: وَ إِذٰا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ (3)فأيّة دابة هذه؟ قال عمار: و الله ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين و هو يأكل تمرا و زبدا، فقال يا أبا اليقظان هلّم، فجلس عمار و أقبل يأكل معه، فتعجّب الرجل منه، فلمّا قام عمار قال الرجل: سبحان الله يا أبا اليقظان، حلفت أنّك لا تأكل و لا تشرب و لا تجلس حتى ترينيها؟ قال عمار: قد أريتكها إن كنت تعقل» .

و فيه عن منتخب البصائر من كتاب سليم بن قيس الهلالى (رحمة الله عليه)

ص: 435

1- 1) النمل:83-84.

2- 2) الكهف:48.

3- 3) النمل:82.

الذی رواه عنه أبان بن أبی عیاش و قرأ جمیعه علی سیدنا علی بن الحسین علیه السّلام بحضور جماعة أعیان من الصحابة منهم أبو الطفیل، فأقرّه علیه زین العابدین علیه السّلام و قال: «هذه أحادیثنا صحیحة» . قال أبان: لقیت بعد ذلک أبا الطفیل بعد ذلک فی منزله، فحدثنی فی الرجعة عن أناس من أهل بدر و عن سلمان و المقداد و أبی بن کعب، و قال أبو الطفیل: فعرضت هذا الذی سمعته منهم علی علی بن أبی طالب علیه السّلام بالکوفة، فقال: هذا علم خاصّ لا یسع الأمة جهله، و ردّ علمه إلی الله تعالی، ثم صدقنی بکل ما حدثونی، و قرأ علیّ بذلک قراءة کثیرة فسّره تفسیرا شافیا، حتی صرت ما أنا بیوم القیمة أشدّ یقینا منّی بالرجعة، و کان مما قلت: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن حوض النبی صلّی الله علیه و آله فی الدنیا أم فی الآخرة؟ فقال: «بل فی الدنیا قلت: فمن الذائد عنه؟ قال: أنا بیدی فلیردنّه أولیائی و لیصرفنّ عنه أعدائی» . و فی روایة أخری «و لأوردنّه أولیائی و لا صرفنّ عنه أعدائی» . فقلت: «یا أمیر المؤمنین قول الله عز و جل: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَیْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُکَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّٰاسَ کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا لاٰ یُوقِنُونَ ، ما الدابة؟ قال: «یا أبا الطفیل اله عن هذا. فقلت: یا أمیر المؤمنین أخبرنی به جعلت فداک (أقول و أنا جعلت فداه) قال: هی دابة تأکل الطعام و تمشی فی الأسواق و تنکح النساء، فقلت: یا أمیر المؤمنین من هو؟ قال: هو زرّ الأرض الذی تسکن الأرض به، قلت: یا أمیر المؤمنین من هو؟ قال: الذی قال الله تعالی: وَ یَتْلُوهُ شٰاهِدٌ مِنْهُ (1)وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (2)وَ اَلَّذِی جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ (3)و الناس کلهم کافرون غیره،

ص:436

1- 1) هود:17.

2- 2) النمل:40.

3- 3) الزمر:33.

قلت: یا أمیر المؤمنین فسمّه لی، قال: قد سمّیته لک یا أبا الطفیل، و اللّه لو أدخلت علی عامة شیعتی الذین بهم أقاتل، الذین أقرّوا بطاعتی و سمّونی أمیر المؤمنین، و استحلّوا جهاد من خالفنی، فحدثتهم ببعض ما أعلم من الحق فی الکتاب الذی نزل به جبرئیل علیه السّلام علی محمد صلّی اللّه علیه و آله لتفرّقوا عنی حتی أبقی فی عصابة من الحق قلیلة أنت و أشباهک من شیعتی، ففزعت و قلت: یا أمیر المؤمنین أنا و أشباهی متفرق عنک أو نثبت معک؟ قال: بل تثبتون. ثمّ أقبل علیّ، فقال: إن أمرنا صعب مستصعب، لا یعرفه و لا یقرّ به إلاّ ثلاثة ملک مقرب، أو نبی مرسل، أو عبد مؤمن نجیب امتحن اللّه قلبه للإیمان یا أبا الطفیل إن رسول اللّه قبض فارتد الناس ضلالا و جهالا إلاّ من عصمه اللّه بنا أهل البیت» . أقول:

قوله علیه السّلام «هو زرّ الأرض» : الذی تسکن الأرض به. قیل: قال الجزری فی حدیث أبی ذر قال: یصف علیّا، و أنه لعالم الأرض، و زرّها الذی تسکن إلیه، أی قوامها و أصله من زرّ القلب و هو عظم صغیر یکون قوام القلب به.

قوله علیه السّلام: «و ربّیّها» (بکسر الراء) إشارة إلی قوله تعالی: وَ کَأَیِّنْ مِنْ نَبِیٍّ قٰاتَلَ مَعَهُ رِبِّیُّونَ کَثِیرٌ فَمٰا وَهَنُوا لِمٰا أَصٰابَهُمْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ مٰا ضَعُفُوا وَ مَا اِسْتَکٰانُوا (1).

و فیه (2)عن الکافی بإسناده، عن أبی الصامت الحلوانی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لقد أعطیت الستّ: علم المنایا و البلایا (و الوصایا) و فصل الخطاب، و إنی لصاحب الکرّات، و دولة الدّول، و إنی لصاحب العصا و المیسم، و الدابة التی تکلّم الناس» .

و فیه عنه بإسناده عن أبی عبد اللّه قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام کثیرا ما یقول: «أنا قسیم اللّه بین الجنة و النار، و أنا الفاروق الأکبر، و أنا صاحب العصا و المیسم» .

1- 1) آل عمران:146.

2- 2) البحار ج 53 ص 101.

و فیه (1)عن کنز جامع الفوائد بإسناده، عن أبی عبد الله الجدلیّ، قال: دخلت علی علی بن أبی طالب علیه السّلام یوما فقال: «أنا دابة الأرض» .

و فیه (2)عن إکمال الدین بإسناده عن إنزال بن سبرة قال: خطبنا علی بن أبی طالب علیه السّلام فحمد الله و أثنی علیه. ثم قال: «سلونی أیها الناس قبل أن تفقدونی. . . إلی أن ذکر الدجال. . . إلی أن قال علیه السّلام: إلاّ أنّ بعد ذلک الطّامّة الکبری، قلنا: و ما ذلک یا أمیر المؤمنین؟ قال خروج دابة من الأرض، من عند الصفا، معها خاتم سلیمان، و عصا موسی، تضع الخاتم علی وجه کل مؤمن، فیطبع فیه (هذا مؤمن حقا) و تضعه علی وجه کل کافر فیکتب فیه (هذا کافر حقّا) حتی أن المؤمن لینادی: الویل لک یا کافر! و أنّ الکافر ینادی: طوبی لک یا مؤمن! و وددت أنی الیوم مثلک فأفوز فوزا، ثمّ ترفع الدابة رأسها، فیراها من بین الخافقین بإذن الله عز و جل، بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلک ترفع التوبة فلا توبة تقبل، و لا عمل یرفع و لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً (3). ثم قال علیه السّلام: لا تسألونی عمّا یکون بعد ذلک، فإنه عهد إلیّ حبیبی علیه السّلام أن لا أخبر به غیر عترتی» .

و فیه (4)عن منتخب البصائر عن أبی بصیر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «أیّ شیء یقول الناس فی هذه الآیة: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَیْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُکَلِّمُهُمْ ، فقال: هو أمیر المؤمنین» .

و فیه (5)عن بصائر الدرجات بإسناده عن المفضّل، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال:

1- 1) البحار ج 53 ص 100.

2- 2) البحار ج 52 ص 192.

3- 3) الأنعام:158.

4- 4) البحار ج 53 ص 112.

5- 5) البحار ج 53 ص 119.

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أنا صاحب العصا و المیسم» .

و فیه عنه عن سلمان الفارسی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «أنا صاحب المیسم و أنا الفاروق الأکبر، و أنا صاحب الکرّات، و دولة الدول» . إذا علمت هذه الأحادیث فأعلم أنه لا ریب فی أنّ الدابة تخرج و تکلّم الناس إلاّ أنه یقع الکلام فیها فی أمور: الأول: فی أنه من المراد منها، هل هی أمیر المؤمنین أو موجود آخر؟ الثانی: فی زمان خروجها. الثالث: فی بیان أمکنة خروجها. الرابع: فیما تفعله دابة الأرض. فنقول: أما الأول: فظاهر کثیر من الأخبار کما تقدم هی أمیر المؤمنین علیه السّلام فهی من الإنس، بل من أکمل أفراده، و هو علی علیه السّلام.

ففی البحار (1): و روی محمد بن کعب القرظیّ قال: سأل علی (صلوات الرحمن علیه) عن الدابة، فقال: «أما و الله ما لها ذنب و إنّ لها للحیة» و فی هذا إشارة إلی أنها من الإنس، ثم إن هذا هو المستفاد من کلامه علیه السّلام فیما تقدم من

قوله: «أنا صاحب العصا و المیسم» .

و فی المروی عنه صلّی الله علیه و آله کما یجیء ذکره. . . إلی أن قال: «حتی إن الرجل یقوم فیتعوذّ منها بالصلوة، فتأتیه من خلفه فتقول: یا فلان الآن تصلّی؟ فیقبل علیها بوجهه فتسمه فی وجهه. . .» الحدیث سیأتی بتمامه. و قیل فی قوله تعالی: «تکلّمهم» ، أی تکلّمهم بما یسوؤهم، و تحدثهم بأن هذا مؤمن و هذا کافر و کلامها معهم هو ما ذکره الله تعالی بأن تقول لهم أَنَّ اَلنّٰاسَ کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا لاٰ یُوقِنُونَ (2)، هذا من فعل الإنسان کما لا یخفی.

1- 1) البحار ج 53 ص 125.

2- 2) النمل:82.

و ذكر المجلسی فيه (1)و روی الزمخشری فی الكشاف «أنها تخرج من الصفا و معها عصا موسی و خاتم سليمان، فتضرب المؤمن فی مسجده، أو فيما بين عينيه بعصا موسی، فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلک النكتة فی وجهه حتی يضیء لها وجهه كأنه كوكب دری، و تكتب بين عينيه مؤمن، و تنكت الكافر بالخاتم فی أنفه فتفشو النكتة حتی يسودّ لها وجهه، و تكتب بين عينيه كافر» . هذا و لكن

فيه (2)و روی عن ابن عباس أنها دابة من دواب الأرض، لها زغب و ريش و لها أربع قوائم.

و عن حذيفة، عن النبی صلّی الله عليه و آله قال: «دابة الأرض طولها ستون ذراعا، لا يدركها طالب، و لا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه، فتكتب بين عينيه (مؤمن) و تسم الكافر بين عينيه، فتكتب بين عينيه (كافر) و معها عصا موسی و خاتم سليمان عليه السّلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا، و تخطم أنف الكافر بالخاتم، حتی يقال: يا مؤمن و يا كافر» .

و فيه: و روی عن النبی صلّی الله عليه و آله «أنه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصی المدينة، فيفشو ذكرها فی البادية، و لا يدخل ذكرها القرية، يعنی مكة، ثم تمكث زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخری قريبا من مكة، فيفشو ذكرها فی البادية، و يدخل ذكرها القرية، يعنی مكة. ثم صار الناس يوما فی أعظم المساجد علی الله حرمة، و أكرمها علی الله، يعنی المسجد الحرام، لم ترعهم (3)إلا- و هی فی ناحية المسجد، تدنو (و ترغو) ما بين الركن الأسود إلی باب بنی مخزوم، عن يمين الخارج، فی وسط من ذلک فيرفضّ (4)الناس

1- 1) البحار ج 53 ص 127.

2- 2) البحار ج 53 ص 125.

3- 3) لم تفزعهم.

4- 4) يتفرّقون.

عنها، و تثبت لها عصابة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرّت بهم، فجلت عن وجوههم، حتى تركتها كأنها الكوكب الدرّى، ثمّ ولّت فى الأرض لا يدركها طالب، و لا يعجزها هارب، حتى أن الرجل يقوم فيتعوذّ منها بالصلوة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلى؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه، فيتحاور الناس فى ديارهم و يصطحبون فى أسفارهم، و يشتركون فى الأحوال يعرف المؤمن من الكافر، فيقال للمؤمن يا مؤمن و للكافر يا كافر» .

و روى عن وهب أنه قال: «وجهها وجه رجل، و سائر خلقها خلق الطير، و مثل ذلك لا يعرف إلاّ عن النّبوّات الإلهية» . أقول: هذه جمل فى بيان حقيقة الدابة المذكورة، و الظاهر من الأخبار التى نقلها الخاصة هى أمير المؤمنين عليه السّلام و قد علمت

أنه عليه السّلام قال: «و الله ما لها ذنب و إن لها للحية» و هى صريحة بالقسم على أنها من الإنس، بل قد علمت

فى حديث أبى الطفيل قال عليه السّلام: «هى دابة تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق و تنكح النساء. . .» الحديث، فحينئذ فالحق هى أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فيه (1)، عن منتخب البصائر بإسناده، عن عباية، قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: حدثنى عن الدابة، قال: «و ما تريد منها؟ قال: أحببت أن أعلم علمها، قال: هى دابة مؤمنة تقرأ القرآن و تؤمن بالرحمان، و تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق» .

و فى حديث آخر بعده و زاد فى آخره، قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: «هو على ثكلتك أمك» . و أما ما رواه العامة عنه صلّى الله عليه و آله أو ما روى بطريق الخاصة من أنها غير أمير المؤمنين عليه السّلام فإنها باعتبار الآثار التى نقلوها لها، تنطبق على الآثار الممكن

1- 1) البحار ج 53 ص 111.

صـدورها عنه علیه السّـ لام حـال خروجه بعنوان أنه دابـة الأرض، و أما ما یتراءی من أنها لها زغب و ریش، أو أنّ طولها سـتّون ذراعا، أو أنها ترغو-علی نسـخة-و أنّ الرغوة من صـفات و أعمال الحیوانات، أو أنها کما روی عن وهب، أن وجهها وجه رجل و سائر خلقها خلق الطیر، فهو إمـا محمول علی ما ذهب إلیه أغلب العامـة من أنها غیر أمیر المؤمنین علیه السّـ لام أو یقال: إنّ أمیر المؤمنین علیه السّـ لام یخرج حین خروجه بعنوان دابة الأرض، و بین یدیه هذا النحو من الموجود یأتمر بأمره علیه السّـ لام و یفعل ما یأمره أمیر المؤمنین علیه السّـ لام حیث إنّ له الولایـة الإلهیة الکبری التکوینیة، فله علیه السّـ لام أن یتشـکل بأشـکال مختلفة، فتارة تخرج حین تخرج بعنوان أنه دابة الأرض فی صورة الإنس و یعمل علی الإنس،

کما قال علیه السّـ لام: «أنا صاحب المیسم» ، و أخری یخرج بتلک الصورة المذکورة فی الأخبار، و لیس هذا ببعید عنه (صـلوات الله علیه) بعد ما کان هو بنفسه قدرة الله تعالی، کما تقدم الإشارة إلیه، و العلم عند الله و عند أولیائه. الثانی: فی بیان زمان خروجها، فقد تقدم

فی حدیث أبی فی حدیث أبی بصـیر، عن الصادق علیه السّـ لام، أنّ رسول الله صـلّی الله علیه و آله قال لعلی: «قم یا دابة الأرض. . . إلی أن قال صلّی الله علیه و آله: قم یا علی إذا کان آخر الزمان أخرجک الله فی أحسن صورة. . .» الحدیث. و تقدم

قوله صلّی الله علیه و آله «للدابة ثلاث خرجات من الدهر» ، فإنه یستفاد من أنها تخرج فی أزمنة متعددة، و کیف کان، المستفاد من الأخبار أنّ لأمیر المؤمنین علیه السّـ لام رجعتین الأولی بعـد رجوع الحسـین علیه السّـ لام کما تقـدمت الإشارة إلیه. الثانیـة: فی آخر الزمان و عند اقتراب الساعـة، کما یشـیر إلیه ذیل حـدیثه علیه السّـ لام فی الخطبة التی نقلها فی إکمال الدین، فهی حینئذ من أشـراط الساعة، و الله العالم بحقـائق الأـمور. الثالث: فی بیان أمکنـة خروجها فهی أیضا، ظهر من الأخبار المتقدمـة فهی إما الصـفا کما فی الحـدیث المـذکور، و فی حـدیث فی أقصـی المدینة، و أخری تخرج قریبا من مکة، ثم فی ناحیة المسـجد، تدنو و ترغو. و کیف کان لا أهمیّة فی العلم بمکانها، نعم یعلم أنها تخرج فی محل و مکان

المؤمنين و الكافرين. و الله العالم. الرابع: فی بیان ما تفعله دابة الأرض، فالظاهر من

قوله علیه السّلام: «أنا صاحب المیسم» ، هو وضعه الخاتم علی وجه المؤمن، فطبع فیه أنه مؤمن حقا، و علی وجه الکافر فیکتب أنه کافر حقّا. نعم ظاهر حدیث ابن عباس المتقدم أنه یعمل هذا العمل بالعصا، و تخطم أنف الکافر بالخاتم، و لها کیفیة من الظهور بحیث یتفرق عنها الناس، و یبقی معها المؤمنون، کما هو ظاهر من روایة النبی صلّی الله علیه و آله المتقدم آنفا.

و قوله صلّی الله علیه و آله: «ترغو» ، علی صحة هذه النسخة، فمعناه ما فی المجمع: و قد رغا البعیر یرغو رغاء، إذا ضجّ، و رغت النّاقة: صوّتت، فهی راغیة. أقول: علی هذا یظهر أنها کدواب الأرض و الحیوانات و إن قلنا: إنه بعید لما تقدم من أنها أمیر المؤمنین علیه السّلام، و العلم عند الله. ثم إن الظاهر کما تقدم من خبر إکمال الدین عن أمیر المؤمنین أنها تخرج عند اقتراب الساعة.

فقوله علیه السّلام: «لا تسألونی عمّا یکون بعد ذلک. . . إلخ» ظاهر فیما ذکرنا،

لقوله علیه السّلام: «إلاّ أنّ بعد ذلک الطّامة الکبری» ، و الله العالم.

الفائدة الثانیة:

قد ذکر فی أخبار الباب أنه یرجع من محض الإیمان محضا، و من محض الکفر محضا، فیعلم منها أن المستضعفین لا یرجعون، فالکلام فی مقامین: الأول: فی بیان من محض الإیمان و من محض الکفر. الثانی: فی بیان حال المستضعف.

ففی البحار (1)بإسناده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعین و أبا

1- 1) البحار ج 53 ص 39.

الخطّاب يحـدثان جميعا قبل أن يحـدث أبو الخطّاب ما أحـدث، أنهما سـمعا أبا عبـد الله عليه السّـ لام يقول: «أول من تنشقّ الأرض عنه و يرجع إلى الـدنيا الحسـين بن على عليه السّـ لام و أن الرجعـة ليست بعامة، و هى خاصة لا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضا، أو محض الشـرك محضـا» . أقول: قيـل المراد بمن محض الإيمان محضا هو من استبصـر الإيمان، و بمن محض الكفر هو من جحـد الحق بعـد ما يهتدى إليه أو يمكنه الاهتداء إليه، و لكنه قصّر فيه ككثير من العامة خصوصا من علمائهم. أقول: الظاهر أن المراد من محض الإيمان هو أن يطهر قلب المؤمن به من أىّ شائبة من الشـرك، فلا يكون فى قلبه إلاّ نور اليقين، و هؤلاء مراتبهم كثيرة بعدد مراتب أولياء الله المذكورين فى كلمات العرفاء الحقـة بالله تعالى، ثم إن بيان محض الإيمان يظهر ببيان أمرين: الأول: بيان حال المستضـعفين من أهل الإيمان و من أهل الكفر. و الثانى: بيان حقيقة الإيمان و مراتبه التى تكون لأولياء الله تعالى الكملين. فنقول: الإيمان لغة: التصديق، و شرعا أيضا هو التصديق، إلاّ أنه اختصّ بالتصديق بالله تعالى و بالنبى صلّى الله عليه و آله و بما علم مجيئه ضرورة، و له مراتب: الأولى: الإقرار باللسان. و الثانية: هو التصـديق الجازم التقليـدى بما نـذكره بعدا، و فائدتهما حقن الدماء و الأموال، نعم إن كان صاحب الثانية إيمانه مشـفوعا بالعمل الصالح و القلب السـليم يحشر هذا مع أصحاب اليمين و يثاب على حسب عمله. الثالثة: الإيمان البرهانى لأهل النظر فيستدلّون بالآثار على المؤثر. و الرابعـة: الإيمان بالغيب يعرفون الصانع تعالى من وراء حجاب، و الفرق بينها و بين سابقتها، أنّ السابقة يؤمن به تعالى إيمانا بوجوده قطعا فى الجملة، و فى هذه يعرفه تعالى معرفة حقيقية، أى يعرف صفاته تعالى بالعلم اليقينى، إلاّ أنه من وراء

حجاب، و يظهر معنى هذا الحجاب من بيان مراتب الآخر. الخامسة: هو الإيمان بمعنى تنور فى القلب تنكشف به حقيقة الأشياء على ما هى عليه، فيرى أن الكل من الله و إلى الله و لصاحب هذه المرتبة اقتدار فى الباطن يوصل به إلى مقام-كن-فيتخطّون فى المقامات، و يعاينون فى أنفسهم الكرامات، فبهذه المعانية يصدقون على أتمّ الوجه بالنبوات و الولايات، و تتحقق لهم حقائق هذه المقامات الإلهية أعنى النبوات و الولايات بالعيان و الوجدان القلبى، و هم حينئذ لا ـ يحتاجون فى تلك الحقائق و ثبوتها و إثباتها إلى المعجزات الثابتة بالأسانيد و الروايات، لما علمت أن الواقع لهؤلا ـء ظاهر بالعيان و المكاشفات، فالمعجزات مع لزومها فهى لغيرهم من ذوى المراتب السابقة، و هؤلا ـء هم المؤمنون حقا، و فى حقهم ورد كما فى الكافى و غيره، أن المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر. و هؤلاء على أصناف: فمنهم السابقون المقربون، و منهم من دونهم بحسب تفاوت سيرهم و سلوكهم، فإن السير فى الله لا نهاية له، و إن كان السير إلى الله متناهيا، و منتهى مراتب هؤلاء هو الوصول إلى حدّ العين، فيسمى صاحبه عارفا، و نهاية العرفان مقام حق اليقين و الفناء المحض، و شرح هذه المراتب الأخيرة، و بيان آثارها لها عرض عريض مذكور فى الكتب المدوّنة لها فى موكولة إليها. و كيف كان فهذه المرتبة بما لها من الأصناف إلى أن تنتهى إلى نهايته هو إيمان المؤمنين الذين محضوا الإيمان محضا لا المراتب السابقة عليه، و الله العالم بحقائق الأمور و بمراد أوليائه. و من هنا يعلم حال من محض الشرك محضا، و ليعلم أولا أنّ الشرك أوسع مصداقا من الكفر، الكافر من ينكر الحق تعالى، و أما المشرك فهو يصدق على الكافر حكما، و على من أقرّ بوجود صانع، و لكن جعل له شريكا فى رتبة ذاته، أو فى صفاته و أفعاله، فحينئذ من محض الشرك هو المتّصف به غير خارج عنه، و هذا يختص بمن جعل له تعالى شريكا بالعقيدة، و أما المعتقد به تعالى بوجوده قطعا،

و لكن جعل له تعالى فى الطاعة شريكا، فليس ممن محض الشرك محضا، كما ورد فى قوله تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (1).

ففى تفسير نور الثقلين (2)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تبارك و تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ قال: «شرك طاعة، و ليس شرك عبادة، و المعاصى التى يرتكبون فهى شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان، فأشركوا بالله فى الطاعة لغيره، و ليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله» . أقول: قوله عليه السّلام (بإشراك عبادة) خبر مقدم لليس، و قوله أن يعبدوا غير الله مؤوّل بالمصدر و هو اسم له. فالمعنى أن عبادتهم لغير الله فى إطاعتهم غير الله، كما يظهر من صدر الحديث، ليس شركا فى عبادته بأن يجعلوا الشيطان معبودا، بل هو شرك طاعة بأن جعلوه شريكا له تعالى فى الطاعة، كما لا يخفى. و كيف كان فهؤلاء ليسوا ممن محض الشرك، بل الذين اعتقدوا بوحدانيته تعالى، و لكن الحدوا فى أسمائه إما بتطبيقهم أسماءه الحسنى تبارك و تعالى على من خالف الحق، كمن اعتقد أن فلانا من أولياء الله تعالى، و من العلماء الربانيين بزعمه، مع أنه ليس كذلك، بل هو رجل تابع للنفس و الهوى، و لكن خفى على هذا خبث باطنه، كما نرى كثيرا من مثل هذا فى زماننا، أو اعتقد فى حقه تعالى معنى لا يليق به تعالى، و زعم أنه مصيب فى ذلك، كما يتراءى ذلك فى كثير من الفلاسفة حيث إنهم يفسرون الأسماء الحسنى بمقتضى القواعد الفلسفيّة، كما فى علمه تعالى و فى فعله تعالى، فترى يفسر كونه تعالى عالما أو فعّالا بزعمه و ما أدّى إليه نظره الفلسفى الدقيق، و من مخالفة بعضهم مع بعض يعلم اشتباه أحدهم قطعا. فكيف كان، فهم

1- 1) يوسف:106.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 475.

یلحدون فی أسـمائه تعالی، فهؤلاء و إن لم یکونوا فی أصل وجوده تعالی مشرکین، إلاّ أنهم أشرکوا فی أسمائه حیث وضعوها غیر موضعه، و لعل ما یشیر إلی هذا الذی قلنا ما

فی تفسیر نور الثقلین (1)عن کتاب التوحید بإسناده إلی حنان بن سدیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام حدیث طویل یقول فیه: «و له الأسماء الحسـنی التی لا یسمی بها غیره و هی التی وصفها فی الکتاب فقال: فَادْعُوهُ بِهٰا وَ ذَرُوا اَلَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی أَسْمٰائِهِ (2)جهلا بغیر علم، فالذی یلحد فی أسـمائه بغیر علم یشـرک و هو لا یعلم، و یکفر به و هو یظن أنه یحسن، فلذلک قال: وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ فهم الذین یلحدون فی أسـمائه بغیر علم فیضـعونها غیر مواضعها» . الحدیث. أقول: أی یطبقونها علی غیر مصادیقها الواقعیة بنحو تقدم ذکره، و کیف کـان، فهؤلاـء أیضـا مشـرکون إلاّ أن المسـتفاد من قوله علیه السّـلام فلـذلک قال: وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْـرِکُونَ هو أنهم ملحقون ب(المشـرکون) شـرک الطاعة لا العبادة، حیث إن هذه مسوقة لبیان هذا القسم من الشرک الذی یجامع مع الإیمان، کما هو ظاهر الآیة، فلا محالة لا یکون من الشرک المحض و الشرک فی العبادة، و یعلم منه أنّ الشرک فی العبادة هو الشرک المحض، لاستلزامه الشریک فی وحدانیّته تعالی و فی ذاته المقدسة تعالی عن ذلک علوّا کبیرا، و الله العالم.

و فیه عن أصول الکافی بإسـناده عن أبی عبـد الله علیه السّـلام فی قول الله عز و جل: وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْـرِکُونَ قال: «شـرک طاعة و لیس شرک عبادة» . أقول: و لهذا الشرک مراتب تشمل المعاصی کلها، و ما هو مرجوح بالنسبة إلی الإیمان المحض، فکل ما خالف الإیمان المحض و لو لم یکن بصریح المعصیة فهو من شرک الطاعة لغیره تعالی.

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 475.
2- 2) الأعراف:180.

ففيه عن تفسير العياشی، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ قال: «من ذلک قول الرجل. . . لا و حياتک» . أقول: أی يكون الحلف و القسم بحياة أحد، التی يراد منها الحيوة، التی هی منشأ الأثر و الأمل من الشرک، أی ترک الطاعة، و لكن لا يبلغ هذا و أشباهه إلی حدّ الكفر.

كما ورد فيه أيضا عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السّلام قال: «شرک لا يبلغ به الكفر» .

و فيه عنه أبو بصير، عن أبی إسحاق قال: هو قول الرجل: «لو لا الله و أنت ما فعل بی كذا و كذا، و لو لا الله و أنت ما صرف عنّی كذا و كذا و أشباه ذلک» .

و فيه عنه عن مالک بن عطية، عن أبی عبد الله عليه السّلام فی قوله: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ قال: «هو الرجل يقول: لو لا فلان لهلكت، و لو لا فلان لأصبت كذا و كذا، و لو لا فلان لضاع عيالی، أ لا ترى أنه قد جعل لله شريكا فی ملكه يرزقه و يدفع عنه؟ قال: قلت: فيقول: لو لا أن منّ الله علیّ بفلان لهلكت؟ قال: نعم لا بأس بهذا» .

و فيه عنه عن زرارة و حمران و محمد بن مسلم، عن أبی جعفر و أبی عبد الله عليهما السّلام قالوا: سألناهما فقالا: «شرک النعم» . أقول: و قد فسره حديث مالک بن عطية كما لا يخفی. و فی هذه الآية المباركة جهات من البحث موكولة إلی محلها فی التفسير. و كيف كان فهذه الأقسام من المشركين ليسوا ممن محضوا الشرک محضا، كما أن المؤمنين فی المرتبة الأخيرة أيضا ليسوا من الذين محضوا الإيمان محضا، فحينئذ نقول: الأقسام ثلاثة: الأول: من محض الإيمان محضا.

و الثانى: من محض الشرک محضا، و يلحقه الكافر حكما بطريق أولى على الظاهر و الله العالم. و الثالث: من لم يمحض الإيمان و لا الشرک محضا، و هم من الفريقين من المؤمنين غير الكاملين، و من المشركين بشرک طاعة لا شرک عبادة، و فى الحقيقة مصاديقهما هو المقرّ بالتوحيد له تعالى و المتلبّس بمبانى المعصية المعبّر عنها بالشرک الخفى. و يمكن للإنسان أن يتلبّس بالإيمان و الشرک خصوصا إذا كان متعلقهما أمرين بأن يتعلّق الإيمان به تعالى، و لكن لضعفه بالنسبة إلى صفاته تعالى، و أنها كاملة مختصة به تعالى، يتعلق قلبه بغيره تعالى أيضا من ذوى الثروة و المقامات الدنيوية فيطيعهم، أو لضعفه يؤثر فيه وسوسة الشيطان فيطيعه فى هذه الأمور المادية، التى ذكرت فى الأحاديث السابقة، و هذه كتلبّسه بسائر الاعتقادات المتناقضة فى بعض الموضوعات و الأخلاق المتضادة، كما لا يخفى، بأنّ أمر الإنسان عجيب. هذا و لكن قد يقال: إن المراد بغير من محض الإيمان محضا و من محض الشرک محضا هم المستضعفون، فالمستثنى من الحديث السابق هو المستضعف، فمن لم يكن مستضعفا لا بد له من الرجعة. فحينئذ نقول: فهل المستضعف من أشير إليه فى تفسير الآية السابقة، و هو قوله تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ و هم المعتقدون به تعالى، إلا أنهم يشركون معه غيره فى الطاعة، أو هو مختص بمن فسّرته الأحاديث و الآيات من الذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا، و لا ريب فى أن هؤلاء تكون مصاديقهم فى عوام الناس غير العالمين، لا الذين علموا التوحيد، إلاّ أنه لمكان وجود الشرک الخفّى أشركوا فى طاعة الله طاعة غيره أو يعمّ الجميع. أقول: الظاهر أنه يعم الجميع، فلا- بد أولا- من ذكر أحاديث الباب، ثم النظر فيه و الأخذ بما يظهر منها. فنقول: قال تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ تَوَفّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ قٰالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قٰالُوا كُنّٰا مُسْتَضْعَفِينَ فِى اَلْأَرْضِ قٰالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اَللّٰهِ وٰاسِعَةً فَتُهٰاجِرُوا فِيهٰا فَأُولٰئِكَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سٰاءَتْ مَصِيراً. إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجٰالِ وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً

(1)

.

ففى تفسير نور الثقلين (2)، عن نهج البلاغة قال عليه السّلام: «و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه»

.

و فيه (3)، عن أصول الكافى بإسناده، عن سفيان بن السمط البجلى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: ما تقول فى المستضعفين؟ فقال لى شبيها بالفزع: «فتركتم أحدا يكون مستضعفا؟ و أين المستضعفون؟ فو الله لقد مشى بأمركم هذا العواتق إلى العواتق فى خدورهن، و تحدّث به السقايات فى طريق المدينة» .

و فيه (4)عن أصول الكافى، عن إسماعيل الجعفى قال لأبى جعفر عليه السّلام فى حديث طويل: «فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا، إلاّ المستضعفين، قلت: من هم؟ قال: نساؤكم و أولادكم. ثم قال: أ رأيت أم أيمن فإنى أشهد أنها من أهل الجنة، و ما كانت تعرف ما أنتم عليه» . أقول: أم أيمن هذه إحدى النساء فى زمانه عليه السّلام لا المعروفة فى زمن النبى صلّى الله عليه و آله، و الله العالم.

و فيه عنه عن على بن سويد، عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: سألته عن الضعفاء فكتب إلىّ: «الضعيف من لم يرفع إليه حجة، و لم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف» .

1- 1) النساء:97-98.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 445.

3- 3) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 446.

4- 4) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 447.

أقول: قوله: فإذا عرف الاختلاف أی عرف التمییز بین القولین المتخالفین، و قـدر علی تمییز الحق من الباطل بأعمال العقل، و لو بأقلّ مراتبه فضـلا عن أقصی مراتبه، التی تکون للعلماء و المجتهدین فلیس بضعیف. أقول: یشیر علیه السّلام إلی شیوع حجج الله تعالی فی الأقطار، و أنها بمعونـة تبلیغ النبی و الأئمة علیهم السّـلام بلغت إلی حدّ شاع الحق فی العالم، و المراد من أمرکم هو أمر الولایة، و الله العالم. و کیف کان فهذا یبیّن أنه إذا شاع الحق لـم یبق مستضعف فی أمکنة شیوعه، فالحجة کأنها بالغة من جهة أهلها، و هم الأنبیاء و الحجج، فیلزم منه أن یسـیر المکلّف إلی تحصـیلها لیتدین بمضمونها و إلی هذا الشیوع للحق من بیان الحجج علیهم السّلام یشیر قوله تعالی کما فی تفسیر علی بن إبراهیم: و قوله، إِنَّ اَلَّذِینَ تَوَفّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِکَـةُ ظٰالِمِی أَنْفُسِـهِمْ ، قال: «نزلت فیمن اعتزل أمیر المؤمنین علیه السّـلام و لـم یقاتل معه، فقالت الملائکـة لهم عنـد الموت: فِیمَ کُنْتُمْ قٰالُوا کُنّٰا مُسْتَضْـعَفِینَ فِی اَلْأَرْضِ أی لم نعلم مع من الحق، فقال: أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اَللّٰهِ وٰاسِـعَةً فَتُهٰاجِرُوا فِیهٰا ، أی دین الله و کتاب الله واسع فتنظروا فیه، فَأُولٰئِکَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سٰاءَتْ مَصِـیراً » . فالآیة تهدد أولئک لشیوع الحق و ولایة علی علیه السّـلام، و أنّ الدین و الکتاب کانا واسـعین، فلم لـم تنظروا فیه نظر الاستبصار، یستفاد منه أنه مع وضوح الحق و شیوعه لا یکون استضعاف لأحد بمجرّد ترک النظر و التکاسل فی ذلک، بل أولئک مأواهم جهنّم و ساءت مصیرا، بل لا بد من النظر و التفحّص. و إلیه یشیر

ما فی مصـباح الشـریعة: قال الصادق علیه السّـلام بعد أن أمر بالکلام بما ینفع و لا یضرّ، أی فی تحقیق الحق و استیضاحه بعد وصوله إلیه: فإن لم تجـد السبیل إلیه فالانقلاب و السـفر من بلد إلی بلد، و طرح النفس فی بوادی التلف بسـیر صاف و قلب خاشع و بدن صابر، قال الله تعالی: إِنَّ اَلَّذِینَ تَوَفّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِکَةُ ظٰالِمِی أَنْفُسِهِمْ قٰالُوا فِیمَ کُنْتُمْ قٰالُوا کُنّٰا مُسْتَضْعَفِینَ فِی اَلْأَرْضِ قٰالُوا أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اَللّٰهِ

واسِعَةً فَتُهٰاجِرُوا فِيهٰا . فالمتحصّل من هذه الآية و الأحاديث أن الاستضعاف بعد شيوع الحق، بل بعد إمكان تحصيله و لو بمشقة فى السير فى الأرض و الهجرة فيها لا يكون و أنّ مجرد التكاسل و عدم النظر فيما شاع و بلغه من الحق لا يجعله مستضعفا، هذا من ناحية الشرع و الشارع، و بالنسبة إلى من يمكنه و يستطيع تحصيل الحقّ و فهمه ليعمل به، و أما إذا لم يكن من أهل الفهم و الدرك لقصوره أو كان و لم يبلغه الحق و إن جهد و صرف حيلته لتحصيله فهو حينئذ من المستضعفين.

ففيه (1)عن كتاب معانى الأخبار بإسناده عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن قول الله عز و جل: إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجٰالِ وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ فقال: «هو الذى لا يستطيع الكفر فيكفر، و لا يهتدى سبيل الإيمان فيؤمن، و الصبيان و من كان من الرجال و النساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم» . أقول:

قوله عليه السّلام: «لا يستطيع الكفر» ، أى لا يفهم فيختاره، و كذلک لا يهتدى أى لا يصل فهمه إلى سبيل الإيمان كما هو هو فيؤمن أى فيختار الإيمان كالصبى، فإن ما ذكره عليه السّلام مستفاد من عطف الولدان على النساء و الرجال فى الآية، فإنّ العطف قد يعطى نوعا من المشاركة فيما سبق الكلام لأجله.

و قوله عليه السّلام مرفوع عنهم القلم أى مرفوع عنهم المشى على حق الدين، و كماله، بل يقبل منهم بمقدار ما قبلوه مع نقص عقلهم كما هذا أيضا مستفاد من أحاديث مراتب الإيمان فى محله، و قد سبقت الإشارة إليه، و يوضح ما ذكرناه من أنهم فى أقلّ مراتب الإيمان النازلة، لا أنهم ملحقون بالمجانين

ما فيه عنه بإسناده إلى سالم بن مكرم الجمّال عن أبى عبد الله عليه السّلام عن قوله عز و جل: إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجٰالِ

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 445.

وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً

(1)

، فقال: «لا يستطيعون حيلة إلى النصب فينصبون، و لا يهتدون سبيلا إلى الحق فيدخلون فيه، هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة و باجتناب المحارم التى نهى الله عز و جل عنها و لا ينالون منازل الأبرار» . أقول:

قوله عليه السّلام: «لا يستطيعون حيلة إلى النصب» ، أى لا يصل فكرهم بأن يعمل فيما يوصله إلى النصب فينصبون فيكونون من النّصاب و يقومون على الأئمة عليهم السّلام لضعف عقلهم و هكذا لا يهتدون، عقلا، سبيلا إلى الحق فيدخلون فيه، فهم فى أقلّ مرتبة الإيمان من دون رسوخ فى حقيقة الإيمان و لا فى حقيقة الكفر. و لذا

قال عليه السّلام: «يدخلون الجنة بأعمال حسنة من حيث هى هى أعمال حسنة و باجتناب المحارم» أى بتباعدهم عنها و لو قصورا، فهم يعملون الأعمال بالصورة لا بالحقيقة. و لذا

قال عليه السّلام: «و لا ينالون منازل الأبرار، لأنها لأهل العقل و المعرفة و الكمال» ، كما لا يخفى، و لهذه الجهة نفى عن هؤلاء المستضعفين اسم الكفر و الإيمان بل أثبت لهم اسم المرجون لأمر الله. أقول:

قوله «لكنها الولاية فى المناكحة. . . إلخ» ، توضيحه أنّ الراوى ظنّ أن هؤلاء من أهل الولاية بمعنى المحبة و المعرفة الإلهية و القرب الإلهى كما هى معانيها و قد تقدم، و لذا تعجب و قال: و أى ولاية؟

فقال عليه السّلام «المراد منها الولاية بمعنى النصرة و المعاشرة و المؤالفة العرفية الظاهرية» ، أى أنهم بقبولهم الإيمان و لو بأقل درجته ليسوا كالكفار، بحيث لا يجوز المناكحة و المؤاكلة معهم لمجالستهم، بل صاروا بإقرارهم بالشهادتين بل و بالشهادة الثالثة من المؤمنين الذين حلّت مناكحتهم و أمثالها، و حيث إنهم ليسوا من أهل العقل و المعرفة، فليسوا بالمؤمنين، أى من المؤمنين الكاملين.

1- 1) النساء:98.

و كيف كان يعلم أن المستضعف لم يكن من الكمّلين من المؤمنين، و لم يلحق بالكافرين الجاحدين لظاهر إقرارهم، بل هذا الحدّ الوسط، هو الموسوم بالمرجون لأمر الله، و الله العالم بحقائق الأمور. بل أقول: المستفاد من الأحاديث أن مصاديق المستضعفين أوسع منهم، بحيث يشمل من لم يصل إلى حدّ المعرفة الكاملة بالله كأكثر الشيعة الذين هم غير مستبصرين بحقائق ولاية الأئمة عليهم السّلام كما تقدم. و إليه يشير

ما رواه فيه عنه بإسناده، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عز و جل: إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجٰالِ وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ الآية، قال: يا سليمان فى هؤلاء المستضعفين من هو أثخن رقبة منک، المستضعفون قوم يصومون و يصلون تعفّ بطونهم و فروجهم، لا يرون أنّ الحق فى غيرنا آخذين بأغصان الشجرة، فأولئک عسى الله أن يعفوا عنهم إذا كانوا آخذين بالأغصان، و إن لم يعرفوا أولئک فإن عفى عنهم فبرحمته، و إن عذّبهم فبضلالتهم عما عرفهم. أقول:

قوله عليه السّلام: «آخذين بأغصان الشجرة» يستفاد منه أن هؤلاء المستضعفين هم المقرّون بولاية الأئمة عليهم السّلام و آخذين به بحيث لا يرون الحق فى غيرهم، إلاّ أنهم لم يصلوا إلى كمال المعرفة بهم عليهم السّلام كما دلّ عليه

قوله عليه السّلام: «و إن لم يعرفوا» ، أى و إن لم يعرفونا حق معرفتنا، لا أنهم لم يعرفونا أبدا، كيف و قد أقرّ عليه السّلام لهم بأنهم لا يرون الحق فى غيرهم، فيعلم منه أن المستضعف يطلق على من ليست له المعرفة الكاملة بالأئمة عليهم السّلام كما هى هى، و يعلم أيضا منه أمر عظيم جسيم، و هو أنه من لم يعرفهم حق المعرفة، فله تعالى أن يعذّبه لتقصيره عن الوصول لهذه المعرفة الكاملة، التى قد عرفها الله لهم، و هم لم يعرفوها بضلالتهم عمّا عرّفهم، و قد كانوا متمكّنين من الوصول إليها. و إلى هذا يشير ما

فى تفسير نور الثقلين (1)، عن أصول الكافى بإسناده، عن

ص:454

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 3 ص 546.

حفص بن غیاث قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إن قدرت أن لا تعرف فأفعل، و ما علیک أن لا یثنی علیک الناس، و ما علیک أن تکون مذموما عند الناس إذا کنت محمودا عند الله. ثم قال: إنی (1)علی بن أبی طالب لا خیر فی العیش إلاّ لرجلین، رجل یزداد کل یوم خیرا، و رجل یتدارک منیّته بالتوبة؟ و أنی له بالتوبة و الله لو سجد حتی ینقطع عنقه ما قبل الله تبارک و تعالی منه إلاّ بولایتنا أهل البیت، ألا و من عرف حقّنا و رجا الثواب فینا، و رضی بقوته نصف مدّ فی کل یوم، و ستر عورته و ما أکنّ رأسه، و هم و الله فی ذلک خائفون وجلون ودوّا أنهم حظّهم من الدنیا، و کذلک وصفهم الله عز و جل فقال: وَ اَلَّذِینَ یُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلیٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ (2). ثم قال: ما الذی أتوا؟ آتوا و الله مع الطاعة و المحبة و الولایة و هم فی ذلک خائفون، لیس خوفهم خوف شکّ، و لکنهم خافوا أن یکونوا مقصّرین فی محبّتنا و طاعتنا» . أقول:

قوله علیه السّلام: «و لکنّهم خافوا. . . إلخ» ، یشیر إلی ما ذکرنا من أنّهم یرون أنّهم مقصّرون فی محبّتهم و طاعتهم، أی فی ازدیادهما و المشی علیهما کما هو حقّه، و الله العالم. و لعمری إنّ الجری لمن أراد الأمن المطلق من عذابه تعالی هو أن یجدّ فی تحصیل معرفتهم علیهم السّلام حق المعرفة بعد ما منح الله إمکان ذلک له، و نحن نسأل الله تعالی أن یبلّغنا إلیها بمنّه و کرمه، آمین رب العالمین. و کیف کان فأقل مراتب المستضعف من أشار إلیه أبو جعفر علیه السّلام

فیما رواه فیه عن تفسیر العیاشی، عن سلیمان بن خالد، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن المستضعفین، فقال: «البلهاء فی خدرها و الخادم تقول: صلّی فتصلّی، لا تدری إلاّ ما

1- 1) الظاهر: هنا سقط و هو أن أمیر المؤمنین کان یقول.

2- 2) المؤمنون:60.

قلت لهـا، و الجليب الـذى لا يـدرى إلاّ ما قلت له، و الكبير الفان و الصبى و الصـغير، هؤلاء المستضـعفون» و أكمله هو ما أشار إليه فى الحـديث ممن ليست له المعرفـة الكاملـة بالأئمة و بمقاماتهم الربوبية و أن علم إنّ الحق لا يكون فى غيرهم. أقول: قوله: «و الجليب» ، أى الـذى يجلب من بلـد إلى آخر ليس له اختيـار، فكأنه إما عامل أو غلام مملوک. و يسـتفاد من هـذا الحـديث أنه يمكن أن لا يكون الإنسان مستضـعفا ثم يصـير كـذلک، كما هو المسـتفاد من قوله عليه السّـلام و الكبير الفان، و الله العالم، فظهر من هذا البيان أنّ المستضـعف له مصـاديق تعمّ جميع مـا أشـرنا إليه سالفا، فما قيل من أنّ من لم يمحض الإيمان محضا يرجع و إن كان من أهل المعرفـة فى الجملـة، كما أشرنا إليه بدعوى أنه ليس من المستضعفين الذى قد استثنى، فلا بد من أن يرجع لعموم الدليل، حيث إنه خصّ غير الراجع بالمستضعف، و هو لا ـ يشـمل من له المعرفـة، و لو كـان مع شـرک الطاعـة ليس فى محله لما علمت من أنّ المستضـعف المسـتثنى يشـمل كثيرا من أهل الإيمان، فإنّ أقل مراتب الاستضـعاف هو ما ذكره فى حديث سـليمان ابن خالد الثانى، و أكمله ما ذكره فى حديث سـليمان بن خالد الأول كما ذكرناه، فحينئذ معنى الحديث الأول المعنون فى الباب هو أنّ الممحّض للإيمان محضا بالمعنى المتقدم، و الممحض للشـرک محضا يرجع فى زمان رجعة الأئمة عليهم السّـلام و أما البقية المتلبسون بالإيمان و الشرک على مراتبهما ما لم يصلا إلى المحض فلا يرجعون، و الله العالم بحقائق كلماته و كلمات أوليائه عليهم السّلام.

الفائدة الثالثة:

فى أنّ الراجعين فى الرجعة ممن محض الكفر محضا، أو الذين كانوا موجودين فى ذلک الزمان فى الرجعة إذا عاينوا هؤلاء بأجمعهم الحق، و ظهر لهم الأمر، فهل هم حينئـذ التوبـة و هل تقبل توبتهم أم لا؟ فالكلام إما فى الذين رجعوا، و قد كانوا ممن محض الكفر محضا، و إما فى الذين كانوا كفّارا أو جاحدين لولايتهم عليهم السّلام و الموجودين فى زمان الرجعة هكذا.

أما الأول: فنقول قد دلّت آيات و أحاديث على أنّ من محض الشرک محضا أعيد فی الرجعة، ليعذّبه الله تعالی بيد أوليائه، فهؤلاء ليست لهم التوبة، و إلاّ لما حصل الغرض من رجعتهم، و هو أن يعذّبهم الله تعالی بأيدی المؤمنين.

ففی المحکی عن منتخب البصائر بإسناده إلی جابر بن يزيد عن أبی جعفر عليه السّلام قال: ليس من مؤمن إلاّ و له قتلة و موتة إنه من قتل نشر حتی يموت، و من مات نشر حتی يقتل، ثمّ تلوت علی أبی جعفر هذه الآية: کُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ فقال: «و منشورة، قلت: قولک و منشورة ما هو؟ فقال: هکذا أنزل بها جبرئيل علی محمد صلّی الله عليه و آله کلّ نفس ذائقة الموت و منشورة، فقال: ما فی هذه الأمة أحد برّ و لا فاجر إلاّ و منشّر، أما المؤمنون فينشرون إلی قرّة أعينهم، و أما الفجّار فينشرون إلی خزی الله إياهم، أ لم تسمع أن الله تعالی يقول: وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ اَلْعَذٰابِ اَلْأَدْنیٰ دُونَ اَلْعَذٰابِ اَلْأَکْبَرِ (1)، و قوله: يٰا أَيُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ يعنی بذلک محمدا صلّی الله عليه و آله قيامه فی الرجعة ينذر فيها، و قوله: إِنَّهٰا لَإِحْدَی اَلْکُبَرِ. نَذِيراً لِلْبَشَرِ يعنی محمدا صلّی الله عليه و آله نذيرا للبشر فی الرجعة» . قال جابر: قال أبو جعفر عليه السّلام: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فی قوله عز و جل: رُبَمٰا يَوَدُّ اَلَّذِينَ کَفَرُوا لَوْ کٰانُوا مُسْلِمِينَ ، قال: «هو أنا إذا خرجت و شيعتی، و خرج عثمان بن عفّان و شيعته و نقتل بنی أمية فعندها يودّ الذين کفروا لو کانوا مسلمين» . أقول: لا ريب فی أنه لو کانت توبتهم مقبولة أسلموا حينئذ، و يتوبون و لا يتمنّون لو کانوا مسلمين، فيعلم أنّ توبتهم لا تقبل، و لذا يتمنّون لو کانوا مسلمين، و أصرح من هذا ما ورد فی قوله تعالی: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِيَهُمُ اَلْمَلاٰئِکَةُ أَوْ يَأْتِیَ رَبُّکَ أَوْ يَأْتِیَ بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّکَ يَوْمَ يَأْتِی بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّکَ لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِيمٰانِهٰا خَيْراً قُلِ اِنْتَظِرُوا إِنّٰا

1- 1) السجدة:21.

مُنْتَظِرُونَ

(1)

.

ففی تفسیر نور الثقلین (2)، فی حدیث طویل عن علی علیه السّلام یقول فیه و قد سأله رجل عما اشتبه علیه من الآیات و قوله: هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِیَهُمُ اَلْمَلاٰئِکَةُ «یخبر محمدا صلّی الله علیه و آله عن المشرکین و المنافقین الذین لم یستجیبوا لله و لرسوله فقال: هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِیَهُمُ اَلْمَلاٰئِکَةُ حیث لم یستجیبوا لله و لرسوله أَوْ یَأْتِیَ رَبُّکَ أَوْ یَأْتِیَ بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ یعنی بذلک العذاب فی دار الدنیا کما عذّب القرون الأولی، فهذا خبر یخبر به النبی صلّی الله علیه و آله عنهم» . ثم قال: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً یعنی «من قبل أن تجی هذه الآیة، و هذه الآیة طلوع الشمس من مغربها. و إنما یکتفی أولو الألباب و الحجی و أولو النهی أن یعلموا أنّه إذا انکشف رأوا ما یوعدون» .

و فیه عن کمال الدین و تمام النعمة بإسناده عن علی بن رئاب، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال فی قول الله عز و جل: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، فقال: «الآیات هم الأئمة علیهم السّلام و الآیة المنتظر القائم علیه السّلام فیومئذ لا ینفع نفسا إیمانها لم تکن آمنت من قبل، قیامه بالسیف و إن آمنت بمن تقدمه من آبائه علیهم السّلام» . أقول:

قوله: «و الآیة المنتظر» ، القائم (عج) ، أی أنّ الآیات کلّها هم الأئمة علیهم السّلام و قوله بعض آیات ربک إشارة إلی المنتظر القائم، و التعبیر عنه بالقائم، إشارة إلی أن المراد من إتیان بعض الآیات قیامه علیه السّلام، فقیامه کنایة عن إتیان بعض الآیات.

فقوله علیه السّلام: «قیامه بالسیف» تفسیر لقوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ

1- 1) الأنعام:158.

2- 2) تفسیر نور الثقلین ج 1 ص 646.

رَبُّکَ و قوله تعالی إیمانها، أی الإیمان الـذی یکون لهم عنـد إتیان بعض الآیات، لما یرون من ظهور الحق بالأدلّة القاطعة فیؤمنون، و لکن هـذا الإیمـان لا ینفع حیث إنّها أی النفس الإنسانی لم تکن آمنت من قبل، أو کسبت فی إیمانها خیرا، و هـذا یبیّن أمرین: الأول: أنّ هـذا الإیمان لا ینفعها لأنّها لم تکن آمنت من قبل. و الثانی: أنّ هـذا لا ینفعها لأنّها أی النفس آمنت، و لکنّها ما کسبت فی إیمانها خیرا. و هم الذین أشار إلیهم

فیما رواه فیه عن تفسیر العیاشی، عن عمرو بن شمر عن أحدهما علیهما السّلام فی قوله: أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً ، قال: «المؤمن حالت المعاصی بینه و بین إیمانه، لکثرة ذنوبه و قلّة حسناته، فلم یکسب فی إیمانه خیرا» .

و أیضا فی تفسیر نور الثقلین (1)، عن أصول الکافی بإسناده، عن هشام بن الحکم، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله تعالی: لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ «یعنی فی المیثاق، أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً ، قال: الإقرار بالأنبیاء و الأوصیاء و أمیر المؤمنین علیه السّلام خاصّة، قال: لا ینفع إیمانها لأنها سلبت» . أقول:

قوله علیه السّلام: «یعنی فی المیثاق» ، یشیر إلی أن الإیمان کان من المؤمنین فی المیثاق، و إنّ ما هو منهم فی الدنیا علی طبقه.

و قوله علیه السّلام: «لا ینفع إیمانها لأنها سلبت» ، یعنی وقت ظهور الحق، أو یوم القیامة، فإن هذا المؤمن الصوری المقرّ بالشهادتین دون الثالثة، أو المؤمن الذی کثرت معاصیه إلی أن لم تکتسب فی إیمانها خیرا، بل صار إیمانه بلا فائدة، یکون حینئذ مسلوب الإیمان، لأنه حین ذاک، یظهر أنه ما آمن بما هو إیمان، بل اعتقد غیره، کما لا یخفی، و الله العالم.

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 1 ص 647.

و كيف كان يدل على ما ذكر من رفع التوبة ما تقدم. و تقدم

عن إكمال الـدين عن إنزال بن سترة خطبـة لأمير المؤمنين عليه السّـلام و فيها: «ثم ترفع الدابـة رأسـها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جلّ جلاله، و ذلك بعد طلوع الشـمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة و لا عمل يرفع. . .» الحديث. المستفاد من هذه الأحاديث و أمثالها و هی كثيرة، أن المرجوعين فی زمان الرجعة للانتقام، لا تقبل توبتهم، بل يقتلون كعثمان بن عفّان و شـيعته (عليهم لعائن الله) و أما أن القائم (عج) أو الأئمة عليهم السّلام الذين يرجعون إلى الدنيا، فلا تقبل حينئذ التوبة من أحد، فلا، كيف

و قد ورد فی قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ ما عن منتخب البصائر بإسـناده إلى جابر بن يزيد، عن أبی جعفر عليه السّلام «يعنی بذلک محمدا صـلّى الله عليه و آله و قيامه فی الرجعة ينذر فيها» . أقول: فلا بد من الإنذار و هو يستلزم قبول التوبة ممن يقبل الإنذار كما لا يخفی، و هذا ظاهر لمن تتبع الأحاديث الواردة فی قيامه عليه السّلام و فی رجوع الأئمة عليهم السّلام كما لا يخفی، إلاّ أن هنا شيئا و هو أنه يستفاد من الأحاديث أنّ للأئمة عليهم السّـلام خصوصا لأمير المؤمنين عليه السّـلام رجعات و كرّات، و يظهر منها أنّ الوقت الذی ترفع فيه التوبة هو الرجعـة الأخيرة القريبـة لقيام القيامـة الكبرى لا غيرها. فحينئـذ تكون النتيجة أنّ من محض الشـرک محضا إذا رجع و لو فی أوائل زمان الرجعة، أنه يقتل، و هـم الذين أشـير إليهم فی بعض الأحاديث من نحو عثمان و شـيعته و قتلة الحسـين عليه السّلام و أمثالهم، و أما غيرهم فلا يقتلون بتاتا، بل بعـد دعوتهم إلى الإسـلام و عـدم قبولهم له يقتلون، هـذا فی غير الرجعة الأخيرة فإنها ترفع عندها التوبة، لأن الحق فی ذلک الزمان قد ظهر، فمن لم يؤمن بعد ثبوت الحجة عليه فلا تقبل توبته بعد ظهور تلک الآيات. و إلى ما ذكر يدل

مـا فيه عن إكمـال الـدين و تمام النعمـة بإسـناده عن أبی عبـد الله عليه السّـلام قال: «ما زالت الأرض إلاّ و لله تعالى ذكره فيها حجـة يعرف الحلال،

و الحرام و يدعو إلى سبيل الله جلّ و عزّ، و لا تنقطع الحجة من الأرض إلاّ أربعين يوما قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة و لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة، أولئك شرار من خلق الله، و هم الذين تقوم عليهم القيامة» . فالمستفاد حينئذ منها أن وقت رفع التوبة لعامة الخلق هو وقت خروج دابة الأرض و الدجّال عند اقتراب الساعة. و الحاصل: أنه لا ترفع التوبة إلاّ إذا أصرّ الناس على المعاصى و لم يقبلوا عن الحجج عليهم السّلام إلى أن يغضب الله عليهم، فحينئذ يظهر بأسه تعالى، و حينئذ لا تنفع التوبة.

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام فى باب ما جاء عن الرضا عليه السّلام من العلل بإسناده إلى أبى إبراهيم بن محمد الهمدانى قال: قلت لأبى الحسن الرضا عليه السّلام: «لأى علّة غرق الله تعالى فرعون و قد آمن به و أقرّ بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤية البأس، و الإيمان عند رؤية البأس غير مقبول و ذلك حكم الله تعالى ذكره فى السلف و الخلف، قال الله تعالى: فَلَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا قٰالُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنٰا بِمٰا كُنّٰا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمٰانُهُمْ لَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا (2)و قال عز و جل: . . . يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّكَ لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمٰانِهٰا خَيْراً . فالمستفاد منه أن الله تعالى إنما لم يقبل التوبة عن عبد إذا عمل بالمعاصى إلى أن استوجب العذاب، فحينئذ قبل نزوله و رؤيته الحق لا ينفع إيمانه، و هذا واقع فى الأمم السالفة و فى هذه الأمة و فى زمان الرجعة بنحو الموجبة الجزئية فى القضايا الخارجية الواقعة فى وقتها، و هذا أيضا واقع فى قرب الساعة و عند ظهور الآيات الإلهية.

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 645.

2- 2) غافر:84-85.

و أحسن ما يدل عليه

ما فيه (1)عن تفسير العياشى عن زرارة و حمران و محمد ابن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّکَ لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا ، قال: «طلوع الشمس من المغرب و خروج الدابة و الدجال، و الرجل يكون مصرّا و لم يعمل عمل الايمان ثم تجىء الآيات فلا ينفعه إيمانه» . أقول: قوله عليه السّلام: «و الرجل. . . إلخ» ، إذا صار الرجل، أى الناس مصرّين على المعاصى و لم يعملوا عمل الإيمان، بل انغمروا فى الفسق و الفجور، و هذا الحال يوجب استحقاقهم العذاب و رفع التوبة عنهم، لما نزل غضب الله عليهم، ثم إن المراد من طلوع الشمس من مغربها، هو ظهور القائم (عج) كما صرحت به الأحاديث الكثيرة.

الفائدة الرابعة: فيما ورد من أنّ إبليس يقتل فى الرجعة أو عند قيام القائم عليه السّلام

و بيان ما يوضحه: فنقول لا بد من ذكر أحاديث الباب، ثم بيان ما يظهر منها، فنقول:

ففى تفسير نور الثقلين (2)، عن كتاب معانى الأخبار بإسناده إلى عبد العظيم بن عبد الله الحسنى، قال: سمعت أبا الحسن على بن محمد العسكرى عليهما السّلام يقول: «معنى الرجيم أنه مرجوم باللعن، مطرود من الخير، لا يذكره مؤمن إلاّ لعنه، و إن فى علم الله السابق إذا خرج القائم عليه السّلام لا يبقى مؤمن فى زمانه إلاّ رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوما باللعن» .

و فيه عن تفسير العياشى عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول إبليس: . . فَأَنْظِرْنِى إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قٰالَ فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِينَ. إِلىٰ يَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ (3)، قال له وهب: جعلت فداك أى يوم هو؟

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 1 ص 646.

2- 2) تفسير نور الثقلين ج 3 ص 13.

3- 3) الحجر:36-38.

قال: «یا وهب أ تحسب أنه یوم یبعث الله فیه الناس، إن الله أنظره إلی یوم یبعث فیه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا کان فی مسجد الکوفة و جاء إبلیس حتی یجثو بین یدیه علی رکبتیه فیقول: یا ویله من هذا الیوم! فیأخذ ناصیته فیضرب عنقه، فذلک الیوم الوقت المعلوم» .

و فی المحکی (1)عن القمی عنه علیه السّلام قال: «یوم الوقت المعلوم یوم یذبحه رسول الله علی الصخرة التی فی البیت المقدس» .

و فی البحار (2)، عن منتخب البصائر بإسناده عن عبد الکریم بن عمرو الخثعمی، قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إنّ إبلیس قال: فَأَنْظِرْنِی إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ فأبی الله ذلک علیه، فقال: فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِینَ. إِلیٰ یَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ فإذا کان یوم الوقت المعلوم، ظهر إبلیس لعنه الله فی جمیع أشیاعه منذ خلق الله آدم إلی یوم الوقت المعلوم و هی آخر کرّة یکرّها أمیر المؤمنین علیه السّلام فقلت: و إنها لکرّات؟ قال: نعم، إنها لکرّات و کرّات ما من إمام فی قرن إلاّ و یکرّ معه البرّ و الفاجر فی دهره حتی یدیل الله المؤمن (من) الکافر. فإذا کان یوم الوقت المعلوم کرّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فی أصحابه، و جاء إبلیس فی أصحابه، و یکون میقاتهم فی أرض من أراضی الفرات یقال له الرّوحاء قریب من کوفتکم، فیقتتلون قتالا لم یقتتل مثله منذ خلق الله عز و جل العالمین، فکأنّی أنظر إلی أصحاب علی أمیر المؤمنین علیه السّلام قد رجعوا إلی خلفهم القهقری مائة قدم، و کأنی أنظر إلیهم و قد وقعت بعض أرجلهم فی الفرات، فعند ذلک یهبط الجبّار عزّ و جلّ فی ظلّ من الغمام و الملائکة و قضی الأمر، و رسول الله صلّی الله علیه و آله أمامه بیده حربة من نور، فإذا نظر إلیه إبلیس، رجع القهقری ناکصا علی عقبیه، فیقولون له أصحابه: أین ترید و قد ظفرت؟ فیقول: إنی أری ما لا ترون، إنی أخاف الله ربّ العالمین فیلحقه

1- 1) شرح الزیارة، الشموس الطالعة ص 432.

2- 2) البحار ج 53 ص 42.

النبی صلّی الله علیه و آله فیطعنه طعنة ما بین کتفیه، فیکون هلاکه و هلاک جمیع أشیاعه. فعند ذلک یعبد الله عز و جل و لا یشرک به شیئا، و یملک أمیر المؤمنین علیه السّلام أربعا و أربعین ألف سنة حتی یلد الرجل من شیعة علی ألف ولد و من صلبه ذکرا، و عند ذلک تظهر الجنّتان المدهامّتان عند مسجد الکوفة و ما حوله بما شاء الله» .

و فی تفسیر نور الثقلین (1)، عن العلل بإسناده إلی یحیی بن أبی العلا الرازی عن أبی عبد الله علیه السّلام حدیث طویل، یقول فیه علیه السّلام: «و قد سأل عن قول الله عز و جل لإبلیس: فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِینَ. إِلیٰ یَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ ، قال علیه السّلام: و یوم الوقت المعلوم یوم ینفخ فی الصور نفخة واحدة، فیموت إبلیس ما بین النفخة الأولی و الثانیة» . أقول: هذه الأخبار تری بظاهرها مختلفة، فأغلبها دلّت علی أنه (لعنة الله علیه) یقتل بید القائم (عج) فی مسجد الکوفة، کما دلّ علیه خبر وهب المتقدم أو بید رسول الله صلّی الله علیه و آله فی الرجعة علی الصخرة التی فی بیت المقدس، أو یطعنه صلّی الله علیه و آله بطعنة بین کتفیه، کما فی حدیث عمرو الخثعمی، أو أنه یموت ما بین النفخة الأولی و الثانیة کما فی الخبر الأخیر، و هذه بظاهرها یشکل الجمع بینها، و لکن الظاهر من أحادیث الواردة فی قصة الشیطان و إبلیس أنه (لعنة الله علیه) یتشکل بصورة الإنس، هو و أتباعه و أشیاعه کما دلّت علیه کثیر من الأخبار و نحن نذکر بعضها، ثم نعقّبه بشرح حقیقة الشیطان، و أنه کیف یتّصف الإنسان بالشیطان، و یطلق علیه أنه شیطان أیضا. فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین (2)، عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن علی بن أبی حمزة، عن بعض رجاله عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «ما بعث الله نبیّا إلاّ و فی أمّته شیطانان یؤذیانه و یضلاّن الناس بعده، فأما صاحبا نوح فقنطیقوس

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 10.

2- 2) تفسیر نور الثقلین ج 1 ص 621.

(فغنطيغوس) و حزام، و أما صاحبا إبراهيم فمكثل و زرام، و أما صاحبا موسى فالسامرى و مرعقيبا، و أما صاحبا عيسى فبولس و مرتيون، و أما صاحبا محمد فحبتر و زريق» .

و فيه عن أصول الكافى، و بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام حديث طويل، يقول فيه عليه السّلام: «فإنّ من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فأولئک هم شياطين الإنس و الجن» .

و فيه عن كتاب الخصال، عن أبى عبد الله قال: «الإنس على ثلاثة أجزاء: فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلاّ ظله. و جزء عليهم الحساب و العذاب. و جزء وجوههم وجوه الآدميين و قلوبهم قلوب الشياطين» .

و فيه عن الاحتجاج الطبرسى صلّى الله عليه و آله بإسناده إلى الباقر عليه السّلام عن النبى صلّى الله عليه و آله حديث طويل و فيه خطبة الغدير و فيها: «ألا إنّ أعداء على هم أهل الشقاق، هم العادون و إخوان الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا» .

و فيه عن مجمع البيان و روى عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال: «إنّ الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقى إليه ما يغوى به الخلق، حتى يتعلّم بعضهم من بعض» .

و فى البحار (1)، عن ابن عباس: «إن الله تعالى جعلهم يجرون من بنى آدم مجرى الدم و صدور بنى آدم مساكن لهم» .

و فيه (2)عن أبى سهل عن الحسن قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله «إنّ إبليس عدوّ الله كان يأتى الأنبياء و يتحدث إليهم. . .» الحديث بطوله.

و فى البحار (3)، عن مجالس ابن الشيخ بإسناده إلى ثعلبة بن زيد الأنصارى قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله يقول: «تمثّل إبليس (لعنه الله)

1- 1) البحار ج 63 ص 156.
2- 2) البحار ج 63 ص 226.
3- 3) البحار ج 63 ص 233.

فی أربع صور: تمثل یوم بدر فی صورة سراقة بن جعشم المدلجی فقال للقریش: . . . لاٰ غٰالِبَ لَکُمُ اَلْیَوْمَ مِنَ اَلنّٰاسِ وَ إِنِّی جٰارٌ لَکُمْ فَلَمّٰا تَرٰاءَتِ اَلْفِئَتٰانِ نَکَصَ عَلیٰ عَقِبَیْهِ وَ قٰالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ (1). و تصور یوم العقبة فی صورة منبه بن الحجّاج فنادی: إنّ محمدا و الصباة معه عند العقبة فأدرکوهم، فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله للأنصار: لا تخافوا فإنّ صوته لن یعدوه. و تصور یوم اجتماع قریش فی دار الندوة فی صورة شیخ من أهل نجد، و أشار علیهم فی النبی صلّی الله علیه و آله بما أشار، فأنزل الله تعالی: وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ وَ یَمْکُرُونَ وَ یَمْکُرُ اَللّٰهُ وَ اَللّٰهُ خَیْرُ اَلْمٰاکِرِینَ (2). و تصور یوم قبض النبی صلّی الله علیه و آله فی صورة المغیرة بن شعبة، فقال: أیّها الناس لا تجعلوها کسروانیّة و لا قیصرانیّة وسّعوها تتّسع، فلا تردّوها فی بنی هاشم فینتظر بها الحبالی» .

و فیه (3)عن العلل عن الصادق علیه السّلام فی خبر رؤیة النبی صلّی الله علیه و آله الشیطان لیلة الإسراء علی بقعة و فیها شیخ علی رأسه برنس، فسأله النبی صلّی الله علیه و آله جبرئیل عنها و عن الشیخ قال: هی بقعة شیعتک و الشیخ الجالس هو إبلیس، و فی ذیله فقلت: «قم یا ملعون. . . إلی أن قال فسمیت قم» .

و فیه (4)عن العیون و منه بهذا الإسناد عن علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: «کنت جالسا عند الکعبة، فإذا شیخ محدودب قد سقط حاجباه علی عینیه من شدة الکبر

1- 1) الأنفال:48.

2- 2) الأنفال:30.

3- 3) البحار ج 63 ص 238.

4- 4) البحار ج 63 ص 244.

و فی یده عکازة و علی رأسه برنس أحمر، و علیه مدرعة من الشعر، فدنا إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و النبی مسند ظهره إلی الکعبة، فقال: یا رسول اللّه ادع لی بالمغفرة فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله: خاب سعیک یا شیخ و ضلّ علمک (عملک) فلمّا تولّی الشیخ قال لی: یا أبا الحسن أ تعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلک اللعین إبلیس، قال علی علیه السّلام فعدوت خلفه حتی لحقته، و صرعته إلی الأرض، و جلست علی صدره، و وضعت یدی فی حلقه لأخنقه، فقال لی: لا تفعل یا أبا الحسن فإنی من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم، و اللّه یا علی إنی لأحبّک جدّا و ما أبغضک أحدا إلاّ شرکت أباه فی أمه فصار ولد زنا، فضحکت و خلّیت سبیله» .

و فی تفسیر نور الثقلین (1)، عن تفسیر علی بن إبراهیم فی خبر طویل فی غزوة بدر. . . إلی أن قال: «و جاء إبلیس إلی قریش فی صورة سراقة بن مالک فقال لهم: إنی جار لکم فادفعوا إلی رایتکم فدفعوها إلیه، و جاء بشیاطینه یهول بهم علی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أن قال: و نظر إبلیس (علیه اللعنة) إلی جبرئیل علیه السّلام فتراجع و رمی باللواء فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه. ثم قال: ویلک یا سراقة تفتّ فی أعضاء الناس؟ فرکله إبلیس رکلة فی صدره و قال: إنی بریء منکم إنی أری ما لا ترون إنی أخاف اللّه. . .» الحدیث. أقول: «فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوب إبلیس و هو بصورة سراقة، فرکله» أی رکل إبلیس و هو بصورة سراقة فی صدر منبه.

و فیه (2)عن مجمع البیان فلما قدموا مکّة قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلک سراقة، فقال: و اللّه ما شعرت بمسیرکم حتی بلغنی هزیمتکم، فقالوا: إنک أتیتنا یوم کذا فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أنّ ذلک کان الشیطان عن الکلبی و روی ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام.

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 132.

2- 2) تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 162.

و فيه (1)عن روضة الكافى بإسناده إلى زرارة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين فى أعين الكفار، و يكثر الكفار فى أعين الناس، فشدّ عليه جبرئيل عليه السّلام بالسيف فهرب منه و هو يقول: يا جبرئيل إنّى مؤجّل حتى وقع فى البحر، قال: فقلت لأبى جعفر عليه السّلام لأى شىء يخاف و هو مؤجّل؟ قال: يقطع بعض أطرافه» . أقول: هذه بعض الأخبار الدالة على أنه (لعنة الله عليه) يتشكّل بصورة الإنسان و لا مانع منه عقلا، فإنه كما قيل حقيقته نارية يتصور بأشكال مختلفة. و كيف كان لا ريب فى واجدية الشيطان لقوة العزّة منه تعالى فله (لعنة الله عليه) أن يتصور بصورة الإنسان مضافا إلى دلالة أخبار كثيرة على أنه تصوّر بصورة الإنسان فى موارد عديدة. فحينئذ نقول: يمكن، و الله العالم، أن يراد من الأحاديث الدالة على أنه يقتل بيد رسول الله صلّى الله عليه و آله أو أمير المؤمنين عليه السّلام كما علمته فى الأحاديث المتقدمة أنه يقتل و هو بصورة الإنسان كما هو صريح

قوله عليه السّلام فى حديث الخثعمى: فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس (لعنه الله) فى أشياعه. . . إلخ ، فإن وقوع الحرب بينهم يستدعى ظهوره بصورة الإنسان هو و أشياعه، فحينئذ إما يقتل بأن يؤخذ منه (لعنه الله) قدرة التمثّل بصورة الإنسان، فلا يمكنه بعد أن يوسوس بشرا، أو يقطع بعض أعضائه و أطرافه، كما علمته

فى حديث روضة الكافى ، فإنه (لعنه الله) «فرّ فى يوم بدر خوفا من أن يقطع أطرافه، و أما يوم الرجعة فلا يمكنه الفرار فتقطع أطرافه، فيستريح الناس من وسوسته أو من شدة وسوسته ، فلا يغلب حينئذ على بشر غلبة توجب عبادة غير الله تعالى، و حينئذ لا منافاة بين أن يقتل فى الرجعة هكذا، و إن يموت بتاتا بين النفختين كما دلّ عليه حديث المنقول عن العلل، و قد يقال: إن المستفاد من أحاديث الباب التى تقدم بعضها أن الإنسان بلحاظ متابعته للشيطان

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 161.

تترسّخ فيه حقيقة الشيطان، و ينسلخ منه روح الإيمان و العقل بالكلية، فلا إيمان له حينئذ و لا عقل، بل لا يبقى إلاّ الشيطنة و النكراء، كما ورد هذا بالنسبة إلى معاوية (لعنه اللّه) فحينئذ يصير بنفسه شيطانا رجيما، و هو المراد من قوله تعالى شَيٰاطِينَ اَلْإِنْسِ وَ اَلْجِنِّ ، فإن شيطان الإنس هو الإنسان المترسّخ فيه و فى قلبه صفات الشيطان، و قد رأيت فى الخصال فى سالف الزمان حديثا قد صرح فيه عليه السّلام بالنسبة إلى من تبع الشيطان و تمادى فى طغيانه و عصيانه بأنّه صار شيطانا لعينا، أى أنه صار بنفسه هكذا، كيف لا، و قد صرح فى الأخبار بأنه يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق. و حينئذ نقول: يمكن أن يكون قتل الشيطان فى الرجعة هو قتل أكابر المشركين الذين صاروا شياطين بالصفة، و يؤيده أنه قد ذكر أنه يقتل بيد القائم فى مسجد الكوفة و بيد الرسول صلّى اللّه عليه و آله على الصخرة فى بيت المقدس، فإن تعدد قتله (لعنه اللّه) مع أنه واحد لا يكون إلاّ بقتل شياطين الإنس الكذائى، إلاّ أن يقال: التعدد بلحاظ قتل أولاده، و هو خلاف الظاهر، هذا و العلم عند اللّه تعالى، و نحن نسلم لما يعلمه اللّه تعالى، و إنما ذكرنا هذا على سبيل الاحتمال و إن كان قويّا و الحمد للّه وحده.

الفائدة الخامسة: فيما يفعله الأئمة عليهم السّلام فى الرجعة،

فنقول: هيهنا أحاديث نذكر المهم منها، ثمّ نعقّبه بما يحتاج إلى التوضيح. أقول: تقدم

حديث الخثعمى قريبا و فيه حتى يديل اللّه المؤمن (من) الكافر. فى المجمع:

و فى الحديث قد أدال اللّه تعالى من فلان ، هو من الادالة أعنى النصرة و الغلبة، يقال: أديل لنا على أعدائنا أى نصرنا عليهم و كانت الدولة لنا، و الدولة: الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء. فحينئذ نقول معنى

الحديث: حتى يديل اللّه المؤمن من الكافر ، أى ينصره عليه و ينقل الدولة التى له إلى المؤمن، فيتبدل حال شدته إلى الرخاء.

و فی البحار (1)، عن منتخب البصائر بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن الذی یلی حساب الناس قبل یوم القیامة الحسین بن علی علیه السّلام، فأما یوم القیامة فإنما هو بعث إلی الجنة و بعث إلی النار» . الظاهر من الحدیث الشریف أنه علیه السّلام یلی حساب الخلق فی مدة رجعته، و سیأتی أنه أربعة و أربعون ألف عام، و یشکل بأنه علیه السّلام إنما یمکن له أن یلی حساب الموجودین فی زمانه علیه السّلام، فکیف حساب غیرهم ممن کانوا قبله أو بعده؟ و یجاب عنه: بأنه علیه السّلام یظهر العدل و القوانین الإلهیة، فمنها یعلم حساب الخلائق بالوضوح و البیان، بحیث یعرفه جمیع الخلائق، فلا یبقی لیوم القیامة إلاّ البعث إما إلی الجنة و إما إلی النار، و هذا لا ینافی کون الحساب فی القیامة أیضا، لأن معنی أنه علیه السّلام یلی حساب الخلق هو أنه یظهر العدل الإلهی و القوانین الإلهیة و یبیّنها للخلق بحیث یعلم کل من هلک أنه هلک عن بیّنة، و کل من نجا أنه نجا عن بیّنة، و هذا الوضوح أیضا یکشف لکل أحد یوم القیامة، بل الاعتبار یقتضی أن یتبیّن العدل الدینی فی الدنیا و القواعد، لیعلم المکلفون أحکامهم لیعمل المؤمن و لیعصی العاصی عن بیّنة، و هذا معنی ما ورد أنه بعد قیام القائم علیه السّلام یظهر حقائق الدین و أعلامه و معارفه، فإنها تظهر ببیانه علیه السّلام فی الرجعة، و هذا لا ینافی أن یظهر من بیان غیره علیه السّلام من سائر الأئمة، کما لا یخفی، و إنما اختص به علیه السّلام هذا لطول زمان رجعته علیه السّلام، و الله العالم.

و فیه عنه (2)عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله عز و جل: یَوْمَ هُمْ عَلَی اَلنّٰارِ یُفْتَنُونَ (3)قال: «یکسرون فی الکرة کما یکسر الذهب حتی یرجع کل شیء إلی شبهه» ، یعنی إلی حقیقته. أقول: یعنی یفتنون، یمتحنون حتی تظهر حقائقهم، و ذلک لشدة الفتن بهم،

1- 1) البحار ج 53 ص 43.

2- 2) البحار ج 53 ص 44.

3- 3) الذاريات:13.

فالمؤمن الخالص یظهر خلوصه، کما أنّ الکافر الخالص یظهر کفره، فلا یمکن حینئذ لأحد النفاق بأن یظهر خلاف ما فی حقیقته، و ذلک لکثرة الابتلاء و شدة المحن فی ذلک الزمان.

و فیه (1)عن تفسیر علی بن إبراهیم:

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ إِلاّٰ لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ یَوْمَ اَلْقِیٰامَةِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً

(2)

فإنه روی أن رسول الله صلّی الله علیه و آله إذا رجع آمن به الناس کلهم،

و تقدم حدیث معاویة بن عمار، و فی ذیله بالنسبة إلی النّصاب قال: «ذاک و الله فی الرجعة یأکلون العذرة» .

و فیه (3)عن الکنز یرفعه إلی بریدة الأسلمی قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله لعلی «یا علی إن الله أشهدک معی سبعة مواطن و ساق الحدیث. . . إلی أن قال: و الموطن السابع إنّا نبقی حین لا یبقی أحد و هلاک الأحزاب بأیدینا» .

و تقدم عن العیون قول الرضا علیه السّلام و قال صلّی الله علیه و آله: «إذا خرج المهدی من ولدی نزل عیسی بن مریم علیه السّلام فصلّی خلفه، و قال صلّی الله علیه و آله: إنّ الإسلام بدأ غریبا و سیعود غریبا فطوبی للغرباء! قیل یا رسول الله ثمّ یکون ما ذا؟ قال: یرجع الحق إلی أهله» .

قوله صلّی الله علیه و آله: «ثمّ یرجع الحق إلی أهله» ، یعنی أن الإسلام فی صدر زمان النبی صلّی الله علیه و آله کان بدؤه غریبا، و سیعود فی آخر الزمان قبل قیام القائم علیه السّلام و قبل زمان الرجعة غریبا، ثم بظهور الحجة (عج) و برجعة الأئمة علیهم السّلام یرجع الحق إلی أهله، أی ینقل الله تعالی الدولة من أهل الکفر إلی أهل الحق فیظهرون الحق و یعیشون بعیشة راضیة مرضیة إن شاء الله تعالی.

و فیه (4)عن منتخب البصائر، بإسناده عن موسی الحنّاط قال: سمعت أبا

1- 1) البحار ج 53 ص 50.
2- 2) النساء:159.
3- 3) البحار ج 53 ص 59.
4- 4) البحار ج 53 ص 63.

عبد الله علیه السّلام یقول: «أیام الله ثلاثة: یوم یقوم القائم (عج) . و یوم الکرّة. و یوم القیامة» . أقول: جمیع الأیام لله تعالی، و الاختصاص بهذه الثلاثة لظهور آثار قدرته تعالی بید أولیائه، و ظهور الحق علی أیدیهم فی یوم قیام القائم (عج) و یوم الکرة، و أما القیامة فیوم ظهرت صفاته الجمالیة و الجلالیة بحیث لا یبقی لأحد شیء، کما لا یخفی.

و فیه عن رجال الکشی (1)عن أبی خدیجة قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «إنی سألت الله فی إسماعیل أن یبقیه بعدی فأبی، و لکنه قد أعطانی فیه منزلة أخری، إنه یکون أول منشور فی عشرة من أصحابه، و منهم عبد الله بن شریک و هو صاحب لوائه» .

و فیه عنه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «کأنی بعبد الله بن شریک العامری علیه عمامة سوداء، و ذؤابتاها بین کتفیه، مصعدا فی لحف الجبل بین یدی قائمنا أهل البیت فی أربعة آلاف مکبّرون و مکرّون» . أقول: اللحف بالکسر أصل الجبل.

و فیه (2)عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «کأنی بحمران بن أعین و میسر بن عبد العزیز یخبطان الناس بأسیافهما بین الصفا و المروة» .

و فیه (3)عن علل الشرایع بإسناده عن عبد الرحیم القصیر قال: قال لی أبو جعفر علیه السّلام: «أما لو قد قام قائمنا لقد ردت إلیه الحمیراء حتی یجلدها الحدّ، و حتی

1- 1) البحار ج 53 ص 76.

2- 2) البحار ج 53 ص 40.

3- 3) البحار ج 53 ص 90.

ينتقم لابنة محمد فاطمة عليها السّلام منها» .

و فيه (1)عن الإرشاد روى عبد الكريم الخثعمى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إذا آن قيام القائم (عج) مطر الناس جمادى الآخرة و عشرة أيام من رجب مطرا لم تر الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين و أبدانهم فى قبورهم، و كأنى أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة، ينفضون شعورهم من التراب» . أقول: قد علمت أن الرجعة كالقيامة فى رجوع الأشخاص بأبدانهم إلى الدنيا، فكما ورد أنه تعالى قبل القيامة يفعل هذا فكذلك قبل الرجعة، و لعل الاختصاص بأربعين يوما لأجل رجوع بعض الناس ممن محض الإيمان محضا، و ممن محض الشرك محضا لا جميعهم، و كيف كان فمظاهر قدرته فى الرجعة تشبه مظاهره لقيام القيامة و الله العالم.

و فيه عن اعلام الورى و الإرشاد، روى المفضل عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «يخرج مع القائم (عج) من ظهر الكوفة سبعة و عشرون رجلا، خمسة عشر من قوم موسى عليه السّلام الذين كانوا يهدون بالحق و به يعدلون (2)و سبعة من أهل الكهف، و يوشع بن نون، و سلمان، و أبو دجانة الأنصارى، و المقداد، و مالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارا و حكاما» .

و فيه عن غيبة النعمانى، عن الثمالى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «لو قد خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة، و أول من يتّبعه محمد و على الثانى (صلى الله عليهما و آلهما)» .

و فيه عن غيبة الشيخ عن الرضا عليه السّلام فى حديث له طويل فى علامات ظهور القائم عليه السّلام قال: «و الصوت الثالث يرون بدنا بارزا نحو عين الشمس: هذا أمير المؤمنين، قد كرّ فى هلاک الظالمين» .

1- 1) البحار ج 53 ص 90.

2- 2) إشارة إلى آية 159 فى سورة الأعراف: وَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ

أقول:

قوله عليه السّلام «يرون بدنا» لعله هو المصوت، فيكون أمير المؤمنين هو الظاهر الخارج فى الأرض، و يحتمل أن يكون البدن البارز هو أمير المؤمنين نحو عين الشمس، ثم يخرج على الأرض ليهلك الظالمين. و كيف كان فهذا النحو من الخروج من آياته تعالى، التى تكون عند الرجعة لإظهار الحقّ و لسوق الناس إلى قبوله، و الله العالم.

و فيه عنه عن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم (عج) و من مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السّلام: «إذا قام أتى المؤمن فى قبره فيقال له: يا هذا إنه قد ظهر صاحبك! فإن تشأ أن تلحق به فالحق، و إن تشأ أن تقيم فى كرامة ربك فأقم» .

و فيه (1)عن الكافى عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ قَضَيْنٰا إِلىٰ بَنِى إِسْرٰائِيلَ فِى اَلْكِتٰابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى اَلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ. . . (2)قال: «قتل على بن أبى طالب عليه السّلام و طعن الحسن عليه السّلام وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً قال: قتل الحسين عليه السّلام فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ أُولاٰهُمٰا إذا جاء نصر دم الحسين بَعَثْنٰا عَلَيْكُمْ عِبٰاداً لَنٰا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجٰاسُوا خِلاٰلَ اَلدِّيٰارِ قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون واترا لآل محمد إلاّ قتلوه وَ كٰانَ وَعْداً مَفْعُولاً خروج القائم ثُمَّ رَدَدْنٰا لَكُمُ اَلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ خروج الحسين عليه السّلام فى سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة لكل بيضة وجهان، المؤدون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج لا يشك المؤمنون فيه، و أنه ليس بدجال و لا شيطان، و الحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة فى قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السّلام جاء الحجة الموت، فيكون الذى يغسّله و يكفّنه و يحنّطه و يلحّده فى حفرته الحسين بن على عليه السّلام و لا يلى الوصى إلاّ الوصى» .

و فيه (3)عن غيبة الشيخ بإسناده عن جابر الجعفى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام

1- 1) البحار ج 53 ص 93.
2- 2) الإسراء:4-6.
3- 3) البحار ج 53 ص 100.

(يقول) : «و الله ليمكنّ منّا أهل البيت رجل بعـد موته ثلاثمائـة سـنة يزداد تسـعا، قلت: متى يكون ذلک؟ قال: بعد القائم، قلت: و كم يقوم القائم فى عالمه؟ قال: تسع عشـرة سـنة، ثم يخرج المنتصـر فيطلب بدم الحسـين و دماء أصحابه، فيقتل و يسبى حتى يخرج السفّاح» . قال المجلسى رحمه الله: الظاهر أن المراد بالمنتصر الحسين عليه السّلام و بالسفّاح أمير المؤمنين عليه السّلام. أقول: و سيأتى

عن جابر عن أبى جعفر عليه السّـلام حديث و فى ذيله: «و هل تدرى من المنتصر و السفاح يا جابر؟ المنتصر: الحسين بن على، و السفّاح: على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و فيه (1)عن منتخب البصائر، عن كتاب السـلطان المفرّج، عن أهل الإيمان تصنيف السيد الجليل بهاء الدين على بن عبد الكريم الحسنى يرفعه إلى على بن مهزيار، قال: كنت نائما فى مرقـدى إذ رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول: «حـج السـنة فإنک تلقى صاحب الزمان» ، و ذكر الحـديث بطوله. ثم قال: «يا بن مهزيار إنه إذا فقـد الصـين و تحرک المغربى، و سار العباسـى و بويع السـفيانى، يؤذن لولى الله، فأخرج بين الصـفا و المروة، فى ثلاثمائـة و ثلاثـة عشـر فأجىء إلى الكوفة، فأهدم مسـجدها، و أبنيه على بنائه الأول و أهدم ما حوله من بناء الجبابرة. و أحج بالناس حجة الإسلام، و أجىء إلى يثرب، فاهدم الحجرة، و أخرج من بها و هما طريّان، فآمر بهما تجاه البقيع، و آمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشـد من الأولى، فينادى مناد الفتنـة من السـماء يا سـماء انبذى، و يا أرض خذى، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلاّ مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان.

1- 1) البحار ج 53 ص 104.

قلت: یا سیدی ما یکون بعد ذلک؟ قال: الکرّة الکرّة الرجعة، ثم تلا هذه الآیة: ثُمَّ رَدَدْنٰا لَکُمُ اَلْکَرَّةَ عَلَیْهِمْ وَ أَمْدَدْنٰاکُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِینَ وَ جَعَلْنٰاکُمْ أَکْثَرَ نَفِیراً (1)» .

قوله علیه السّلام: «الکرّة الکرّة الرجعة» أی یکون بعد هذا رجوع الأئمة علی ما بینته الأخبار.

و أما قوله علیه السّلام: «ثم ینادی منادی الفتنة من السماء یا سماء أنبذی و یا أرض خذی. . . إلخ» فالظاهر أن المراد من الفتنة هو الامتحان، فإنه فی ذلک الزمان یمتحن الخلائق، لیظهر ما فی کونهم کما علمت فیما سبق.

و قوله علیه السّلام: «یا سماء انبذی و یا أرض خذی» إما یراد منه الصوت فقط، لیخاف الناس فیؤمنوا، أو یبقوا فی کفرهم و ضلالتهم، کل علی حسب ما فی أصله و ذاته و إما، یراد منه ظهور آیات من الملائکة أو الریاح أو البارقة من السماء، فحینئذ السماء تنبذ بالبارقة علی رءوس الناس، و الأرض تأخذ هذا إلی العذاب و تذر المؤمن، و الله العالم بمراد أولیائه علیهم السّلام. و فیه (2)عن فهرست النجاشی، «کانت لمؤمن الطاق مع أبی حنیفة حکایات کثیرة، فمنها أنه قال له یوما: یا أبا جعفر! تقول بالرجعة؟ فقال: نعم، فقال له: أقرضنی من کیسک هذا خمسمائة دینار، فإذا عدت أنا و أنت رددتها إلیک، فقال له فی الحال: أرید ضمینا یضمن لی أنک تعود إنسانا، و إنی أخاف أن تعود قردا فلا أتمکن من استرجاع ما أخذت» .

و فیه (3)عن مختصر البصائر عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال سألته عن قول الله عز و جل: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ آیَةً فَظَلَّتْ أَعْنٰاقُهُمْ لَهٰا خٰاضِعِینَ (4)قال: «تخضع لها رقاب بنی أمیة قال: ذلک بارز عند زوال الشمس،

1- 1) الإسراء:6.
2- 2) البحار ج 53 ص 107.
3- 3) البحار ج 53 ص 109.
4- 4) الشعراء:4.

قال: و ذلک علی بن أبی طالب علیه السّلام، یبرز عند زوال الشمس علی رءوس الناس ساعة حتی یبرز وجهه یعرف الناس حسبه و نسبه. ثم قال: أما أن بنی أمیة لیخبینّ الرجل منهم إلی جنب شجرة، فتقول: هذا رجل من بنی أمیة فاقتلوه» . أقول: لعل قوله علیه السّلام: «و ذلک أی البارز عند زوال الشمس، علی بن أبی طالب علیه السّلام» یطابق مضمونه مع ما تقدم

عن الرضا علیه السّلام علامات ظهور القائم (عج) من قوله: «یرون بدنا بارزا نحو عین الشمس هذا أمیر المؤمنین علیه السّلام. . . إلخ» ، و الله العالم.

و فیه (1)عن ابن عباس عن النبی صلّی الله علیه و آله أنه قال فی خطبة حجة الوداع: «لأقتلنّ العمالقة فی کتیبة فقال له جبرئیل علیه السّلام: أو علی، قال: أو علی بن أبی طالب علیه السّلام» . قوله «أو علی» یعنی أو یقتل العمالقة علی علیه السّلام، فقال صلّی الله علیه و آله: «أو علی بن أبی طالب» أی أو یقتلهم علی علیه السّلام.

و فیه عن الکافی بإسناده عن کرام قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: «لو کان الناس رجلین لکان أحدهما الإمام علیه السّلام، و قال: إنّ آخر من یموت الإمام علیه السّلام لئلاّ یحتجّ أحد علی الله أنه ترکه بغیر حجة (لله) علیه» .

و فیه (2)عن کامل الزیارات عن المفضل بن عمر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «کأنّی بسریر من نور قد وضع، و قد ضربت علیه قبّة من یاقوتة حمراء، مکلّلة بالجوهر و کأنّی بالحسین علیه السّلام جالسا علی ذلک السریر، و حوله تسعون ألف قبّة خضراء، و کأنّی بالمؤمنین یزورونه و یسلّمون علیه. فیقول الله عز و جل لهم: أولیائی سلونی! فطالما أوذیتم و ذللتم و اضطهدتم، فهذا یوم لا تسألونی حاجة من حوائج الدنیا و الآخرة إلاّ قضیتها لکم، فیکون أکلهم و شربهم من الجنة، فهذه و الله

1- 1) البحار ج 53 ص 114.
2- 2) البحار ج 53 ص 116.

الکرامة» . قال المجلسی رحمه الله: سؤال حوائج الدنیا یدلّ علی أنّ هذا فی الرجعة إذ هی لا تسأل فی الآخرة.

و فیه (1)عن کامل الزیارات عن أبی جعفر و أبی عبد الله علیه السّلام قالا فی ذکر الکوفة: «فیها مسجد سهیل الذی لم یبعث الله نبیّا إلاّ و قد صلّی فیه، و منها یظهر عدل الله، و فیها یکون قائمه و القوام من بعده، و هی منازل النبیین و الأوصیاء و الصالحین» .

و فیه (2)عن تفسیر فرات بن إبراهیم عن ابن عباس فی قوله تعالی: وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا قال «یعنی الأئمة منا أهل البیت یملکون الأرض فی آخر الزمان فیملؤنها عدلا و قسطا» .

و فیه (3)عن إکمال الدین بإسناده عن أبی بصیر قال: قلت للصادق جعفر بن محمد علیهما السّلام یا بن رسول الله سمعت من أبیک علیه السّلام أنه قال: «یکون بید القائم اثنا عشر مهدیّا، فقال: إنّما قال: اثنا عشر مهدیا، و لم یقل اثنا عشر إماما، و لکنهم قوم من شیعتنا یدعون الناس إلی موالاتنا و معرفة حقنا» . أقول: و فسّر هؤلاء القوم من الشیعة بأنهم من ولد الحسین علیه السّلام.

ففیه عن غیبة الشیخ بإسناده عن أبی حمزة، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی حدیث طویل أنه قال: «یا أبا حمزة إنّ منّا بعد القائم أحد عشر مهدّیّا من ولد الحسین علیه السّلام» . أقول: لعل الأحد عشر من ولد الحسین علیه السّلام فهم مع أبیهم الحسین علیه السّلام یبلغون إلی اثنی عشر مهدیّا، ففی الحدیث السابق إنما ذکر اثنی عشر بلحاظ دخول الحسین علیه السّلام فیهم، و الله العالم.

1- 1) البحار ج 53 ص 148.

2- 2) البحار ج 53 ص 118.

3- 3) البحار ج 53 ص 145.

و فيه (1)عن تفسير العياشى عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «و الله ليملكنّ رجل منّا أهل البيت الأرض بعد موته ثلاثمائة سنة، و يزداد تسعا قال قلت: فمتى ذلک؟ قال: بعد موت القائم، قال: قلت: و كم يقوم القائم فى عالمه حتى يموت؟ قال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى يوم موته، قال: قلت فيكون بعد موته هرج؟ قال: نعم، خمسين سنة. قال: ثمّ يخرج المنصور إلى الدنيا فيطلب دمه و دم أصحابه فيقتل و يسبى حتى يقال: لو كان هذا من ذرية الأنبياء ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه أبيضهم و أسودهم، فيكثرون عليه حتى يلجئونه إلى حرم الله، فإذا اشتدّ البلاء عليه، مات المنتصر و خرج السفاح إلى الدنيا غضبا للمنتصر، فيقتل كلّ عدوّ لنا جائر، فيملک الأرض كلها، و يصلح الله له أمره، يعيش ثلاثمائة سنة و يزداد تسعا» . ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: «يا جابر و هل تدرى من المنتصر و السفّاح؟ يا جابر المنتصر الحسين، و السفاح أمير المؤمنين «صلوات الله عليهما» . أقول: قال المجلسى رحمه الله: بيان هذه الأخبار مخالفة للمشهور و طريق التأويل أحد وجهين: الأول: أن يكون المراد بالاثنى عشر مهديّا النبى صلّى الله عليه و آله و سائر الأئمة سوى القائم (عج) بأن يكون ملكهم بعد القائم عليه السّلام و قد سبق أن الحسن بن سليمان أولها بجميع الأئمة و قال برجعة القائم (عج) بعد موته، و به أيضا يمكن الجمع بين بعض الأخبار المختلفة التى وردت فى مدة ملكه عليه السّلام. و الثانى: أن يكون هؤلاء المهديّون من أوصياء القائم هادين للخلق فى زمن سائر الأئمة الذين رجعوا، لئلا يخلو الزمان من حجة، و إن كان أوصياء الأنبياء و الأئمة أيضا حججا، و الله تعالى يعلم.

1- 1) البحار ج 53 ص 146.

أقول: قد علمت تفسير الاثنى عشر مهديّا بأنهم من ولد الحسين عليه السّلام و الظاهر أنهم فى زمان الأئمة عليهم السّلام فى الرجعة يكون كلّ منهم مهديا من قبل الإمام فى كلّ طرف من أطراف العالم، و فى زمانه الذى قد رجع فيه، و الله العالم. فكيف كان فهذه الأخبار التى دلّت على وقائع تكون بعد قيام القائم (عج) ثم إن بعضها معلوم المراد، و بعضها غير ظاهر المراد

كقوله عليه السّلام فى هذا الحديث: فيكون بعد موته هرج. أقول:

و روى فى إكمال الدين (1)بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «ما زالت الأرض إلاّ و لله تعالى فيها حجة يعرف الحلال من الحرام، و يدعو إلى سبيل الله، و لا تنقطع الحجة من الأرض إلاّ أربعين يوما قبل القيامة، و إذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ. . . الآية، أولئک شرار خلق الله و هم الذين تقوم عليهم القيامة» . أقول: تقدمت هذه الرواية فى الرجعة، و علمت أن هذا عند اقتراب الساعة، و على هذا فمعنى

قوله عليه السّلام: «نعم، خمسين سنة» ، بعد السؤال بقوله: فيكون بعد موته هرج؟ إنه لا يكون هرج كالهرج قبل قيام الساعة، بل يكون فترة، و الله العالم، و لا يكون فى زمان هذا الهرج انقطاع الحجة، فإنه صرح كثير من الأخبار بأنه لا ترفع الحجة إلاّ قبل القيامة بأربعين يوما، و حمل هذا الهرج على خروج القائم عليه السّلام فى آخر الزمان قبل يوم القيامة و بعد الكرّات للأئمة عليهم السّلام بعيد، فإنه و إن ورد أنه عليه السّلام يرجع بعد ما يقتل فى آخر الزمان إلاّ أن قوله عليه السّلام بعده (ثم يخرج المنصور إلى الدنيا أى الحسين عليه السّلام) ظاهر فى خروجه الأول لا الأخير كما لا يخفى.

بقى شىء و هو أن قوله عليه السّلام «منتظر لأمركم، و مرتقب لدولتكم»

، يشير إلى أن الزائر يظهر بعد إيمانه برجوعهم عليهم السّلام و تصديقه بها أنه منتظر لأمرهم و فرجهم و قيامهم عليهم السّلام و أنه مرتقب لانتقال الدولة إليهم عليهم السّلام و قد دلّت أحاديث كثيرة على

1- 1) إكمال الدين ج 1 ص 339.

أن انتظار الفرج من أفضل العبادات. و يشير إلى ما ذكر أحاديث لا بأس بذكر بعضها، و هى بين ما دلّت على فضل انتظار الفرج، و بين ما دلّت على أفضليّة العبادة فى تلك الحالة، أى حال الغيبة و انتظار الفرج، و بين ما دلّ على أنّ المنتظرين هم المؤمنون الممتحنون.

ففى كتاب يوم الخلاص نقلا عن إلزام الناصب و غيره عن النبى صلّى الله عليه و آله: «المهدى من ولدى الذى يفتح الله به مشارق الأرض و مغاربها، ذلک الذى يغيب عن أوليائه، لا يثبت على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان» .

و فيه عن عدّة كتب عنه صلّى الله عليه و آله «أفضل العبادة انتظار الفرج» .

و فيه عنه صلّى الله عليه و آله: «انتظار الفرج عبادة، أفضل أعمال أمتى انتظار فرج الله» .

و فيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام «أفضل العبادة الصمت و انتظار الفرج» ، رواه عن الكشكول.

و فيه عن النبى صلّى الله عليه و آله «سيأتى قوم من بعدكم الرجل منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول الله نحن كنّا معک ببدر و حنين و أحد و نزل فينا القرآن، فقال: إنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم» ، رواه عن منتخب الأثر و غيبة الطوسى.

و فيه عنه صلّى الله عليه و آله «يأتى على الناس زمان المؤمن فيه أذلّ من شاته» .

و فيه عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام عنه صلّى الله عليه و آله «يا على لا يحفظنّ فيک إلاّ الأتقياء الأبرار الأخصّاء، و ما هم فى أمتى إلاّ كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود فى الليل الغابر» .

و فى البحار (1)، عن بصائر الدرجات عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله ذات يوم و عنده جماعة من أصحابه: (اللهم لقنى إخوانى) مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أ ما نحن إخوانک يا رسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابى، و إخوانى قوم فى آخر الزمان آمنوا و لم يرونى، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم

1- 1) البحار ج 52 ص 124.

و أسـماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصـلاب آبائهم و أرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ بقيّة على دينه من خرط القتاد فی اللیلة الظلماء، أو کالقابض علی جمر الغضا، أولئک مصابیح الدجی، ینجیهم الله من کلّ فتنة غبراء مظلمة» .

و فیه (1)عن البـاقر عن آبـائه علیهم السّـلام قال: قال رسول الله صـلّی الله علیه و آله: «أفضل العبادة انتظار الفرج» . أقول: فی هـذا المجلد أحادیث فضل انتظار الفرج فمن أراد فلیراجعها.

و فی الکافی فی کتاب الحجة، باب النادر فی حال الغیبة، عن المفضّل بن عمر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «أقرب ما یکون العباد من الله جلّ ذکره، و أرضی ما یکون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جل و عز، و لم یظهر لهم و لم یعلموا مکانه، و هم فی ذلک یعلمون أنه لم تبطل حجـة الله جل ذکره و لا میثاقه، فعنـده فتوقّعوا الفرج صـباحا و مساء، فإن أشـدّ ما یکون غضب الله علی أعـدائه إذا افتقدوا حجته و لم یظهر لهم، و قد علم أنّ أولیاءه لا یرتابون، و لو علم أنهم یرتابون ما غیّب حجته عنهم طرفة عین، و لا یکون ذلک إلاّ علی رأس شرار الناس» .

و فیه عن عمار الساباطی قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّـلام أیّما أفضل: العبادة فی السّر مع الإمام منکم المستتر فی دولة الباطل أو العبادة فی ظهور الحق و دولته مع الإمـام منکم الظـاهر؟ فقال: «یا عمار! الصدقـة فی السّـر و الله أفضل من الصدقـة فی العلانیـة، و کـذلک و الله عبادتکم فی السّـر مع إمامکم المستتر فی دولة الباطل، و تخوّفکم من عدوکم فی دولة الباطل و حال الهدنة أفضل ممن یعبد الله عز و جل ذکره فی ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر فی دولة الحق، و لیست العبادة مع الخوف فی دولة الباطل مثل العبادة و الأمن فی دولة الحق، و اعلموا أنّ من صلّی منکم الیوم صلوة فریضة فی جماعة، مستتر بها من عدوّه فی وقتها فأتمّها، کتب الله له خمسین صلوة فریضة فی

1- 1) البحار ج 52 ص 125.

جماعة، و من صـلّى منكم صلوة فريضة وحده مستترا بها من عدوه فى وقتها فأتمّها، كتب الله عز و جل بها له خمسا و عشرين صلوة فريضة وحدانية، و من صـلّى منكم صلوة نافلة لوقتها فأتّمها، كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، و من عمل منكم حسنة، كتب الله عز و جل له بها عشـرين حسنة، و يضاعف الله عز و جل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، و دان بالتقية على دينه و إمامه و نفسه، و أمسک من لسانه أضـعافا مضاعفـة، إنّ الله عز و جل كريم، قلت: جعلت فداک قد و الله رغّبتنى فى العمل و حثثتنى عليه، و لكن أحب أن أعلم كيف صـرنا نحن اليوم أفضل أعمالا من أصحاب الإمام الظاهر منكم فى دولة الحق و نحن على دين واحد؟ فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول فى دين الله عز و جل، و إلى الصـلوة و الصوم و الحج، و إلى كل خير وفقه و إلى عبادة الله عز ذكره سرّا من عدوكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صـابرين معه، منتظرين لدولـة الحق، خـائفين على إمامكم و أنفسـكم من الملوک الظلمـة، تنتظرون إلى حق إمامكم و حقوقكم فى أيـدى الظلمـة، قـد منعوكم ذلک، و اضـطّروكم إلى حرث الـدنيا و طلب المعاش مع الصبر على دينكم و عبادتكم و طاعـة إمامكم و الخوف مع عـدوكم، فبـذلک ضـاعف الله عز و جل لكم الأعمال، فهنيئا لكم. قلت: جعلت فـداک، فما ترى إذا أن نكون من أصـحاب القائم، و يظهر الحق و نحن اليوم فى إمامتک و طاعتک أفضل أعمالا من أصحاب دولة الحق و العدل؟ فقال: سبحان الله، أ ما تحبّون أن يظهر الله تبارک و تعالى فى أرضه، و تقام حدوده فى خلقه، و يردّ الله الحق إلى أهله فيظهر، حتى لا يستخفى بشىء من الحق مخافة أحد من الخلق. أما و الله يا عمار! لا يموت منكم ميّت على الحال التى أنتم عليها إلاّ كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر و أحد فأبشروا» .

و فيه عن أبى إسحاق قال: حدّثنى الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام: أنهم

سمعوا أمير المؤمنين عليه السّلام يقول فی خطبة له: «اللهم و إنی لأعلم أنّ العلم لا یأزر کله، و لا ینقطع موادّه، و أنک لا تخلی أرضک من حجة لک علی خلقک، ظاهر لیس بالمطاع أو خائف مغمور، کیلا تبطل حجتک و لا یضلّ أولیاؤک بعد إذ هدیتهم، بل أین هم و کم؟ أولئک الأقلّون عددا و الأعظمون عند الله جلّ ذکره قدرا، المتّبعون لقادة الدین، الأئمة الهادین الذین یتأدّبون بآدابهم، و ینهجون نهجهم، فعند ذلک یهجم بهم العلم علی حقیقة الإیمان، فتستجیب أرواحهم لقادة العلم، و یستلینون من حدیثهم ما استوعر علی غیرهم، و یأنسون بما استوحش منه المکذّبون و أباه المسرفون، أولئک أتباع العلماء. صحبوا أهل الدنیا بطاعة الله تبارک و تعالی و أولیائه، و دانوا بالتقیة عن دینهم و الخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحل الأعلی، فعلماؤهم و أتباعهم خرس صمت فی دولة الباطل، منتظرون لدولة الحق، و سیحق الله الحق بکلماته و یمحق الباطل، ها، ها، طوبی لهم علی صبرهم علی دینهم فی حال هدنتهم! و یا شوقاه إلی رؤیتهم فی حال ظهور دولتهم! و سیجمعنا الله و إیاهم فی جنات عدن و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرّیاتهم» . أقول:

فقوله:

«منتظرکم لأمرکم، مرتقب لدولتکم»

، یشیر إلی أنه یقرّ الزائر لهم بأنّی ممتثل لهذه الأمور الصادرة منکم، لبیان حال المؤمن فی زمان الغیبة، لیکون له ما وعده الله تعالی له من الثواب و الفضل الجزیل عنده، فإنه حمید مجید. أقول: یعجبنی أن أختم الکلام فی المقام بما

فی البحار (1)، عن منتخب البصائر من کتاب الواحدة عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إنّ الله تبارک و تعالی أحد واحد، تفرّد فی وحدانیته، ثمّ تکلّم بکلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلک النور محمدا صلّی الله علیه و آله و خلقنی و ذرّیتی، ثمّ تکلّم بکلمة فصارت روحا، فأسکنه الله فی ذلک النور، و أسکنه فی أبداننا فنحن روح الله و کلماته، فبنا احتجّ

1- 1) البحار ج 53 ص 46.

على خلقه، فما زلنا فى ظلّة خضراء، حيث لا شمس و لا قمر و لا ليل و لا نهار، و لا عين تطرف، نعبده و نقدسه و نسبحه، و ذلک قبل أن يخلق الخلق، و أخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان و النصرة لنا، و ذلک قوله عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ (1)يعنى لتؤمننّ بمحمد صلّى الله عليه و آله و لتنصرنّ وصيّه، و سينصرونه جميعا. و إنّ الله أخذ ميثاقى مع ميثاق محمد صلّى الله عليه و آله بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمدا و جاهدت بين يديه، و قتلت عدوّه، و وفيت لله بما أخذ علىّ من الميثاق و العهد، و النصرة لمحمد صلّى الله عليه و آله و لم ينصرنى أحد من أنبياء الله و رسله، و ذلک لما قبضهم الله إليه، و سوف ينصروننى، و يكون لى ما بين مشرقها إلى مغربها، و ليبعثنّ الله أحياء من آدم إلى محمد صلّى الله عليه و آله كلّ نبى مرسل، يضربون بين يدىّ بالسيف هام الأموات و الأحياء و الثقلين جميعا. فيا عجبا و كيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء! يلبّون زمرة زمرة بالتّلبية لبّيک لبّيک يا داعى الله، قد تخلّلوا بسكک الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم، ليضربون بها هام الكفرة، و جبابرتهم و أتباعهم من جبّارة الأولين و الآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم فى قوله عز و جل: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي اَلْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اَلَّذِي اِرْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً (2)أى يعبدوننى آمنين لا يخافون أحدا من عبادى ليس عندهم تقيّة. و إن لى الكرّة بعد الكرّة، و الرجعة بعد الرجعة، و أنا صاحب الرجعات و الكرّات، و صاحب الصولات و النقمات، و الدولات العجيبات و أنا قرن من حديد، و أنا عبد الله و أخو رسول الله صلّى الله عليه و آله، أنا أمين الله و خازنه، و عيبة سرّه و حجابه

1- 1) آل عمران:81.

2- 2) النور:55.

و وجهه و صراطه و ميزانه، و أنا الحاشر إلى الله، و أنا كلمة الله التى يجمع بها المفترق و يفرق بها المجتمع، و أنا أسماء الله الحسنى، و أمثاله العليا و آياته الكبرى، و أنا صاحب الجنة و النار، أسكن أهل الجنة الجنة، و أسكن أهل (النار) النار، و إلى تزويج أهل الجنة، و إلى عذاب أهل النار، و إلى إياب الخلق جميعا، و أنا الإياب الذى يئوب إليه كل شىء بعد القضاء، و إلى حساب الخلق جميعا، و أنا صاحب الهبات، و أنا المؤذّن على الأعراف، و أنا بارز الشمس، و أنا دابة الأرض، و أنا قسيم النار، و أنا خازن الجنان و صاحب الأعراف. و أنا أمير المؤمنين، و يعسوب المتّقين، و آية السابقين، و لسان الناطقين، و خاتم الوصيين، و خليفة ربّ العالمين، و صراط ربى المستقيم، و فسطاطه و الحجة على أهل السموات و الأرضين، و ما فيهما و ما بينهما، و أنا الذى احتجّ الله به عليكم فى ابتداء خلقكم، و أنا الشاهد يوم الدين، و أنا الذى علمت علم المنايا و البلايا و القضايا، و فصل الخطاب و الأنساب، و استحفظت آيات النبيين المستخفين المستحفظين. و أنا صاحب العصا و الميسم، و أنا الذى سخّرت لى السحاب و الرعد و البرق، و الظلم و الأنوار، و الرياح و الجبال و البحار، و النجوم و الشمس و القمر، أنا القرن الحديد، و أنا فاروق الأمة، و أنا الهادى، و أنا الذى أحصيت كلّ شىء عددا بعلم الله الذى أودعنيه، و بسره الذى أسرّه إلى محمد صلّى الله عليه و آله و أسرّه النبى صلّى الله عليه و آله إلىّ، و أنا الذى أنحلنى ربى اسمه و كلمته و حكمته و علمه و فهمه. يا معشر الناس اسألونى قبل أن تفقدونى، اللهم إنى أشهدك و أستعديك عليهم، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العلى العظيم، و الحمد لله متّبعين أمره» . أقول:

قوله عليه السّلام: «و أنا صاحب الرجعات و الكرّات. . . إلى قوله و الدولات» أى الرجعات إلى الدنيا، و تقدم أنّ له عليه السّلام كرّات متعددة. و الدولة: الغلبة أى أنا صاحب الغلبة بعد الغلبة فى الحروف فيما مضى و فيما يأتى

فى الرجعة.

قوله علیه السّلام «و أنا المؤذّن على الأعراف» :

ففى المحكى عن الصدوق فى معانى الأخبار، عن أبى جعفر علیه السّلام قال: خطب أمیر المؤمنين علیه السّلام بالكوفة، منصرفه من النهروان و ذكر الخطبة. . . إلى أن قال علیه السّلام فيها: «و أنا المؤذّن فى الدنيا و الآخرة، قال الله عز و جل: فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اَللّٰهِ عَلَى اَلظّٰالِمِينَ (1)أنا ذلك المؤذّن، و قال: وَ أَذٰانٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ (2)فأنا ذلك المؤذّن» . أقول: الأول فى الآخرة و الثانى فى الدنيا.

قوله علیه السّلام: «و أنا قسيم النار» : قيل هذا هو الصحيح لا القول بأنه علیه السّلام قسيم النار و الجنة، فإن قسيم بمعنى مقاسم، أى من قسم له شىء من شيئين مثلا الجنة و النار، فالمعنى الصحيح حينئذ أن يقال: يقسم أحد بين الجنة و النار أى يأخذ واحدا و يترك الآخر.

فقوله علیه السّلام: «أنا قسيم النار يعنى أنه يقول للنار: هذا لک و هذا المؤمن لى كما فى الخبر، و لا ريب فى أنّ هذا يقتضى أن يقول: أنا قسيم النار فقط، أى أنا مقاسم له فهو قسيمى أى قسمى، و لكن العرف الخاطى يقول: القسيم أى مقسّم أى من يقسّم الأشياء كما قيل فى حقه علیه السّلام: على حبّه جنّة قسيم النار و الجنّة وصىّ المصطفى حقّا إمام الإنس و الجنّة فإنه معنى صحيح، إلاّ أنه بلحاظ اللغة غير صحيح. أقول: القسيم إذا أطلق على المقسوم مثلا بأن قسم زيدا الكتابين فقال: هذا لعمرو و هذا لبكر، فقال عمرو لقسيمه: هذا قسمى أى مقسومى، أو قال: أنا قسمى

ص: 487

1- 1) الأعراف:44.

2- 2) التوبة:3.

هـذا الكتاب، أى أنا مقاسم الكتاب بفتح السين، أى أنا الذى قسّم لى هذا الكتاب، فحينئذ الأمر كما ذكر، و أما إذا أطلق بمعنى القاسم أى أنـا قسـيم أى مقسم بالبنـاء للفاعـل، فحينئـذ يصـحّ مـا قاله العرف: إنه قسـيم النار و الجنـة، فإنّ فعيل كما يأتى بمعنى الفاعل يأتى بمعنى المفعول، كما لا يخفى، و يؤيد بل يدل عليه

قوله عليه السّلام فى أحاديث كثيرة: أنا قسيم الجنة و النار ، و الله العالم.

قوله عليه السّـلام: «و صـاحب الأـعراف» . أقول: هـذا إشـارة إلى قوله تعالى: وَ عَلَى اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمٰاهُمْ (1)و قد وردت أحاديث كثيرة على أنهم عليهم السّلام الأعراف،

كما ورد عن الاصبغ بن نباتة قوله عليه السّـلام لابن الكوّاء: «ويحک يا بن الكوّاء، نحن نقف يوم القيامة بين الجنة و النار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، و من أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار» .

قوله عليه السّلام: «أنا صاحب العصا و الميسم» ، قد تقدم بيانه فى أنه عليه السّلام هو دابة الأرض و أنها تعمل هذا العمل.

قوله عليه السّلام: آخذ بقولكم،

عامل بأمركم، مسـتجير بكم، زائر لكم، عائـذ بكم، لائـذ بقبوركم، مستشـفع إلى الله عز و جل بكم، و متقرب بكم إلى الله، و مقدّمكم أمام طلبتى و حوائجى و إرادتى فى كلّ أحوالى و أمورى، مؤمن بسـرّكم و علانيتكم، و شاهدكم و غائبكم، و أوّلكم و آخركم، و مفوّض فى ذلک كلّه إليكم، و مسـلّم فيه معكم، و قلبى لكم مسلّم، و رأيى لكم تبع، و نصرتى لكم معدّة، حتى يحيى الله تعالى دينه بكم، و يردّكم فى أيّامه، و يظهركم لعدله، و يمكّنكم فى أرضه

أقول: لما أقرّ الزائر بجملـة من فضائلهم، و خصائص ولايتهم و شـئونهم، و أنّ الحق معهم، و أقرّ برجعتهم أراد إظهار خضوعه لـديهم زائدا على ما مرّ و أنه فى

1- 1) الأعراف:46.

زمان الهدنـة و الفترة من الأئمـة عليهم السّـ لام لا يرفع اليد عنهم، و يعمل بقولهم و دينهم إلى أن يحيى الله تعالى دينه بهم. و الحاصل: أنه يعترف بأنه لا يفارقهم فى زمان غيبتهم فى جميع الأمور الدينيـة إلى زمان حضورهم، ثم إنه أظهر هـذه العقيـدة و التمسک بهم فى ضـمن جمل نذكر شرحها. فقال: «آخذ بقولكم» ، لما علم أنّ الحقّ و الصواب منهم عليهم السّلام،

ففى المحكى عن الكافى بإسـناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حق و لا صواب، و لاـ أحـد من النـاس يقضـى بقضـاء حقّ إلاـ ما خرج منّا أهل البيت، و إذا تشـعبّت بهم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من على عليه السّلام» .

و فيه بإسناده عن زرارة قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فقام له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «سلونى عما شـئتم، فلا تسألونى عن شـىء إلاّ نبأتكم به، قال: إنه ليس أحـد عنـده علم إلاّ شـىء خرج من عند أمير المؤمنين عليه السّـ لام فليذهب الناس حيث شاءوا، فو الله ليس الأمر إلاّ من هيهنا و أشار بيده إلى بيته» .

و فيه عنه عليه السّـ لام قال: قال أبو جعفر عليه السّـ لام لسـلمة بن سـهيل، و الحكم بن عتيبة «شـرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلاّ شيئا خرج من عندنا أهل البيت» . فحينئذ فالمعتقد بهم و بأن الحق منهم، فلا محالة يكون آخذا بقولهم و عاملا بأمرهم.

فقوله عليه السّلام: «عامل بأمركم»

، أى أنّى لانقطاعى إليكم فى أمر الـدين، و إقرارى بولايتكم، و أنها ولايـة الله، كما تقـدم فلا محالـة أنا عامل بأمركم، سواء أريد من الأمر ما يطابق القول، فتكون الجملتان متحـدتين معنى، أو أريـد به خصوص ما أمروا به، و نـدبوا إليه للعمل كالأوامر المولويـة، فهو أى الزائر مؤتمر بأوامرهم و منتهى عن نواهيهم، فيكون أخصّ من القول، لأنه يعم جميع ما قالوا به من الأخبار بما مضى

و يأتى و بالمعارف الإلهية، كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: «مستجير بكم» .

أقول: الاسـتجارة: طلب الحفظ، و لا ريب فى أنّ الحفظ من عذاب الله تعالى فى القيامة و من المكاره الدنيوية، لا يكاد يكون إلاّ بهم، كما نطقت به الأحاديث الكثيرة من أنهم أمان لأهل الأرض و السـماء، خصوصا بالنسـبة إلى شيعتهم و محبّيهم، كيف لا و قد قال تعالى: وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ اِسْتَجٰارَكَ فَأَجِرْهُ فأمره تعالى بإجارة من اسـتجار به من المشـركين، فكيف بمواليهم و من اعتقد بولايتهم، بل لا رجاء لمحبّيهم إلاّ بهم و باسـتجارتهم و أنهم عليهم السّلام يجيرون من اسـتجار بهم عليهم السّلام و لنعم ما قيل: هل يمنعنى و هو الساقى أن أشـرب من حوض الكوثر أو يطردنى عن مائدة وضـعت للقانع و المعتر ثم إن الاستجارة أمر قلبى يتحقق من العقيدة بأنهم أسمائه الحسنى، لأنه تعالى يقضـى فى الخلق قضـيّته بهم، كما تقدم. و الحاصل: أنه يعتقد أن الأمر بيدهم بإذن الله تعالى، و من المحبة و الشوق إليهم قلبا، بحيث يميل بشراشـر وجوده إليهم، و يتبرّأ من أعدائهم أصلا و فرعا و تابعا و متبوعا، و من ذواتهم و صفاتهم و أفعالهم، فإذا كان كذلک فلا محالـة يكون بقلبه معتصـما بـذمتهم التى هى ذمام الله تعالى المنيع و قـد تقـدم بيانه، فإذا كان كذلک فلا محالة كان جارهم و هم عليهم السّلام كانوا مجيريه من مهالک الدارين، رزقنا الله ذلک بمحمد و آله.

[58]قوله عليه السّلام: «زائر لكم»

، ففى المجمع زاره يزوره زيارة: قصده فهو زائر، و فيه

ص: 490

«اللهم اجعلنی من زوّارک» أی من القاصدین الملتجئین إلیک. . . إلی أن قال و الزیارة فی العرف: قصد المزور إکراما و تعظیما له و استیناسا به. أقول:

قوله

زائر لکم

إما تأکید لما ذکره فی هذه الزیارة، أی أنا زائرکم بهذه الجمل، و أظهر بها انقطاعی إلیکم، و قد علمت أنّ الزیارة قصد المزور عرفا، فالزیارة صفة تتحقق للإنسان بالنسبة إلی أحد فی ضمن ما به یتحقق قصد المزور إکراما و تعظیما له، و یستأنس الزائر بهذه الجمل مع المزور. و من المعلوم أنه کلما کانت معرفته بالمزبور خصوصا فی مثل المقام أکثر، کان قصده بالنسبة إلیه أصفی و أحسن، و موجبا للقرب الحقیقی، و کان أیضا أنسه به آکد و ألذّ، کما لا یخفی، و هذا مراد من قال: إن الزیارة هو الحضور عند المزور، فإن المراد منه هو الحضور القلبی، و هو یتحقق بهذه الأمور، و قد تقدم فی صدر الشرح ما یوضح لک هذا، و أنه لا یحصل هذا إلاّ برفع الحجب المشار إلیها قبلا، التی کانت موجبة لاحتجاب حقیقة الإنسان بها، فرفعها یوجب ظهورها أی یوجب ظهور حقیقة الإنسان من أنها من فاضل طینتهم علیهم السّلام فحینئذ یتّصل قلبا بهم، لما یری بین حقیقته و حقیقة الإمام المزور علیه السّلام ارتباطا و مناسبة، بل یراها مرآة للإمام علیه السّلام و وصلة إلیه و یتوجه بها أی بحقیقته، التی هی من فاضل طینتهم إلیه أی إلی الإمام علیه السّلام. و الحاصل أنه لا بد من الطهارة الصوریة من الوضوء و الغسل و النظافة و المعنویة من رفع الحجب القلبیة، حتی یتحقق الحضور الحقیقی و القصد الحقیقی إلیه علیه السّلام، ثم إن هذا المعنی لا یتفاوت فی تحققه بین القریب إلی مشاهدهم أو البعید عنها، إلاّ أنهم قد ندبوا إلی السفر إلی مشاهدهم و الالتجاء إلیهم عند الله تعالی لما فیه من کمال الانقطاع إلیهم حتی بالنسبة إلی قبورهم علیهم السّلام و من التبرک بقبورهم، فإنها کما سیأتی موضع الإجابات و قضاء الحاجات و ظهور البرکات بل و المعجزات، کما لا یخفی.

و الحاصل: أن المنـدوب هو اتصال الزائر فى جميع عوالمه المعنويـة و المادية بهم عليهم السّـلام و هذا يقتضـى التشـرف إلى مشاهدهم الشريفة، و لعله إلى هذا كله يشير

قولهم عليهم السّلام فى بعض الزيارات:

«و حبّب إلى مشاهدهم» . و كيف كان، فالمحب لهم و الداخل فى ولايتهم يحبّ التقرّب إلى جميع شئونهم المعنوية و الظاهرية، كما لا يخفى. و لنعم ما قيل: أمرّ على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار و ذا الجدارا و ما حبّ الديار شـغفن قلبى و لكن حبّ من سـكن الديارا و قد يقال إن المراد

من قوله:

«زائر لكم»

، هو معناه اللغوى لا الزيارة العرفية، أى قصد المزور تعظيما، بل يراد منه قصده فى الدين، فتكون هذه الجملة كسائر الجمل من نحو

قوله:

«عائذ بكم»

، و يراد منهـا أنى قاصـد إليكم فى جميع الأـمور، و لاـ أقصـد غيركم، و هـذا القصـد يتحقق بـأمور منهـا القصـد إليهم فمن كان فى زمان حضورهم ليأخذ منهم معالم دينه من الاعتقادات و الأعمال الشّرعيّة و التأدّبات الإلهية، التى بها كمال الصورة الإنسانية و الهيئة الملكيّة، و التى بها تحقق حقيقـة العبوديـة و التقوى الإلهية بما لها من المراتب من التقوى عن الذنوب، و عن الصـفات الرذيلة، و عمّا سوى اللّه تعالى الـذى به يتمّ السـير، و قـد فصـل هـذا كلّه فى كتب الأخلاق و المعارف و السـلوك الإلهى كل ذلک امتثالا لما ورد فى قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ إِلىٰ طَعٰامِهِ (1)من قوله عليه السّـلام أى إلى علمه عمّن يأخـذه و قد تقدّم حديثه. و منها القصد إليهم لكل مؤمن سواء كان فى زمن حضورهم أو غيبتهم، و هو

1- 1) عبس:24.

عبارة عن الائتمام بهم و التسليم لهم و الردّ إليهم و تحصيل المعرفة بهم.

ففى الوافى عن الكافى فى باب التسليم و فضل المسلمين بإسناده عن سدير قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: إنى تركت مواليک مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض قال: «فقال و ما أنت و ذاک، إنما كلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، و التسليم لهم فيما ورد عليهم، و الرد إليهم فيما اختلفوا» . ثمّ إنّ هذا إنما يتمّ بالمجانبة و التبرى من أعدائهم و مخالفيهم، و إلاّ لم يتحقق القصد الكامل الصحيح إليهم، بل و لا التسليم إلاّ بالتبرى من أعدائهم بحيث يظهر ذلک من أعمالهم. و بعبارة أخرى: لا بدّ من ظهور عملهم فى التبرى من أعدائهم، ليدلّ على أنه من محبّيهم و شيعتهم الخلّص، بحيث لا يميل قلبا إلى غيرهم، بل تكون محبّته خالصة لهم عليهم السّلام. و منها: القصد فى الأعمال إليهم، و حاصله أنّ الأمرين السابقين يتعلّقان بالقلب و بالمعرفة و الأمور الباطنية، و أما هذا فالمراد منه القصد إليهم بالأعمال، بأن يتمثل ما قرّروه و بيّنوه من أوامر الله تعالى و نواهيه، و قد تقدم ما يوضح المقام فى

قوله عليه السّلام:

«و المظهرين لأمر الله تعالى»

، فبهذا الامتثال يظهر أنه يقصدهم بأعماله أيضا.

قوله عليه السّلام: «عائذ بكم لائذ بقبوركم»

، فى المجمع: و عذت بفلان و استعذت به، أى: لجأت إليه و اعتصمت به، و هو عياذى أى ملجئى، و فيه و لاذ به لواذا و لياذا أى لجأ إليه و عاذ به. أقول: و يأتى بمعنى استتر يقال: لاذ بعضهم ببعض و استتر به، فحينئذ نقول: العياذ بهم عليهم السّلام و الاستعاذة بهم، و اللواذ بهم هو الالتجاء بهم و الاعتصام بهم عليهم السّلام و الاستتار بهم عن مكاره الدارين، و هذا لا تتحقق إلاّ بأمرين: الأول: المعرفة بأنهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى لله تعالى و أن ولايتهم ولاية الله و أنهم فانون عن أنفسهم الشريفة، و أنهم فى الوجود مظاهره تعالى و أبوابه و هم عين الله

الناظرة، و أذن اللّه السامعة، و قلب اللّه الواعى، و يده المبسوطة بالرحمة الواسعة الإلهية، و أن الاعتصام بهم اعتصام باللّه، كما أنّ حبّهم حبّه و طاعتهم طاعته، كما مرّ مرارا، و أنهم لا يفعلون إلاّ بإذنه و مشيّته، حيث علمت أنّ قلوبهم عليهم السّلام أوعية لمشيّة اللّه تعالى. و الحاصل: يعرف و يعلم أنّ جميع شئونهم المتعلّقة بولايتهم التشريعية و التكوينية هو شئونه تبارك و تعالى، بحيث يعلم أنّ العياذ بهم و الالتجاء إليهم حيث إنه كذلك عياذ و التجاء و اعتصام باللّه تعالى. الثانى: أن يكون المعيذ بهم و الملتجى بهم و اللائذ بقبورهم عن إيمان و تصديق قلبى، لا عن شكّ و ترديد و امتحان، فإنه حينئذ لا يستفيد منهم بهذه الأمور شيئا من سعادة الدارين أو دفع مكارههما. و كيف كان لا بد من الانقطاع الحقيقى إليهم و التصديق القلبى بهم، بل لا بد من حقيقة المحبّة و المودة و الشوق و العشق بهم، فكلّما ازدادت هذه الأمور بالنسبة إليهم، ازداد الالتجاء و الاعتصام عن صدق بهم عليهم السّلام فحينئذ تترتّب عليه آثارها لا محالة، و الإظهار الصورى بدون هذين الأمرين لا يغنى عنه شيئا، كما هو حقه. نعم له أثر قليل، فإذا أردت الحظّ الأوفر منهم و منه تعالى بواسطتهم، فكن فى هذين الأمرين صادقا. و بعبارة أخرى: الاعتصام الحقيقى و العياذ الحقيقى و اللّواذ الحقيقى لا يكون من أحد بالنسبة إليهم عليهم السّلام إلاّ باليقين بولايتهم، و لا يكون هذا إلاّ بمحبّتهم، و لا يظهر هذا صدقا إلاّ بمتابعتهم، فى جميع الأمور، و لا تتحقق المتابعة كذلك إلاّ بالمعرفة بالأمرين المذكورين، و بالتصديق بهم، أنهم كذلك و لا تحصل هذه الأمور كلها إلاّ بالتسليم الصحيح لهم بعد ثبوت حقّانيتهم بالأدلة العقلية و الشرعية المذكورة فى الكتب الكلامية. أقول: و لعله يشير

قوله عليه السّلام:

«عائذ بكم»

، أى أنّ تحقق الاستعاذة باللّه تعالى

لا تتحقّق إلاّ بالإعاذة بهم، حيث إنهم أسماؤه الحسنى، و أنّ ولايتهم هو الذّمام الإلهى الذى لا يطاول و لا يحاول. توضيحه: أنّ الاستعاذة بالله تعالى تتحقق بالمستعيذ و هو العبد، و المستعيذ به و هو الله تعالى، و المستعيذ منه و هو الشيطان. و إلى ما ذكر يشير ما رواه

فى الوافى (1)، نقلا عن الكافى مرسلا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، و لا تعرفون حتى تصدّقوا، و لا تصدّقون حتى تسلّموا أبوابا أربعة، لا يصلح أولها إلاّ بآخرها، ضلّ أصحاب الثلاثة و تاهوا تيها بعيدا، إن الله تعالى لا يقبل العمل الصالح، و لا يتقبّل إلاّ بالوفاء بالشروط و العهود، و من وفى بشرطه و استكمل ما وصف فى عهده نال ما عنده و استكمل وعده، إن الله تعالى أخبر العباد بطرق الهدى، و شرع لهم فيها المنار، و أخبرهم كيف يسلكون، فقال: وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ (2)، و قال: إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اَللّٰهُ مِنَ اَلْمُتَّقِينَ (3). فمن اتّقى الله تعالى فيما أمره لقى الله تعالى مؤمنا بما جاء به محمد صلّى الله عليه و آله هيهات هيهات! فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا، و ظنّوا أنهم آمنوا و أشركوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، و من أخذ فى غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله، و طاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله و لا رسوله، و هو الإقرار بما نزل من عند الله، خذوا زينتكم عند كلّ مسجد، و التمسوا البيوت، التى أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، فإنه قد أخبركم أنهم رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰةِ وَ إِيتٰاءِ اَلزَّكٰاةِ يَخٰافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصٰارُ (4)إنّ الله قد استخلص

1- 1) الوافى ج 1 ص 30.

2- 2) طه:82.

3- 3) المائدة:27.

4- 4) النور:37.

الرسول لأمره ثم استخلصهم مصدقين لذلک فی نذره، فقال: . . . وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّ خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ (1)تاه من جهل و اهتدى من أبصر و عقل، إن الله تعالى يقول: . . . فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى اَلْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى اَلْقُلُوبُ اَلَّتِي فِي اَلصُّدُورِ (2)و كيف يهتدى من لم يبصر؟ و كيف يبصر من لم يتـدبّر؟ اتبعوا رسول الله صـلّى الله عليه و آله و أقرّوا بما نزل من عنـد الله، و اتبعوا آثار الهدى. فإنهم علامات الأمانة و التقى. و اعلموا أنّه لو أنكر رجل عيسى بن مريم، و أقرّ بمن سواه من الرسل لم يؤمن. اقتصّوا الطريق بالتماس المنار، و التمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم و تؤمنوا بالله ربكم» .

قوله عليه السّلام: «و من وفى بشروطه، و استكمل ما وصف فى عهده نال ما عنده، و استكمل وعده» . أقول: لعل قوله عليه السّلام هذا يشير إلى ما رواه

فى بصائر الدرجات (3)عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قول الله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ. . . قال «أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامـة فخرجوا كالـذّر فعرّفهم نفسه، و لو لا ذلک لم يعرف أحد ربّه. ثم قال: أ لست بربكم، قالوا بلى، و إنّ هذا محمد رسولى و على أمير المؤمنين خليفتى و أمينى» . و إلى ما رواه فى الكافى فى باب أنّ الأئمة عليهم السّلام معدن العلم. . . إلخ،

ففيه بإسناده عن خثيمة قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام «يا خثيمة: نحن شجرة النبوة و بيت الرحمة، و مفاتيح الحكمة، و معدن العلم، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و موضع سرّ الله، و نحن وديعة الله فى عباده، و نحن حرم الله الأكبر، و نحن ذمة الله، و نحن عهد الله،

1- 1) فاطر:24.

2- 2) الحجّ:46.

3- 3) بصائر الدرجات ص 71.

فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، و من خفرها فقد خفر ذمّة الله و عهده» . أقول: «فمن وفى بعهده» أى استقام على ولايتهم التى قبلها، و عاهد الله على قبولها فقد وفى بشرطه، و نال ما عنده تعالى من الكرامة.

قوله عليه السّلام: «مستشفع إلى الله عز و جل بكم» .

أقول: لما عرف الزائر أنهم عليهم السّلام حقائق أسمائه الحسنى، و أنهم أركان توحيده و آياته و مقاماته، و أنهم معانيه أى معانى أسمائه و أفعاله، أى أنهم قدرته و سمعه و بصره و إرادته، و أنّ قلوبهم أوعية مشيّته و عيبة علمه، و أنّ صفاتهم صفاته تعالى، و أنهم فانون عن أنفسهم الشريفة بحيث لا أثر لهم و لا صفة لهم إلاّ و هو منه تعالى و له تعالى، و لذا قال تعالى: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ ،

و ورد فى هذه الزيارة،

«من أطاعكم فقد أطاع الله، و من أحبّكم فقد أحبّ الله، و من أبغضكم فقد أبغض الله»

، و قد تقدم و يأتى شرح هذه الأمور. فإذا عرف و اعتقد الزائر أنهم عليهم السّلام كذلك، فلا محالة يستشفع بهم إلى الله تعالى، إما بأن يدعو الله تعالى بسبب توجههم عليهم السّلام إلى الله تعالى فى استجابة دعاء الزائر، و إعطائه تعالى حوائجه، فحينئذ يكون الأئمة عليهم السّلام هم الشافعون له. و إما يكون الزائر هو المستشفع بهم بأن يدعو الله تعالى، و يقسم عليه تعالى بحقّهم، ليستجيب تعالى دعاءه، و حينئذ يكون الزائر هو المستشفع من الله تعالى بهم و بحرمتهم، التى هى المقسم بها على الله تعالى، ثم إن الاستشفاع بهم إليه تعالى إنما يكون لكونهم عليهم السّلام هم أسماؤه تعالى، كما تقدم، و هم عليهم السّلام وجه الله، و قد وردت أحاديث كثيرة فى أنهم وجه الله تعالى.

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله تبارك و تعالى: تَبٰارَكَ اِسْمُ رَبِّكَ ذِي اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ فقال

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 5 ص 203.

«نحن جلال الله و كرامته التى أكرم الله تبارک و تعالى العباد بطاعتنا و محبتنا» .

و فى تفسير البرهان (1)، عن على بن إبراهيم. . . إلى أن قال:

وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّکَ قال: قال: «دين ربک، قال: قال: على بن الحسين عليه السّلام نحن الوجه الذى يؤتى الله منه» . أقول: فهذا الحديث ظاهر فى أنهم عليهم السّلام الوجه الذى يؤتى الله منه، ثم إنّ بيان كيفية كونهم عليهم السّلام الوجه الذى يؤتى الله منه إما بكونهم عليهم السّلام الشافعين له و إما هو المستشفع بهم عليهم السّلام، كما تقدم. و لا ريب فى أنّ هذا، يتحقق بإحضار صورهم عليهم السّلام فى قلبه إما بجعلها أمام قلبه المتوجه به، أى بقلبه إلى الله، فهم عليهم السّلام حينئذ أمام توجهه حال كونهم عليهم السّلام متوجهين إليه تعالى، و فانين فيه تعالى، فيكون الزائر هو المستشفع بهم، و هذا أحد معانى

«و مقدّمكم أمام طلبتى و حوائجى»

كما سيجىء، فحينئذ تكون صورهم بما هم فانون فيه تعالى واسطة بين الزائر و بينه تبارک و تعالى، فالمدعوّ و المعبود حينئذ هو نفسه تعالى، إلاّ أنه حيث كان تعالى ظاهرا بأسمائه، و هم عليهم السّلام أسماؤه بما هم فانون فيه، فالتوجه إليه تعالى يكون بواسطتهم بحيث يكونون عليهم السّلام مرآة له تعالى، و ما به التوجه إليه تعالى، و ملحوظا آلة و مرآة لا استقلالا، و هذا معنى

قوله عليه السّلام «نحن الوجه الذى يؤتى الله منه» ، و سيجىء تمام الكلام فى هذا المعنى فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجّه بكم» .

و إما بجعل صورهم عليهم السّلام بنحو الإجمال و التوجه إليهم فى زاوية قلبه، حال كونه مستشفعا بهم، أى جاعلهم شفعاءه إليه تعالى، فهو يدعو الله تعالى بدون التوسط بشىء، إلاّ أنه مع ذلک مستشفع بهم أى ناظر قلبا إلى شفاعتهم عليهم السّلام لديه تعالى لقضاء حوائجه، ثم إن الاستشفاع بهم قد يكون فى حال الصلاة فلا ريب فى أنه على

1- 1) تفسير البرهان ج 4 ص 266.

أحد القسمين المذكورين، و لعل الذى لا معرفة له بهم عليهم السّلام و بأحوالهم و شئونهم بالنحو المتقدم ذكره، لا يمكنه إلاّ الاستشفاع بهم بالنحو الثانى. نعم من صفا ذهنه و كمل عقله و لطف حسّه، و كملت معرفته بهم، و علم بمعارف التوحيد، و أمكنه الإخلاص للّه تعالى بالوحدانية، و عرف كيفية مقامهم عليهم السّلام لديه تعالى أمكنه الاستشفاع بهم عليهم السّلام بالنحو الأول. و لعمرى إن العارف بهم كذلك، و المتمكن بالاستشفاع بهم كذلك أقلّ القليل و الأوحدى من الناس، رزقنا اللّه المعرفة به تعالى و بهم عليهم السّلام بمحمد و آله صلّى اللّه عليه و آله ثم بيان كونهم عليهم السّلام شفعاء يتوقف على بيان معنى الشفاعة الثابتة لهم منه تعالى. فنقول: فى المجمع، ملخّصه: الشفاعة فيما يتعلّق بأمور الدنيا و الآخرة: هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب و الجرائم. أقول: أو هى السؤال لاستجابة الدعاء كما

فى الحديث: «يستشفعون الملائكة لإجابة دعاء من يسعى فى المسعى» أى يقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد. و الشفعة كغرفة، هى فى الأصل أى فى اللغة: التقوية و الإعانة، و يقال: شفعت الشىء شفعا من باب نفع ضممته إلى الفرد، و يقال: شفعت الرّكعة، أى جعلتها ركعتين، فمعنى الشفاعة الحاصلة من الشفيع هو الشفعة، أى التقوية و الإعانة الحاصلة من الشفاعة، و هذا كما ترى يعمّ التوسط بين اثنين، و يرجع إلى الأمور الدنيوية كالذى يصلح بين رجلين كما قيل فى قوله تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهٰا (1)أى من يصلح بين اثنين يكن له جزء منها، أى من الحسنة المنطبقة على الشفاعة، وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً سَيِّئَةً (2)، أى يمشى فى النميمة مثلا، يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهٰا (3)أى إثم منها، أى من السيّئة المنطبقة على تلك الشفاعة

1- 1) النساء:85.

2- 2) النساء:85.

3- 3) النساء:85.

السيئة. فالشفاعة فعل الشفيع أى صاحب الشفاعة، و فعله هذا قد يكون واقعا بين اثنين كما مرّ، و قد يكون لواحد بأن يسأله تعالى شيئا له، و لذا قيل الشفاعة الحسنة، الدعاء للمؤمنين، و الشفاعة السيّئة الدعاء عليهم. و عليه يكون معنى الآية أنّ من يشفع للمؤمنين شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، أى يشمل الدعاء لنفسه أيضا، فيكون مفاده ما ورد من أن الداعى لغيره ليستجاب له بسبعين ضعفا على ما دعا لغيره. و من يشفع شفاعة سيّئة أى يدعو على المؤمنين يكن الدعاء عليه أيضا، نظير

ما ورد أنّ من سبّ غيره و فحشه يصعد الفحش إلى السماء، فإن كان الطرف أهلا له وقع عليه، و إلاّ وقع على الفاحش ، نقلته بالمعنى. و كيف كان فالشفاعة هى التقوية و الإعانة بما يرجع نفعه إلى المشفوع له غالبا، أو بما يرجع ضرره عليه و هذا أقل موارده، كما لا يخفى. فعلى هذا قد يراد بالاستشفاع أى طلب الشفاعة طلب الدعاء منهم عليهم السّلام أو التوسط لقبوله تعالى دعاء المستشفع و قضاء حوائجه، فيكون معناه مساويا للتوسل بهم عليهم السّلام عنده تعالى لقضاء الحوائج، و لا ريب فى أن التوسل غير الشفاعة الثابتة لهم عليهم السّلام منه تعالى، التى هى المقام المحمود المشار إليه

بقوله صلّى الله عليه و آله: «إنّما ادّخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» . و إليه يشير ما تقدم من

قوله عليه السّلام: «ليس منّا من أنكر شفاعتنا و رجعتنا» ، فإن هذه الشفاعة هى المقام المحمود، الذى جعله الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه و آله و للأئمة عليهم السّلام و للمؤمنين، و سيأتى شرحه فى بيان

قوله عليه السّلام:

«لجعلتهم شفعائى» . و عليه فلعل المراد من

قوله:

«مستشفع بكم»

أى أطلب منكم التقوية و الإعانة لى، فى أن تسألوا الله تعالى أن يستجيب دعائى و يقضى حوائجى، فهو بمعنى التوسل بهم، و هذا غير الشفاعة المعلومة و المعهودة لهم، و لكنه قد يقال: إنّ الشفاعة لها

المعنى العام لغة يشمل جميع هذه المصاديق، فهذه أيضا شفاعة و التوسل، و التى تكون لهم عليهم السّلام يوم القيامة أيضا هى الشفاعة و الوسيلة، و لهذا أطلق على المقام المحمود المفسر بالشفاعة الوسيلة.

و فى الدعاء:

«اللهم اعط محمدا الوسيلة. . . إلى قوله و شفاعة الإسلام»

و كيف كان سيجىء معنى الشفاعة، و أنها لمن و ممن و فيما و بيان حقيقتها و انقسامها باعتبار الشّافعين فيما بعد إن شاء الله. ثم إنه قد يقال: إنّ السر فى لزوم الاستشفاع بهم عليهم السّلام هو أنه تعالى لما لم يكن بذاته المقدسة يباشر أمر خلقه، بل يفيض إلى كل موجود بأسمائه الحسنى، و حيث إنهم عليهم السّلام أسماؤه الحسنى، فلا محالة لا بد من الاستشفاع بهم فى الوصول إلى الفيوضات الربوبية، لتكميل السعادات الدنيوية و الأخروية، لانحصار الطريق إليها بهم، نعم هذا لا يكون كما عرفت إلاّ ممن يعتقد بكونهم كذلك أى الوسائط بالمعنى المتقدم، و ظهر نور هذه الأمور فى قلبه و ظهر سرّهم عليهم السّلام فى حقيقة وجوده. فقوله: «مستشفع بكم» ، أى أنى مستفيض من الله عز و جل بتوسط ما هو سرّكم الكامن فى وجودى و المتنور قلبى به و العارف روحى به، المفسّر ذلک السّر تارة بأنكم أسماؤه الحسنى، و أخرى بأنكم مظاهره تعالى، أو أنكم معانى أسمائه و أفعاله و قدرته إلى آخر ما مرّ، لا بغيركم من الطواغيت و أتباعهم من أعدائكم و تابعيهم، فهذه العقيدة الثابتة فى قلب الزائر، الذى هو لطف منه تعالى، و منهم عليهم السّلام بالنسبة إليه، الذى أوجب المعرفة بهم أوجبت إظهار ما فى ضميره إلى إمامه عليه السّلام

بقوله:

«مستشفع إلى الله عز و جل بكم»

، و نحن نسأل الله تعالى ذلک، و هو تعالى يعلم أنه ليس لنا غير ذلک، و هكذا حال شيعتهم و محبّيهم.

ففى الحديث ما حاصله: «إن شيعتنا لا يرجون، و لا يعتمدون لآخرتهم إلاّ على رحمة الله الواسعة و على شفاعتنا» ، رزقنا الله تعالى ذلک بمحمد و آله.

قوله عليه السّلام: «و متقرّب بكم إليه» .

أقول: قد تقدم معنى قربه تعالى إلى الأشياء، و قرب العباد إليه فى بيان قوله عليه السّلام «المقربون» و لكن هذه الجملة تشير إلى أنّ التقرب إليه تعالى إنما هو بهم عليهم السّلام و بيانه يكون بعد ذكر مقدمة، و هى أنه لا ريب فى أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، و قد ورد فى ذيل قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ (1)أى استوى على كلّ شىء و أنه استوى على ما دقّ و جلّ.

ففى توحيد الصدوق (2)، بإسناده عن محمد بن مارد، أنّ أبا عبد اللّه عليه السّلام سأل عن قول اللّه عز و جل: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ ، فقال: «استوى من كلّ شىء، فليس شىء هو أقرب إليه من شىء» . أقول: فهو تعالى قريب من كلّ شىء، و حينئذ معنى التقرب إليه مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد يكون من ناحية العبد إليه تعالى. بيانه: أنه تعالى جعل للتقرب إليه آية و للتوجه إليه وجهة، و جعل التقرب إليها و التوجه إليها تقربا إليه و توجها إليه فقال: قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ (3)أى ادعونى بتلك الأسماء، و علمت أنهم أسماءه الحسنى، و وجه اللّه الذى إليه يتوجه الأولياء، و بابه الذى منه يؤتى، و تقدم آنفا

قوله عليه السّلام: «نحن الوجه الذى يؤتى اللّه منه» ، فحينئذ لا يكون التقرب إليه تعالى إلاّ بهم فى السّر و العلانية، و بالتوجّه إليهم عليهم السّلام إلاّ أنّ الكلام فى أمرين: الأول: فى بيان حقيقة التقرب من العبد إليه تعالى. و الثانى: فى بيان كيفية حصول ذلك بهم عليهم السّلام، فنقول: أما الأول: فاعلم أنّ قرب العبد إليه تعالى إنما هو نهاية العرفان، و الوصول إلى مقام حق اليقين و الفناء المحض.

1- 1) طه:5.

2- 2) توحيد الصدوق ص 310.

3- 3) الإسراء:110.

و قد قيل: العارف من أشـهده الله تعالى ذاته و صفاته و أفعاله، فهو فى مقام عين اليقين، أو حق اليقين، و هذا بخلاف العالم فإنه الذى أطلعه الله على ذلک لا عن شهود، بل عن علم فهو فى مقام علم اليقين، و هذا العرفان الشهودى فهو حاصل من أسفار أربعة: الأول: السير إلى الله تعـالى من منـازل النفس إلى الوصول إلى الأـفق المبين، و هو نهايـة مقـام القلب و مبـدأ التجلّيـات الأسـمائية. و الثانى: هو السـير فى الله بالاتصاف بصـفاته و التحقق بأسـمائه إلى الأفق الأعلى، و نهاية الحضـرة الواحدية. و الثالث: هو الترقى إلى عين الجمع و الحضرة الأحدية المشار إليها

بقوله عليه السلام:

«ربّ أدخلنى فى لجّـة بحر أحديّتک و طمطام يمّ وحدانيّتک. . .» الدعاء و هو مقام قاب قوسـين ما بقيت الاثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى، و هو نهاية الولاية، و هيهنا يحصل مقام القرب الحقيقى، ثم إنه قد يكون لبعض أوليائه كالأنبياء و خصوصا نبيّنا صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّـلام. السير فى السفر الرابع: و هو السير بالله عن الله للتكميل، و هو مقام البقاء بعد الفناء، و الفرق بعد الجمع، ثم إن لبيان هذه الأسـفار بيانا واسعا يذكر فى محله. ثم إنه قد ذكر بعضهم مثلا لتقريب معانى علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين بالنار، كأن يصدق تارة بعض بالنار بالأدلّـة القطعية، بحيث لا يتطرّق إليه احتمال خلافه، فهذا هو العلم اليقين بالنار كمن رأى دخانا يتصاعد من وراء الجدار، قـد دلّ على وجودها هناک. و تارة أخرى يشاهـد النار فهـذا هو عين اليقين، و ثالثـة يحترق بالنار، فهـذا هو حق اليقين، ثم إن لتطبيقه على الممثّـل فى المقام بيانا قـد ذكر فى محله، و لعلنا نـذكره فيما يناسـبه. و أما الثانى: أعنى بيان كيفيـة حصول التقرب بهم عليهم السّـلام إليه تعالى، فنقول: فهو

على أقسام: منها: الاستضاءة بأنوار علومهم عليهم السّلام و معارفهم عليهم السّلام فبسبب علومهم الملقاة إليه يرى و يعلم كيفية التقرب إليه تعالى، ثم يعمل بها فيصل إلى التقرب. و منها: أنه يشرع فى السلوک بأن يجاهد فى إزالة الصفات الرذيلة، و يتحلّى بصفاتهم الحميدة بأن يعتقد بعقائدهم عليهم السّلام و يتّصف بصفاتهم و يعمل بأعمالهم، و يعامل ربه كما عاملوا عليهم السّلام ربهم، و لهذين شرح طويل قد ذكر فى كتب المعارف الإلهية المعدّة للسير و السلوک الشرعى، و أحسن كتاب دوّن فى هذا الموضوع هو (رسالة الولاية) للمرحوم آية الحق و الكمال السيد محمد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان (رضوان الله تعالى عليه) . و منها: أن يتوسل بهم عليهم السّلام و ينقطع إليهم عليهم السّلام بحقيقة الانقطاع، و يتضرّع لديهم حتى يجعلوه فى همّهم، و يتصرّفوا فيه بحقيقة ولايتهم الإلهية التكوينية، و ينوّروه بنور التوحيد الحقيقى، فيستخلصوه من جميع الحجب و الأغيار، فيوصلوه إلى جوار ربّ العزّة، فيصل إلى معدن العظمة، و يصير روحه بعزّة قدسه، فيقعد فى مقعد صدق عند مليک مقتدر، رزقنا الله ذلک بمحمد و آله. و لعمرى إن هذا أحسن الوجوه و أبعدها عن الخطر و الوساوس الشيطانية، لأن هذا السالک فى حفظ الله تعالى بعنايتهم الخاصة التى شملته، و إنّى لا أرى و لا أعتقد أحدا وصل إلى كمال المعرفة به تعالى و الوصل الحقيقى إلاّ بهذا السبب الوحيد، و لنا فى إثباته و بيانه كلام طويل لعلّنا نذكره فى طىّ الشرح. ثمّ إنه لا ريب فى أنّ هذا لا يكون إلاّ لمن يعتقد بولايتهم التشريعية و التكوينية بما لها من الشئون الإلهية، التى رتّبها الله تعالى لهم، و قد مرّت مرارا الأحاديث الدالة على اشتراط قبول الأعمال بقبول ولايتهم، ثم إنّا نذكر أحاديث تيمّنا و تبرّكا بها، و منها يظهر أيضا ما ذكرناها فى الأمرين.

فنقول:

فی البحار (1)، عن المحاسن، بکر بن صالح عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: «من سرّه أن ینظر إلی الله بغیر حجاب و ینظر الله إلیه بغیر حجاب، فلیتولّ آل محمد و لیتبرّأ من عدوّهم، و لیأتمّ بإمام المؤمنین منهم، فإنّه إذا کان یوم القیامة نظر الله إلیه بغیر حجاب، و نظر إلی الله بغیر حجاب» . أقول: لا ریب فی أنه تعالی لا یری بعین الرأس، و لا یکتنه ذاته المقدسة لأحد، فحینئذ المراد من النظر إلیه تعالی بلوغ العبد إلی غایة المعرفة به تعالی، و هی عبارة عن تجلیه تعالی بأسمائه الحسنی لقلب عبده المؤمن به، و عن غایة ظهوره تعالی فی قلبه بالحیوة الحقیقیة و النور الإلهی. و من المعلوم الثابت علی التحقیق أنهم علیهم السّلام حقائق أسمائه الحسنی، بل عین التجلیات الإلهیة، کما

قال علیه السّلام: «یفصل نورنا من نور ربنا، کما یفصل نور الشمس منها» و قد تقدم الحدیث. فمما ذکر یظهر أنّ التقرب إلیه تعالی إنما هو بتجلی الأسماء الإلهیة لقلب العبد، و هی حقائقهم علیهم السّلام فلا یکون التقرب إلیه تعالی إلاّ بهم، رزقنا الله تعالی ذلک بمحمد و آله.

و فیه (2)عن أمالی الشیخ بإسناده عن عبد الله بن الولید، قال: دخلنا علی أبی عبد الله علیه السّلام فسلّمنا علیه و جلسنا بین یدیه، فسألنا من أنتم؟ قلنا: من أهل الکوفة فقال «أما أنه لیس من بلد من البلدان أکثر محبا لنا من أهل الکوفة، ثم هذه العصابة خاصة، إن الله هداکم لأمر جهله الناس، أحببتمونا و أبغضنا الناس، و صدّقتمونا و کذّبنا الناس، و اتّبعتمونا و خالفنا الناس، فجعل الله محیاکم محیانا، و مماتکم مماتنا، فأشهد علی أبی أنه کان یقول: ما بین أحدکم و بین أن یری ما تقرّ به عینه أو (و) یغتبط إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا، ثم أ هوی بیده إلی حلقه.

1- 1) البحار ج 27 ص 90.
2- 2) البحار ج 27 ص 165.

ثم قـال: و قـد قال الله فى كتابه: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّيَّةً (1)فنحن ذرية رسول الله صلّى الله عليه و آله» فالمستفاد من هذا الحديث أن البلوغ إلى أى كرامة من الله تعالى لا يكون إلاّ بهم و بولايتهم، حيث إنه تعالى جعل محيا شيعتهم محياهم عليهم السّلام و أعدّ لهم الكرامات بعد الموت و لا ريب فى أنّ هذه لا تكون إلاّ لأجل محبتهم و قبول ولايتهم، و الاهتداء و الاقتداء بهم، و قد علمت مرارا أنّ الشرط الوحيد لقبول الأعمال و الإيمان و التوحيد هو قبول ولايتهم عليهم السّلام.

ففيه (2)عن أمالى الصدوق بإسناده عن الساباطى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إن أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدى الله جل جلاله عن الصلوات المفروضات، و عن الزكاة المفروضة، و عن الصيام المفروض، و عن الحجّ المفروض، و عن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته و صومه و زكاته و حجّه، و إن لم يقرّ بولايتنا بين يدى الله جل جلاله لم يقبل الله عز و جل منه شيئا من أعماله» .

و فيه عنه بإسناده عن محمد بن حسان، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: «نزل جبرئيل على النبى صلّى الله عليه و آله فقال: يا محمد السّلام يقرئك السّلام، و يقول: خلقت السموات السبع و ما فيهنّ، و الأرضين السبع و من عليهن، و ما خلقت موضعا أعظم من الركن و المقام، و لو أنّ عبدا دعانى هناك منذ خلقت السماوات و الأرضين، ثمّ لقينى جاحدا لولاية على لأكببته فى سقر» . أقول: المستفاد من هذا الحديث و من نظائره الكثيرة جدا أن قبول العبادات إنما هو بقبول ولايتهم، و أن التقرب إليه تعالى بما علمت من معناه إنما هو بهم عليهم السّلام و أن الفوز بأى سعادة دنيوية أو أخروية إنما هو بهم عليهم السّلام، و أما ما يرى من تنعّم أعدائهم

1- 1) الرعد:38.
2- 2) البحار ج 27 ص 167.

فی الدنیا فإنما هو أیضا منهم علیهم السّلام و هم سائلوهم عنها، أی عن النعم یوم القیامة، و لإثبات هذا مقام آخر، کما لا یخفی.

[59]قوله علیه السّلام: «و مقدّمکم أمام طلبتی و حوائجی و إرادتی فی کلّ أحوالی و أموری» .

أقول: مقدّمکم أی أستشفع و أتقرب بکم بالمعنی المتقدم لهما سابقا أو معناه، أسأله تعالی بحقکم، و أستشفعه قبل طلبی الحوائج منه حتی یحصل تنجیز الأمور، أو أنی مقدم الصلوة علیکم قبل طلبتی منه تعالی لیستجاب الدعاء.

ففی الصحیح المحکی عن هشام بن سالم، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «لا یزال الدعاء محجوبا حتی یصلی علی محمد و آل محمد» .

و عنه علیه السّلام: «من دعا و لم یذکر النبی صلّی الله علیه و آله رفرف الدعاء علی رأسه، فإذا ذکر النبی صلّی الله علیه و آله رفع الدعاء» .

و عن مرازم عن الصادق علیه السّلام قال: «إنّ رجلا أتی رسول الله، فقال: یا رسول الله إنی جعلت ثلث صلاتی لک، فقال له خیرا، فقال: یا رسول الله إنّی جعلت نصف صلاتی لک، فقال له ذاک أفضل، فقال: إنی جعلت کل صلاتی لک، فقال: إذن یکفیک الله عز و جل ما أهمّک من أمر دنیاک و آخرتک، فقال له رجل: کیف یجعل صلواته له؟ فقال: لا یسأل الله عز و جل إلاّ بدأ بالصلوة علی محمد و آله» (1). أو معناه أنّی أطلب حوائجی بسببکم منه تعالی حیث أنتم ید الله المبسوطة، کما صرحت به الأحادیث من أنهم علیهم السّلام ید الله و قدرة الله، التی بها تصل الفیوضات إلی الخلق، أو معناه أنی أطلبها منکم بالله، یعنی أنه لمّا کانت أعمالکم أعماله تعالی، و صفاتکم صفاته تعالی کما قال تعالی: عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ المفسر بکم، أی أنتم لا تفعلون إلاّ بالله و بأمره تعملون، فإنّ قوله

1- 1) فقلت: هذه الأحادیث عن کتاب شرح الجامع للسید الشبّر (رضوان الله تعالی علیه) .

تعالى وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، إما يراد منه الأمر التشريعى، فمعناه حينئذ إنهم عليهم السّلام بأمره المولوى يعملون أو الأمور التكوينى، فهم عليهم السّلام حينئذ بالله يفعلون كقوله تعالى: وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ و فى الحديث المتقدم سابقا: و بهم يقضى (أى الله تعالى) فى الخلق قضيته، أى الأمور التكوينية و التشريعية، بحيث إنهم عليهم السّلام يد الله و قدرة الله و عين الله إلى آخر ما ذكروه عليهم السّلام فحينئذ السؤال منهم، و طلب الحوائج منهم لا ضير فيه و لا شائبة شرك، لأنّهم ليسوا واجدين شيئا إلاّ به تعالى، فالسؤال منهم عليهم السّلام فى الحقيقة سؤال منه تعالى، كما قال: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ أو معناه أنى أطلب حوائجى عنكم، أى أنتم بالله توصلوننى إلى نيلها و إلى الوصول بها، و الفرق بين أطلب عنكم و أطلب منكم السابق عليه هو أنّ الطلب منهم معناه هم المسئولون بالظاهر، و إن رجع السؤال فى الحقيقة إليه تعالى كما قلنا، و أما الطلب عنهم فمعناه أنّ المسئول هو الله تعالى فى الظاهر، إلاّ أن ما به السؤال من كيفية الدعاء، و نفس الحاجة أى العلم بالحاجة، التى تنبغى أن تسأل منه تعالى من حوائج الدنيا و الآخرة بما لهما من الأقسام و الفرق بالأهمية إنما هى مأخوذة عنهم و من بيانهم لا من تلقاء نفس الداعى. أو معناه أنى أطلب حوائجى لكم أى مقدمكم فى الانتفاع بحوائجى المقضيّة على نفسى، فمعنى أقدمكم أى أطلبها لكم لا لنفسى، أو أطلبها أولا لكم ثمّ لنفسى. فإن قلت: فهل يرجع من طلبه منه تعالى نفع لهم مع أنهم عليهم السّلام الكاملون المكمّلون؟ كيف و هم وسائط الفيض لا أنّ الخلق وسائط الفيض لهم؟ كما لا يخفى. قلت: سيأتى فى بيان معنى الصلوة عليهم عليهم السّلام أنّ الصلوة عليهم توجب زيادة فى جاههم زيادة عرضيّة، لا يضر عدمها أبدا، و لا يوجب عدمها نقصا للمصلّى عليهم نظير زيادة الثواب فى الصلوة فى اللباس الأبيض، أو مع الطيب، أو مع المجالس المندوبة، أو مع تحت الحنك، فإن زيادة الثواب فى هذه عرضيّة لا يوجب عدمها نقصا فى الصلوة، فلعل إلى طلب مثل هذه الزيادات يشير

ما ورد عنه صلّى الله عليه و آله

«تناكحوا تناسلوا فإنى أباهى بكم الأمم الماضية و القرون السالفة و لو بالسقط. . .» الحديث.

و ما ورد فى النهج عنه عليه السّلام «و لكن أعينونى بورع و اجتهاد» ، بل أقول كما أنّ الصلوة عليهم مندوبة بصريح الآية فلا محالة لها تأثير بالنسبة إليهم عليهم السّلام بمثل ما ذكر، أو بما يعلمه الله تعالى، فكذلك إظهار الخضوع لديهم بمثل قوله: «و مقدمكم. . . إلخ» . الدال على كمال انقطاع الداعى إليهم عليهم السّلام و هو المطلوب قطعا، له تأثير بالنسبة إليهم عليهم السّلام و لا أقل من أنهم ليسرون بظهور ذلك من شيعتهم لديهم، و سرورهم بذلك هو من أفضل العبادات و أحسن المنافع لنا بالتبع، كما لا يخفى. أقول: هذا بعض المعانى لهذه الجملة، و قد يقال: إن ما ذكر يناسب

قوله عليه السّلام

«و مقدمكم أمام طلبتى و حوائجى و إرادتى» . و أما

قوله عليه السّلام

«فى كل أحوالى و أمورى»

فيشير إلى أنّ الزائر يقدّمهم فى جميع الأحوال و الأمور الشامل لحال عبوديته له تعالى، ففى هذه الحالة يقدّمهم أيضا. و حينئذ قد يقال: كيف يتصور تقديمهم عليهم السّلام فى حال العبودية له تعالى؟ فنقول مقدمة على بيان الجواب: إنه قال بعض الأكابر ما ملخصه مع توضيح منا: إنّ لله تعالى فى نوع البشر مظاهر و مرائى هم المثل الأعلى له تعالى، و بقيّة الله و تذكرة الله، و قد تقدم أنهم عليهم السّلام مظاهره و أنهم المثل الأعلى.

و ورد عنه صلّى الله عليه و آله: «من رآنى فقد رأى الحق» ، فهؤلاء المقربون قد نصبهم الله منارا فى بلاده و أعلاما و هداة لعباده و حججا على بريته، و هم الأنبياء و الأولياء على مراتبهم، و قد حقق فى محله أن أشرفهم خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلّى الله عليه و آله و الأوصياء من بعده. و تقدم

قول على بن الحسين عليه السّلام : «نحن الوجه الذى يؤتى الله منه» . و توضيحه أنه قال المتألّهون الكاملون: إن الوجه الربوبى داخل فى صقع

الربوبيـة، فهو كـالمعنى الحرفى لاـ حكم له على حياله فبقاؤه ببقائه لا باسـتقلاله، و معنى بقاء الوجه ببقاء الله أنّ الوجه لا هو و لا غيره، بل الوجه ظهوره تعـالى الحاكى عن ذاته المحتجبـة عن العقول البشـرية و الأبصار الخلقّيـة، فهو تعالى هو غير معقول و لا محـدود لأحـد من الخلق، إلاّ أنه حيث أراد أن يعرف فخلق الخلق، أى أظهر ما به معرفته و ثبوت وجوده، فالخلق الأول هو ظهوره و وجهه

كمـا قـال: «كنت كنزا مخفيـا فـأحببت أن اعرف فخلقت الخلـق لكى أعرف» و فى الحقيقـة ظهوره هو الوجود المنبسـط الـذى هو فى كل بحسبه، و بالجملة حقيقة هؤلاء الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام العقول الكلية الكائنة تحت سطوع نور الأول بحيث لـم يمكنهـم من البروز، و لـذا كـانت من صـقع الربوبيـة و باقيـة ببقـاء الله، موجودة بوجود الله تعـالى، و هى العقول الكليـة التى هى مظاهر لأسـمائه الحسـنى، فهى ظهورات للكنز الخفى المسـمى، أى ذاته المقدسة، و هى أسـماؤه الظاهرة أى ظهرت الذات بها، و الاسم عين المسمى من وجه و غيره من وجه آخر، فهـذه العقول و الأسـماء تـدل عليه تعالى باعتبار حملها أعباء صـفات الله تعالى لا باعتبار نفسـها الحاملـة، فإن نفسـها التى هى المظهر للذات قد اسـتهلكت تحت أنوار الصـفات الإلهية، ففى الحقيقة الصـفات دالة على ذاته تعالى بنفسها، و لا حكم للعقول من حيث هى هى و لا دلالـة لها، بل لما كانت مسـتهلكة فى أنوار الصـفات الإلهيـة فلا حكم لها أبدا إذ لا حكم للمسـتهلك، بل الصـفات الإلهية الظاهرة بهذه العقول دلّت عليه تعالى. و كيف كان فهذه العقول لكمال رقتها و لطافتها لا لون لها فى نفسـها فانصـبغت بصـبغة صفات الله، فالعقول التى هى الأسـماء الحسنى الإلهية إنما تكون مرآة لذاته تعالى إذا لوحظت آلة لا استقلالا، فإن الأسماء إذا لوحظت استقلالا يكون لكل منها مفهوم غير مفهوم الآخر، و هى بهـذه الملاحظـة مخلوقـة و غير المسـمى، و أما إذا لوحظت آلـة كالمرآة الملحوظة لرؤية الصورة فهى حينئذ عين المسمى، إذ هى حينئذ مضمحلّة غير منظورة إليها أبدا

و الحاصل: أن الاسم إذا أخذ لا بشرط فهو عين المسمى، و إذا أخذ بشرط لا فهو غير المسمى، إذا عرفت هذا فاعلم أن

قوله عليه السّلام:

«و مقدمكم أمام طلبتى. . . إلى قوله فى كل أحوالى و أمورى»

الشامل لحال العبادة للّه تعالى يشير إلى أن حقيقتهم النورانية، التى هى العقول الكلية و الأسماء الحسنى الإلهية بما هى ملحوظة آلة، و قد علمت أنها حينئذ لا حكم لها لاضمحلالها: يجعلها العارف بحقيقتها بما هى فانية عنوانا لذاته تعالى، فتلك العقول و الأسماء حينئذ صفاته و هى هى، فالذاكر للّه تعالى بها أى بهذه العقول و الحقائق الأسمائية الإلهية الملحوظة آلة، إنما هو ذاكر له تعالى من هذه الجهة الإلهية و الوجهة الربوبية و ليس فيه شائبة شرك أبدا، بل معرفة هذه العقول و الأسماء معرفته تعالى، إذ هو بها ظهر، و عرف نفسه للخلق بها. و لذا

قال عليه السّلام: «معرفتى بالنورانية معرفة اللّه» ، و التعبير بالنورانية إشارة إلى أن حقيقته العلوية فانية عن نفسها و باقية ببقائه تعالى، فإن النور إذا نظرنا إلى شىء نظرنا إليه بسببه مع أنه لم يلحظ استقلالا، بل آلة،

فقوله عليه السّلام «بالنورانية» يشير إلى مرتبة فنائه عليه السّلام. فظهر مما ذكرنا أنّ تقديمهم عليهم السّلام فى جميع الأحوال إنما هو لأجل أنهم صفاته تعالى و مظاهره و أسماؤه الحسنى الملحوظة آلة، و هذا هو أحد معانى

قوله عليه السّلام فيما يأتى:

«و من قصده توجه بكم» . و سيأتى توضيحه، ثم إن هذا غير ما ذكره المتصوفة الضّالة المضلّة من جعل صورة المرشد أمامه حين الصلوة مثلا بدعاوى ملفّقة من أوهام سخيفة، كيف و الاسم الملحوظ آلة لا يلتفت إليه أبدا، بل هو مرآة محض، فأين هذا من تصوّر صورته التى هى عبارة عن تصوره استقلالا، كما لا يخفى، ثم إنه سيأتى توضيح لهذا الكلام فى بيان

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم» . فانتظر، ثم إن الزائر إذا كان من أهل المعرفة بما ذكرنا أمكنه تقديمهم عليهم السّلام هكذا بينه و بين ربه، و إلاّ فهو مقدمهم بأحد المعانى المتقدمة قبل هذا، كما لا يخفى.

[60]قوله عليه السّلام: «مؤمن بسركم و علانيتكم و شاهدكم و غائبكم و أولكم و آخركم» .

أقول: قد يقال: إن المراد من سرهم أى بما استتر فى أكثر الخلق من غرائب أحوالهم المذكورة فى محلها، و من علانيتهم أى بما علن منها للخلق، أو المراد من السرّ الاعتقادات السرّية الثابتة لهم عليهم السّلام، و من العلانية أعمالهم و أقوالهم العلانية، و من شاهدهم، الأئمة الأحد عشر فى زمان حضورهم و مشاهدة الناس لهم، و من غائبهم المهدى (عج) ، و المراد من أولهم هو على بن أبى طالب عليه السّلام و من آخرهم القائم (عج) و فيه تعريض على القول بإمامة على عليه السّلام فقط، أو القول بإمامتهم إلى على بن الحسين عليه السّلام كالزيدية، أو إلى إمامة الصادق عليه السّلام كالاسماعيلية أو الكاظم كالواقفيّة فإنها مردودة. و كيف كان ففى هذا التعميم إشارة إلى وجوب الإقرار بإمامة كل واحد منهم.

ففى المحكى عن إكمال الدين بإسناده إلى ابن مسكان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «من أنكر واحدا من الأحياء كمن أنكر الأموات» .

و فيه بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: من عرف الأئمة عليهم السّلام و لم يعرف الإمام الذى فى زمانه أ مؤمن هو؟ قال: «لا، أ مسلم هو؟ قال: نعم» . و قد تقدمت الأحاديث الدالة على من أنكر واحدا منهم فقد أنكر الجميع، و السر فيه أنّ ما به ثبوت أحدهم للإمامة قد دل على ثبوت الجميع لها على أنّ كلّ واحد منهم قد عيّنوا الإمام بعده بنصوص كثيرة، فتكذيب آخرهم أو أحدهم تكذيب للسابق عليه، كما لا يخفى، أو المراد بالأول الحيوة الأولى و بالآخر الرجعة. و كيف كان فهذا أمر ظاهر لا شك فيه، و قد يقال: إن المراد بأولهم هو ما سبق من أن أرواحهم مخلوقة من نور لا ظلمة فيه، و نور اخترعه الله من نور ذاته الذى هو نور الأنوار، و نور نورت منه الأنوار، و المراد بآخرهم هو أنهم سادات أهل الجنة، و لا يدخل أحد الجنّة إلاّ بشفاعتهم.

و فى البحار (1)، عن كتاب المناقب بإسناده عن حبة العرنى، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أنا سيد الأولين و الآخرين، و أنت يا على سيد الخلائق بعدى، أولنا كآخرنا و آخرنا كأولنا» .

و فيه (2)عن كتاب الاختصاص عن الرضا عليه السّلام قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام «كلّنا نجرى فى الطاعة و الأمر مجرى واحد و بعضنا أعظم من بعض» . أقول: هذه أمور مسلمة إلاّ أنه لم يعلم أنها المراد من هذه الجمل، و الله العالم. أقول: فى المجمع السرائر ما أسرّ فى القلوب و العقائد و النيّات و غيرها، و ما خفى من الأعمال و فيه قوله تعالى: يَعْلَمُ اَلسِّرَّ وَ أَخْفىٰ (3). السّر: ما أكمنته فى نفسك. و أخفى: ما خطر ببالك ثمّ نسيته.

قوله، «ما أسرّ فى القلوب. . . إلخ» أى تكون القلوب و العقائد و النيّات ظروفا، فالمستسر فى القلب هو المكنون فيه من آثار التوحيد، و ظهوره فيه لأهل الله تعالى، أو الكفر و النفاق لأهلهما، أو ما اكتتم فيه من عداوة أحد أو حبّه أو غير ذلک، ثم إنّ ما اكتتم فى القلب إما يكون موقتا أو دائما قابلا للزوال أو غير قابل له. فالأول هو المضمرات الشخصية فى بعض الأمور. و الثانى كالاختيارات و المبانى العلمية التى تثبت بالدليل، فيضمرها الإنسان فى قلبه. و الثالث كالأصول الدينية الثابتة فيه. و يسمى حينئذ بالعقايد فقوله: ما أسر فى العقايد أى المعتقدات الحقّة الثابتة غير الزائلة، و أما الذى اكتتم فى النيات أى المنويّات الكائنة فيها، فهو يعمّ الجميع

1- 1) البحار ج 25 ص 360.
2- 2) البحار ج 25 ص 359.
3- 3) طه:7.

من المذكورات.

و قوله: «و ما خفی من الأعمال» أی يطلق السر علی ما هو فی الخارج دون ما ذکر إلاّ أنه لخفائه عبّر عنه بالسر. و إليه يشير ما

فيه عن معاذ بن جبل قال: سألت النبی صلّی الله عليه و آله ما هذه السرائر التی تبلی بها العباد يوم القيامة؟ قال: سرائرکم هی أعمالکم من الصلوة و الزکوة و الصيام و الوضوء و الغسل من الجنابة و کل مفروض. ثم إنه صلّی الله عليه و آله بيّن وجه کونها من السرائر،

بقوله صلّی الله عليه و آله لأن الأعمال کلها سرائر خفية فإن شاء قال: صليت و لم يصل، و إن شاء قال: «توضّأت و لم يتوضّأ، فذلک قوله تعالی: يَوْمَ تُبْلَى اَلسَّرٰائِرُ (1)» . أقول: فالأعمال لخفائها عن الناس أطلق عليها السرائر، و يوم القيامة يظهر أنها کانت أم لم تکن، أو أنها کانت صحيحة أو فاسدة. و فيه: و السّر، الذی يکتم. و منه: هذا من سرّ آل محمد صلّی الله عليه و آله أی مکنون آل محمد صلّی الله عليه و آله الذی لا يظهر لکل أحد. قال بعض شراح الحديث: اعلم أنّ سر آل محمد صعب مستصعب، فمنه ما يعلمه الملائکة و النبيون و هو ما وصل إليهم بالوحی، و منه ما يعلمه هم عليهم السّلام و لم يجر علی لسان مخلوق غيرهم، و هو ما وصل إليهم بغير واسطة، و هو السّر الذی ظهرت به آثار الربوبية عنهم فارتاب لذلک المبطلون و فاز العارفون، فکفر به فيهم من أنکر و فرّط، و من غلا فيهم فأفرط، و فاز من أبصر و تبع النمط الأوسط. و فيه: المستسر بالشیء المستخفی به، إذا علمت هذا فاعلم أنّ المهيّات فی نفسها لا موجودة و لا معدومة أی لا اقتضاء لها بالنسبة إلی هذين الأمرين بالنسبة إلی الخارج، فهی فی صقع التقدير، فإذا أراد الله تعالی خلق شیء منها تکوينا و خارجا

1- 1) الطارق:9.

كما قال تعالى: إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ خاطب المهيّة المشىء وجودها بقوله ب كُنْ قوله تعالى: كُنْ فعل منه.

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و إنما كلامه سبحانه فعله» . و المخاطب هى المهية الموجودة بفعل (كن) ، ثم إنها عند التوجه الإيجادى منه تعالى المعبّر عنه ب(كن) تختصّ من الحق، و هذا الحق هو السرّ المختص بها، و هو المعبر عنه بالوجود المنبسط عند الحكماء و هو الإيجاد الحقيقى منه تعالى لها، و المعبر عنه بالوجود الحقيقى لا الإضافى، و هذا الوجود الحقيقى المنبسط هو السرّ الإلهى فى كل موجود، و حيث إنه من الحق أى من المراتب النازلة لوجوده تعالى، حيث إنه مقول بالتشكيك بالشدة و الضعف على قول كثير من الحكماء، أو إنه من ظهوره المعبر عنه بالفارسية ب(نمود) لا (بود) على قول كثير من العرفاء، و تحقيقه موكول فى محله، و إنما هو سرّ لأنه منه تعالى. و لا ريب فى أنّ الوجود الحقيقى مع أنه من أبده البديهيّات لا يدرك بكنهه و كذا ظهوره تعالى، و لذا قيل إنه سرّ أى مخفى لفرط ظهوره عن الخلق، فلا يعرفه إلاّ هو تعالى. و لذا قيل: لا يعرف الحق إلاّ الحق، لأنّ ذلک السرّ هو العارف به فهو عارف بنفسه لا غيره. و لعل إليه يشير

قوله عليه السّلام: «عرفت ربّى بربّى» ، أى عرفت السّر أى الوجود الحقيقى الذى أنا أى ماهيّتى به موجودة به، أى بذلک السر نفسه إذ ليس شىء غيره يمكنه المعرفة به لأن غيره هو المهيّة، و هى لا موجودة و لا معدومة بنفسها، بل قيل إنها ما شمّت رائحة الوجود، فكيف يمكنها المعرفة بربها؟ و لعل إليه أيضا يشير ما

فى توحيد الصدوق فى ضمن حديث: «و لا يدرک مخلوق شيئا إلاّ بالله» ، فحينئذ هو تعالى يعلم كلّ سرّ و لا وجود لغيره، و لا يعلم السر أى نفسه إلاّ هو، فلا هو إلاّ هو، و قد يعبّر عن هذا السّر بسرّ الحقيقة، فإنّ كل

شىء فيه من حقيقة الحق أى من وجوده، و قد علمت أنه سر ففى كلّ شىء سرّ من حقيقة الحق لا يكاد يفشيه شىء، و لعله إليه يشير قوله: بين المحبّين سرّ ليس يفشيه قول و لا قلم للخلق يحكيه فهذا معنى السر المطلق، و حينئذ فمعنى

قوله:

«مؤمن بسرّكم»

أى بما اختصّكم الله تعالى به عند التوجه الإيجادى لحقائقكم و هو الوجود الحق المنبسط على ما هيّاتهم الشريفة، و حيث إنه سر لا يعلمه إلاّ هو، فلا محالة لا يتوجه إليه إلاّ بالإيمان، فلا بد من أن يقال: مؤمن بسركم، و لا يمكن أن يقال عارف أو عالم بسركم، إذ علمت أنه لا يعرف هذا السّر الحق إلاّ السّر الحق أى إلاّ هو كيف، و هذا بالنسبة إلى أى موجود ضعيف فرض لا يمكن المعرفة بسرّه إلاّ هو، فكيف بوجودهم الذى هو المرتبة الأقوى من الوجود بالنسبة إلى غيرهم، حيث إنهم أقرب الموجودات إليه تعالى فلا وجود و لا ظهور أشدّ تجلّيا إلاّ بهم عليهم السّلام و ما سواهم دونهم فى المرتبة و الظهور كما لا يخفى. و إليه يشير

قولهم فيما تقدم: «إن أمرنا لا يحدّ» ، أى أنّ مظهريّتنا له تعالى بانبساط وجوده تعالى بنحو الأشدّ و الأتمّ و الأكمل لا يحدّ لكونهم عليهم السّلام أقرب الموجودات إليه تعالى، و هو تعالى أشدّ ظهورا و وجودا بهم عليهم السّلام فتأمل، و قد يراد من السرّ مقامات النفس. و قد يطلق على مقامات النفس الإنسانى و هى فى اصطلاح العارفين هى اللطائف السبع من الإنسان المتداولة عندهم، و هى الأبطن السبعة للإنسان الذى هو الآية الكبرى لله تعالى و هى عبارة عن الطبع و النفس و القلب و العقل و الروح و السر و الخفى و الأخفى، و قد يحذف الطبع منها و يضاف العقل بعد القلب. و أما تعاريف هذه السبعة على الإجمال: فالطبع و الطبيعة هو مزاج الإنسان

المركب من الأخلاط.

و فى المحكى عن أبى الحسن عليه السّلام كما فى المجمع طبايع الجسم على أربعة فمنها الهواء الذى لا تحيى النفس إلاّ به و بنسيمه، و يخرج ما فى الجسم من داء و عفونة، و الأرض التى قد تولّد اليبس، و الحرارة و الطعام و منه يتولّد الدم، أ لا ترى أنّه يصير إلى المعدة فتعمل به حتى يلين ثم يصفو فتأخذ الطبيعة صفوه و ما ثم ينحدر مع الثفل، و الماء و هو يولّد البلغم. أقول: قوله و الطعام عطفا على الحرارة، إشارة إلى أنّ الحرارة فى الجوف تحصل من الطعام فهو منشأ لهذه الطبيعة الإنسانية. و لعل إليها يشير ما

فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى تعريفه عليه السّلام النفس. . . إلى أن قال: «فالنّاميّة النباتيّة لها خمس قوى: جاذبة و ماسكة و هاضمة و دافعة و مربّية، و لها خاصيتان الزيادة و النقصان و انبعاثها من الكبد. . .» الحديث و له شرح فى محله. و كيف كان فهذه الأمور من طبايع الإنسان و هى فى مزاجه و طبيعته الكامنة فى جوفه، و لذا أطلق على هذه اللطيفة السّر. و أما لطيفة النفس و القلب و الروح فاعلم أولا أنّ النفس تطلق على أمور، و لعله هو الاشتراك اللفظى، فإنها تطلق على ذات السر، و تطلق على كمال أول لجسم طبيعى آلى، فهذه تنقسم إلى نفس سماوية و أرضية، و الأرضية تنقسم إلى نفس نباتية و حيوانية و إنسانية، و هذه تقابل الصورة النوعية المعدنيّة و الطبيعية، و تطلق أيضا على جوهر مجرد فى ذاته دون فعله عن المادة (1)فتقابل هذه العقل المفارق فى ذاته و فعله عن المادة، و تطلق على النفس الأمّارة و اللّوامة فتقابل النفس الملهمة و المطمئنة، و العقل بقسميه النظرى و العملى و قد تطلق فى اصطلاح الحكيم على النفس الناطقة المراد بها تلك اللطائف السبع المذكورة. إذا علمت هذا فالمراد من النفس المشار إليها فى كونها من اللطائف السبع ما

1- 1) متعلق به مجرّد.

سنوضحها. و حاصله: أن القلب و الروح و النفس الناطقة واحدة عند الحكماء. قال بعض الأكابر (1)فى معرفة النفس و نعنى بها الجوهر اللطيف الملكوتى، الذى يستخدم هذا البدن الجسمانى فى حاجاته مسخّرا له تسخير المولى الخدمة، و هو ذات الإنسان و حقيقته العالمة بالمعلومات، و له فى هذا البدن جنود جسمانية هى الأعضاء و جنود روحانية هى القوى، قال اللّه تعالى: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (2)،

و قال نبينا صلّى اللّه عليه و آله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» .

و قال: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» . و قد يسمى هذا الجوهر الملكوتى بالروح، لتوقّف حياة البدن عليه، و بالقلب لتقلّبه فى الخواطر، و بالعقل لاكتسابه العلوم و اتّصافه بالمدركات. و قد تستعمل هذه الألفاظ الأربعة فى معان أخر تعرف بالقرائن، ثمّ إن النفس توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأوامر و النواهى، و زايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سمّيت النفس المطمئنّة، قال اللّه تعالى: يٰا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّةُ. اِرْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً (3)و إذا لم يتمّ سكونها، و لكنها صارت مدافعة للشهوة و الغضب، و معترضة عليهما سمّيت النفس اللّوّامة، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاها، قال اللّه تعالى: وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اَللَّوّٰامَةِ (4)و إن تركت الاعتراض و أذعنت و أطاعت لمقتضى الشهوات و دواعى الشيطان سمّيت الأمّارة بالسوء، قال اللّه تعالى إخبارا عن يوسف عليه السّلام: وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ اَلنَّفْسَ لَأَمّٰارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّي (5).

ص: 518

1- 1) هو المولى المحسن رحمه اللّه فى الحقايق ص 44.

2- 2) الذاريات:21.

3- 3) الفجر:27-28.

4- 4) القيامة:2.

5- 5) يوسف:53.

و أما العرفاء، فالروح عنـدهم هى اللطيفـة الإنسانيـة المجردة، كما أنّه عنـد الأطبّاء الروح هو البخار اللطيف المتولد فى القلب الصـنوبرى القابل لقوة الحيوة و الحسّ و الحركـة. و النفس عنـد العرفاء هى هـذا البخار، و القلب عنـدهم هو اللطيفة المتوسـطة بين هذه النفس و بين الروح التى كانت اللطيفـة الإنسانيـة المجردة. و هذا المسـمى بالقلب هو المدرک للكليات و الجزئيات. فالقلب عند العرفاء جوهر نورانى مجرد يتوسط بين الروح بالمعنى الأول أى اللطيفة الإنسانية المجردة و بين النفس. فالقلب عندهم راكب و مركبه النفس، و الروح باطن لهذا القلب و هـذه النفس، التى هى المركب للعقل ظاهره أى ظاهر العقل المتوسط بينه و بين الجسد، فالنفس حين كونها مركبا له متوسـطة بين القلب و الجسد، فرتبة الروح الإنسانى قبل العقل و هو قبل النفس، و هى مركبه و واسـطة بينه و بين الجسد. و لهذا القلب فتوحات ربانية، و تلک على قسـمين: صورى و معنوى. أما الصورى: فظهر البوارق و اللوائح و اللوامع مع الأنوار التى تظهر للسـلاّک إلى جنابه الأقدس، فإنه تعـالى منوّر القلوب كمـا فى دعاء الجوشن، و إنما تنويره تعالى لها بفتـح أعينها الباطنيـة و إفاضـة النور عليها، فإنه كما أنّ أبصار العين التى لمشاهدة عالم الملک لا يتسـر إلاّ برفع الموانع و تحقق الشـرائط، و من جملتها مصادفة نور العين لنور آخر كنور الشمس أو القمر أو النار، كذلک بصـيرة القلب لشـهود عالم الملكوت لا يتأتّى إلاّ برفع العلائق و العوائق، و تحقّق المقرّبات و الشرائط و من جملتها إشراق نور آخر عليه من نور الحق أو بعض مقرّبيه كنور العقل الفعال، التى هى الحقيقـة المحمديـة الساريـة فى الحقيقـة العلوية و الأنوار الإلهية المتحققة بالأئمـة الطاهرين (عليهم و على فاطمة الزهراء أفضل الصـلوة و السّـلام) . قال بعض أهل المعرفة: أول ما يبدو فى قلب العارف ممن يريد الله سعادته نور،

ثم يصـير ذلک النور ضـياء، ثم يصـير شـعاعا، ثم يصـير قمرا، ثم يصير شمسا، فإذا ظهر النور فی القلب بردت الدنيا فی قلبه بما فيها، أی و صارت عنـده ردّيـة فی غايـة الخسّة و الدّناءة و لا يتعلّق بها القلب، فإذا صار ضـياء ترکها و فارقها مع مشـقّة و رياضة علی النفس، فإذا صار شعاعا انقطع منها و زهـد فيها بتمکين و سـهولة، و حينئـذ فارق الـدنيا و لذاتها، و کره دنيا الآخرين و لو من الأشـراف، فلا يتحدّث بها و لا عنها، و هذا من إنارة زهده فيها، فکل ما ازداد الزهد ازداد هذا الأثر، فإذا صار نجوما فارق الدنيا و لذاتها و محبوبها مفارقة بشراشر وجوده و باطنه، فإذا صار قمرا زهد فی الآخرة و ما فيها، کما قيل: فإنها حرام علی أهل الله تعالی. فإذا صار شمسا أی ظهرت شمس الحقيقة فيه بحيث دلّت ذاته تعالی علی ذاته فيه، فحينئـذ لا يری الـدنيا و ما فيها و لا الآخرة و ما فيها، و لا يعرف إلاّ ربّه، فيکون جسده نورا و قلبه نورا و کلامه نورا، و أما المحرومون من هذه الأنوار فهم الذين أشار الله إليهم بقوله: اَلَّذِينَ کٰانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِی غِطٰاءٍ عَنْ ذِکْرِی (1). أقول: کون الجسد نورا لأنه إذا کان مؤتمرا بأمر الروح القدسـی کايتمار الروح و امتثاله لأمر الله تعالی کان کالروح النوری نورا، و القلب إذا کان قلبا أجرد و أزهر و مسـتقيما لا أسود و لا منکوسا کان نورا، و الکلام إذا کان حکايـة عن الکلمات النوريـة التی فی النفس الناطقة و القلب النوری کان نورا. و نعم ما قيل: إنّ الکلام لفی الفؤاد و إنما جعل اللسان علی الفؤاد دليلا و يدل علی هذه الأمور عدة من الأحاديث:

منها: ما من قلب إلاّ و له عينان، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللّتين هما للقلب ليشاهد بهما الملکوت، و يشير إلی هذه الترقيات النورية أحاديث کثيرة.

1- 1) الکهف:101.

منها:

ما فی الخصال باب الخمسة (1)، بإسناده إلی أبی عبد الله جعفر بن محمد عن أبیه عن آبائه عن علی علیهم السّلام: «المؤمن یتقلّب فی خمسة من النور مدخله نور، مخرجه نور، و علمه نور، و کلامه نور، و منظره یوم القیامة إلی النور» .

و فی الوافی (2)، عن الکافی بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إنّ القلب لیتخلخل-لیتجلجل-فی الجوف یطلق الحق، فإذا أصابه اطمأنّ و قرّ، ثم تلا أبو عبد الله علیه السّلام: فَمَنْ یُرِدِ اَللّٰهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ . . . إلی قوله: کَأَنَّمٰا یَصَّعَّدُ فِی اَلسَّمٰاءِ (3)» . أقول: هذا التخلخل أو التجلجل هو الحرکة الجوهریة التی قد أثبتها الحکماء للأشیاء. فقوله: «لیتجلجل» أی یتحرک جوهرا من مرتبة سابقة إلی مرتبة فوقها عالیة، و هکذا إلی أن یصل إلی المرتبة الأخیرة، فإنّ القلب کما علمت إنّما سمّی قلبا لتقلّبه فی الخواطر خصوصا فی الخواطر الربوبیة.

قال علیه السّلام فی المناجاة الثانیة عشر

«إلهی ما ألذّ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب، و ما أحلی المسیر إلیک بالأوهام فی مسالک الغیوب» . و الحاصل: أنّ الانقطاع إلیه تعالی مع تنویر القلب بهذه الأنوار الإلهیة و الألطاف الربوبیة یوجب الوصول إلی تلک الغایات التی ذکرت، کیف لا و المربی لها أی القلوب قلوب المؤمنین العارفین هو الله تعالی؟ !

ففیه عن الکافی بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن الله تعالی خلق قلوب المؤمنین مبهمة علی الإیمان، فإذا أراد استنارة ما فیها فتحها بالحکمة و زرعها بالعلم، و الزارع لها و القیّم علیها رب العالمین» .

1- 1) الخصال باب الخمسة ص 307.

2- 2) الوافی ج 1 ص 51.

3- 3) الأنعام:125.

و فی بعض الروایات عن موسی بن جعفر علیه السّلام مثله إلاّ أن فیه (مطویة مبهمة) و قال (نضحها بالحکمة) و النضح: السقی. و فی بعض النسخ (استثارة ما فیها) بدل استنارة. و کیف کان فالله تعالی هو الفاتح و الناضح لها بالحکمة، و سیأتی معنی فتح القلب.

و فیه عن الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «القلوب أربعة: قلب فیه نفاق و إیمان، و قلب منکوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر أجرد» . فقلت: ما الأزهر؟ قال: «فیه کهیئة السراج، قال: فأما المطبوع فقلب المنافق، و أما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شکر، و إن ابتلاه صبر، و أما المنکوس فقلب المشرک، ثم قرأ هذه الآیة: أَ فَمَنْ یَمْشِی مُکِبًّا عَلیٰ وَجْهِهِ أَهْدیٰ أَمَّنْ یَمْشِی سَوِیًّا عَلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (1)، و أما القلب الذی فیه إیمان و نفاق فهم قوم کانوا بالطائف إن أدرک أحدهم أجله علی نفاقه هلک، و إن أدرکه علی إیمانه نجا» . أقول: لم یفسّر علیه السّلام الأجرد فلعله المجرد عن الکدورات أعنی ما یقابل المطبوع فإن الطبع: الرین أی الزیغ و هو ما کان فی غایة الکدورات.

و فیه عن العدة عن السهل عن الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «القلب ثلاثة: قلب منکوس لا یعی شیئا من الخیر و هو قلب الکافر، و قلب فیه نکتة سوداء، فالخیر و الشر فیه یعتلجان (أی یتصارعان) فأیهما کانت منه غلب علیه، و قلب مفتوح فیه مصابیح تزهر لا یطفأ نوره إلی یوم القیامة و هو قلب المؤمن» .

و فیه عنه بإسناده عن علی بن عقبة، عن عمر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال لنا ذات یوم: «تجد الرجل لا یخطئ بلام و لا واو، خطیبا مصقعا، و لقلبه أشدّ ظلمة من اللیل المظلم. و تجد الرجل لا یستطیع تعبیرا عما فی قلبه بلسانه، و قلبه یزهر کما یزهر المصباح» .

1- 1) الملک:22.

أقول: المصقع البليغ و عالی الصوت و من لم یرتجّ علیه فی کلامه.

و فیه عنه بإسناده عن سلام بن المستنیر قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام فدخل علیه حمران بن أعین، فسأله عن أشیاء، فلما همّ حمران بالقیام قال لأبی جعفر علیه السّلام: أطال اللّه بقاءک لنا و أمتعنا بک، إنّا نأتیک فما نخرج من عندک حتی ترقّ قلوبنا، و تسلو أنفسنا عن الدنیا، و یهون علینا ما فی أیدی الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندک، فإذا صرنا مع الناس و التجار أحببنا الدنیا، قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام: «إنما هی القلوب مرة تصعب و مرة تسهل» . ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: أما أنّ أصحاب محمد صلّی اللّه علیه و آله قالوا: یا رسول اللّه تخاف علینا النفاق؟ قال: فقال لهم: و لم تخافون ذلک؟ فقالوا: إذا کنّا عندک فذکّرتنا و رغّبتنا، وجلنا و نسینا الدنیا و زهدنا حتی کأنّا نعاین الآخرة و الجنة و النار و نحن عندک، و إذا خرجنا من عندک، و دخلنا هذه البیوت، و شممنا الأولاد، و رأینا العیال و الأهل نکاد أن نحول عن الحال التی کنّا علیها عندک، و حتی کأنّا لم نکن علی شیء، أ فتخاف علینا النفاق و إنّ ذلک نفاق؟ فقال لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: کلاّ إنّ هذه خطوات الشیطان فیرغّبکم فی الدنیا، و اللّه لو تدومون علی الحال التی وصفتم أنفسکم بها، لصافحتکم الملائکة و مشیتم علی الماء، فلو لا أنکم تذنبون فتستغفرون اللّه تعالی لأتی اللّه تعالی بخلق یذنبون و یستغفرون فیغفر لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أ ما سمعت قول اللّه تعالی: إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلتَّوّٰابِینَ (1)و قال: وَ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ (2)» . و کیف کان فالمستفاد من هذه الأحادیث أنّ الأمر أمر القلب و أهمیته هو أن یکون مفتوحا کما فی حدیث الثمالی، و قلب مفتوح فیه مصابیح تزهر و لا یطفأ نوره إلی یوم القیامة، هذا کله فی بیان فتوحات القلب الصوریة، و أما الفتوحات المعنویة

1- 1) البقرة:222.

2- 2) هود:90.

للقلب فهو على ثلاثـة أقسام: الفتـح القريب و الفتـح المبين و الفتـح المطلق. أما الأول: فهو ما انفتـح على العبـد من مقام القلب و ظهور صفاته و كمالاته عند قطع منازل النفس، و الترقى إلى منازل القلب فى حدود السـير من الخلق إلى الحق. و الحاصل: أن هذا الفتح يقع فى حدود سيره من الخلق إلى الحق، و لعل هذا هو المشار إليه بقوله تعالى: نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ (1)و قطع هذه المنازل عبارة عن خروجه عن منازل النفس المعبر عنها بالخلق إلى منازل القلب المعبّر عنها بالحق، فلا بـد حينئـذ من معرفة منازل النفس و منازل العقل، فنقول: أما الأول فقيل إنها ثمانيـة: (الشـره و الخمود) و (التقتير و التبذير) و (الجبن و التهور) و (الجربزة و البلاهة) و هاتان الأخيرتان أعنى الجربزة و البلاهة عبارة عن إفراط الفكر و هو الجربزة و تفريطه و هو البلاهة، كل منهما يستعملان فى تكثير طرق جلب المنافع الدنيوية فى الجربزة و تقليلها فى الغاية فى البلاهة، و هذه الثمانية كل اثنين منهما طرفا الإفراط و التفريط للحد الوسط من منازل العقل، فالشره هو طرف الإفراط، و الخمود هو طرف التفريط للعفة، و التقتير هو طرف التفريط، و التبذير هو طرف الإفراط للسـخاوة، و الجبن هو طرف التفريط، و التهوّر هو طرف الإـفراط للشـجاعة، و الجربزة هو طرف الإـفراط، و البلاهـة هو طرف التفريط للحكمـة. الإفراط الوسط التفريط الشـره العفـّة الخمود التبـذير السـخاوة التقتير التهوّر الشـجاعة الجبن الجربزة الحكمـة البلاهـة و ممـا ذكر علم منازل القلب التى هى أربعـة، و التى هى أركان العدالة الخاصة،

1- 1) الصف:13.

و يجمعها و تلك هى العفة و السخاوة و الشجاعة و الحكمة، و قد عرفت طرفى الإفراط و التفريط لهذه الأربعة، و تفصيل هذه الأمور موكول إلى علم الأخلاق. و كيف كان ففتح أبواب القلب هو السير من منازل النفس المذكورة إلى منازل القلب المذكورة، و يسمّى بالفتح القريب كما تقدم، ثم إن أحسن منازل القلب هو الحكمة، و هو دركه الكليات و الجزئيات كالروح أيضا فى قبال النفس، التى هى تدرك الجزئيات إلاّ أنه لا بدّ من أن يعلم أنه ليس المراد من إدراكه الكليات إدراك النظريات و العلوم الصرفة غير المتعلقة بالعمل، بل ما يشمل العمليات مثل أن يزور العبد الصالح لله تعالى و يعود المريض لله تعالى لا للتشهى النفسانى، و يتعلّم العلم لله تعالى لا للجاه و هكذا. و أما الثانى: أى الفتح المبين فهو ما انفتح على العبد من مقام الولاية الإلهية، و تجليات الأنوار الإلهية المفنية لصفات القلب و كمالاته، و هذا فى مقام السير فى الحق، و لعل إليه يشير قوله تعالى: إِنّٰا فَتَحْنٰا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَکَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ (1)أى من الصفات النفسانية و القلبية، و معنى أن تجليات الأنوار الإلهية تكون مفنية لصفات القلب و منازله هو أنه لمّا تجلت الأنوار الإلهية بالفتح المبين الظاهر، أى انفتح ظهور أسمائه تعالى بذاته، و أنها قائمة به تعالى لا بالعبد، بل العبد كان مظهرا لها، و تبيّن له هذا الظهور و النسبة، و علم أنّ نفس العبد لم يكن إلاّ الفقر المحض، فحينئذ يصير العبد من البدلاء، و معنى كونه من البدلاء أى تتبدل صفاته القلبية السابقة بالأسماء الإلهية، فحينئذ يتبدل اسم الشجاع الذى هو منزل حسن للقلب و من الأسماء الخلقية أى الجارية على الخلق بأسماء الله تعالى من مثل القادر و المقتدر و القاهر، فالاسم الذى يظهر حقيقته و نسب إليهم يكون ظهوره فيهم بالشجاعة. و أما إذا فنى العبد فى نفسه بإفناء التجليات الأسمائية للصفات القلبية الخلقية،

1- 1) الفتح:1-2.

فیظهر ذلک الاسم منسوبا إلیه تعالی بالقادر و المقتدر و القاهر و نحوها، و علی هذا القیاس و البیان یتبدل اسم السخی باسم القاضی للحوائج و المنعم و نحوها و قس علیها الباقی من الأسماء و المنازل الخلقیة القلبیة عند ظهور الفتح المبین یتبدلها بالاسم الإلهی، فالعبد الحقیقی ینبغی أن یتخلّق بأخلاق اللّه تعالی أی یفنی صفاته تعالی کما یفنی ذاته تعالی، أی سیروا فی الحق بالفتح المبین الإلهی، لتتخلّقوا بأخلاقه تعالی بالتبدل المذکور. و أما الثالث: أی الفتح المطلق الذی هو أعلی الفتوحات القلبیة و أکملها، و هو ما انفتح علی العبد من تجلی الذات الأحدیة و الاستغراق فی عین الجمع بفناء الرسوم کلها، و لعل إلیه یشیر قوله تعالی: إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اَللّٰهِ وَ اَلْفَتْحُ (1)و صاحب هذا الفتح یری الناس یمحقون فی نور اللّه عند طلوع شمس الحقیقة، إذ عندها یمحی الموهوم و یصحو المعلوم فتذوب المجازات، إذ کلّ ما سواه باطل و مجاز زائل، فیری الکل بالأمر و النهی التکوینیین ممتثلین و إلی إرادته هم صائرون، فحینئذ یصحّ منه أن یخاطب بالخطاب الإلهی بقوله تعالی: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ (2)أی سبّح بتسبیحه لنفسه لا بتسبیحک إیّاه، بل هو یسبّح نفسه. و معنی سبّح أی نزّهه بما حمد تعالی به نفسه، فإنه یسبّح لنفسه تسبیحا یلیق بجنابه المقدس لا غیره. و لذا

قال صلّی اللّه علیه و آله: «أنت کما أثنیت علی نفسک» أی لا أحصی ثناء علیک، و قوله تعالی: وَ اِسْتَغْفِرْهُ أی غطّ وجودک تحت سطوع نوره، فالغفر هو بمعنی الستر، فهذا الاستغفار عقیب هذا القول منه تعالی معناه هذا الذی ذکر، کما لا یخفی. ثمّ إنّ هذا نهایة سیر القلب و سیر العبد إلی الفتح المطلق، و هو الوصول إلی التجلیات الأحدیة الذاتیة و الاستغراق فی عین الجمع، فالعبید لا غایة لهم دونها،

1- 1) النصر:1.

2- 2) النصر:3.

و هذا الوصول له مراتب فى نفسه، و أعلاه يكون لنبيّنا صلّى الله عليه و آله و للأئمة عليهم السّلام. ثم إن العبيد الواصلين إلى الفتح المطلق على قسمين: قسم منهم فانون فى عين الجمع، و قسم يكون لهم سير آخر، و هو السير من الحق إلى الخلق، لتكميل النفوس حسب ما يعطى لهم من وظيفة التبليغ و الرسالة، و يعبّر عنه بمقام البقاء فى الفناء و لا ريب فى أن هذه المراتب للقلب من الفتوحات الثلاثة من الأسرار الباطنة و اللطائف الإنسانية، هذا كله بالنسبة إلى الطبع و النفس و القلب و الروح فى الجملة، و تفصيله موكول إلى محله. أقول: قال بعض الأكابر: و قد يجعل النفس أما و الروح أبا و القلب ولدا، فمن القلب ما هو ميّال إلى الأم و هو القلب المنكوس، و منه ما هو متخلّق بأخلاق الأب مترق إليه، و منه ما هو متردد بينهما إلى ما شاء الله، فالنفس حيث هى من الخلق و عالم الملك، و لها ملائمات و منافرات فى هذا العالم، فإذا صار القلب و هذا الولد تابعا لأمه أى النفس المادى، فلا محالة تخلد إلى الأرض، و يتّبع هواه فيكون منكوسا. و أما إذا اتّبع الأب و هو الروح الذى هو من عالم الملكوت، فلا محالة يترقّى إليه إلى أن يصير من المطمئنّين بالله تعالى، و هناك أقسام مترددة بين هذه و هذه، فهذه هى النفوس اللوامة كما لا يخفى. هذا كله بالنسبة إلى الطبع و النفس و القلب و الروح و أما العقل و السر و الخفى و الأخفى. فنقول: قد يقال: إن العقل هو القلب كما قيل عن الحكماء: إنّ القلب هو العقل التفصيلى، و الروح هو العقل البسيط الإجمالى، و لهذا جعل بعض اللّطائف السبع ما دون العقل. و قد يقال: العقل لسان الروح و ترجمانه الدال عليه. و قد يقال: إن النفس الإنسانية هو الجوهر العقلى، و هو أولا عقل بالهيولى و عقل بالقوة، ثم يصير عقلا بالفعل بعد مزاولة الاكتساب، و تحصيل العلوم الحقيقية

حتى أدّتها من القوة إلى الفعل، ثم يصير عقلا مستفادا. و قيل فى تعريفه: العقل نور روحانى تدرک النفس به العلوم الضرورية و النظرية، و أول ابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ. أقول: هذا التعريف يشير إلى العقل الهيولانى و العقل بالقوة، ثم يشير إلى وصوله إلى العقل بالفعل بالنحو المتقدم ذكره. و قال بعضهم: و قد يطلق العقل على العلم المستفاد من ذلک أى من النور الروحانى، فيكون الأول هو العقل المطبوع المراد

بقوله تعالى: «ما خلقت خلقا هو أحبّ إلىّ منک» و الثانى العقل المسموع و هو المراد

من الحديث: «ما اكتسب الإنسان شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى» . و قد يراد بالعقل قوة النفس. و قد يراد به المصدر و هو فعل تلک القوة. و قد يراد به ما يقابل الجهل، و هو الحالة المقدمة على ارتكاب الخير و اجتناب الشر، أى القوة المدبرة فى إعانة الآخرة. و قيل: موضعه الدماغ و قيل: القلب و الدماغ مجمعا العقل. و عن بعض العارفين: الممكن المجرد عن الجسمية إن احتاج فى كمالاته إلى البدن فهو النفس و إلاّ فهو العقل.

و عن على أمير المؤمنين عليه السّلام «العقل شرع من داخل، و الشرع عقل من خارج» أى مبيّن للطريق كالسراج.

و قد ورد فى أحاديث العقل أنه كالسراج وسط البيت.

و فى حديث عنه عليه السّلام «العقل وسط الكل» . أقول: لا ريب فى أن العقل هو تعقل الأشياء و فهمها، و هو مما يدركه الإنسان فى لبّه، و مع ذلک عرّف بتعاريف:

الأول: هو قوة إدراک الخير و الشر و التميیز بینهما و المتمکّن من معرفة أسباب الأمور و ذوات الأسباب، و ما يؤدی إليها و ما یمنع منها، و هو بهـذا المعنى مناط التكليف، و لكن لا ريب فی أنّ هـذا بالآثار لا بحقيقته. الثانی: أنه ملكـة و حالـة فی النفس تدعو إلى اختیار الخیر و النفع، و اجتناب الشـرور و المضار، و هو غیر العلم، فإن هذا فطری و العلم کسبی، و هذا تعریف له بالإجمال کما لا یخفی. الثالث: القوة التی یسـتعملها الناس فی نظام أمورهم، و هـذا کسابقه من أنه تعریف بالإجمال، بل هو هو إلاّ أنه باعتبار اسـتعماله فی نظام الأمور. الرابع: هو أمر ینحـل إلى مراتب اسـتعداد النفس، لتحصـیل النظریّـات و قربها و بعـدها عن ذلک و أثبتوا لها مراتب أربع: العقل الهيولانی. العقل بالملكة. العقل بالفعل. العقل المسـتفاد. الخامس: النفس الناطقة الإنسانية التی بها یتمیّز عن سایر البهائم. و قد یقال کما عن الفلاسفة: إنه جوهر مجرد قـدیم لا تعلّق له بالمادة ذاتا و لا فعلا، و هـذا مضافا إلى رجوعه إلى ما قبله، مناف لكثیر من ضـروریات الـدین من حدوث ما سوى الله تعالى کما لا یخفی. قال بعض الفضـلاء و أهل المعرفة من المعاصـرین-أبقاه الله تعالى للدین-ما ترجمته و حاصله: أنّ للإنسان شأنا به یتمکن من السـیر من القوى الكامنة فیه بنحو الاسـتعداد إلى الفعليّة، إلى أن یسیر بهذا السیر إلى التمكّن من العقل المستفاد، المراد منه حضور المعارف النوریـة العقلیـة عنـد حقیقـة نفسه، و تلک الكمالات و الأنوار العقلیـة قد ظهرت لنفسه من العقل الفعّال الكلی بإذنه تعالى، فإنه الذی

جعله الله تعالى سببا لخروج النفس الناطقة الإنسانية من القوة إلى الفعل، و ذلک الشأن هو ابتداء یکون فیه بنحو الهیولى الساذجة، التى هى صرف الإمکان الذاتى و الاستعداد النفسى المعبّر بالعقل الهیولانى، أى مادة من المواد التى شأنها الدرک، إلاّ أنه بعد لم یستعمل فى عمله، ثم إن صاحبه إذا أنس بأمور مدرکة أولیة، فیوجب هذا الإنس تحریک تلک المادة الاستعدادیة إلى درک أمور نظریة فتقدر النفس حینئذ على الصعود إلى العقل فیصیر عقله عقلا بالملکة، فلمّا قدر على استحضار العلوم النظریة یترقّى من الملکة إلى العقل بالفعل، و هو قدرة درکه الکلیات و الجزئیات فى عالم نفسه. ثم إن العقل الهیولانى و العقل بالملکة و بالفعل من قوى النفس التى بها یتقوى و یترقى. ثم إنه إذا رأت النفس الکمالات العلمیة و المعارف النوریة العقلیة حاضرة عند حقیقة نفسه تتسمى تلک الکمالات الحاضرة عقلا مستفادا، و لیس العقل المستفاد قوّة للنفس کالسابقة علیه بل هو حضور المعقولات عند النفس کما لا یخفى. فالعقل حینئذ مشترک لفظى یطلق على هذه الأمور کما حقق فى محله، هذا کله فى شرح العقل. و أما اللطائف الثلاث الأخرى أعنى السر و الخفى و الأخفى. فقد قیل: السرّ هو الاتصال بالعقل الفعال المشار إلیه سابقا، و الخفى هو الاتصال بعقل الکل بمعنى جملة العقول الکلیة، و الأخفى و هو مقام المحمدیة صلّى الله علیه و آله هو الاتصال بالفیض المقدس و الوجود المنبسط و مرتبة المشیة فى الطمس الصرف و المحق المحض بالفناء البحت، و تحقیقها موکول إلى محله. إذا علمت هذا فاعلم أنّ

قوله علیه السّلام:

«مؤمن بسرکم و علانیتکم»

، یشیر إلى الإیمان بأسرارهم و علانیتهم، و بیانها بعد ذکر الأحادیث الواردة فى الباب. فنقول

فى الوافى عن الکافى بإسناده عن أبى بصیر قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام

«يـا محمـد إنّ عنـدنا و اللّه سـرّا من سـرّ اللّه، و علمـا من علم اللّه، و اللّه مـا يحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، و اللّه ما كلّف اللّه أحدا غيرنا. . .» الحديث و قد تقدم بتمامه.

و فی المحكی عن البصائر مسندا عن أبی الصامت قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله و فی بعضها قلت: فمن يحتمله جعلت فداک؟ قال: من شئنا» .

و عن البصائر أيضا عن المفضل قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن حديثنا صـعب مستصعب ذكوان أجرد، و لا يحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل، و لا عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان» . أما الصـعب فهو الذی لم يركب بعد. و أما المستصعب فهو الذی تهرب منه إذا روئی. و أما الـذكوان فهو ذكاء المؤمنين. و أما الأجرد فهو الـذی لا يتعلق به شـیء من بين يديه و لا من خلفه، و هو قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثِ (1)فأحسن الحـديث حـديثنا، و لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحده، لأنه من حدّ شـيئا فهو أكبر منه، و الحمد للّه على التوفيق. و الإنكار هو الكفر.

و عنه مسندا عن مرازم قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إنّ أمرنا هو الحقّ و حقّ الحقّ، و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن، و هو السّر و سر السّر و سـر المستسر و سرّ مقنّع بالسّر» . أقول: قد تقدم بعض الشرح لهذه الأحاديث، فالمقصود من ذكرها لأجل أن يعلم أنّ أسرارهم صعبة لا يمكن لأحد احتمالها حتى النبی المرسل و الملک المقرّب

1- 1) الزمر:23.

و المؤمن الممتحن، فحينئذ لا بد من الإيمان به، إذ لا يمكن العلم به و احتماله و حده كما صـرّح به فى حديث المفضل، و الوجه فى كونه مما لا يحتمل و أن هذا السّر مختصّ بهم عليهم السّلام هو أنّ حقيقة هذا السر هو الولاية المطلقة الإلهية التكوينية و التشريعية. و قد يقال: إن المراد به هو أمر الله تعـالى، و عالم أمره المشار إليه فى قوله تعالى: قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى (1)، و قوله تعالى: وَ كَذٰلِکَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (2)و هو مقامهم الإلهى المعبّر فى الأدعيـة به (مقاماتک) و لـذا أضـيف هذا الأمر إليهم عليهم السّـلام فى حديث مرازم فى قوله عليه السّـلام: (إنّ أمرنا) و قـد يفسـر خصوص حديث مرازم الأخير بأن المراد من أمرنا هو ما ذكرناه. و المراد من الحق فى قوله «هو الحق و حق الحق» ، هو الحق الإضـافى. و المراد «بالظـاهر» هو الظـاهر الحقيقى فى عـالم الوجود، لأـن هـذا الظـاهر هو ظهور الحق لا ذات له الظهور كمـا فى الحق الحقيقى، فـإن الحق الحقيقى ذات له الظهور، و هـذا الظاهر هو ظهوره تعالى هـذا فى قوله و هو الظاهر. و أما قوله و باطن الظاهر فالمراد من الظاهر هو عالم الظاهر. و المراد من باطن هذا الظاهر، و من باطن هذا الباطن، هو العوالم العقلية الكلية، التى هى فى باطن هذه الظهورات، و لعوالم العقول باطن عبّر عنه بالسـر و سـرّ السـرّ، فلا محالة يكون السرّ المستسرّ مقنّعا بالسرّ. و أما هذه الأسرار الخفية السرّية فلعلها ترجع إلى مقام الخفاء المشار إليه

بقوله: «كنت كنزا مخفيّـا، فـأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكى أعرف» ، ثمّ معرفيته تعـالى بالخلق ليست كلها لكل أحـد، بل هو تعالى عرف أولا لأول ما خلقه من نور نبيّنا صـلّى الله عليه و آله المعبر عنه بالصادر الأول فى لسان الحكماء، ثمّ اتّسع التجلى الأول للأئمة عليهم السّلام، ثم للملائكة المقربين ثم لسائر الأنبياء، ثم للأولياء و هكذا فما ظهر من

1- 1) الإسراء:85.

2- 2) الشورى:52.

أمره تعالى لنبيه صلّى الله عليه و آله و للأئمة عليهم السّلام سرّ، بل سر السرّ بالنسبة إلى غيرهم عليهم السّلام من الأنبياء و الملائكة المقربين. و لذا

قال عليه السّلام فى حديث أبى بصير: «إنّ عندنا و الله سرّا من سرّ الله، و علماً من علم الله، و الله ما يحتمله ملك مقرب، و لا نبى مرسل، و لا عبد مؤمن» . و الحاصل: أن الأسرار لها باعتبار محتمليها مراتب، فكل مرتبة عالية سرّ بالنسبة إلى السافلة، و هكذا. ثم إن أمرنا فى حديث مرازم اسم لأن و جميع المفردات المذكورة بعدها بالعطف خبر له، يستفاد منه أنّ أمرهم هذا له مراتب شدّة و ضعفا، فالمرتبة العالية منها تختصّ بهم عليهم السّلام و بقية المراتب أيضا لهم و من أمرهم إلاّ أنها منقسمة للمحتملين كل بحسبه، كما لا يخفى. و كيف كان فجميعها من شئون أمرهم المختصّ بهم أصله، و قد يقال: إنّ اللطائف السبع قد علمت أنها الطبع و النفس و القلب-أو العقل-و الروح و السرّ و الخفى و الأخفى. و أيضا قد علمت الطبع و النفس و القلب و العقل، و حينئذ قد يقال: إن المراد من قوله: و هو السر-الروح-أى الحقيقة الكائنة للنفس الناطقة الإنسانية المعبر عنها بالكلية الإلهية، و من قوله: «و سرّ السرّ» ، أى السرّ الذى هو إحدى اللطائف السبع، و من قوله: «و سرّ مستسرّ» ، أى الخفى، و من قوله: «و سرّ مقنّع بالسرّ» أى الأخفى، و أوضحه بعضهم بقوله: فاللطيفة الروحية لهم عليهم السّلام العقل بالفعل، و اللطيفة السّريّة لهم عليهم السّلام العقل الفعّال، و اللطيفة الخفوية لهم عليهم السّلام العقل الكلى، و اللطيفة الأخوفيّة الوجود المنبسط، و الله العالم. و قد يقال: إن الإيمان المشار إليه

فى قوله:

«مؤمن بسرّكم»

، هو الذى تقدم شرحه فى

قوله عليه السّلام:

«و أبواب الإيمان»

، من أنه القبول القلبى، الذى يستتبع القول باللسان و العمل بالأركان.

و أما السرّ فهو يقابل العلانية، فكل ما ظهر منهم عليهم السّلام من قول أو فعل أو بيان فهو من العلانية التى لا بد من الإيمان بها. و أما الذى لم يظهر منهم كما تقدم من

قوله عليه السّلام: «ما سترناه عنكم أكثر» ، فهو سرّ، ثم إنّ السرّ إما مطلق و هو الذى لم يظهر لأحد غيرهم حقيقته، و إما ظهر لبعض شيعتهم عليهم السّلام على اختلاف مراتبهم، فمن هنا يعلم أنّ لكل أحد من شيعتهم بخصوصه إذا لاحظ نفسه إلى معارفهم عليهم السّلام يكون له سرّ بالنسبة إليه بخصوصه و إن كان بالنسبة إلى آخرين علانية، و له علانية بخصوصه و إن كان بالنسبة إلى آخرين سرّا، و كيف كان فالسرّ المطلق أو الإضافى قد يقال: إنّ المراد منه هى المقامات، أى هى مرتبة المعانى، و هى مقنّعة بالسرّ الذى هو مرتبة الأبواب، و هو مقنّع بالسرّ الذى هو مرتبة الأشباح و الأظلّة، التى كانت لهم و حقيقتهم المتعلّقة بالعرش قبل خلقهم التكوينى أى كونهم عليهم السّلام الصافّين الحافّين حول العرش المسبّحين.

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن شهاب بن عبد ربّه، قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: «يا شهاب نحن شجرة النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة، و نحن عهد الله و ذمّته، و نحن ودّ الله و محبته، كنّا أنوارا صفوفا حول العرش نسبّح فسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، و إنا لنحن الصّافّون، و إنا لنحن المسبّحون، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد الله عز و جل و ذمّته، و من خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله عز و جل و عهده» . قوله عليه السّلام: «خفر» أى نقض عهده و غدر به. و هذه المقامات هى التى ذكرت

فى الدعاء المروى عن الحجة (روحى و أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء) من قوله عليه السّلام:

«فجعلتهم معادن لكلماتك و أركانا لتوحيدك و آياتك و مقاماتك، التى لا تعطيل لها فى كل مكان يعرفك بها من عرفك،

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 4 ص 439.

لا فرق بينک و بينها إلاّ أنهم عبادک و خلقک، فتقها و رتقها بيدک بدؤها منک و عودها إليک أعضادا و أشهادا و مناة و أذوادا فبهم ملأت سماءک و أرضک حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت. . .» الدعاء. و قد تقدمت أيضا الأخبار المشار فيها بالمعانى و الأبواب و الأشباح، و ذكرنا سابقا شرح الجمل المذكورة فى هذا الدعاء الشريف. و كيف كان فهذه المقامات المشار إليها فى الدعاء و فى الأحاديث هى من أسرارهم التى لم يظهر بحقيقتها لأحد. نعم، قد علم بعضها بعض الكمّلين من خواصّ شيعتهم و من حوارييهم، كما لا يخفى. و تقدم أيضا أن كون هذه المقامات لهم عليهم السّلام لا يستلزم غلوّا فى حقهم عليهم السّلام كيف و قد

قال عليه السّلام:

«بدؤها منک و عودها إليک» عقيب قوله «فتقها و رتقها بيدک» الذى يشار به إلى أنهم عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، و قد مرّ مرارا شرح هذه الأمور فراجعها. ثم إن تفسير السرّ بالاعتقادات كما عن الشارح المجلسى (رضوان الله عليه) و العلانية بالأعمال ليس كما ينبغى، لأن الاعتقادات قد بيّنوها مضافا إلى أنه لا ينصرف الذهن من الاعتقادات إلى أنها من الأسرار، مضافا إلى أنه قد علم من أحاديثهم عليهم السّلام معانى السر فى الجملة و أنها غير الاعتقادات الحقة. إلاّ أن يقال: إنّ المراد منها هو تحقق مصاديقها الواقعية، و النفس الآمرية الكائنة فى صقعها و فى الخارج، فهى بما هى هى من الأسرار، لكونها مما لا تبلغ إليها عقول أحد من الخلق فضلا عن إدراكها، و لذا قلنا: لا يمكن العلم بها بل لا بد من الإيمان بها، فتأمل. هذا كله شرح

قوله عليه السّلام:

«مؤمن بسرّكم» . و أما

قوله عليه السّلام:

«و علانيتكم»

، يراد منه ما ظهر منهم من مقامهم الظاهرى من

کونهم أئمة الحق و خلفاءه فی أرضه و حجته علی عباده إلی آخر ما مرّ فی أوائل الزیارة و من

قول علی علیه السّلام: «ظاهری الإمامة و باطنی غیب لا یدرک» أی ما ظهر منّی إمام فی نوعه، فشجاعته إمام الشجاعة و علمه إمام العلوم، و هکذا جمیع شئونه الظاهریة إمام فی نوعه، و سیجیء توضیحه فی شرح

قوله علیه السّلام

«و أجسادکم فی الأجساد. . . إلخ» ، ثم إن لازم معنی الإیمان بعلانیتهم المفسّرة بما ذکرناه فی الجملة أنه لا بد من إطاعتهم، و الأخذ عنهم فی معالم الدین، و وجوب الردّ إلیهم فیما اختلف فیه، و وجوب متابعتهم و التسلیم لهم فی کل ما یرد عنهم، و هذه الأمور من الثابتة لهم و اللازمة للمؤمن بهم، هو معنی

قوله علیه السّلام:

«ظاهری الإمامة»

و تقدم شرح سائر مفردات هذه الجمل. ثم إنه قد یقال: إنّ معنی «أولکم و آخرکم» مضافا إلی ما تقدم من أن الأول هو علی بن أبی طالب علیه السّلام و الآخر هو المهدی (عج) هو أنی مؤمن بأول ما منحکم الله من الوجود فی عالم الأنوار، و أسرّ إلیکم من الأسرار الربوبیة، و بیّن لکم شئونکم الولولیة من التشریعیة و التکوینیة، آمنت أنها حق من عنده تعالی، و لذا

قالوا علیهم السّلام «ولایتنا ولایة الله تعالی» . و أیضا معناه أنی مؤمن بآخرکم أی بجمیع ما تختم به أمورکم، و أنه یتحقق منکم کما أراد الله تعالی من دون مداخلة النفس أو الشیطان فیها، بل صدر ما صدر منکم علی طبق إرادته تعالی منکم إلی آخر ما صدر منکم، حیث إنّ قلوبکم أوعیة لمشیّة الله تعالی. و صلی الله علی محمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: «و مفوض فی ذلک کله إلیکم، و مسلم فیه معکم» .

اشارة

أقول: فی المجمع، فوّضت أمری إلیک: أی رددته إلیک و جعلتک الحاکم فیه. و منه

قوله علیه السّلام «قد فوّض الله إلی النبی صلّی الله علیه و آله أمر دینه، و لم یفوّض إلیه تعدی حدوده» .

ثم إن المستفاد من قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ (1)الآية، و قوله تعالى: وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَةٍ إِذٰا قَضَى اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اَلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِيناً (2)أنه تعالى قد جعل لنبيه و من حلّ محلّه الولاية و الأولوية على عباده المؤمنين، و لازم الإيمان بهم و بسرّهم و علانيتهم، و حقيقته هو تسليم العبد جميع ما له من شئونه الظاهرية و الباطنية، و جميع ما يتعلق به من الأهل و المال إلى مولاه الذى ولاّه الله تعالى عليه و نصبه مع اعتقاده أنه لا يفعل به إلاّ ما هو خير له و صلاح له، و تكون مختاراته فى حقه هو مختارات الله تعالى.

و فى المحكى عن الكافى بإسناده إلى أبى عبد الله عليه السّلام قال: «رأس طاعة الله الصبر و الرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره، و لا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلاّ كان خيرا له فيما أحبّ أو كره» . و الأحاديث الواردة فى بيان هذا المعنى أعنى تسليم العبد أموره إليه تعالى و إلى أوليائه كثيرة جدا، ثم إنه لا ريب فى أنّ قضاء رسول الله و أوصيائه هو قضاء الله تعالى، فلا بد من التفويض إليهم فى جميع الأمور. رزقنا الله ذلك بمحمد و آله الطاهرين. و قد يقال معنى مفوّض فى ذلك إليكم أى اعتقد الجميع أى جميع ما أقررت به لكم من أقوالكم، و أيضا أسلّم جميع أمورى لكم حتى تصلحوا خللها حيّا و ميّتا، لأنّ ميّتكم لم يمت كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام فالميت منكم أيضا بيده أمر الإصلاح كما لا يخفى.

[61]و اما قوله عليه السّلام: «مسلم فيه معكم»

أى كما أنتم سلّمتم لله تعالى أو لأمره عارفين إياه، فأنا أيضا مسلّم فيما سلمتم معكم و إن لم يصل عقلى إليها، فعليه فجملة مسلّم تأكيد لقوله

1- 1) الأحزاب:6.

2- 2) الأحزاب:36.

مفوّض، أو أنا مفوّض فى ذلک إليكم أى أنّ ما طلبت منكم من الشفاعة و اللجوء إليكم فقد فوّضتها إليكم إن شئتم فافعلوه، و ذلک لأنّ التفويض كما علمت هو الردّ إلى المفوّض إليه و جعله حاكما فيه. فحينئذ حاصل المعنى فى الجملتين أنى جعلتكم حاكمين فى هذه الأمور على نفسى و حوائجى كلها بمقتضى إيمانى بكم و بسركم و بمقاماتكم فأنا مسلّم، أى لا أشكّ فى هذا التفويض لعلمى أنه تعالى جعلكم مفوّضين فى أمر الدنيا، و أنا أيضا سلّمت له تعالى فى ذلک، و جعلتكم حاكمين على نفسى و أمورى كلها. ثم إن التسليم هو الإخبات كما تقدم و ترک الاعتراض على الله و رسوله صلّى الله عليه و آله و التسليم فى جميع الأمور لهم، و قد تقدمت أحاديث التسليم فى طىّ الشرح. و الله ولى التوفيق. ثم إن بعض الشارحين تعرض فى المقام لمسألتين: الأولى: لمسألة التفويض إلى النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام.

ففى الحديث أن الله تعالى فوّض إليهم أمر الأشياء أو أمر دينه، كما سيأتى ذكره. و الثانية: لمسألة الأمر بين الأمرين

لقوله عليه السّلام: «لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين» ، كما سيجىء، و لم يعلم له وجه سوى أنه إذا لم يكونوا أى الأئمة عليهم السّلام ممّن قد فوض الله تعالى أمر دينه إليهم، فلا وجه

لقول الزائر:

«و مفوّض فى ذلک إليكم» . فإنه حينئذ إرجاع للدين و فى الدين إلى غير أهله، فلا بد من تحقيق المراد من كونهم عليهم السّلام ممن فوّض إليهم عليهم السّلام أمر الدين، و أما التفويض لمسألة الأمر بين الأمرين، فلأجل أنه لما علم أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد. فحينئذ ما معنى أنهم عليهم السّلام مفوّضون فى أمر الدين، فكيف لهم الاختيار و الفعل و الحكم فى قباله تعالى؟ بل هذا أحد مصاديق هذا البحث، و إلاّ فالكلام يجرى بالنسبة إلى جميع أفعال العباد كما لا يخفى. و كيف كان فنحن نتعرّض لهما فى الجملة تبعا لهم و لما فيه من الفوائد، فنقول:

أما المسألة الأولى، فاعلم أن هناک أحادیث دلّت علی تحقق هذا التفویض، فلا بد من ذکرها ثم بیان المراد منها.

ففی البحار (1)، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام: ماجیلویه عن علی عن أبیه عن یاسر الخادم، قال: قلت للرضا علیه السّلام: ما تقول فی التفویض؟ فقال: «إنّ الله تبارک و تعالی فوّض إلی نبیه صلّی الله علیه و آله أمر دینه، فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فأما الخلق و الرزق فلا» . ثم قال علیه السّلام: «إن الله عز و جل خالق کل شیء و هو یقول عز و جل: اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ هَلْ مِنْ شُرَکٰائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذٰلِکُمْ مِنْ شَیْءٍ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (2)» .

و فیه عنه بإسناده عن أبی هاشم الجعفری، قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام عن الغلاة و المفوّضة فقال: «الغلاة کفّار و المفوّضة مشرکون، من جالسهم أو خالطهم أو واکلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج إلیهم-منهم-أو أمنهم أو ائتمنهم علی أمانة أو صدق حدیثهم أو أعانهم بشطر کلمة خرج من ولایة الله عزّ و جلّ و ولایة رسول الله صلّی الله علیه و آله و ولایتنا أهل البیت» .

و فیه (3)من کتاب ریاض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسی بالإسناد عن محمد بن سنان قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام فذکرت اختلاف الشیعة، فقال: «إن الله لم یزل فردا متفرّدا فی الوحدانیة، ثمّ خلق محمدا و علیا و فاطمة علیها السّلام فمکثوا ألف دهر، ثم خلق الأشیاء و أشهدهم خلقها و أجری علیها طاعتهم، و جعل فیهم ما شاء، و فوّض أمر الأشیاء إلیهم فی الحکم و التصرف و الإرشاد و الأمر و النهی فی الخلق، لأنهم الولاة فلهم الأمر و الولایة و الهدایة، فهم أبوابه و نوابه و حجابه

1- 1) البحار ج 25 ص 328.
2- 2) الروم:40.
3- 3) البحار ج 25 ص 339.

يحللون ما شاء، و يحرمون ما شاء، و لا يفعلون إلاّ ما شاء عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. فهذه الديانة التى من تقدمها غرق فى بحر الإفراط، و من نقصهم عن هذه المراتب التى رتّبهم الله فيها زهق فى بحر التفريط، و لم يوفّ آل محمد حقّهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم و مكنونه» . أقول: التفويض له معان بعضها منفى عنهم عليهم السّلام و بعضها مثبت لهم: أما المنفى عنهم عليهم السّلام فهو التفويض فى الخلق و الرزق و الإماتة و الإحياء و التربية مستقلا بحيث يقال: إنهم عليهم السّلام يفعلون جميع ذلک بقدرتهم و إرادتهم، فهم الفاعلون حقيقة، فهذا كفر ظاهر و تعطيل للذات المقدسة الربوبية. و إليه يشير ما تقدم من

قول الرضا عليه السّلام: «فأما الخلق و الرزق فلا» . و إليه يشير أيضا ما

فى البحار (1)، و روى عن زرارة أنه قال: قلت للصادق عليه السّلام: إن رجلا من ولد عبد الله بن سبإ يقول بالتفويض، فقال: «و ما التفويض؟ قلت: إن الله تبارک و تعالى خلق محمدا و عليا (صلوات الله عليهما) ففوّض إليهما فخلقا و رزقا و أماتا و أحييا، فقال عليه السّلام: كذب عدوّ الله، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التى فى سورة الرعد: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ اَلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (2)» . أقول: و قد يستفاد من بعض الأخبار أن الله تعالى خلطهم بنفسه تشريفا فى الخلق حيث يقول (خلقنا) بصيغة الجمع، و وجّهه بعضهم بما حاصله أنه تعالى يخلق الخلق بوسائط من أسمائه الحسنى، فالخالق الحقيقى هو الله تعالى، إلاّ أنه لما خلق بعض الخلق بالوسائط و هم تلک الوسائط، فأسند الخلق تشريفا إلى الوسائط أى إلى حقيقتهم التى هى الأسماء الإلهية، فنسبة الخلق إليهم عليهم السّلام بالمجاز و التّبع، و هذا

1- 1) البحار ج 25 ص 343.
2- 2) الرعد:16.

ليس فى الحقيقـة تشـريكا فى الخالقيـة، بل إضافـة إلى نفسه تعالى تشـريفا، كما ربما يسـند بعض السـلاطين بعض أفعاله إلى بعض وزرائه تشـريفا كمـا لاـ يخفى، و سـيجىء قريبـا توضـيح لهـذا فى بيـان الأـمر بين الأـمرين. ثم إنه ربما يقال فيما صـدر عنهم عليهم السّلام من المعجزات، أو فيما نسـبوا إلى أنفسهم الشريفة من بعض الأمور من الإماتة و الإحياء و أمثالهما كشقّ القمر، فإنما يكون جميع ذلک بقدرته تعـالى مقارنـا لإـرادتهم، و إنما يفعله تعالى هكـذا لظهور صـدقهم، و لإظهاره تعالى ذلک لمنكرى مقامهم، و من الممكن الـذى لا يأباه العقل هو أنه تعالى خلقهم و أكملهم و ألهمهم ما يصلح فى نظام العالم ثم خلق كلّ شىء مقارنا لإرادتهم و مشيتهم. و لعلّ إليه يشير

ما فى البحار (1)، عن الاحتجاج، أبو الحسن على بن أحمـد الـدلال القمى قال: اختلف جماعة من الشـيعة فى أنّ الله عز و جل فوّض إلى الأئمـة عليهم السّلام أن يخلقوا و يرزقوا؟ فقال قوم: هـذا محال لا يجوز على الله عز و جل، لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز و جل. و قال الآخرون: بل الله عز و جل أقـدر الأئمة على ذلک و فوّض إليهم فخلقوا أو رزقوا، و تنازعوا فى ذلک تنازعا شديدا، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبى جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلک، ليوضح لكم الحق فيه فإنه الطريق إلى صاحب الأمر (عج) ؟ فرضـيت الجماعة بأبى جعفر و سـلّمت و أجابت إلى قوله فكتبوا المسألة و أنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسـخته: «إن الله تعالى هو الذى خلق الأجسام و قسّم الأرزاق، لأنه ليس بجسم و لا حال فى جسم، ليس كمثله شـىء و هو السميع البصير، فأما الأئمة عليهم السّلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» .

1- 1) البحار ج 25 ص 329.

و ربما يحمل ما صدر منهم من هذه الأمور و المعجزات و خرق العادات على أنهم عليهم السّلام قد جعلهم الله تعالى مطاعين فى الأرضين و السموات و يطيعهم بإذن الله تعالى كل شىء حتى الجمادات و أنهم إذا شاءوا أمرا لا يردّ الله تعالى مشيتهم، و لكنهم لا يشاءون إلاّ أن يشاء الله.

و فى البحار (1)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّٰاسَ عَلىٰ مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (2)، ما ذا الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة و من ذلک طاعة جهنم لهم يوم القيامة يا هشام» . أقول: ظاهر كثير من الأخبار الواردة فى هذا الباب هو تفسير الملك العظيم بالطاعة الواجبة المفروضة لهم عليهم السّلام المستفادة من قوله تعالى: أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ (3)المفسر بهم عليهم السّلام.

ففيه (4)عن تفسير الفرات عبيد بن كثير معنعنا أنه سأل جعفر بن محمد بن قول الله تعالى: أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ ، قال: «أولى الفقه و العلم، قلنا: أ خاصّ أم عام؟ قال: بل خاصّ لنا» ، و مثله أحاديث أخر. إلاّ أن المستفاد من

قوله عليه السّلام «و من ذلک طاعة جهنم لهم يوم القيامة» هو عموم فرض طاعة الموجودات لهم عليهم السّلام. و الحاصل أنه تعالى أوجب على الجميع من المخلوقات، بشرا كان أم غيرهم طاعتهم، بل يستفاد من بعض الأحاديث أن هذا الوجوب لا يختصّ بالوجوب التشريعى الذى تتطرق إليه المعصية و التخلف، بل قد جعل الله تعالى لهم عليهم السّلام مضافا إلى ذلک الوجوب التكوينى بمعنى أنه إذا أمروا عليهم السّلام أحدا أو شيئا بأمر

1- 1) البحار ج 22 ص 287.

2- 2) النساء:54.

3- 3) النساء:59.

4- 4) البحار ج 22 ص 298.

مولوی و تکوینی لا یمکنه التخلف عن أمرهم علیهم السّلام.

ففی مدینة المعاجز للسید البحرانی (1)(روحی فداه) فی باب طاعة ملک الموت للصادق علیه السّلام و ساق الحدیث. . . إلی أن قال الصادق علیه السّلام: «یا ملک الموت: قال لبیک أیها الإمام، قال: أ لست أمرت بالسمع و الطاعة لنا؟ قال: بلی، قال: فإنی آمرک أن تأخّر أمرها عشرین سنة، قال: السمع و الطاعة. . .» الحدیث.

و فیه ابن شهرآشوب عن زرارة بن أعین، قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یحدّث عن آبائه علیهم السّلام أنّ مریضا شدید الحمی عاده الحسین علیه السّلام فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمی عن الرجل فقال له: رضیت بما أوتیتم حقا و الحمی تهرب عنکم؟ فقال له الحسین علیه السّلام «و الله ما خلق الله شیئا إلاّ و قد أمره بالطاعة لنا، قال: فإذا نسمع الصوت و لا نری الشخص، یقول: لبیک، قال: أ لیس أمیر المؤمنین أمرک أن لا تقربی إلاّ عدوّا أو مذنبا، لتکونی کفّارة لذنوبه، فما بال هذا؟ فکان المریض عبد الله بن شدّاد اللیثی» . فظاهر الحدیث کما تری هو أن کل شیء مأمور بالطاعة لهم تشریعا و تکوینا کما لا یخفی. و أصرح ما یدل علی إطاعة الأشیاء لهم علیهم السّلام تکوینا بحیث لا یمکنهم المعصیة لهم علیهم السّلام ما رواه فی البحار. إذا علمت هذا، فنقول: الظاهر من الأحادیث لیس هو مجرد أنه تعالی یخلق المعجزات عند إرادتهم إیجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم علیهم السّلام فإنه أمر مسلّم، إلاّ أنّ الظاهر أنه تعالی جعلهم مظاهر لقدرته التی بها یفعل ما یشاء، کیف و هم علیهم السّلام قدرة الله و عین الله و ید الله؟

و فی البحار (2)، عن توحید الصدوق بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: إن أمیر

1- 1) مدینة المعاجز ص 386.
2- 2) البحار ج 24 ص 198.

المؤمنين علیه السّلام قال: «أنا علم اللّه، و أنا قلب اللّه الواعی، و لسان اللّه الناطق، و عین اللّه الناظرة، و أنا جنب اللّه، و أنا ید اللّه» .

و فی البحار (1)، عن جابر بن عبد اللّه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. . . إلی أن قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أول ما خلق اللّه نوری ابتدعه من نوره و اشتقّه من جلال عظمته، فأقبل یطوف بالقدرة حتی وصل إلی جلال العظمة فی ثمانین ألف سنة، ثم سجد للّه تعظیما ففتق منه نور علی علیه السّلام فکان نوری محیطا بالعظمة، و نور علی محیطا بالقدرة. . .» الحدیث. هذا و قد اشتهر منه علیه السّلام

قوله: «أنا قدرة اللّه» ، و حینئذ نقول: إنّ ظهور المعجزات علی أیدیهم أو إنّ أمر الخلق مفوّض إلیهم علیهم السّلام و أمثال هذه الأمور العظام، التی نسبت إلیهم نسبة ظاهرها استنادها إلیهم علیهم السّلام فی التأثیر، کما تقدم فی صدر الشرح

قوله علیه السّلام فی الحدیث الوارد فی خطبة الشقشقیة من قوله علیه السّلام: «و اللّه ما الإمام إلاّ الذی یحیی و یمیت» ، فراجع. إنما یراد منها معنی لا یستلزم الشرک فی خالقیته تعالی مع صحة استنادها إلیهم علیهم السّلام، و هذا هو الحق الذی لا سترة علیه، کیف و هم علیهم السّلام أوحد الناس فی توحیده تعالی، و قد بیّنوا لنا توحیده تعالی، فکیف یصدر منهم ما ینافی التوحید و وحدانیته تعالی فی الخالقیة. و حاصله أنه لا ریب فی أنّ الأفعال فی عالم الوجود إنما تصدر من فاعلها بالحول و القوة، و من المعلوم بالضرورة من الدین أنه لا حول و لا قوة إلاّ باللّه العلی العظیم، و أنه ما شاء اللّه کان و ما لم یشأ لم یکن.

و فی الحدیث القدسی الذی رواه فی الجواهر السنیّة المسمی بالوسیلة، ففی بعض فصولها: «یا فاعل کلّ إرادة صلّ علی محمد و آل محمد» .

1- 1) البحار ج 25 ص 22.

و فی تفسیر نور الثقلین (1)، عن احتجاج الطبرسی فی حدیث طویل یقول علیه السّلام: «و لملک الموت أعوان من ملائکة الرحمة و النعمة یصدرون عن أمره، و فعلهم فعله و کلّ ما یأتونه منسوب إلیه» . و إذا کان فعلهم فعل ملک الموت، و فعل ملک الموت فعل اللّه، لأنه یتوفّی الأنفس علی ید من یشاء، و یعطی و یمنع و یثیب و یعاقب علی ید من یشاء و أنّ فعل أمنائه فعله کما قال: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ (2).

و فیه حدیث عن الخرائج و الجرائح عن القائم (عج) فیه یقول لکامل بن إبراهیم المدنی «و جئت تسأل عن مقالة المفوّضة، کذبوا بل قلوبنا أوعیة لمشیّة اللّه عز و جل، فإذا شاء شئنا، و اللّه یقول: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ » . فالمستفاد من هذه الآیات و الأحادیث و نظائرها و هی کثیرة أن الأفعال فی عین أنها منسوبة إلی العبد منسوبة إلیه تعالی، بل النسبة بالنسبة إلیه تعالی حقیقیة، و بالنسبة إلی العبد مجازیة، لما سیأتی من أن العبد و ما ینسب إلیه من الأفعال و الصفات بل و ذاته منسوب إلیه تعالی، و هی فعله و تحت قدرته و سلطنته، و لا عکس أی لیس أفعاله تعالی و صفاته فضلا عن ذاته مستندة إلی غیره، بل هو مستقل فی استناد الأمور إلیه بالحقیقة، لأن ما أسنده إلی غیره یکون بالعنایة و المجاز. کیف و قد قسم العرفاء الحقة التوحید إلی الذاتی و الأفعالی و الصفاتی، و لا معنی للتوحید الأفعالی إلاّ أنها فعل الحق تعالی کما یومئ إلیه

قوله: «یا فاعل کلّ إرادة» ، التی هی منشأ الأفعال

و قوله علیه السّلام: «و إنّ فعل أمنائه فعله» ، و قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ خَلَقَکُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (3)فعلی هذا فأی فعل صدر فی عالم الوجود من أی فاعل

ص: 545

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 486.
2- 2) الإنسان:30.
3- 3) الصافات:96.

مخلوق فهو بالحقيقة منسوب إليه تعالى حقيقة و إلى العبد عناية، إلاّ أن الأفعال تختلف شدة و ضعفا و كثرة و قلّة لاختلاف القدرة الكائنة فى الفواعل المخلوقة، فربما رجل يعمل أعمالا كثيرة لا يقدر عليها غيره لضعف قدرته أو يعمل عملا شديدا أو عجيبا من حيث الكيف و المعنى و لا يقدر غيره عليه، لعدم وجود ملاكه فيه، فعليه فكل فعل صدر من أى أحد لو قيل: إنّ فاعله بالاستقلال هو هذا المخلوق فقط فهو شرک، أو قيل: إنه تعالى مستقل بالفعل و لا دخل للعبد فيه فهو الجبر و الكفر، بل لا هذا و لا ذاک، بل أمر بين الأمرين و سيجىء تحقيقه قريبا. ثم إنه لا يفرّق فى هذا بين كون الفعل صادرا من أى مخلوق: حقير ضعيف أو مخلوق عظيم الشأن أو المتوسط بين الأمرين، فعليه فالنبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام لما منحهم الله تعالى العلم و القدرة، كيف و هم حقايق الأسماء الإلهية كما علمت مرارا، و عندهم الاسم الأعظم فهم عليهم السّلام مقتدرون بالله تعالى يفعلون الأمور العظام، و تظهر منهم المعجزات كلها بإقدار الله تعالى إياهم عليهم السّلام على ذلک،

و فى بعض الأحاديث الواردة فى معجزاتهم: «إن الله تعالى أقدرنا على ما نريد، و لا حول و لا قوة إلاّ بالله العلى العظيم» و يكون صدورها منهم بإذنه تعالى، و أين هذا من الشرک أو الغلوّ فى حقهم؟ بل ربما صدرت هذه الأمور من بعض المراتب النازلة منها من بعض أولياء الله تعالى حينما بلغوا إلى مقام القرب و وصلوا إلى مقام التوحيد، فتصدر منهم الأفعال الربوبية، فما ظنّک بالأئمة الأطهار عليهم السّلام الذى هم فى منتهى مرحلة القرب، و لهم مقام العندية عند الله تعالى كما تقدم؟ و مما يدل على هذا

ما ورد عنهم عليهم السّلام من الأحاديث القدسية أنه يخاطب أهل الجنة بخطاب إلهى، فيقال لهم: «من الحى القيوم إلى الحى القيوم، جعلتک مثلى أقول لشىء كن، فيكون، تقول لشىء كن، فيكون» . فحينئذ نقول: أ تظنّ أنّ أهل الجنة إذا حصلت لهم هذه القدرة الإلهية، فيقولون للشىء كن فيكون أنهم حينئذ مشركون أو هم شركاء لله تعالى، كلا، بل هم حينئذ

مقتدرون بالله تعالى فيفعلون ما يفعلون بإذنه تعالى، فحينئذ فما ظنّك بالأئمة عليهم السّلام الذين خلقت الجنة من فاضل أنوارهم؟ فهم فى مقام من الرفعة و القدرة بحيث لا يدانيهم أحد، فحينئذ فما المانع من أن تصدر منهم الأفعال المهمة الربوبية بإذنه تعالى، و لا فرق بين صدور هذه الأفعال العظيمة منهم عليهم السّلام و بين صدور الأفعال اليسيرة و الحقيرة من أضعف خلق الله تعالى، لما علمت من أن الأمر بين الأمرين لا يفرّق فيه فى الأفعال، فجميعها يكون بنحو الأمر بين الأمرين حقيرها و كبيرها، هذا و قد اشتهر أن حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز سواء، هذا و قد بيّن العرفاء الحقة أن الإنسان له قوة الخلاقية فى الذهن، فإذا كمل فى الكمالات و وصل إلى مقام القرب، و جلس على بساط الأنس مع الله تعالى، فيمنحه الله تعالى قدرة الخلاّقية الخارجية، أى هذه القدرة الذهنية تتبدل بالقدرة الخارجية كما علمت من خطابه تعالى لأهل الجنة. و الحاصل: أن القول إن صدور الأفعال العظيمة و المعجزات منهم عليهم السّلام شرك و كفر بالله العظيم، كما أن القول إن صدور أى فعل صغير من أضعف الخلق و هو أنا إذا قلنا بصدوره منه بالاستقلال أيضا شرك بالله العظيم، و أما إذا قلنا: بصدورها منهم عليهم السّلام بنحو الأمر بين الأمرين خصوصا مع كونها بإذن الله تعالى، و مع أن قلوبهم أوعية لمشيّة الله تعالى فلا محذور فيه، و حينئذ فجميع ما ورد من الأخبار الدالة على صدور أفعال عجيبة منهم كخطبة البيان و نحوها لا إشكال فيه أبدا، و القول: إنها من الغلاة و أشباههم، فى غير محله، و إلى ما ذكرنا تدل أحاديث: منها: ما

فى البحار (1)، عن بصائر الدرجات و الاختصاص بإسناده إلى الأسود ابن سعيد، قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «يا أسود بن سعيد إنّ بيننا و بين كلّ أرض ترّا مثل ترّ البناء، فإذا أمرنا فى الأرض بأمر جذبنا ذلك الترّ، فأقبلت الأرض بقليبها

1- 1) البحار ج 25 ص 366.

و أسواقها و دورها حتى ننفذ فيها ما نؤمر به من أمر الله تعالى» (1). أقول:

قوله عليه السّلام: «إن بيننا و بين كلّ أرض ترّا» ، يمكن أن يراد منه المعنى الكنائى عن القدرة و التسلط الإلهى عليها فحينئذ معنى جذبنا: أعملنا تلك القدرة. و يمكن أن يراد منه الخيط كما للبنّائين، كما ربما يظهر من حديث السجاد عليه السّلام المتقدم فى شرح الصدر، و لكنه أيضا ليس كالخيط الصورى بل هو نظير عصا موسى عليه السّلام و كخاتم سليمان الذى به تظهر تلك الأمور العظام عند إعمالها، فحينئذ حقيقتها لا يعلمها غير الله تعالى، ثم إن الترّ بالضمّ: الخيط يقدر به البناء، و القلب: البئر.

و فيه عنهما عن إدريس عن الصادق عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن منا أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه و عقد بيده عشرة» ، قال المجلسى (رحمة الله عليه) : بيان: عقد العشرة بحساب العقود هو أن تضع رأس ظفر السبّابة على مفصل أنملة الإبهام، ليصير الإصبعان معا كحلقة مدوّرة، أى الدنيا عند الإمام عليه السّلام كهذه الحلقة فى أن له أن يتصرّف فيها بإذن الله تعالى كيف شاء أو فى علمه بما فيها و إحاطته بها.

و فيه عنهما عن حمزة بن عبد المطلب بن عبد الله الجعفى، قال: دخلت على الرضا عليه السّلام و معى صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر عليه السّلام: «إن الدنيا مثلت لصاحب هذا الأمر فى مثل فلقة الجوزة، فقال: يا حمزة ذا و الله حق فانقلوه إلى أديم» أى الجلد المدبوغ.

و فيه (2)عنهما بإسناده عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال له: «يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير فى ليلة مسيرة شهرين يزجر الطير و يقفو الأثر، فقال أبو عبد الله عليهم السّلام: عالم المدينة أعلم من عالمكم، قال: فما يبلغ (بلغ)

1- 1) و فى نسخة الاختصاص: فأقبلت الأرض إلينا. و حتى تنفذ.

2- 2) البحار ج 25 ص 369.

من علم عالم المدينة؟ قال: يسير فى ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثنى عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا، ما يعلمون أن الله خلق آدم و لا إبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم، ما افترض عليهم إلاّ ولايتنا و البراءة من عدونا» ، و نظيره غيره مع زيادة.

و فيه (1)عن بصائر الدرجات بإسناده عن داود الهندى عن على بن جعفر عن أبى الحسن عليه السّلام أنه سمعه يقول: «لو أذن لنا لأخبرنا بفضلنا قال: قلت له: العلم منه؟ قال: فقال لى: العلم أيسر من ذلک» .

و فيه (2)عنه بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إنى لأعرف من لو قام على شاطئ البحر، لندب بدواب البحر و بأمهاتها و عماتها و خالاتها» .

و فيه (3)عنه بإسناده عن غير واحد من أصحابنا، قال: خرج عن أبى الحسن الثالث عليه السّلام أنه قال: «إنّ الله جعل قلوب الأئمة موردا لإرادته، فإذا شاء الله شيئا شاءوه و هو قول الله: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ » .

و فيه (4)عن الخرائج و الجرائح بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: أتى الحسين عليه السّلام أناس، فقالوا له: يا أبا عبد الله حدّثنا بفضلكم الذى جعل الله لكم، فقال: «إنكم لا تحتملونه و لا تطيقونه، قالوا: بلى نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنح اثنان و أحدّث واحدا، فإن احتمله حدّثتكم، فتنحى اثنان و حدّث واحدا، فقام طائر العقل و مرّ على وجهه، و كلّمه صاحباه، فلم يرد عليهما شيئا و انصرفوا» .

و فيه (5)عنه بهذا الإسناد، قال: أتى رجل الحسين بن على عليه السّلام، فقال: حدثنى

1- 1) البحار ج 25 ص 372.

2- 2) المصدر نفسه.

3- 3) المصدر نفسه.

4- 4) البحار ج 25 ص 378.

5- 5) البحار ج 25 ص 379.

بفضلکم الذی جعل الله لکم، فقال: «إنک لن تطیق حمله، قال: بلی حدثنی یا بن رسول الله إنی أحتمله، فحدّثه بحدیث فما فرغ الحسین علیه السّلام من حدیثه حتی ابیضّ رأس الرجل و لحیته و أنسی الحدیث، فقال الحسین علیه السّلام أدرکته رحمة الله حیث أنسی الحدیث» (1).

و فیه عن مناقب شهرآشوب، و فی روایة سعید بن المسیّب و عبایة بن ربعی أنّ علیا علیه السّلام ضرب الأرض برجله فتحرکت، فقال: «اسکنی فلم یأن لک، ثم قرأ یومئذ تحدّث أخبارها» .

و فیه عنه: شکا أبو هریرة إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام شوق أولاده، فأمره علیه السّلام بغضّ الطرف، فلما فتحها کان فی المدینة فی داره فجلس فیها هنیئة، فنظر إلی علی علیه السّلام فی سطحه و هو یقول: هلم ننصرف و غضّ طرفه فوجد نفسه فی الکوفة، فاستعجب أبو هریرة، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: إن آصف أورد تختا من مسافة شهرین بمقدار طرفة عین إلی سلیمان، و أنا وصی رسول الله صلّی الله علیه و آله» . أقول: تری فی هذه الأحادیث نسبة تلک الأفعال العجیبة الخارقة للعادة فی الأسباب إلی نفوسهم الشریفة، فهی بناء علی قاعدة الأمر بین الأمرین، و أنّ قلوبهم أوعیة أو وکر لمشیة الله تعالی، و أنهم علیهم السّلام عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ ، تحمل علی أنها و إن کانت مستندة إلیهم علیهم السّلام إلاّ أنها مستندة إلیه تعالی بالنحو المتقدم، و بالنحو الذی سیجیء تحقیقه إن شاء الله تعالی. فتحصّل مما ذکر أن المنفی من التفویض هو القول: إنهم مفوّضون فی الخلق و الأفعال العجیبة بالاستقلال، بحیث لا تکون مدخلیة له تعالی فیها، و هذا کفر صریح. و أما التفویض فی الخلق و فی الأفعال الصادرة منهم من المعجزات، و مما نسبوا إلی أنفسهم الشریفة کما فی خطبة البیان و نحوه، إذا فسّر بالنحو المذکور، و من الأمر

1- 1) الخرائج و الجرائح و فیه: نسی.

بين الأـمرين، فهى عين الإيمان، بل علمت أنه لا بـد من القول بالأمر بين الأمرين بالنسـبة إلى جميع الأفعال الصادرة من الخلق، و لا فرق بين الأفعـال الصـادرة منا و الصادرة منهم عليهم السّـلام إلاّ أنّ الصادرة منهم عليهم السّـلام هى الأفعال و الأمور العجيبـة الربوبيـة، التى اختصّـهم الله تعالى بها دون خلقه، كما لا يخفى، هذا كله بالنسـبة إلى التفويض فى الخلق و ساير الأفعال الصادرة منهم عليهم السّلام. و أما التفويض فى أمر الـدين فقد فسّـر بأمور: منها: أن يكون الله تعالى فوّض إلى النبى صـلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّـلام عموما أن يحلّوا مـا شاءوا و يحرّموا ما شاءوا من غير وحى و إلهام، أو يغيّروا ما أوحى إليهم بآرائهم، و هـذا باطل لا يقول به عاقل، كيف و قـد قال الله تعالى فى حقّ نبيه: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (1). و إليه يشير أيضا ما

فى البحار (2)، عن كشف الغمـة من منـاقب الخوارزمى عن جابر، قال: قال رسول الله صـلّى الله عليه و آله: «إن الله لما خلق السـموات و الأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهن نبوتى و ولا ية على بن أبى طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق و فوّض إلينا أمر الدين، فالسـعيد من سـعد بنا، و الشقى من شقى بنا، نحن المحللون لحلاله و المحرمون لحرامه» . أقول:

قوله عليه السّـلام «نحن المحللون. . . إلـخ» يبين أنهم عليهم السّـلام لا يقولون فى الدين بآرائهم و هذا أمر ظاهر بيّن، إلاّ أنه ربما يقال: إنّ المستفاد من بعض الأحاديث أنهم عليهم السّلام مفوّضون فى أمر الدين إلى آرائهم.

ففى البحار (3)، عن بصائر الدرجات بإسـناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السّـلام قال: «وضع رسول الله صـلّى الله عليه و آله دية العين و دية النفس و دية الأنف، و حرّم النبيذ و كلّ

1- 1) النجم:3-4.
2- 2) البحار ج 25 ص 339.
3- 3) البحار ج 25 ص 332.

مسكر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله صلّى الله عليه و آله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم، ليعلم من يطع الرسول و يعصيه»
.

و فيه عنه بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام و أبا عبد الله عليه السّلام يقولان: إن الله فوّض إلى نبيّه أمر خلقه، لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فظاهر قوله عليه السّلام: نعم، بعد سؤال: من غير أن يكون جاء فيه شيء ظاهر فى أنه صلّى الله عليه و آله مفوّض فى ذلك إلى رأيه، و لكن فيه أن هذا الحديث يفسره ما ورد عنهم عليهم السّلام.

ففى البحار (1)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى أسامة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن الله خلق محمدا فأدّبه حتى إذا بلغ أربعين سنة أوحى إليه و فوض إليه الأشياء، فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

و فيه عنه بإسناده عن محمد بن الحسن الميثمى، عن أبيه، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن الله أدّب رسوله حتى قوّمه على ما أراد، ثم فوض إليه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فما فوّض الله إلى رسوله فقد فوّضه إلينا» . فنقول: الظاهر من هذين الحديثين و نظائرهما أنه تعالى جعل قلب نبيه صلّى الله عليه و آله مجبولا على إرادته بحيث لا يكاد ينقدح فيه إلاّ على نحو ما أراد، و ذلك أنه قلب نورانى متصل بذاته المقدسة اتصال نور الشمس بها، فهو مهبط إرادته، لأنه تعالى خلقهم على هيئة مشيته، و هى أرواحهم الشريفة مخلوقة على طبق مقتضى مشيته تعالى، فلا فاعل فيها لا قسرا كالنفس الإنسانى، و لا غيره من سائر الدواعى المباحة إلاّ مشيته تعالى. و معنى جعلها على صورة مشيته تعالى، أنه تعالى أنهى إليهم علمه فى عالم الأرواح، ليبلغوه إلى من شاء، فهم وكر و وعاء لمشيته، ثم إن ترجمان هذه المشية

1- 1) البحار ج 25 ص 331.

و العلوم الإلهيـة، التى تكون حقائق أرواحهم على صورتها الواقعيـة، قد تكون الوحى و قد تكون إرادتهم عليهم السّلام و هما معا سواء فى إظهار مختاره و إرادته و مشيّته تعالى، بل الله تعالى خلقهم لهذا الأمر، أى جعلهم وعاء لمشيّته تعالى و على صورتها، و هم ترجمان وحيه كـالوحى و مع ذلـك لـم يرفع يـده تبـارک و تعـالى، أى قـدرته النافـذة فى جميع الأشـياء عنهم فى جميع أفعـالهم و أقوالهم و أعمـالهم و حركاتهم و سكناتهم، فهم بأمره يعملون لا شىء من إرادتهم و ميولات أنفسهم، لما تقرر فى محله من أن الممكن مهما بلغ إلى القرب فهو محتاج إلى مدده تعالى بقاء، كما كان محتاجا إليها حدوثا، و هم عليهم السّلام لما خلقهم تعالى كذلک و أدّبهم بما علمت قد أطاعوه فى كل حال، و صـدقوا معه فى كل موطن، فجزاهم الله تعالى بأن أوجب على نفسه إجابتهم فى كل ما سألوه و أرادوه، و هذا الذى أوجبه تعالى على نفسه هـو معنى التفـويض لهم، أى أن كـل مـا أرادوه فعله بهم، و أجراه على حسب إرادتهم، لمـا علم الله تعـالى أنهم عليهم السّلام لاستقامة عقولهم و استواء فطرتهم و تأديبه تعالى إياهم بما علمت لا يشاءون إلاّ ما هو محبوب له تعالى. و لعل إليه يشير

ما تقدم فى التوقيع «فأما الأئمة عليهم السّلام يسألون الله تعالى فيخلق، و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» و هذا معنى

قوله عليه السّلام «حتى قومه على مـا أراد» ، فهو صـلّى الله عليه و آله مقوّم على إرادته أى ليس فيه إرادة النفس، بـل هو كـالميّت بين يـدى الغسّال يقلّبه كيف يشاء

كما ورد عنه صـلّى الله عليه و آله «من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشى فلينظر إلىّ» ، كما تقدم. و حينئذ فما يحكم به و يريده ليس إلاّ ما حكم به الله تعالى و أراده، و إن لم يرد به نصّ إلهى و آيـة قرآنيـة. و بعبارة أخرى: قـد يكون الحكم الإلهى منزلا إليه من طريق الوحى، و قد يكون من طريق القلب المتصل به تعالى اتصال حقيقة العبد بالرب، فحينئذ نقول:

قوله عليه السّلام فى حديث زرارة من أنه صلّى الله عليه و آله «وضع أشياء من غير أن يكون جاء فيه

شیء» أی من طریق الوحی کما لا یخفی، فالنفی بلحاظ الوحی لا بلحاظ الحقیقة. و الحاصل: أنّ تأدیبه تعالی إیاه صلّی اللّه علیه و آله لیس المراد منه التأدیب الأخلاقی العادی، بل المراد التربیة القلبیة و التقویم القلبی بحیث لا یقوم إلاّ علی ما أراده تعالی، ثم إن لهذا البحث عرضا عریضا، لعلنا نذکره فی طیّ الشرح، و هذا الذی ذکر هو أحد معانی التفویض. قال المجلسی (رحمة اللّه علیه) فی البحار (1): ثانیهما: أنّه تعالی لما أکمل نبیه صلّی اللّه علیه و آله بحیث لم یکن یختار من الأمور شیئا إلاّ ما وافق الحقّ و الصواب، و لا یحل بباله ما یخالف مشیته تعالی فی کل باب فوّض إلیه تعیین بعض الأمور کالزیارة فی الصلوة و تعیین النوافل فی الصلوة و الصوم و طعمة الجد و غیر ذلک مما مضی و سیأتی إظهارا لشرفه و کرامته عنده، و لم یکن أصل التعیین إلاّ بالوحی، و لم یکن الاختیار إلاّ بإلهام، ثم کان یؤکّد ما اختاره بالوحی، و لا فساد فی ذلک عقلا و قد دلّت النصوص المستفیضة علیه. أقول: ما ذکره (رحمة اللّه علیه) صحیح إلاّ أنّ قوله رحمه اللّه: و لم یکن أصل التعیین إلاّ بالوحی، و لم یکن الاختیار إلاّ بإلهام، ینافی بظاهره

قوله علیه السّلام: «من غیر أن یکون جاء فیه شیء» ، فإنه ظاهر فی أن تلک الموارد من أحکامه صلّی اللّه علیه و آله إنما هو من عند نفسه صلّی اللّه علیه و آله من دون الاستناد إلی الوحی و الإلهام، فالظاهر فی توجیهه هو ما ذکرنا من أنه صلّی اللّه علیه و آله لما صار من تأدیبه تعالی بحیث لیس له اختیار نفسانی و لا إرادة نفسانیّة، بل لا یرید و لا یختار ذاتا إلاّ ما أراده تعالی و اختاره. فحینئذ تکون مختاراته صلّی اللّه علیه و آله فی تلک الأمور التی وضعها صلّی اللّه علیه و آله عین مختاراته تعالی من دون مجیء وحی و لا إلهام، بل من نفس إرادته تعالی و اختیاره النازلتین فی قلبه الطاهر من غیره تعالی.

1- 1) البحار ج 25 ص 348.

ثم إن معنى اختصاص التفويض فى أمر الـدين لهم مع أنه لا يكون شـىء من الأمور إلاّ منه تعالى و بإرادته هو أنه تعالى اختصـهم بـذلک التـأديب و التقويم بـالمعنى المتقـدم دون غيرهم، كمـا لاـ يخفى. و منهـا أى من معـانى التفويض فى أمر الـدين هو أنهم عليهم السّلام مفوّضون فى أمور الخلق من سياسـتهم و تأديبهم و تكميلهم و تعليمهم، و الخلق أيضا مأمورون بأمر الله تعالى بأن يطيعوهم فى ذلک فيما أحبّوا أو كرهوا، و فيمـا علموا جهـة المصـلحة فيه و ما لم يعلموا. و الحاصل: ليس للخلق المشـى على ما أحبوا دون ما كرهوا، أو ما علموا جهـة المصـلحة دون ما لم يعلموا، بل لا بـد لهم فى جميع ذلک من إطاعتهم عليهم السّلام لقوله تعالى: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . و لعل

قوله عليه السّلام فى حـديث جـابر على ما رواه فى كشف الغمـة: «نحن المحلّلون لحلاله و المحرمون لحرامه» يرجع إلى هـذا، أى علينا بيانهما و يجب على الناس الرجوع فيهما إلينا. و إليه يشير أيضا خبر زرارة و خبر الميثمى المتقدمان، و مثله ما فيه

عن بصائر الدرجات بإسـناده عن أبى إسـحاق عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن الله أدّب نبيه على محبته فقال: إِنَّکَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (1)، ثم فوّض إليه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2)، و قال: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (3)، قال: ثم قال: و إن نبى الله فوّض إلى على و ائتمنه، فسلّمتم و جحد الناس، و الله لحسبكم أن تقولوا إذا قلنا و تصمتوا إذا صمتنا، و نحن فيما بينكم و بين الله، فما جعل الله لأحد فى خلاف أمرنا» ،

و فى خبر آخر زاد فى آخره، فإنّ أمرنا أمر

1- 1) القلم:4.

2- 2) الحشر:7.

3- 3) النساء:80.

الله عز و جل. و قـد يقال: إنه قـد ثبت فی الشـريعة أنهم عليهم السّـلام يحكمون بين الناس بحسب الظاهر فی تطبيق الأحكام الكليـة على مواردها خارجا، كما

اشـتهر عنه صـلّی الله عليه و آله: «إنما أحكـم بينكم بالأيمان و البينة، فالمشی على الظاهر هو المشی على ظاهر الشريعة بحسب الأيمان و البينـة» . فحينئـذ نقول: معنی أنهم مفوّضون فی أمر الـدين هو أنهم عليهم السّـلام فی هذه الموارد مفوّضون فی أن يحكموا بظاهر الشـرع و بحسب الأيمان و البينـة، أو بعلمهم و بواقع القضـية، كما كان ذلک لـداود عليه السّـلام و يكون هذا للحجة (عج) (روحی له الفداء) حينما يظهر، أو بمـا يلهمهم من الواقع و مـخّ الحق فی كل قضـية، فتأمل، فإن هـذا عين سابقه كما لا يخفی، فلا معنی لجعله قسـيما لما قبله كما ذكره المجلسی (رحمة الله عليه) و كيف كان فلعل خبر محمد بن سنان الآتی ظاهر فی هذا، و الله العالم. هذا كله بالنسبة إلی الموضوعات المتعلقة بسـياسات الخلق و تأديبهم و تعليمهم، بل قد يقال أيضا: إنهم عليهم السّلام مفوّضون فی بيان العلوم و الأحكام بما رأوا المصلحة فيهـا بسـبب اختلاـف عقول الناس، أو بسـبب التقيـة فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام و بعضـهم بالتقيـة، و يبيّنون تفسـير الآيات و تأويلها، و بيان المعارف بحسب ما يحتمل عقل كل سائل، و لهم عليهم السّـلام أن يسكتوا، و لهم أن يبيّنوا كما وردت أخبار كثيرة فی قوله تعالی: فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (1)نحو

قولهم: «عليكم المسألة و ليس علينا الجواب» ، و إليه يشير ما فی خبر ابن أشيم.

ففی البحار (2)، عن بصائر الـدرجات بإسـناده عن أديم بن الحر قال أديم: سأله موسـی بن أشـيم يعنی أبا عبد الله عليه السّـلام عن آية من كتاب الله فخبّره بها، فلم يبرح حتی دخل رجل فسأله عن تلک الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم

1- 1) النحل:43.

2- 2) البحار ج 25 ص 332.

فدخلنی من ذلک ما شاء اللّه حتی کأنی کاد قلبی یشرح بالسکاکین و قلت: ترکت أبا قتادة بالشام لا یخطئ بالحرف الواحد الواو و شبهها و جئت إلی من یخطئ هـذا الخطأ کله، فبینا أنا کذلک إذ دخل علیه آخر فسأله عن تلک بعینها فأخبره بخلاف ما أخبرنی و الذی سأله بعدی، فتجلّی عنی و علمت أن ذلک تعمد منه، فحدثت نفسی بشیء، فالتفت إلیّ أبو عبد اللّه علیه السّلام فقال: «یا بن أشیم لا تفعل کذا و کذا، فحدثنی عن الأمر الذی حدثت به نفسک. ثم قال: یا بن أشیم إن اللّه فوض إلی سلیمان بن داود علیه السّلام فقال: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (1)و فوّض إلی نبیه فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فما فوض إلی نبیه فقد فوّض إلینا، یا بن أشیم من یرد اللّه أن یهدیه یشرح صدره للإسلام، و من یرد أن یضله یجعل صدره ضیّقا حرجا، أ تدری ما الحرج؟ قلت: لا، فقال: بیده و ضمّ أصابعه الشیء (کالشیء) المصمّت الذی لا یخرج منه شیء و لا یدخل فیه شیء» . أقول: و مثله خبر عبد اللّه بن سلیمان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام کما رواه فی البحار عن بصائر الدرجات فی هذا الباب، بل قیل إن خبر محمد بن سنان یشیر إلی هذا.

ففی البحار (2)، عن بصائر الدرجات فی نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «لا و اللّه ما فوّض اللّه إلی أحد من خلقه إلاّ إلی الرسول و إلی الأئمة علیهم السّلام فقال: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ (3)و هی جاریة فی الأوصیاء» . فقوله تعالی: بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ ، یشیر إلی هذا التفویض فی الحکم بحسب اختلاف الموارد، ففی الموارد التی یفتون فیها بالاختلاف للتقیة و نحوها هی التی

1- 1) سورة ص:39.
2- 2) البحار ج 25 ص 334.
3- 3) النساء:105.

أراهم الله تعـالى فيهـا الحكم بالاختلاف. و بعبارة أخرى: أن حكمه تعالى قـد يكون ظاهرا لكل أحـد فلا خلاف فيه و لا يمكن الحكم فيه بالخلاف، و قد لا يكون ظاهرا كما فى موارد التقية فحينئذ يحكم النبى صلّى الله عليه و آله بما أراه الله تعالى من الحكم فى خصوص تلك الموارد، و لذا يقال: إنّ الحكم بالخلاف فى الموارد مختصّ بالنبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام لعدم تيسّر هذه التوسعة لسائر الأنبياء و الأوصـياء فضـلا عن غيرهم من سائر البشـر، بل كانوا مكلّفين بعدم التقية فى بعض الموارد و إن أصابهم الضـرر. و بعبارة أخرى: ليس لغيرهم عليهم السّلام الحكم بما يراه بحسب الظاهر تقيّة إلاّ لهم عليهم السّلام، نعم ما ورد عنهم عليهم السّلام من الحكم بالتقية فى الموارد التى بيّنوها، فلا بد لنا من المشـى على مقتضاها تقية و الفتوى بها هكذا، و هذا ليس هو المشـى على طبق آرائنا بل هو المشى على طبق حكمهم عليهم السّلام تقية كما لا يخفى. و كيف كان فهذا النحو من التفويض كانت لهم عليهم السّلام بالأخبار المستفيضة، و منها أن يقال: إنهم عليهم السّلام مفوّضون فى العطاء فإن الله تعالى خلق لهم الأرض و ما فيها و جعل لهم الأنفال و الخمس و الصفايا و غيرها، فلهم أن يعطوا ما شاءوا و يمنعوا ما شاءوا. و إليه يشير ما

فى البحار عن الاختصاص و بصائر الدرجات بإسناده عن الثمالى قال: سـمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «من أحللنا له شيئا أصابه من أعمـال الظالمين فهو له حلال، لأن الأئمـة منا مفوض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام» . أقول: هـذا ملحق بالتفويض فى الموضوعات لا الأحكام الكلية كما لا يخفى، و كيف كان فهذا لهم عليهم السّلام أن يحلّلوا منها أو يحرّموا منها، كما لا يخفى. و منها: أنه تعـالى أوحى إليهم و علّمهم جميع العلوم التى يحتاج إليها الخلق فى ليلـة المعراج للنبى صلّى الله عليه و آله أو فى ليالى القـدر، أو بنحو بيّنوه فى الأحاديث من القذف فى

القلوب أو النقر فی الأسماع، و ان کانت علومهم علیهم السّلام علی أقسام کما تقدم

من قول موسی بن جعفر علیه السّلام «مبلغ علمنا علی ثلاثة وجوه: ماض و غابر و حادث. أما الماضی: فمفسّر. و أما الغابر: فمزبور. و أما الحادث: فقذف فی القلوب و نقر فی الأسماع و هو أفضل علمنا. . . إلخ» . ثم إنه تعالی لمّا حمّلهم علومه هذه أعلمهم أیضا جهات التحمل و التبلیغ، فهم علیهم السّلام المؤدّون إلی من أمروا بالأداء لا غیرهم، و حینئذ نقول: معنی التفویض لهم فی أمر الدین أنه تعالی فوّض إلیهم تبلیغ ما أمرهم بتبلغیه کما حدده و بیّنه لهم فهم علیهم السّلام بأمره یعملون، و مع ذلک کله لیس الله تعالی قد رفع یده و قدرته عنهم بحیث یعملون ما یعملون بقدرتهم الاستقلالیة و بإرادتهم المستقلة، فإن هذا کما علمت تفویض باطل و شرک صریح، لأن کل شیء من الخلق فإنما هو فی قبضته تعالی و لا قوام له إلاّ به تعالی حدوثا و بقاء. و کیف کان فهم علیهم السّلام حملة أمره و نهیه و علمه بقدرته تعالی، و هم تراجمة وحیه بقدرته تعالی و مشیته تعالی، و معنی التفویض لهم بهذا المعنی یرجع فی الحقیقة إلی أنه تعالی قد خصّهم بهذا الأمر الذی فسّرناه دون غیرهم، بل غیرهم لا یقدر علی ذلک کما لا یخفی و ذلک لقربهم علیهم السّلام إلیه تعالی دون غیرهم کما تقدمت الإشارة إلیه. و أما المسألة الثانیة أعنی بیان أنه لا جبر و لا تفویض بل أمر بین الأمرین. فنقول: أولا نذکر أحادیث الباب ثم نعقبه بما بیّنه العلماء و حسب ما یستفاد منها، و ما ذکره العرفاء الشامخون فی ذلک.

ففی توحید الصدوق (1)، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن الله عز و جل خلق الخلق فعلم ما هم سائرون إلیه و أمرهم و نهاهم، فما أمرهم به من شیء فقد جعل لهم

1- 1) توحید الصدوق ص 359.

السبيل إلى الأخذ به، و ما نهاهم عنه من شیء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، و لا يكونون آخذين و لا تاركين إلاّ بإذن الله» .

و فيه بإسناده عن أبی عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «من زعم أنّ الله تبارک و تعالى يأمر بالسوء و الفحشاء فقد كذب على الله، و من زعم أنّ الخير و الشر بغير مشيّة الله فقد أخرج الله من سلطانه، و من زعم أنّ المعاصی بغير قوّة الله فقد كذب على الله، و من كذب على الله أدخله الله النار» .

و فيه عن أبی جعفر و أبی عبد الله عليهما السّلام قالا: «إن الله أرحم بخلقه من أن يجر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها، و الله أعزّ من أن يريد أمرا فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السّلام هل بين الجبر و القدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع مما بين السماء و الأرض» .

و فيه عن أبی الحسن الرضا عليه السّلام قال: ذكر عنده الجبر و التفويض فقال: «ألا أعطيكم فی هذا أصلا لا تختلفون فيه و لا تخاصمون عليه أحدا إلاّ كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلک، فقال: إن الله عز و جل لم يطع بإكراه و لم يعص بغلبة، و لم يهمل العباد فی ملكه، هو المالک لما ملكهم، و القادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادّا و لا منها مانعا، و إن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم و بين ذلک فعل و إن لم يحل و فعلوه فليس هو الذی أدخلهم فيه، ثم قال عليه السّلام من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه» .

و فيه عن أبی عبد الله عليه السّلام قال: لا جبر و لا تفويض و لكن أمر بين أمرين، قال: قلت: و ما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلک مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلک المعصية، فليس حيث لم يقبل منک أنت الذی أمرته بالمعصية» .

قوله عليه السّلام: «فليس حيث لم يقبل منک. . . إلخ» . أقول: و كذلک الله حيث نهى العبد عن المعصية فلم ينته، فتركه و خلّى بينه و بين

عمله، ليس هو الـذى أدخله فيهـا و أجبره عليهـا، فـالله تعالى خلاّه و اختياره المعصـية فلا جبر، و قادر على منعه إن شاء فلا تفويض، لأنه تعالى قادر على منعه.

و فيه بإسـناده عن الحسن بن على الوشاء، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: سألته فقلت له: الله فوّض الأمر إلى العباد؟ قال: «الله أعزّ من ذلک، قلت: فأجبرهم على المعاصى؟ قال: الله أعدل و أحكم من ذلک، ثم قال: قال الله عز و جل: يا بن آدم أنا أولى بحسناتک منک، و أنت أولى بسيئاتک منى عملت المعاصى بقوّتى التى جعلتها فيک» .

و فيه بإسـناده عن مهزم قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «أخبرنى عما اختلف فيه من خلّفت من موالينا، قال: قلت: فى الجبر و التفويض، قـال: فسـلنى، قلت: أجبر الله العباد على المعاصـى؟ قال: الله أقهر لهم من ذلک، قال: قلت: ففوّض إليهم؟ قال: الله أقـدر عليهم من ذلک، قال: قلت: فأى شىء هذا أصلحک الله؟ قال: فقلب يده مرّتين أو ثلاثا، ثم قال: لو أجبتک فيه لكفرت» .

قوله: «الله أقهر لهم من ذلک» . أقول: كأنّ القائل بالجبر يقول: إن الله تعالى لو جعل عباده مختارين، لفات عنه إنفاذ مشيّته فيهم، كما ذهب إليه المفوّضة، فإن لازم قولهم: عدم نفوذ مشـيّته تعالى فى أفعالهم فلا بد من القول بالجبر لتنفذ مشـيّته تعالى فيهم و فى أفعالهم، و رده عليه السّلام

بقوله: «إن الله تعـالى أقهر لهم من ذلک» ، فإن كون العبيـد مختارين لا يلازم عـدم نفوذها فيهم و فى أفعالهم، بل مع كونهم مختارين فالله تعالى هو القاهر بل أقهر لهم، لأنه تعالى يملكهم و يملک اختيارهم.

و أما قوله عليه السّلام: «الله أقدر عليهم من ذلک» يريد منه أنه تعالى لم يفوّض الأمور إليهم بنحو يخرج أفعالهم عن حيطة قدرتهم تعالى، بل هو أقدر عليهم دائما فلازمه أنه جعلهم مختارين و مع ذلک أنهم و أفعالهم تحت قدرته تعالى. و أما

قوله عليه السّلام: «لو أجبتک لكفرت» ، فسيأتى معناه.

و فی تفسیر المیزان (1)، عن الاحتجاج فیما سأله عبایة بن ربعی الأسدی عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام فی معنی الاستطاعة، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «تملکها من دون الله أو مع الله؟ فسکت عبایة بن ربعی، فقال له: قل یا عبایة، قال: و ما أقول یا أمیر المؤمنین؟ قال: تقول تملکها بالله الذی یملکها من دونک، فإن ملککها کان ذلک من عطائه، و إن سلبکها کان ذلک من بلائه، هو المالک لما ملّکک، و القادر علی ما علیه أقدرک» ، الحدیث.

و فیه عن شرح العقاید للمفید (رحمة الله علیه) قال: و قد روی عن أبی الحسن الثالث علیه السّلام أنه سئل عن أفعال العباد، أ هی مخلوقة لله تعالی؟ فقال علیه السّلام «لو کان خالقا لها لما تبرّأ منها و قد قال سبحانه: أَنَّ اَللّٰهَ بَرِیءٌ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (2)و لم یرد البراءة من خلق ذواتهم و إنما تبرّأ من شرکهم و قبائحهم» .

و فیه عن الطرائف: روی أنّ رجلا سأل جعفر بن محمد الصادق علیه السّلام عن القضاء و القدر فقال: «ما استطعت أن تلوم العبد علیه فهو منه، و ما لم تستطع أن تلوم العبد علیه فهو من فعل الله، یقول الله للعبد: لم عصیت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زنیت؟ فهذا فعل العبد، و لا یقول له: لم مرضت؟ لم قصرت؟ لم ابیضضت؟ لم اسوددت؟ لأنه من فعل الله تعالی» . أقول: هذه بعض الأخبار الواردة فی الباب، و المتحصّل منها یتوقف توضیحه علی بیان أمر و هو أنه تعالی له الملک الحقیقی لنفسه بالنسبة إلی الأشیاء و الخلق ملکیّة تامة غیر ناقصة، فله التصرف فی ملکه علی الإطلاق، و هذا بخلاف مالکیّة الإنسان لشیء فإنه إنما یصحّ فی بعض التصرفات لا کلها کما حقق فی محله. و کیف کان فهو تعالی یتصرّف فی خلقه من غیر أن یستتبع قبحا أو ذمّا أو لوما، لأنّ هذا الاستتباع إنما یتحقق غالبا بالنسبة إلی من لا یملک التصرف فی

1- 1) تفسیر المیزان ج 1 ص 100.
2- 2) التوبة:3.

مملوكه على الإطلاق كما فى المماليک العرفية، و أما هو تعالى فإنه يتصرف فى ملكه و هو تصرف من مالک حقيقى بنحو الإطلاق فى مملوک حقيقى كذلک، ثم إن من المتراءى منه تعالى أنه جرى فى معاملته مع خلقه مجرى العقلاء فى المجتمع الإنسانى، و أمضى طريقة العقلاء من تحسينهم الإحسان و المشى على طبق المصالح و المدح على ما هو ممدوح و تقبيحهم الظلم و المفاسد. و بعبارة أخرى: أنه تعالى بنى فى الأحكام الشرعية التى شرعها لعباده على ما يرعاه العقلاء. و من المعلوم أن أفعالهم معلّلة بأغراض عقلائية، و عليه تكون تشريفاتهم العرفية من مجازاة الإحسان بالإحسان و الإساءة بالإساءة، و من طريقتهم العقلائية أنهم لا يوجهون الحكم إلاّ إلى المختار دون المضطر، و لا يرون حسنا فى تكليف المضطر و المجبر بل يرونه قبيحا إلاّ فيما كان الاضطرار مستندا إلى سوء الاختيار كما حقق فى محله، فحينئذ نقول المستفاد من تلک الأخبار هو أنه تعالى مشى فى تشريعه على طريقة العقلاء، فحينئذ لو أجبر سبحانه عباده على الطاعات أو المعاصى لم يكن جزاء المطيع بالجنه و العاصى بالنار إلاّ جزافا فى المطيع و ظلما فى العاصى، و هما قبيحان عند العقلاء فعنده تعالى أولى. و كيف كان فالتكاليف الشرعية ليست مبنيّة على الإجبار، بل كما أنها شرعت عن مصلحة لهم دنيويّا و أخرويّا أيضا تكون متوجه إليهم من حيث كونهم مختارين، فهم يثابون عليها أو يعاقبون، إن خيرا فخير و إن شرّا فشرّ، و أيضا المستفاد من مشيه تعالى على طريقتهم فى التشريع هو أنّ التشريع كما لا يلايم الجبر، كذلک لا يلائم التفويض، إذ لا معنى بالأمر و النهى المولويين فيما لا يملک المولى من عنده شيئا، مضافا إلى أن التفويض لا يتمّ إلاّ مع سلب إطلاق الملک منه تعالى عن بعض ما فى ملكه، و قد علمت أنه تعالى مالک الخلق على الإطلاق. أقول: هذا هو مقتضى المستفاد من ظواهر الأخبار الواردة فى الباب، و كأنه

بيان لما يجب على كل مسلم أن يعتقد فى مسألة الجبر و التفويض بالأمر بين الأمرين بنحو تكون أحكامه الاعتقادية ما ذكر من لزوم إبقاء الله على قدرته و سلطنته، و من عدم تحقق الجبر للعبد بل هو مختار، و إلاّ لزم القبح منه تعالى الله من ذلك، و كيف كان فما ذكر بيان للتكليف الشرعى فى المسألة و ما يجب الاعتقاد به. و أما بيان حقيقة الأمر بين الأمرين فلم يذكر فيها إلاّ بنحو الإجمال و الإشارة كما فى حديث عباية بن ربعى،

و فى قوله مثل ذلك «مثل رجل رأيته على معصيته. . إلخ» ،

و قوله «بما أوسع بما بين السماء و الأرض» ، فإنه يشير إجمالا إلى حقيقة خفيّة، بل لعلها لا يتحمّلها كثير من أفهام العقلاء، بل ربما أوجب لهم الكفر كما فى حديث مهزم، فإن حقيقتها غامضة جدا لا تكاد تتّضح إلاّ للعارف بالتوحيد الأفعالى كما لا يخفى. ثم إن القول فى بيان حقيقته و إن كان غامضا، إلاّ أنّا نشير إليه حسب ما ساعدنا التوفيق الإلهى، و نرجو منه تعالى الإعانة و الاستمداد لفهمه. اعلم أنهم اختلفوا فى أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرتهم و اختيارهم أم هى واقعة بقدرة الله تعالى، مع الاتفاق على أنها أفعالهم لا أفعاله إذ القائم و القاعد و الآكل و الشارب و غير ذلك هو الإنسان مثلا، و إن كان الفعل مخلوقا لله تعالى فإن الفعل نسبته إلى من قام به لا إلى من أوجد. أقول: هذا بالنظر إلى ظاهر الأمر، و إلاّ فيظهر أن الفعل مستند حقيقة إلى من أوجد، و هو الله تعالى و إلى من قام به بالنظر الظاهرى و بالتّبع، فتأمل. فقال الشيخ أبو الحسن الأشعرى: إن أفعال العباد كلّها بقدرة الله تعالى مخلوقاته، و لا تأثير لقدرة العبد فى مقدوره أصلا، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد فى العبد قدرة و اختيارا، و يوجد فعله المقدور مقارنا لهما، فيكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى إبداعا و إحداثا و مكسوبا للعبد، و المراد بكسبه إيّاه مقارنته لقدرته و إرادته من غير أن يكون فيه تأثير أو مدخل فى وجوده سوى كونه محلاّ له، و قد

يمثل أمر الكسب بحمّال يحمل شيئا و يذهب به و يضع آخر يده تحت الشيء المحمول من غير أن يكون لقوته و قدرته مدخلية فى الحمل له و الذهاب به، بل مجرد أن لو لم يحمل الحمّال لحمل هو، و لكن قد جرت عادة الحمّال بحمله، فهكذا يقولون: إن الله تعالى أجرى عادته بخلق الفعل مقارنا لقدرتنا و إرادتنا من غير أن يكون لهما مدخلية فيه، و بهذا الكسب يصححون الثواب و العقاب و غيرهما، و ظاهر أن مجرد المقارنة مع عدم المدخلية و الوقوع بمحض إرادة الله تعالى و قدرته جبر محض، و قد التزمه هو و أصحابه. و قال القاضى أبو بكر: إن ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى، و كون الفعل طاعة كالصلوة و معصية كالزنا صفات للفعل بقدرة العبد. و قال إمام الحرمين و أبو الحسين البصرى: إن أفعال العباد واقعة بقدرة خلقها الله تعالى فى العبد، فهو تعالى يوجد فى العبد القدرة و الإرادة، ثم تلك القدرة و الإرادة توجبان وجود المقدور. و قال أستادهم أبو إسحاق الإسفرانى: المؤثر فى الفعل مجموع قدرة الله تعالى و قدرة العبد. و قالت المعتزلة: العبد فاعل مستقل فى الإيجاد بلا مدخلية لإرادة الله سبحانه فى فعل العبد، سوى أنه تعالى أوجد العبد و جعله صاحب إرادة مستقلة يفعل ما يشاء و يترك ما يريد، و هذا أيضا تفويض محض و تشريک فى الخالقية.

و فيهم ورد: أن القدرية مجوس هذه الأمة، و الله سبحانه أعز و أجلّ من أن يجرى فى ملكه شيء بغير إرادته

كما ورد عن النبى صلّى الله عليه و آله: «ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن» ، و قد حكى أنه دخل القاضى عبد الجبار دار الصاحب بن عبّاد، فرأى الأستاذ أبا إسحاق الإسفرانى فقال: سبحان من تنزّه عن الفحشاء، فقال الأستاذ: سبحان من لا يجرى فى ملكه إلاّ ما يشاء. و قال الحكماء و الإمامية: لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، و هو الحق

ص :565

الذى لا مرية فيه و لا شبهة تعتريه، و هو المأثور عن أئمتنا الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) . أقول: و لكل من الطرفين دليل و إيراد و نقض و إبرام مـذكور فى محله تفصـيلا و أما إجمالا فقـد يقال للأشاعرة بأن ترک الفعل من العبد حال الفعل إن امتنع كان العبد مجبورا فلا يكون الفعل باختياره، و إن لم يمتنع احتاج فعله إلى مرجح، و إلاّ لدار أو تسـلسل و لا يكون من العبد لعود المحذور، فلا محالة يكون منه و هو معنى الجبر، و أجيب بأن الاختيار فى العبـد هو اسـتواء الطرفين بالنسـبة إلى القـدرة وحـدها، و هذا لا ينافى وجوب أحدهما بسـبب الإرادة، فمتى حصل المرجّح و هو الـداعى و تعلق الإرادة الجازمـة وجب الفعل، و متى لم يحصل امتنع، و هـذا غير مناف للقدرة، و لذا قـالوا: الوجوب الاختيـارى لا ـ ينافى الاختيار بل يحقّقه، و قـد يقال للمعتزلـة بالعقل و النقل: أما الأول: فهو أن العبـد إن لم يكن مختارا و متمكنا من الفعل و الترک لقبـح تكليفه و بيان الملازمة كبطلان التالى ظاهر. و أما الثانى: فقوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِنَفْسِهِ (1)، و قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ (2)، و قوله تعـالى: كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ (3)، و قوله تعـالى: فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ (4)، و قوله تعالى: اِعْمَلُوا مٰا شِئْتُمْ (5)و غير ذلک مما هو ظاهر فى اسـتناد الفعل إلى العبد من حيث إن له الاختيار و التمكّن، و عورض بالآيات الدالة على أنّ جميع الأفعال بخلق الله تعالى

ص: 566

1- 1) فصلت:46.

2- 2) النساء:123.

3- 3) الطور:21.

4- 4) الكهف:29.

5- 5) فصلت:40.

كقوله تعالى: اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (1)، و قوله تعالى: وَ اَللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (2)، و قوله تعالى: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ (3). و كيف كان فكل من الطرفين يستدلون بذكر السمعيات و العقليات، إلاّ أنهم لم يأتوا بشىء، فالحق الحقيق هو

ما ذكره الأئمة الطاهرون عليهم السّلام من أنه لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، فلا بد من بيان ما به يظهر حقيقة هذا الأمر، فنقول و عليه التكلان: قد تحقق فى محله أن فعله تعالى هو الوجود المنبسط الذى فى كل بحسبه، و النور الفعلى الذى استشرقت به الممكنات بلا فرق بينها، بمعنى أن أولى الاختيار و ذوى الاضطرار كلها متساوية الأقدام فى هذا الاستشراق و الانوجاد بذلك الوجود المنبسط، ثم إن فاعل هذا الوجود المنبسط لما كان واحدا بالوحدة الحقيقة بحيث لا ثانى له، فكذلك يكون فعله واحدا بوحدته كما حقق فى محله، و حيث إن الممكنات بأسرها فقر محض ذاتا فاحتياجها إلى الغنى بالذات فى الموجود ذاتية، و لا نفرّق فيها بين الجواهر و الاعراض برمتها. و من المعلوم بالضرورة أنه لا يعطى الوجود إلاّ ما هو برىء من كل الوجوه ممّا بالقوة، بل المعطى هو الحى القيوم أى المدرك الفعال الذى تكون قدرته فعلية بتمام الفعلية، و نافذة باختياره و إرادته و هو تعالى عالم، أى يكون جميع الأشياء فى علمه علما حضوريا كيف لا و العلم ذاته؟ و لا يعزب عنه شيء من الممكنات فى الأرض و لا فى السماء، فتحقق أن الوجود كله فى صقع الربوبية، و استقرّ طرّا من إقليم الإلهية كما قال: آفتاب وجود كرد اشراق نور او سر بسر گرفت آفاق

1- 1) الرعد:16.

2- 2) الصافات:96.

3- 3) النساء:78.

و بهذا النظر يقال: كل من عند الله، ثم إن اتصاف الممكنات بأسرها بالوجود أو نسبتها إلى الوجود، بناء على إن وجود الممكن هو المرتبة النازلة من الوجود المطلق، و أن المجعول و الأصل هو الوجود، أو قلنا بأن الجعل متعلق بالمهية، فعلى كل حال فالممكنات متكثرة الوجود و متحصصة بالإضافة إلى الأعيان و المهيّات، فالتكثر إنما حصل للوجود من تكثرها لا من أصله بل هو واحد منبسط، فاللازم من هذا أن كل موجود بلحاظ وجوده ذو وجهين: وجه إلى الرب و وجه إلى النفس، و هذا لا يختص بذات الممكن بل فعل هذا الممكن و أثره اللاحق له أيضا هو موجود من الممكنات، و قد اشتهر بحكم العقل و العرفان-أن كل موجود ممكن زوج تركيبى-فهذا الفعل الصادر من الوجود الكائن للفاعل له وجهان أيضا، و حيث إنه من أثر الوجود و فى المرتبة المتأخرة عنه فهو بحقيقته و شئونه تابع له، فالوجه الذى هو وجه إلى الرب مستند إلى وجه ذلک الوجود إلى الرب و وجهه إلى النفس إلى وجهه إلى النفس-الطيبات للطيبين و الخبيثات للخبيثين-و حينئذ نقول: فبالنظر الأول الكل من عند الله لا شريک له فى الإيجاد و الوجود من أن الوجود المنبسط واحد، و هو فعله تعالى فعلا بالوحدة الحقة الظلّية، و أما بالنظر الثانى أى بلحاظ تكثره باعتبار الأعيان و الماهيات، فإذا أخذت و لوحظت باعتبار وجهها إلى الرب، فالفعل أيضا مستند إلى الرب و إذا أخذت باعتبار أوجهها إلى أنفسها فالفعل مستند إليها، إلاّ أن الوحدة الحقة الظلية قاهرة عليه، و الرحمة أى الوجود المنبسط سابقة عليه، و ليس هذا قولا بالثنوية لأن الثنوى يقول بمبدأين مستقلين و نحن لا نقول به أما بلحاظ الوجه إلى الرب فمعلوم و أما بالنسبة الوجهة إلى النفس فلأنّ النفس و فعلها و نسبة فعلها إليه كلها مقهورة تحت الوحدة الحقة الظلية و الوجود سابق عليه، و ليس معنى سبق الوجود عليه إلاـ أن هذا الفعل و ما نسب إليه من النفس ليس موجودا أصيلا، بل موجودا تبعيّا و رابطا، بل ربطا محضا بحيث يكون قوامه بقيومه، بحيث لولاه لما كان، و هذا معنى،

قوله عليه السّلام: فيما تقدم «هو المالک لما ملکهم، و القادر على ما أقدرهم» ، کما لا يخفى. و بعبارة أخرى: أن أصل الفعل من حيث إنه وجود فهو کمال، و نحن بهـذا اللحاظ أرجعناه إلى الکمال المطلق و إلى الوجه إلى الرب، و من حيث محدوديته فهو نقص، و بهذا اللحاظ أرجعناه و أسـندناه إلى النفس، لکونها أيضا من هـذه الجهـة ناقصة فأين هذا من الثنوية؟ و بعبارة أخرى: أن المهية و إن کانت موجودة لکن وجودهـا کالانتزاعيـات بمعنى وجود منشـإ انتزاعها بوجه، و هى أى المهيـة فانيـة فى الوجود کفناء الجنس فى الفصل لا ترکيبها مع الوجود الحقيقى، يعنى أنها مرکبة مع الوجود الحقيقى کترکيب الجنس مع الفصل، و لکن إن حقيقة الشيء و تحقق الجنس إنما هو بفصله، فکذلک هذه المهية لا تحقق لها إلاّ بالوجود، فمعنى أنها فانية فى الوجود هو أنه لا وجود لها مستقلا فى قبال الوجود، و لذا قيل: إن المهية من حيث هى هى ليست إلاّ هى لا موجودة أى بالاستقلال و لا معدومة لأن وجودها بالوجود، و ليس هذا وجودا مستقلا لها، و لذا قيل: إن المهيات و الأعيان الثابتـة ما شـمّت رائحـة الوجود، و کيف کان فهى فانيـة فى الوجود الحقيقى، و الوجود الحقيقى من حيث هو وجود لا يتحقق إلاّ بين متحصل و لا متحصل إلا بين متحصلين کما حقق فى محله، فالمتحصل هو الوجود و اللامتحصل هو المهية و هى بالنسبة إليه فىء. و بعبارة أخرى: أن الترکيب من المهية و الوجود أو من وجه الله و وجه النفس ليس ترکيبا من شيء و شيء بل من شيء و فيء. و بعبارة أخرى: ليس فى الممکنات إلاّ شـيء، و تحقق الشـيء أى شـيء ممکن ذاتا، و تحقق ذلک الشـيء الممکن بالوجود، و تحقق الشيء هو مذوته أى المعطى له الـذات، فـالموجودات و الممکنات تأثيرها فى أفعالها بلحاظ ذاتها، و ذاتها هى العطيـة التى أعطيت لهـذا الشـيء من الوجود و بدونه لا ذات له، فالشيء بها أى بهذه الذات يکون هو هو، و هذه الذات من الوجود، و هذا معنى ما قيل: من أنّ ذوات الأسباب

لا تعرف إلاّ بأسبابها، أى أنه ما يفرض سببا لشىء لا به، و أن يعرف ذاتها و أنها أى هذه الذوات ما سببها، فلو قيل: إن الفعل سببه العبد و اختياره فلا بد من معرفة ذات هذا السبب، و معرفة أسباب هذه الذات للسبب، فإذا علمت أنّ الفعل من حيث استناده إلى وجه الرب ففاعله هو تعالى، و من حيث استناده إلى وجهة النفس ففاعله، و إن كانت النفس و المهية، إلاّ أنه إذا عرف أن هذه الذات ذات النفس تكون مذوته الوجود إلى الوجه إلى الرب، فحينئذ لاـ تحقق لها فى قبال الوجود، بل هى فانية فيه، فتأمل تعرف. فتحصل أن الأمر بين الأمرين هو فعل بسيط محض، بمعنى أنه تسخير محض فى كونه اختيارا محضا، و اختيار بحت فى كونه تسخيرا محضا. و بعبارة أخرى: الفعل الواقع فى الخارج أمر بسيط وحدانى، إلاّ أنه بلحاظ الوجود الذى هو جهة الرب فهو تسخير محض ليس للعبد فيه شىء، و بلحاظ استناده إلى العبد و اختياره فهو اختيار محض، و كل من التسخير و الاختيار مخلوط فى هذا الفعل الوحدانى بالنحو البسيط لا المركب، فالفعل فعل واحد إلاّ أنه بلحاظ فاعله الحقيقى و فاعله القابلى يلاحظ التسخير و الاختيار، إلاّ أنّ اختياره تحت تسخير المولى، و لا ينافى هذا فى كونه اختياريا، و قد حقق فى محلّه أنّ الإيجاب بالاختيار لا ينافى الاختيار، أى أن تسخيره تعالى له لا ينافى اختياره، إذ فى هذه الصورة يصدق أن العبد شاء و فعل، و الإيجاب المنافى للاختيار هو إيجاب الفواعل بالطبع كإيجاب النار للإحراق مثلا. و الحاصل: أن المعتبر فى الفعل الاختيارى أن يكون مسبوقا بقدرة العبد و اختياره، و يكون لهما مدخلية فى وجود الفعل من العبد. و أما كون قدرته و اختياره بقدرته و اختياره فلا، و القادر هو الذى إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل، لا الذى إن شاء شاء و إن لم يشأ لم يشأ، أى إن شاء شاء مستقلا بدون قاهرية مشية عليه، و إن لم يشأ لم يشأ، أى لم يتحقق مطلقا بحيث لا يكون هناك قادر على إيجاد ما لم يشأه هذا

العبـد، و أيضا ليس القادر الـذى لـم يجب فيه و فى فعله المشـية و القـدرة أو الفعل من شاء و قادر و فاعل فوقه، بل و لو وجب الكل أى كل هذه فإنه حينئذ إذا كان الفعل منه أى من العبد مسـبوقا باختياره صدق أنه القادر، و إن كان هو و قدرته و اختياره تحت إيجاب الغير مثلا، ثم إن اختياريـة العبد فى فعله و انه قادر فيه لا يقدح فى قدرة الرب و اختياريته بدعوى لزوم ذلک الاشتراک فى القدرة منه تعالى و من العبد فى تحقق الفعل، فلا يكون هو تعالى مستقلا بالقدرة و الاختيار، و ذلک لأن المشية و القدرة ليستا أحدية التعلق بحيث لا يصحّ تحققها إلاّ منه تعالى مثلا إذ إنه فى الفرض أى فى فرض كون العبـد مختارا و قادرا يصـدق بالنسـبة إليه تعالى فى هـذا الفعل للعبـد أنه تعالى لو لـم يشأ لـم يفعل، و إن كان الفعل حينئـذ واقعا من العبد باختياره و قدرته، لأن صدق الشـرطية إنما هو بصدق الملازمة لا بصدق طرفيها كما حقق فى محله، فهو تعالى فى حال فعل العبـد و اختياره له و قدرته عليه إن شاء لـم يفعل، و لا يقع الفعل من العبد، لأنه هو و فعله و قدرته و اختياره مسخر تحت قدرته تعالى و اختياره كما سبق. فمنه يظهر أن حقيقة قدرة العبد و اختياره ليس كحقيقة قدرة الرب تعالى و اختياره، فإن قدرته تعالى و اختياره ليسـتا تحت قـدرة أحـد و اختياره، بل هو مسـتقل فيها بخلافهما فى العبد فإنهما و إن صحّ اسـتنادهما إليه، إلاّ أنه فى حال انتسابهما إلى العبد تكونان تحت قدرة الرب تعالى و اختياره، و مما يوضح لک هذا وجدانا أنک ترى أنّ قدرة الرب و اختياره نافذان و لو قد قام على خلافهما الثقلان. و بعبارة أخرى: أنه تعالى لا يعجزه شـىء إذا اختار شـيئا أو أنفذ قدرته، و هذا بخلاف قدرة العبد و اختياره فإنهما فى عين تحققهما فى العبد يكونان مقهورين لقدرته تعالى و اختياره، بل لقدرة غيره تعالى ممن هو أقدر فى الأمور و أقدم فى إعمال اختياره، و يظهر مما ذكر أنه ليس معنى الأمر بين الأمرين أنه مركب من الجبر

و التفويض بـأن يكون فيه شوب من هـذا و شوب من ذاک کـالحرارة الفاترة إذ فيها شـیء من الحرارة و شـیء من البرودة، بل هو أمر بسـيط محقق فی الوجود أوسع مـا بين السـماء و الأرض أی شامـل لهمـا و لمـا فيهما، و إنما الكلام فی دواعی هـذا الأمر البسـيط و قـد علمت توضيحه. انتهی الجزء الرابع و يليه الجزء الخامس مبدوءا ب «و قلبی لكم مسلّم. . .»

ص: 572

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩